



الجزائر في الشعر العربي المعاصر
بمنطقة الخليج والجزيرة العربية

الدكتور محمد حسن عبد الله

الكويت

2007

أشرف على إعداده للطبع

عبدالعزيز جمعة

الصف والتنفيذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

تصميم الغلاف

محمد العلي

ردمك: 3 - 47 - 72- 99906 - 978 : ISBN

رقم الإيداع : Depository Number: 2007 / 380

إصدار خاص بمناسبة اختيار

الجزائر عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٠٧

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصديــــــر..

رغم بعد المسافة بين أهل المشرق العربي والجزائر وضعف وسائل الإعلام وصعوبة انتقال الخبر في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين.. إلا أن أخبار مجاهدي حركة التحرير الوطني الجزائري كانت قد استرعت الأنظار، وانتشرت انتشار الشذا والأريج في كل الأسماع.. فهذه أخبار الجميلات الثلاث [جميلة بوحيرد وجميلة بوباشا وجميلة بوعزّة] وأخبار القادة المختطفين، وأخبار هجمات الثوار من جانب، والتنكيل الفرنسي بالشعب الجزائري من جانب آخر، تملأ صفحات الجرائد وتتصدر أخبار الإذاعات .. وما كان القادة إلا فئة وضعتها أقدارها في المقدمة، وما كانت الجميلات إلا رمزًا لكلّ نساء الجزائر المقاومات اللواتي أذقن المستعمر ما أذاقه لشعب الجزائر الأبي من أذى وقسوة، وكان فرسان حركة التحرير الوطنيّ من المناضلين الذين أبلوا البلاء الحسن قد استعدوا لإعلان استقلال الجزائر الذي توج في العام ١٩٦٢ باندحار الغاصب ورفع راية الجزائر خفاقة عالية فوق روابي الأوراس ووهران وكل ربوع الجزائر.

وأثناء هذه الثورة الجبارة وقف الشعراء العرب إلى جانب الثورة والثوار الذين أخذوا يحضّون على استمرار الثورة وتأجيجها وإثارة الحماسة في نفوس الأبطال. ويتغنون بالمجاهدين ويتحدثون في أشعارهم عما يتعرض له الجزائريون من عنت وقهر وقتل ودمار، وكان لشعراء منطقة الخليج والجزيرة العربية إسهامهم المشهود في اتخاذ ثورة الجزائر مجالاً رئيسيًا من مجالات إبداعاتهم والشعرية منها بشكل خاص.

وبوصفي واحدًا من أبناء الكويت فقد عشت هذه المشاعر وتلك الأوقات العصيبة وتابعت عن كثب حماس أبناء الوطن العربي بعامة، وأبناء منطقة الخليج والجزيرة العربية بخاصة، تجاه أشقائنا وما يعانونه، ورغم الألم والغضب فإن الإنسان لا يملك إلا الشعور بالزهو لتلك العزيمة الجبارة والمواجهة الباسلة من جانب إخوتنا في الجزائر وما عاشه

الناس في منطقتنا من حماس بالغ لنصرتهم بكل ما يمكن، ففرض الكويتيون على أنفسهم ضريبة تقدم لإخواننا الجزائريين لأعوام عدة، وعندما جاءت جميلة بوحيرد للكويت عام ١٩٦٢، فرح الشعب الكويتي بها واستقبلها كرمز للكفاح والجهاد الجزائري. إنها الوشائج العربية الإسلامية التي تجمعنا في السراء والضراء.

إنّ هذا الكتاب الذي انبرى لإعداده مشكورًا الأستاذ الدكتور محمد حسن عبدالله حيث قام باختيار مائة قصيدة وقصيدة من بين مئات القصائد لشعراء منطقة الخليج والجزيرة العربية، وأجرى عليها دراسةً وإحصاءات وتحليلاً بصورة غير مسبوقة، سيجعل القارئ أكثر معرفة واطلاعًا على مواقف شعراء المنطقة بخصوص الثورة الجزائرية، وليعرف مدى تفاعلهم مع أحداث وطنهم العربي الكبير حيثما كانت.

يسعدني عزيزي القارئ قيام مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بتقديم هذا الكتاب الممتع والمفيد ضمن إسهاماتها في احتفالية الجزائر باختيارها عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٠٧، فلعله يسد فراغًا في هذا المجال.

والله ولي التوفيق...

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت 27 من رمضان 1428هـ

الموافق 9 من أكتوبر 2007م

****

تقديم
قطرٌ.. ثمَّ.. ينهمِر

(١)

لم يكن مضى على إعلانها أكثر من عشرة أيام حين كتب عباس محمود العقاد - بكل ما يمثله في تجديد بصيرة الفكر العربي - تحت عنوان:«ثورة الجزائر»: مذكرًا بما كان المؤرخ الفرنسي ووزير خارجية فرنسا جبرائيل هانوتو يردده قبل خمسين عامًا من أنهم استطاعوا أن يحولوا قبلة التونسيين من مكة إلى باريس. ويستعيد العقاد مقولة من زعم أن تجربة تحويل القبلة نجحت في الجزائر أضعاف نجاحها في تونس: لأن الجزائريين دخلوا في الجنسية الفرنسية، وفتحت لهم أبواب البرلمان الفرنسي، وأصبحوا يتعلمون لغة الدولة الحاكمة قبل لغتهم العربية، ويفرض عليهم في السنوات الأولى أن يلقبوا تلك الدولة بلقب الأم الحنون!! - ويعود العقاد إلى زمن بواكير يفاعته في مدينة أسوان وقد حفزه حسه الوطني أن يقوم بالتدريس - تطوعًا - في مدرسة أهلية، لمقاومة الجهل، وقد فوجئ - بين التلاميذ الصبية بشاب غريب في كسوة غريبة لم ير لها شبيهًا من قبل، تراجعت موجة الدهشة بعد أن عرف من صاحب المدرسة أن هذا الشاب من المغرب العربي، وأنه الأمين الخاص لنبيل فرنسي، وأنه في صحبته إلى مشتاه في أسوان، وأن الكلام بالفرنسية أيسر على هذا الشاب من الكلام بالعامية الجزائرية، فضلاً عن العربية الفصحى، إذ كان منذ نشأته الباكرة في باريس. ولما كانت له فترة فراغ لا يتقيد فيها بصحبة النبيل، فقد فضل أن يغادر الفندق وملاهيه ليبحث عن معهد إسلامي يطلع فيه على خبر من أخبار الإسلام في هذه الديار!! ويستخلص العقاد من هذه الذكرى القديمة خطأ هانوتو وفساد نبوته - بالمشاهدة، ودون الرجوع إلى الفلسفة والتاريخ. ثم يجمل العقاد رؤيته، فيجمع بين المقدمات والنتائج في عبارة حاسمة: « للفرنسيين مستقبل

واحد في الجزائر طال بهم الزمن أو قصر. مستقبلهم أن يعيشوا فيها جزائريين أو يرحلوا عنها مطرودين، وأما أن تصبح الجزائر الفرنسية في حضن فرنسا - أمها الحنون - فلن يطول الرضاع أكثر من خمسين سنة! وهذه صيحة الطفل الرضيع على أمه الحنون.. إنها لدرس للمستعمرين، وعبرة للمعتبرين، ورجاء لليائسين[1].

ليس من مهمة هذه الأوراق أن تسجل تاريخ الجزائر البعيد أو القريب، أو أن ترصد ثوراتها الجسور الرائعة ما بين ثورة الأمير عبد القادر الجزائري (١٨٠٧ - ١٨٨٣) الذي ظل على صهوة جواده يقود المعارك خمسة عشر عامًا بعد سقوط النظام الرسمي[2]، وبين صدور البيان الأول لثورة التحرير في الأول من نوفمبر عام ١٩٥٤ - في ذاك اليوم كان البيان الأول عمليًا دامغًا؛ فقد هاجم الوطنيون - الذين لم يكونوا أعلنوا عن هويتهم بعد - المنشآت العسكرية الفرنسية في عدة أماكن من القطر الجزائري، في شرقي مقاطعة قسنطينة، وفي منطقة الأوراس، كما أطلقت النار على رجال الدرك الفرنسي.. لهذا التاريخ النضالي المجيد مكانه وسياقه، وما يعنينا هنا، وقد آثرنا أن تكون عبارة الاستهلال للعقاد، أنه كتب رأيه النافذ الواثق المحدد، لا يعرف المواربة أو طرح الاحتمالات، يوم ١٢ نوفمبر ١٩٥٤ - في صحيفة أخبار اليوم، فقد كان بينه وبين إعلان الثورة عشرة أيام لا غير، على أنه ختم عبارته بقوله عن هبة الشعب الجزائري:

إنها لدرس للمستعمرين ..

وعبرة للمعتبرين ..

ورجاء لليائسين ..

هل من الخروج على السياق أن نقول إن شعراء الخليج والجزيرة العربية في تعضيدهم، وحفاوتهم، وقراءتهم لفعل الثورة في صداها العالمي، وفي مردودها العربي، كان ينتهي إلى هذه المحاور - الخلاصات الثلاثة: الدرس، والعبرة، والرجاء؟!

(٢)

للوهلة الأولى بدا الموضوع على قدر من الصعوبة لا يستهان به إلا عند من لا يعطي العلم ما يستحقه من العناية، ولقد ظل كذلك عندي حتى الوهلة الأخيرة - إذا جاز القول؛

فـإن تكتب لتحقق العنوان «الجزائر في الشعر العربي المعاصر بمنطقة الخليج والجزيرة العربية» فـإن هذا بالنسبة لي - على قدر الرغبة في العمل (إضافة دراسة أدبية) والفرح بالموضوع (الجزائر في الشعر) كان ينطوي على قلق من بقية العنوان، بل إن القلق يبدأ من تحديد الجـزائر، التي لم أزرها، ولم أتعرف عليـهـا عن كثب، وإن عشت زمن ثورتها التحريرية بحماسة شاب يقارب العشرين، كان له أصدقاء - أعز الأصدقاء - من أبنائها: إبراهيم فخار، وعرابي، وكانا زميلين في الدراسة، وأبو القاسم سعد الله، وكان يسبقنا بعام أو عامين في دار العلوم - أواخر الخمسينيات من القرن العشرين، لم أنس ملامح الوجوه، ولا مجالس القهوة (الفرنسية) ولا أحاديث الشباب عن الحب في القاهرة والثورة في الجـزائر.. ولكن غابت الأخـبـار واختلفت المصـائر، فـأوشكت الذاكرة أن تفلت آخر خيوطها، وإن ضن القلب بالرشفة الأخيرة من سلافة الحنين..

كانت الجزائر أولى الموجات العالية في مرحلة المد القومي، كانت تأكيدًا لبعث قوي بدأ في منطقة أخرى وراح يمد عروقه يتلمس مواقع تجلياته المحتملة. فقدمت إليه أنقى هذه التجليات وأشرفها وأصدقها دافعًا، ووسيلة وغاية، ولهذا اجتمعت الأمة من المحيط إلى الخليج حول القضية تساندها وتنصهر في بوتقتها بكل ما تملك من وسائل التأثير المادي والحربي والسياسي والأدبي، كما لم تفعل الأمة من قبل، أو من بعد، تجاه أية قضية أخرى مهما كانت درجة تأثيرها على الأمة. لقد أنتج هذا الجو الملتهب بأنفاس الثورة وأشواق الانعتاق عددا غير قليل من شباب الشعراء الذين «تطاولوا» إلى قول الشعر قبل الأوان، كما يتطاول الفتى اليافع إلى مظاهر الشباب والفتوة إذا لاحت في مدى الحس حسناء باهرة في صورة المهرة الحرون تطلب خيالها وتتحدى بجمالها أمنيات الطامحين.. في ذلك الزمن وقف الشعراء الشبان على أطراف أصابعهم علهم يبدون في قامة الرجال، وكتبوا قصائدهم بدماء قلوبهم حين أعوزهم حبر الشعر، وكأن جلالة القصد يمكن أن تكون بديلاً عن إتقان الفن أو عذرًا مقبولاً عن نقص الدربة وقلة الخبرة!!

حين وقعت اتفاقية إيفيان (١٩مارس ١٩٦٢)، وتوقف إطلاق النار ارتفعت أهازيج النصر على مدى أرض العرب وفاضت أنهار الصحف بأشرعة القصائد التي تنبعث من هياج عصبي كاسح، حتى يقول الشاعر أحمد السقاف في مناسبة قصيدته بعنوان«قبلة

إلى أوراس»: إنه كان يتابع باهتمام مسرحية صقر قريش (وكانت تعرض على خشبة مسرح ثانوية الشويخ) فإذا بصديق يهمس له أثناء العرض بأنه سمع نبأ توقيع اتفاقية استقلال الجزائر، فما كان منه إلا أن أعرض - وهو في مكانه - عن متابعة المسرحية، وأخذ يكتب قصيدته خلسة على النشرة المسرحية في يده[٣]، كان الشاعر الكويتي يجلس في قاعة المسرح وفي متناوله ورقة خط عليها ما أثارته اللحظة من انفعالات لم يملك كبحها، أما الشاعر العماني أبو سرور (حميد بن عبد الله بن حميد بن سرور) فإن أمره أبعد مدى في غرابته، إذ يذكر أنه تلقى خبر استقلال الجزائر وكان فوق نخلة في أحد بساتينه، يقول إن السرور كاد أن يحلق به من فوق النخلة، وأن هاتف الشعر لم يترفق به حتى اضطر إلى كتابة ما تيسر له على ذراعه، وعلى يده، وأصابعه.. قبل أن يتمكن من النزول.[٤]! هذا بعض ما أفضت به بعض مداخل القصائد التي واكبت اللحظات الفارقة في سنوات الثورة الجزائرية، لقد خرجت عن السيطرة وصدرت عن خصوصية اللحظة في عفويتها وغضارتها، وقد يبدو هذا تقليدًا عربيًا متوارثًا بفعل الثقافة الشفاهية ومواجهة المواقف التي تستدعي الارتجال، وليس بين أيدينا الآن ما يحدد المسار الذي مضت فيه تلك البوادر الهاجمة في قاعة العرض المسرحي أو فوق النخلة لنعرف ماذا تبقى منها وماذا ذهب وماذا تبدل، وهذا أمر غير ميسر لدراستنا هذه ولعله غير مطلوب أيضًا[٥]. إن ما حدث لشاعرين ناضجين لابد قد حدث مثله لعديد من الشعراء المتطاولين على أطراف أصابع أقدامهم من الشباب الذين أشرنا إليهم، ولنا أن نتوقع أن هؤلاء - في جملتهم أو في غالبيتهم - كتبوا ما تيسر لقدراتهم، فلما استقرت الجزائر باستقلالها، وأصبحت قطرًا من الأقطار العربية مشغول بأموره الداخلية تراجعت درجة الاهتمام أو الأهمية الخاصة، ومع الزمن تقدمت التجربة واستوى فن الشعر أو قارب.. وهنا خفت القصيدة/ الجمرة في ميزان صاحبها، من ثم لم يضمها إلى متخيره في ديوانه الذي جمع نتاجه الشعري المبكر[٦]. ليس هذا اعتذارًا عن تقصير يمكن أن ينسب إلينا في تعقب القصائد التي صنعها شعراء الخليج والجزيرة العربية في إطار الجزائر ومن أجلها، وما أبرئ نفسي، ولكنه اعتراف بأن ما قاله الشعراء يتجاوز ما أمكن جمعه بكثير قد يصل الضعف وقد يقارب الضعفين، وتقوم شواهد متعددة على إمكان هذا.

(٣)

لم نرد بالإشارة السابقة أن ننوه عن قدر الجهد المبذول في جمع النصوص، وهو على أية حال - لم يكن لنا فيه غير الصبر على المتابعة، فقد نهض به أساتذة فضلاء من خيرة التلاميذ والأصدقاء، وما يعنينا في المقام ما يترتب على المادة المجموعة من اختيار منهج العرض. إن «الشعر العربي المعاصر» تفترض درجة من التسامح مع قيد المعاصرة من الناحية الزمنية، فالمعاصرة التي تحددها المواكبة الزمنية بين أشخاص أو أحداث تنفتح على اتجاهين: الجزائر (حتى وإن يكن المضمر: الثورة الجزائرية أو الجمهورية الجزائرية لأن المعاصر للجزائر يصعب تصوره بغير هذا التأويل أو التقدير) أو المعاصر لنا، الذي نعايشه راهنا حاضرًا، وقد جمعنا بين المعنيين، فانفسح المدى لكل ما قيل عن الجزائر قصدًا منذ اتجهت إليها قلوب العرب، واستلهمتها مواهب شعراء الخليج والجزيرة، وإلى اليوم[٧]، ولأننا ندرك أن موجات الزمن متصلة غير منفصلة، ولأننا نعرف أن الشعر أحد أساليب التعبير الجمالي عن موقف إنساني، فقد اتسع الامتداد لشيء من شعر ما قبل، ولإشارات عن فنون وجهود مصاحبة، لتكتمل صورة العصر كما نراها، وكما نرجو أن تفي بها الكلمات.

كان المرجح لدينا - أول الأمر - أن نقدم دراسة أدبية، تقوم على انتقاء عدد مناسب من النصوص الشعرية القادرة على تمثيل عصرها الأدبي في استجابتها لمكوناته ومستحدثاته الفنية، وهذا الانتقاء مقبول من الوجهة المنهجية، والمهم ألا يقوم على نوع من الانحياز المسبق (مع أو ضد) لتكون الصورة منبثة في صدق، معبرة عن واقع، تحمل أهم ملامح زمنها وليس إبراز ما نرتضيه أو نرى أنه «ملائم»، دون غيره. ولكي يتم هذا الانتقاء لابد من تحقيق شرطه وهو توافر عدد كبير (من الأفضل أن يكون شاملاً) كي نتخير منه ما يفي بالغرض. كان الغالب على الظن أنه في زمن الإنترنت، وفهرسة الدوريات، وإقامة المكتبات النوعية المستوعبة.. لن يكون في الأمر عقاب يصعب اجتيازها، غير أن المتحقق لم يكن كذلك، فقد تكون الوثيقة موجودة ولكن دون الحصول عليها عوائق لم تخطر بالبال، بل قد يضن بها صاحبها، أو لا يستكمل توثيقها.. إلخ. كانت هذه فاصلة التحدي، حتى لقد

تراءى لي (بسبب ما عانيت في جمع ما جادت به قرائح الشعراء عن الجزائر) أن تجميع القصائد التي اتخذت من الجزائر موضوعًا وتنسيقها يصلح أن يكون غاية في ذاته، تفي بالمطلوب، وبخاصة مع ما يتهدد هذه القصائد من احتمالات التآكل والضياع، فإذا كنا نجد صعوبات شتى في استعادتها ولم يمض على أكثرها ما يجاوز نصف القرن، فكيف ومتى وأين يمكن «الإمساك» بها بعد قرن أو قرنين قادمين؟ لقد أيقنت - بعد هذه المعاناة أن ما يتهدد وجودنا العربي الآن هو تراجع الذاكرة والوعي بالماضي، في عصر انفجار المعرفة التي لم نسهم بعد في إحداثها، ولم ننل منها غير رذاذها وغبارها الذي يعمي علينا ماضينا دون أن يحملنا على أجنحته إلى المستقبل. هكذا أصبح جمع القصائد غاية في نفسه، أو يوشك أن يكون، واحتلت الدراسة النقدية موقعًا ثانيًا، وليس ثانويًا، لأن مثل هذه الدراسة يمكن أن يجري في أي زمن قادم بمناهج قد تكون أدق وأوفى مما نصنع اليوم.

لقد دلتنا الدراسات القلائل التي أتيح لنا الإطلاع عليها - على شعراء وقصائد كثر قيلت في الموضوع الجزائري، ولم نتمكن من الإطلاع عليها، لقد عوضنا شعراء آخرون أضافوا عددًا من القصائد المهمة مثل سعد البواردي، وحسن عبد الله القرشي، وأحمد السقاف، وعبد الله سنان، وصالح الأحمد العثيمين، وعبد الله الخليلي، وعدنان النحوي (الذي كتب ملحمة خاطب بها الراهن الجزائري) وغيرهم، وإذ كنا نذكر بالفضل هذا الرعيل من الشعراء الذين أعطوا الجزائر ما هي أهل له من الولاء القومي والإيمان بوحدة المصير - على تنائي الديار - فإننا - مع الاحتفاء بالقصائد التي حصلنا عليها كاملة بتوثيقها، ودراسة بعض منها دراسة وافية - لن نغفل حق من ذكر الجزائر أو بعض رموزها في وثبة (مقطع) أو بيت، أو صورة، فلعل يومًا سيأتي تستكمل فيه المادة ويؤتى بها من مظان لم يتح لنا التعامل معها.

(٤)

إن تأمل مكونات هذه الدراسة من القصائد تثير أسئلة وتصحح بعض المفاهيم السائدة أو نظنها كذلك. ولعلنا نتفق سلفًا على أمرين - قبل أن ندخل إلى شيء من التفصيل - الأول: أن الموضوع الجزائري بطبيعته، بالنسبة لشاعر ليس من أبناء الجزائر،

يدخل في نطاق الشعر القومي، ويكتبه شعراء بدافع الشعور الجائش تجاه أحداث معينة أو في مناسبات، فمن حقنا أن نتوقع - معتمدين على تجارب غير قليلة - أنه في جملته يدور في عدة مقولات ويتمحور حول عناصر تتصل بالمعنى والقضية، وأن مجال الإبداع الفني فيه محدود جداً، وسيكشف الجانب الأسلوبي من دراستنا هذه عن هذا الانحسار/ الانحصار في مكونات القصائد، وهذا التشابه في بناها، بدرجة تكاد توهمنا بأننا عبر هذا العدد غير القليل من القصائد كأنما نقرأ القصيدة ذاتها، مع بعض الاختلاف في البحر الشعري وحرف الروي. إننا أبعد من أن ننتقد على شعراء الخليج والجزيرة العربية هذا، حتى حين لا نجد الملمح ذاته فيما قرأنا من قصائد شعراء مصر، أو سورية.. على سبيل المثال[8]. قد يلتقي الفريقان أو «الفرقاء» على أنهم يستمدون الذاكرة في استجلاب صور البطولة ونزال الأعداء، ويفكرون في التاريخ أكثر مما يفكرون في المستقبل، وأن هؤلاء وأولئك - في كثرتهم الكاثرة - لم يروا الجزائر، ولم يسمعوا أحاديث ناسها، لم يعاينوا الصورة، وأيضا - لم يشاركوا في حرب: أية حرب يمكن أن تقرب إليهم بالخبرة المباشرة ما كان يعنيه الشاعر زهير بن أبي سلمى منذ ستة عشر قرناً:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم

وما هو عنها بالحديث المرجم

وهكذا انفردت الذاكرة بإمداد القصيدة بمكوناتها، يساندها بعض ما تنشره الصحف أو يذيعه المذياع. من ثم يتجلى الفرق في ثقافة الشاعر، في اتساع معرفته بفنون الأداء الحديثة وإفادته منها، في قراءته في الشعر العربي (الحديث) ومحاولة استيعاب منجزاته الجمالية وجسارته التصويرية وتنوعه الموضوعي في نطاق المحور الجزائري. لقد حاول عدد من شعراء الموزون المقفى في الخليج والجزيرة العربية أن يجاري نزعة التجديد في القالب، تلك النزعة التي واكبت استهلال الثورة الجزائرية نفسها، بجهود بدر شاكر السياب، ونازك الملائكة، وصلاح عبد الصبور، وأحمد عبد المعطي حجازي، - بأن نظموا على نسق قصيدة التفعيلة، ولكن المنجز الذي قدمه هؤلاء الشعراء لم يحقق أكثر من حسن النية، ولم يثبت أكثر من عجز الآلة، فظلت قصائدهم «التقليدية» أقرب إلى الوفاء بمطالب الشعر. وهنا من الواجب أن ننوه عن قصائد حققت - مع هذه التقليدية - درجة عالية من الشعرية، استحقت بها أن تكون محوراً لفصل خاص بها في هذه الدراسة.

الأمر الثاني أن أدب الخليج والجزيرة العربية لم تمهد سبله الدراسات العلمية، والمتابعات النقدية إلا في زمن قريب قد لا يتجاوز الربع الأخير من القرن العشرين، أي مع تأسيس الجامعات الحديثة، وعكوف أبنائها على إجراء بحوث الدراسات العليا سواء في تلك الجامعات أو في أنحاء العالم. إن مراحل من الجمع والتوثيق والتصنيف كان ينبغي أن تسبق إجراء الدراسات، وهذه المراحل ابتسرت أو اختصرت، وإن ما تجريه مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وما توجه الباحثين إليه في هذا المتجه هو بمثابة تصحيح وتأسيس لمنهج علمي لم يتح له الفرصة الهادئة المتدرجة المتجددة التي تساعد على وضوح صورته والاطمئنان إلى جدارته، إلا في حالات قليلة، متقطعة، وهذه الحالات قد أثرت اختيار نماذج الشعر الأقرب زمنًا وتشكيلاً من مبادئ الحداثة من ثم تستجيب لأدوات النقد وترضي نزوع الناقد إلى عرض مهاراته. لا يلام ناقد على اختياره، وما أردنا قوله هو أن الشعر في الخليج والجزيرة العربية يتجاوز ما أمكن للدراسات الأدبية والنقدية أن تقوم به، فهو أكثر تنوعًا وامتدادًا وغزارة، وفيه مساحات مسكوت عنها من الظلم السكوت عنها.

وإنني لأعترف في ختام هذه المقدمة بأن بعض مقاصد الإشارة إلى المسكوت عنه يحمل معنى الاعتذار عن التقصير في تحقيق الأهداف المتوخاة من إجراء هذه الدراسة، ومرة أخرى: ليس المنهج هو المقصود، فالمناهج تتعدد، ويختلف عليها، ومع هذا تظل مؤدية لغرضها مخاطبة لقرائها، أما الشعر الغائب (!!) فإنه الحلقة المؤلة وبخاصة حين تشير الدلائل إلى أنه غائب وليس معدومًا، فبقدر ما بث شعراء الحجاز ونجد والكويت من حيوية الحضور غابت أصوات اليمن غيابًا مؤلماً حقاً، فلم أتلق جوابات عن رسائلي لعدد من شعرائه، ولم أجد ما أبحث عنه في دواوين كبار الشعراء مثل عبد الله البردوني، ومحمد محمود الزبيري ومحمد عبده غانم وعبد العزيز المقالح ولم يتح لي أن أظفر بديوان إبراهيم الحضراني: «القطوف الدواني» قرأنا اسمه وبلغنا خبره ولكنه لم يقرأ في مصر إلى الآن، ومع هذا لم يخالجني شك في أن في كل قرية يمنية شاعر، وفوق كل جبل شاعر، وفي كل واد من أوديته شاعر، هذه ثقة صنعها ويصنعها تاريخ اليمن الثقافي، ولكن: لماذا لم ينتشر هذا الشعر وتيسر سبله إلى القراء؟ من بين ما اعتذرت به النفس أن سنوات الجمر في

الجزائر هي بذاتها سنوات الغليان في اليمن، وفي عام ١٩٦٢ حصلت الجزائر على استقلالها، وفي العام نفسه حصلت اليمن على انعتاقها من ربقة العصور الوسطى، فقد كان لدى كلٍّ ما يشغله عن الآخر. أقول هذا وينكره ضميري وإيماني القومي.. واعتقادي بأن في اليمن شعرا عن الجزائر من حقه أن يظهر وأن يبرئ ساحة الإبداع اليمني، وأن يعلي من شأن الحس القومي في الشعر اليمني كما هو العهد به، ولعل هذه الإشارة توجه المشتغلين بالثقافة وبالبحث الأدبي في البلاد السعيدة إلى العناية بهذا الموضوع.

نعم.. لا يتصور أن يكون ديوان البردوني – على امتداده (تجاوز ١٨٠٠صفحة) وقوميته، وحدته، لا يتصور أن يكون خالياً من ذكر الجزائر إلا في بيت واحد يتيم، استدعته القافية حين قال محيياً قدوم الدكتور عبد الوهاب عزام إلى اليمن فزار دار العلوم، وهنا تغنى البردوني:

صافحتك القلوب قبل النواظر
واستطارت إلى لقاك الخواطر

...

قد رأى موطني بمرآك مصرًا
منبت الفن والإبا والعباقر
مصر أم الحجاز واليمن الـ
ـسامي وأم الشام أم الجزائر
وحدة العرب راية في رباها
ومنى العرب في يديها زواخر

ولا يختلف الأمر في شيئاً بالنسبة للشاعر عبد العزيز المقالح وقد قلبنا ديوانه (دار العودة ١٩٧٧) فوجدنا قصيدة واحدة ورد فيها ذكر الأوراس وهي قصيدة «الشمس تسقط في المغرب» إلى الصديق الزميل المحمدي بن فرج في محنته الأليمة. والقصيدة حوار درامي بين الجوقة والصوت وفيه ذكر طارق وموسى وعقبة بن نافع، ثم يقول الصوت:

بكت سهول فاس
واجهش الأوراس
والجامع الكبير في دمشق غاضب حزين (ص ٢٤٤)

فهل كتبوا .. ثم حجبوا، لسبب فني أو سياسي؟ أم غلبهم الشأن اليمني فنظروا إلى دنيا العروبة من أعالي القلاع اليمنية مكتفين بالحديث إلى من يمكنهم سماعه وإسماعه؟!

هذا الشأن اليمني يتكرر - بدرجة ما - في أقطار أخرى من الخليج - وإن شاعرًا مشهودًا له بالقومية المتحمسة هو الشاعر الإماراتي سالم العويس على غزارة شعره لا يخرج عن هذا النطاق فيما يتصل بالجزائر خاصة.

(٥)

وإذا .. فقد انتهى بنا السعي إلى الاقتناع بأن تكوين مختارات تصنع ديوانًا من الشعر الذي قيل في موضوع الجزائر يبدو على المدى الطويل أعلى درجة في الأهمية من إنجاز دراسة أدبية أو نقدية، تنشغل بإبراز خصوصية ما تنتقي من هذا الشعر في جانبيه: الموضوعي والجمالي، ليس لأن الخطوة النقدية مترتبة - منطقيًا - على وجود القصائد وحسب، وإنما - أيضًا - لأن عملية الجمع - في الزمن الآتي - ستبدو قريبة من المحال، والدليل فيما تعاني راهنًا على قرب المسافة الزمنية، في حين تبقى الدراسة الأدبية والنقدية اقتراحًا مفتوحًا جاهزًا مستقبلاً بغير قيد زمني. إننا ندرك أن الجمع بين الخطوتين ممكن، بل لعله «الواجب» في مثل هذا المقام، وليس هذا حق الجزائر وحدها، وإنما حق الخليج والجزيرة العربية أيضًا، فقد كان الموقف نبيلاً وجليلاً وراسخًا يصدر عن إيمان تغذيه أشواق «تاريخية» للاكتمال. لقد كانت «زخات القصائد» في تتابعها النشط، وتوحد غاياتها، مثارًا لاهتمام الباحثين، وبخاصة حين يقرن الشعر في حرب التحرير الجزائرية إلى الشعر في الحروب الفلسطينية. لقد طرح هذا التساؤل بكري شيخ أمين إذ لاحظ (وإن أعطى الاهتمام الأدبي (السعودي) بقضية فلسطين موقعه المتقدم زمنيًا) أن ما قاله السعوديون في هذه المعركة كان ضخمًا، متنوعًا (قصيدة وقصة ومقالة) حتى ليخيل إليه أن القضية الجزائرية سعودية بحتة، وأن الشعب السعودي هو صاحب الجرح وحامله، وكذلك حين أعلن استقلال الجزائر صدح الشعراء غناءً ونشيدًا، كأنهم الذين انتصروا، وكان الفرحة فرحتهم قبل فرحة الجزائريين أنفسهم، وكان شعورًا رائعًا[٩] ليس في القول مبالغة أو تعميم، وقد حاول شيخ أمين رصد العوامل المؤثرة التي

جعلت الجزائر صاحبة الحظ الأوفر من حظ فلسطين، فيذكر نضج الوعي القومي في السعودية، وقصر الزمن الذي شغلته الثورة (سبعة أعوام ونصف العام) وكثافة التضحيات وتتابع البطولات، دون هدنة، أو مفاوضات، أو استنجاد بهيئة الأمم، أو إلقاء التبعة على غير أبناء القضية الذين لم يطلبوا من المساعدة غير إمدادهم بالسلاح، أما موقفهم الأوحد والنهائي فقد كان التجذر في أرض الوطن، لا هجرة ولا لجوء حتى وإن أحرقت عليهم بيوتهم. غير أن الباحث يكون أقرب إلى استيعاب الأسباب حين يضيف التدخل الدولي ومواقف القوى الكبرى، كما يشير إلى الطابع «العقيدي» الذي جعل من «الله أكبر» شعارًا للمعارك في حرب الجزائر[10]، حتى لقد عد باحث آخر حرب التحرير الجزائرية «من القضايا الإسلامية الخالصة»[11]. وهنا نضيف أمرين: أن هذا القدر الطاغي من الحماسة والفرح، كان قاسمًا مشتركًا وليس وقفًا على الشعراء في المملكة السعودية، وهذا واضح في قصائد الخليج، وعليه شواهد في كل أقطار العرب، وأن الإثارة الإعلامية، مع ظهور راديو الترانزستور وانتشاره، ومواقف الحكومات العربية – في جملتها – التي رأت في هذه الحرب مآرب أخرى يمكن أن تخدم أوضاعها.. قد أطلق العنان للشعراء، ولإذاعة الشعر، ونشره، وعقد الندوات والمؤتمرات في ذات الاتجاه.. بعكس الموقف من قضية فلسطين.

وبعد..

فقد أمكننا أن نجمع نحو مائة وثلاثين قصيدة، شدا بها شعراء الخليج والجزيرة العربية، وهم يضعون الجزائر وحربها التحريرية في قلوبهم وملء أبصارهم، ومع حرصنا الذي أبدينا أسبابه على توثيق هذا العدد من القصائد، فقد رأينا أن هذا مما يمكن أن يعد إسرافًا في جانب التوثيق، من ثم نزلنا بعدد القصائد التي سجلت كاملة إلى «مائة قصيدة وقصيدة»، على أننا لم نغفل هذا الفيض من القصائد، فعرفنا بها، وبأماكنها واقتبسنا في فقرة خاصة تحت عنوان «إشارة في الاتجاه»، وفي فقرة أخرى سجلنا نص مسرحية تعليمية قصيرة، منظومة، ونقدناها نقدًا رفيقًا، إذ هي الوحيدة التي كسرت نمط القصيدة الغنائية، إلى التشكيل الدرامي. وعرضنا لرسالة قدمت إلى كلية اللغة العربية بالرياض

(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) تحت عنوان«الكفاح الجزائري في الشعر السعودي: دراسة موضوعية وفنية» – أعدها الباحث عبد الله بن عودة بن عياد العطوي، وقد أفدنا من هذه الرسالة إفادة طيبة، وتعرفنا من خلالها على كثير من ثمرات شعراء المملكة، وعددنا هذا وما يشبهه بمثابة شبكة من الطرق تقود إلى الموضوع الرئيسي، وهو ما أنتج شعراء الخليج والجزيرة العربية من شعر عن الجزائر، كما كان هذا بمثابة الإضاءات الفرعية الكاشفة لاتجاه القراءة النقدية لهذه المختارات (مائة قصيدة وقصيدة) التي تلتزم القراءة النقدية بضفافها.

وبالله التوفيق

****

الهوامش

١ – عباس محمود العقاد: يوميات – دار المعارف. القاهرة، ٢٠٠٥ – جـ١ ص ٥٧، ٥٨ .

٢ – – أوجز الزركلي تعريف هذه الشخصية العظيمة بقوله: عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسيني الجزائري، أمير، مجاهد، من العلماء الشعراء البسلاء.. بايعه الجزائريون وولوه القيام بأمر الجهاد فنهض بهم، وقاتل الفرنسيين خمسة عشر عاماً، ضرب في أثنائها نقودًا سماها المحمدية، وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس الجند. وكان في معاركه يتقدم جيشه ببسالة عجيبة... الأعلام – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٩.

٣ – القصيدة وهامشها في الديوان – وقد عرضت مسرحية صقر قريش بإخراج الفنان زكي طليمات ومثلها شباب المسرح العربي(الكويتي) في ١٨ مارس ١٩٦٢ – ينظر: الحركة المسرحية في الكويت – الناشر: مسرح الخليج العربي(ط٢) ١٩٨٦ .

٤ – القصيدة وهامشها في الديوان، وهي بعنوان «مليون النصر» والمليون تشير إلى عدد الشهداء.

٥ – هذا المبحث الذي يقوم على موازنة بين مراحل إنشاء القصيدة – وما تتعرض له من إثبات ومحو وتبديل يدخل في نطاق دراسات سيكولوجية الإبداع على النحو الذي صنعه الدكتور مصطفى سويف في كتابه: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة – وهذا يختلف عن التفسير النفسي أو المدخل النفسي في نقد الشعر، والمنهجان – على اختلافهما – لا تستجيب لهما النصوص التي بين أيدينا لأنها قصائد مفردة، بعثتها مناسبة، وليست تعقبًا راسياً في تجربة شاعر.

٦ – لنا مع هذا الجانب بعض المحاولات الطريفة، ففي مرحلة البحث عن القصائد في كافة مظانها الممكنة دلنا كتاب عبد الله الطائي:«الأدب المعاصر في الخليج العربي» على قصيدة يدل ما كتبه عن صاحبتها بأنها كانت فتاة صغيرة أو غير معروفة حتى عند تأليف الطائي كتابه (١٩٧٣) إذ يقول:«وقد أثارت قضية الجزائر نفس فتاة بالبحرين اسمها بهية الجشي، فهبت تخاطب جميلة بوحيرد...» إلخ – ص ٥٥، لم يورد الطائي نص القصيدة، اكتفاء بأسطر من مطلعها، ولكني صممت على العثور عليها كاملة، ولم أجد بين من أعرف من أدباء البحرين

من يحفظها وإن كان يعرف صاحبتها، وبعد الاهتداء إلى هاتف تلك الفتاة التي أصبحت الدكتورة بهية الجشي، اتصلت بها ورجوتها أن تبعث إلي بالقصيدة التي ستكون الوحيدة – المتاحة في هذا الباب – من الشعر النسوي، وكلما الححت في الرجاء الحت في الاعتذار بأن القصيدة – الدعاة – لا تستحق، وأن الطائي ترخص في الاقتباس منها، وأنها لا تحفظها ولم تحتفظ بنصها! وبعد تكرار البحث حصلت على القصيدة، أرسلها إلي من البحرين الدكتور عبد الحميد المحادين، وهذا اعتراف بفضله وشكر له. ومثل هذا يمكن أن يقال عن الشاعر (السعودي) أحمد صالح الصالح – الذي اتخذ لقب «المسافر» فقد سجل في صفحة على الإنترنت أن له قصيدة عن الجزائر، وقد بذلنا جهدًا متجاوزًا في الاتصال به، ولكنه تمسك بأن القصيدة من شعره المبكر الذي لا يرقى، وأنها ليست في متناوله لأنه مسافر، فضلاً عن أنه لا يعرف من الذي وضع عنوانها على النت!!

وجدير بالذكر أنه بعد الشاعرة البحرينية أمكن الحصول على قصيدتين لشاعرة سعودية (ثريا قابل) وقصيدة لشاعرة سعودية أيضاً (فوزية أبو خالد) وقصيدة خامسة لشاعرة كويتية (جنة القريني)!!

٧ – في مقدمة كتابها: شوقي في عيون معاصريه – اجتهدت الدكتورة سعاد عبد الوهاب اجتهادًا موفقًا في محاولة التحديد الزمني لما يراد بالمعاصرة – ص٧ .

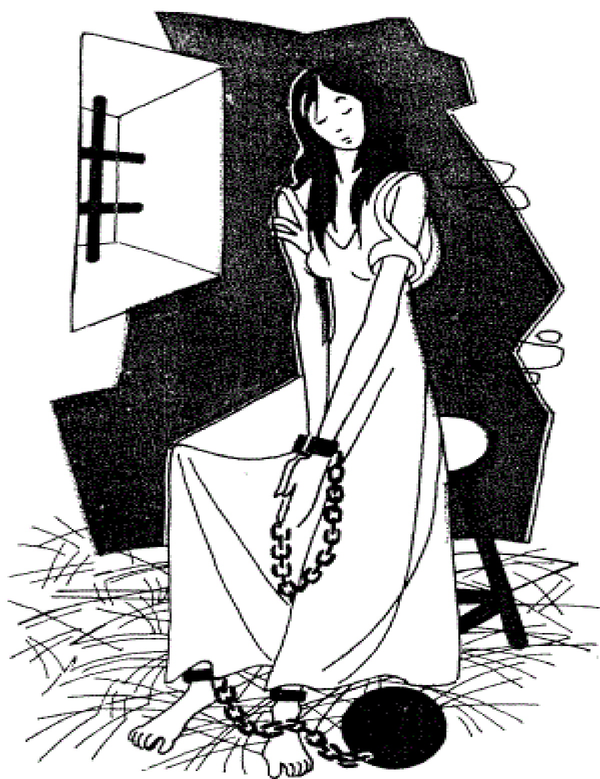
٨ – عن شعراء مصر ينظر كتاب:«ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر» إعداد حسن فتح الباب – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة ٢٠٠٥ . و عن شعراء سورية تنظر الأطروحة المقدمة من الباحث عثمان سعدي – إلى جامعة الجزائر(معهد اللغة والأدب العربي – قسم الأدب المعاصر) تحت عنوان: الثورة الجزائرية في الشعر السوري (مخطوطة) وقد اطلعنا على صورتها المودعة بمعهد الدراسات العربية العالية(جامعة الدول العربية) بالقاهرة.

٩ – بكري شيخ أمين: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية(ط خامسة) دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٦ – ص ٣٥٤، ٣٥٥ .

١٠ – السابق – ص ٣٥٦ – ٣٥٧ .

١١ – حسن بن فهد الهويمل: النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر – مطابع الناشر العربي – الرياض ١٩٩٩ .

****



جميـــلة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية بالرياض
قسم الأدب



الكفاح الجزائري في الشعر السعودي
دراسة موضوعية وفنية

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في قسم الأدب

إعداد الطالب
عبد الله بن عودة بن عياد العطوي

إشراف الأستاذ الدكتور : طلعت صبح السيد
أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

اقامت وزارة المعارف القطرية

حفلة كبرى في فناء المدرسة الثانوية

تحت رعاية صاحب السمو وزير المعارف

وذلك بمناسبة وقف اطلاق النار بالجزائر

وقد القى الاستاذ عبد الرحمن المعاوده هذه القصيدة

تضيق القوافي عن جهاد الجزائر … واطراد ما قاسوا به من مآثر

هم القوم ما هانوا لدى الخطب او ونوا … وما نكصوا يوماً امام العساكر

تحدوا فرنسا بالمضي فاذهلوا … جميع بني الدنيا بعزم الجبابر

يسيرون نحو الموت والبشر طالع … على اوجه مثل البدور الزواهر

ومن رام عزا في الحياة ترفعت … به النفس عن كل الامور الصغائر

هو الموت اكسير الحياة فحيهلا … به ان دعا الداعي لكسب المفاخر

اولئك ابطال الجزائر حققوا … اماني ما مرت ببال وخاطر

مشوا للجهاد لم ير الكون مثله … وما قصروا من فتية او حرائر

تطول رقاب العرب طراً لذكرهم … وتلتقي الدنيا لهم بالبشائر

اذا كلت الاقلام ان تكشف الاذى … فدعها وقم نحو السيوف البواتر

فإن نساء الضاد ليس بما نسج … من الضأن انياب الذئاب الكواسر

وما نال حقا ضائعاً غير سيد … اذا ما مشى للمجد ليس بعاثر

فقف ايها التاريخ واشهد بما ترى … وخلد بطولات الكماة الاكابر

رفاق ابن بيللا وابن بيللا وشعبه … هم أعجزوا في الناس كل مكابر

هم ذكروا الدنيا بمجد جدودنا … واعادوا من مفاخر بعد مفاخر

هنيئاً بني الفصحى فقد طاب فألكم … وان لكم في الله اعظم ناصر

هنيئاً فارت الفجر اشرق نوره … بصحرائنا الكبرى وفوق الحواضر

بني الضاد من عند الخليج لطنجة … دعوا اليوم عنكم كل هذا التناحر

وكونوا جميعا انما القوم يئسوا … لكم في فلسطين شرور المخاطر

هو الجسم بالاطراف يكمل خلقه … وينقص حتى في ضياع الاظافر

مطابع علي بن علي

بسم الله الرحمن الرحيم

دبي في ١٩ مارس ٢٠٠٧

الأستاذ الكبير د. محمد حسن عبد الله الموقر

تحية طيبة مباركة.. وشكراً على رسالتكم المؤرخة ٢٠/١/٢٠٠٧

وأرفع لكم قصيدة لخالي الشاعر اليمني الكبير علي محمد لقمان رحمه الله (١٩١٨ - ١٩٧٩) وكانت قد نشرت إبان الثورة الجزائرية ثم في ديوانه هدير القافلة وفي كتابي (نزيف عبقرية حياته ومختارات من شعره) ثم في أعماله الشعرية الكاملة.

أما والدي الشاعر اليمني الكبير أ.د. محمد عبده غانم رحمه الله (١٩١٢ - ١٩٩٤) فقد كتب كثيراً عن القضية الفلسطينية ولكنني لم أجد له قصيدة خاصة بالجزائر. وبالنسبة لي (وأنا شاعر إماراتي منذ أكثر من ٣٠ عاماً وكنت ولدت في عدن) فقد نشرت ٣٠ كتاباً منها ٨ دواوين شعرية وفيها الكثير من الشعر القومي والوطني وعن فلسطين ولبنان ولكن ليس لدي قصيدة خاصة بالجزائر وإن كانت لي قصائد خاصة بالبوسنة والصومال وكوسوفو الخ

وأذكر أننا التقينا منذ أعوام طويلة في ندوة الثقافة والعلوم بدبي وكان أيضاً الأستاذ مصطفى هدارة رحمه الله فهل أنا محق

أخوكم د. شهاب غانم ص.ب ١١٦١٣ دبي

تلفون ٠٠٩٧١٥٠-٤٥٢٨١٤٧ فاكس ٠٠٩٧١٤-٣٤٨٣٩٤٥

البريد الإلكتروني shihab.ghanem@gmail.com

دار السويداء للنشر والتوزيع
لصاحبها: عبد الرحمن بن زيد السويداء

DAR AL-SUWAIDA FOR P & D
C.R. 53244
Al-Riyadh - P.O. Box 8462 Riyadh 11482 - Tel.: [illegible]
Prop.:Abdul Rahman Bin Zaid Al-Suwaida

التاريخ: ١٤٢٨/٤/٢٧

Date: ٢٠٠٧/٥/١٥

أخي العزيز الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد الله المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقيت خطابكم المؤرخ في ٢٠٠٧/١/٣٠ حول عزمكم على إجراء دراسة أدبية عن إسهامات شعراء الجزيرة العربية في تمجيد الثورة الجزائرية، يسرني أن أرفق لكم قصيدتين قلتهما في القطر الجزائري الشقيق أولاهما بمناسبة استقلال الجزائر والثانية بمناسبة زيارة الجزائر والصادرتين من مجموعتي الأولى «رؤى حالم» والثانية «[illegible]» علما بأنني لم أدرك كل مرحلة الثورة الجزائرية ذلك لصغر سني يومذاك، ولكنني كنت مدركا لها رغم ذلك، ففي ذلك الوقت كنت في الخامسة عشر من عمري، وكنت أسهر [illegible] قرب المذياع الوسيلة الوحيدة التي نعرف بها الأخبار، أسهر حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل بتوقيت القاهرة الثانية بتوقيت بلدنا وذلك لنسمع من صوت العرب من القاهرة أخبار الثورة الجزائرية، نفرح لانتصاراتها أيما فرح ونحزن إذا سمعنا بسوء [illegible] كانت صامدة ومناضلة ثماني سنوات حتى نالت استقلالها، فقلت أول قصيدة وكانت من باكورة ما قلت وهي مرفقة صورتها، وكذلك مرفق صورة القصيدة التي قلتها عند زيارتي الجزائر بعد ذلك، هذا كل ما لدي عن الجزائر، أما كفاح الشعب الفلسطيني الشقيق فقلت عنه حوالي عشرين قصيدة وكذلك حروب العرب مع الصهاينة عام ١٩٦٧، ١٩٧٣ و١٩٨٢ حرب لبنان وغيرها ومن حرب ١٩٧٣ قلت قصيدة مطلعها:

الله أكبر ترجيعا حناجرنا ... يوم العبور ومكر الموت يلتطم

وبعدها سبع تكبيرات وسبعة أبيات ومنها

في ساعة الصفر دقة مدوية ... ثارت براكيننا بالموت تقتحم

ومنها:

الله أكبر قد دكته في صلف ... مدمرة رغما رغم أنفهم

أيدي النشامى وصالوا في خنادقهم ... لم يفلتوا [illegible] حتى ارتقى العلم

وهكذا ...

فإذا طلبتم [illegible] أمكن طرق الكفاح الفلسطيني فلدي القصائد [illegible]

أرجو لكم التوفيق والسداد، وتقبلوا [illegible] تحياتي

أخوكم
عبد الرحمن [illegible]

[illegible]

القســم الأول

خمسة مداخل إلى الديوان المختار
(مائة قصيدة وقصيدة)

١ - شريان تحدي المسافات

تتعدد أسئلة الباحثين في تاريخ الأدب العربي (الحديث) حول تعليل ما يتوهمه بعض منهم من محدودية أو ضعف التجاوب في أقصى المشرق العربي (في الجزيرة العربية والخليج) مع ما يجري في أقصى المغرب العربي الكبير، وربما ذكرت الجزائر - تحديدًا - في هذا السياق، إذ يلاحظ أن حالة من الانتعاش قد حدثت طوال زمن ثورة التحرير، ما بين إعلان قيامها (أول نوفمبر ١٩٥٤) وحتى وقعت اتفاقية إيفيان (١٩ مارس ١٩٦٢) على إثرها توقف إطلاق النار، تمهيدًا لإعلان الاستقلال (٣ يوليو ١٩٦٢) ليتبعه إعلان قيام الجمهورية الجزائرية (٢٥ سبتمبر١٩٦٢) - وكان هذا بمثابة خاتمة ليالي وأيام المجد الجزائري الفذ، الذي امتد تسعة وثمانين شهرًا كاملة، متوهجة بدماء الشهداء. حين اكتملت ليالي الأفراح بصدور الدستور الجزائري (سبتمبر١٩٦٣) أصبحت الجزائر - شأن أقطار الشمال الإفريقي تأخذ سمتها العادي، فلا يكاد يشار إليها فيما يتجاوز أخبارها الداخلية، التي كانت سعيدة حينًا، وعكس ذلك حينًا آخر، وكان هذا يمثل حافزًا محدودًا للمشاركة بالشعر، كثيرًا ما أخذ هذا الحافز زاوية الوسيلة الإعلامية التي تسوق الأخبار وتتولى تحليلها وترتيب السياق الذي يسوغها لدى المتلقي، وفي حالات أخرى تتدخل نزعة الشاعر المذهبية الدينية، أو السياسية، أو العرقية، لتدفعه إلى تبني موقف معين.. وحتى هذه الأحداث القلقة المقلقة ما لبثت أن استقرت، وأخذت سمت الحياة اليومية التي يعطيها من يعيش في حومتها درجة من الاهتمام تناسب تأثره بها، أو مشاركته فيها، أما البعيدون فعلى قدر البعد يكون التسمع على الصدى، وفي أقصى البعد يغيب الصدى تمامًا، إلا أن يحدث ما يطوي المسافة من جانب أحد الطرفين.

هذا هو الشأن العام الذي يفسر لنا مساحات الاهتمام ودرجة التفاعل مع الحدث، وقد يستدعي هذا الشأن العام تصورًا آخر يعتمد التحليل الفلسفي، وتصورًا غيره يعنى بالرصد المرحلي وتحليل الواقع. من نوع التحليل الفلسفي ما كتبه الدكتور تركي الحمد تحت عنوان: «إشكالية المراكز والأطراف في الثقافة العربية - محاولة للفهم» - وفي صدارة بحثه يرفض ما يطلق عليه خرافة التنميط بالنسبة للشخصية العربية في الذهن الغربي، كما يرفض تنميط الشخصية الخليجية في الذهن العربي - خارج الخليج والجزيرة العربية، ويمهد لتفسير هذا التحريف بإعادة تأمل خارطة المركزية الثقافية، وكيف تحركت هذه الخارطة خارج الجزيرة العربية بعد أن كانت هذه الجزيرة قلب الوطن العربي في عصر النبوة والراشدين، فبانتقال الخلافة إلى دمشق، ثم إلى بغداد، وظهور القاهرة تحولت الجزيرة من مركز إلى طرف، ولم تعد تعني للمناطق الأخرى أكثر من رمز ديني وقومي، ومحل فرض ديني في مكة والمدينة، وكان شأن بلاد المغرب العربي لا يختلف عن شأن الجزيرة والخليج، في كونها طرفًا متلقيًا لما يخرج من المراكز الثلاثة المشار إليها. إن الباحث لم ينشئ دراسته ليفسر نوع العلاقة بين أقطار شمالي أفريقيا العربية وبين أقطار الجزيرة العربية والخليج، ولكنه أوضح مجمل الملابسات التي جعلت كلاً منهما طرفًا قصيًا مهمشًا، يستقبل دون أن يرسل، لأزمنة طويلة[1]. لن نناقش صحة هذا التصور، ونميل إلى تقبل وصف «الأطراف»، ونتناظر أدوار الأطراف، دون أن نحصر هذا في جوانبه السلبية، ففي تصورنا أن الأطراف، التي نفضل عليها وصف «حافة القومية»، كثيرًا ما تكون أقوى حسًا، وأنقى إيمانًا بالقومية، من تلك الأقطار التي لا ترى في مرآتها غير ذاتها، وتعيش حالة من الاطمئنان على الهوية القومية لا يقلقها تعدد الأعراق وسعي الجار المختلف قوميًا إلى الإخلال بالتوازن التاريخي الذي استقرت عليه المنطقة، إن الجزيرة العربية وأقطار الخليج جميعًا في مقابل القومية الفارسية، لا يفصل بين الفريقين غير خط مائي (وهمي) أو شريط حدودي لا يمثل عائقًا أمام التطلعات الملحة، ولا يختلف الأمر كثيرًا بالنسبة لأقطار الشمال الإفريقي العربية، في جوارها لإفريقيا السوداء من جانب، ووجود قوميات أخرى غير عربية، شديدة الاعتزاز بأعراقها وتاريخها الخاص

ولغتها وتحيزها المكاني.. من جانب آخر، فكان هذا من العوامل المنشطة للانتماء القومي والحرص على إشباعه بالتواصل، وما يترتب عليه من التعرف، والتوحد في المشاعر؛ وسنجد على هذا شاهدًا وثقته الأشعار يعود إلى أوائل القرن الماضي، ففي العقد الثالث من القرن العشرين بصفة خاصة سعى فريق من المفكرين الإصلاحيين من أقصى المغرب، من شنقيط وتونس وطرابلس إلى أقطار الخليج، بدوافع مختلفة كالحج، أو تدعيم مناهجهم الإصلاحية بالاتصال بدول المركز، غير أن الرحلة ساقت بعضًا منهم إلى الخليج، الذي أكبر الشخص، وقدر المسعى، واحتفى بالضيف بدرجة لا نجد ما يشبهها في زيارة هؤلاء الأشخاص أنفسهم للأقطار الموصوفة بأنهم دول المركز. وغني عن التذكير ما ينبغي في اعتبار (المشارقة) – في مقابل (المغاربة) – أنهم لا يفصلون في ضمائرهم أو تقديرهم أو عواطفهم بين قطر مغربي وقطر مغربي آخر، وقد لا يرد اسم الجزائر – تحديدًا – في هذا السياق، والزعيم الجزائري الوحيد الذي غادر وطنه منفيًا هو الأمير عبد القادر الجزائري (١٨٠٧ – ١٨٨٣) وفضلاً عن أنه سابق على المرحلة الزمنية التي نعنى بتفحص الفعل والشعر إبانها، فإن هذا الأمير قصد دمشق واختار الإقامة بها (بعد زيارة للمدينة المنورة وبغداد) ولا نظن أنه – في ذاك الزمن المبكر – كانت المعرفة بأقطار الخليج، أو إمكان الرحلة إليها، مما يشجع على القيام بها.

لقد احتفى شعراء الخليج بصفة خاصة بهذا الرعيل القادم إليهم من الطرف البعيد، وكان السابق في هذا الاتجاه سليمان باشا الباروني (الطرابلسي) – (١٨٧٠ – ١٩٤٠) الذي تصدى للغزو الإيطالي لبلاده (طرابلس) وأظهر بطولة وتصميمًا، فهذا البطل القومي قام برحلة لأداء فريضة الحج (عام ١٩٢٤) ثم أكمل رحلته إلى سلطنة عمان، وقد مدحه الشعراء العمانيون بقصائد كثر أشادت ببسالته ومجدت جهاده في مواجهة الغزو الإيطالي لوطنه، ونكتفي بالاقتباس من قصيدتين مما قيل في هذا الاتجاه، إذ يقول الشاعر محمد بن عيسى بن صالح الحارثي (توفي عن خمسين عامًا سنة ١٣٤٥ هـ) واصفًا مظاهر الحفاوة بإقبال الضيف إلى المنطقة الشرقية ليجعلها توطئة لمدحه بصفات النبل والبطولة:

العزُّ في الشرق فانزلْ اكرمَ النُّزلِ
بُلّغْتَ ما تبتغي من غاية الأملِ
إن البشائر وافتنا بطلعتكمْ
فالدهرُ في زَجَلٍ والكلُّ في جذلِ
حُيِّيتَ من موكب حُفّتْ جوانبُهُ
بعِثْيَرِ النقع بين الخيل والإبلِ
وللفوارس فوق الخيل هينمةٌ
وللمدافع رنّاتٌ على القُلَلِ
تحركتْ هممُ الدنيا باجمعها
واستيقظتْ لقدوم القائد البطلِ
اعني سليمانَ باشا من به شَرُفَتْ
عُمانُ حتى علتْ فخرًا على زحلِ
قد قام محتسبًا لله منتدباً
للدين منتصراً في اوضح السبلِ
مشمراً ساعداً للحرب ذا هِمَمٍ
تسنمتْ ذروةَ الجوزاء والحملِ
تروي مفاخِرَهُ اقرانه سنداً
عن صهوة الخيل والهندية الذبلِ
فاسالْ هُديتَ بني الطليان ما وجدوا
يومَ الكفاح ويومَ الروعِ والفشلِ
ينبئك مُخبِرُهمْ أن الهمامَ له
قلبٌ يُرى غيرَ رِعديدٍ ولا وَكِلِ
تروي الرماحَ يداه حين يوردُها
بيضاً ويصدرُها حمراً بلا وجلِ

خيوله للقنا حلتْ قلائدها

لكن عليها حرامٌ حوزةُ الكفل

☼☼☼☼

ويختم الشاعر أبو الفضل الحارثي قصيدته المعجبة ببطولة الباروني بأبيات ترفعه إلى أعلى ذرى البطولة:

من ذا الذي كسليمان الهزبر إذا

دارتْ رحا الحرب فهْو القطبُ كالجبلِ

تراه يقسمها يمنى وميسرةً

ويورثُ القلبَ منها طعنةَ الأجل

ذاك الذي خطب العليا فادركها

بالمشرفي وبالخطية الذبل

☼☼☼☼

إن الشاعر لفرط حماسته للممدوح استغنى عن المقدمات المألوفة المستقرة في صدر قصائد المديح حتى ذاك الزمن، وربما إلى الآن، وكذلك نلاحظ أنه جعل مدحته خالصة للباروني، مع أنه كان ضيفًا على البلاد، فلما أراد السلطان استبقاءه عينه مستشارًا لحكومته (عام ١٩٣٥) ولعل من تقاليد المدائح لمن يعيشون في كنف الملوك من الكبراء، أن يمدحوا برضاء هؤلاء الملوك عنهم، من ثم يأتي تقدير التابع – مهما علت درجته – عبر تقدير المتبوع له وإسباغ نعمته عليه، وهذا ما لا نجد له ظلاً في هذه القصيدة[٣].

أما القصيدة الأخرى التي نتوقف عندها فهي للشاعر العلامة الورع الشيخ محمد بن صالح الطائي أحد قضاة مسقط، ، وقصيدته أسبق – زمنًا – من قصيدة أبي الفضل الحارثي، لأن القاضي أنشدها بين يدي إمام المسلمين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخليلي الخروصي وقت ملاقاته لحضرة المقدام العلامة الهمام سليمان باشا الباروني – في موكب مهيب من العلماء وقادة الجيش، وذلك يوم ١٨ ربيع الأول ١٣٤٣هـ – والعبارات

كما صاغها المصدر الذي أمدنا بالقصيدة، ولكننا أخرناها لأنها أقل فنية، وأقل حماسة وأقرب إلى المدائح التقليدية السائدة في عمان ذاك الوقت، وهذا نصها:

أهلاً بليث الجحفل الجرارِ
مروي العدا بحسامه البتارِ
أهلاً بمنصور اللوا عالي الذرى
جلد لكل كريهةٍ صبار
كهف الندى غيث إذا ضَنَّ الحيا
جادتْ يداه بديمةٍ مدرار
أهلاً بمن شهدتْ له أعداؤه
والري مثل الوابل الفوّار
حتى غدَوا من باسه في حسرةٍ
وتشتت وكآبة ودمار
فلئن أتيحَ لهم مرامٌ في الذي
قد أمّلوا بسوابق الأقدار
لا يطمئنوا آمنين فإنما
تحت الرماد بقيةٌ من نار
إيه بني الطليان كيف قراركم
في أرض قومٍ كالأسود ضوار
آلَ البَروني شيدتمُ صرحَ الهدى
ورفعتمُ منه رفيعَ منار
فخراً سليمانَ بنَ عبد الله قد
بَهَرتْ صفاتُكَ ناظِمَ الأشعار
حُيِّيتَ يا بطلَ العلى من زائرٍ
انزلْ بخيرِ حمىً وخيرِ مزار

هذي عُـــمـــانُ دارُ قـــومك طالما
غـبطت نفـوس فـيك مـذ إعـصـار

شَـرُفَتْ سـمـائلُ إذ نزلتَ بسرحـهـا
بجوار فـخـر العُـربِ خـيـرِ جـوار

أعني إمـامَ المسلمين مـحـمـدا
عين الـزمـان وصـفـوةَ الأبرار

من بعـد مـا شـرفتْ مـسـقطُ نازلا
بحِـمَى مليكٍ سـيِّـدٍ مـغـوار

هذا وخـيـرُ صـلاة ربي دائما
لنبـيِّـه وحـبـيـبـه المختار

والآلِ والأصحـاب مـا سـجـعتْ على
فَنَنِ الغـصـونِ سـواجعُ الأطيـار[٣]

وليس بين هذه القصيدة وسابقتها، مما يتعلق بالتشكيل الفني غير أن كلاً منها تبدأ بإظهار الحفاوة دون توسل أو توصل بالمقدمات، ولكن هذه الأخيرة تنتهي إلى مديح إمام المسلمين، وتختم بالصلاة على النبي ﷺ فضلاً عن جهارة العبارة وطابع اللافتات الجاهزة المعدة سلفًا للترحيب بأي قادم، مع هذا يبقى لهذا الإقبال الشعري دلالته الصافية، الماثلة في تقدير الدور الوطني الجهادي الذي قام به الباروني باشا[٤].

وقد لقي الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي (١٨٧٤ – ١٩٤٤) في رحلته الخليجية حفاوة وتقديرًا كبيرين، يتجاوز ما تلقاه الباروني في عمان، لأن استقبال الثعالبي في الكويت والبحرين خاصة أخذ شكلاً اجتماعيًا عامًا، وبعدًا سياسيًا نهضويًا يقدر دور الرجل في بلاده، ورسالته الوطنية التي أدخلته سجون المستعمر الفرنسي. إن هذه الحفاوة الخاصة تبدو في تخصيص فقرة بعنوان: «الزعيم التونسي في الكويت» لتصف استقبال الأدباء له، وهذه الفقرة تتصدر ما كتبه عبد العزيز الرشيد عن «الحركة الفكرية

والعلمية اليوم» في الكويت[٥]، ونعرف من عبارات الشيخ الرشيد أن الثعالبي زار الكويت عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٥) وأنه نزل ضيفًا كريمًا على آل خالد الكرام، فمد الكويت «بسلك كهرباء الحياة، وأجرى فيها روح الحركة والنشاط، وتركها متحفزة لنهوض مدهش وتقدم غريب» ...الخ، فإذا كان أسلوب الرشيد مجاملاً أو مجملاً، فإنه لن يجاوز الحقيقة كما تبدو له في رضائه عن أفكارالشيخ الثعالبي وتقديره لتاريخه ومشروعه الحضاري[٦] فضلاً عن أن استضافة آل خالد له يعطي وجوده في الكويت بعدًا شعبيًا، وليس حكوميًا، وكذلك احتفل به النادي الأدبي، فألقى عبد العزيز الرشيد قصيدة بالمناسبة، قد تدخل في نظم العلماء، والشيخ الرشيد لم ينتحل يومًا صفة الشاعر، ولكن قيمتها الاحتفالية تظل ترسل ومضها الصافي على حضور الثعالبي في الكويت، وتقديرًا لهذا المعنى الرمزي فإننا نسجل نص القصيدة:

هذا احتفالٌ قد كُسي بجمال
فلمن أقيمَ على رُبى الإجلال؟
ولمن أنيرَ سماؤه في ساحةٍ
تجلو الظلامَ بنورها المتلالي؟
ألعالِم ملك القلوب بهيبةٍ
هي هيبةُ الآساد والأشبال؟
أم قد أقيمَ لمصلحٍ ما عابَهُ
إلا الثباتُ وصالحُ الأعمال
يا من علا متنَ الزعامة مدركًا
ما ليس يدركه أخو إهمال
إن الزعامةَ باسمكم قد شَرُفَتْ
وسِواكَ يحسبها حلًى ولآلي؟
وسواك يخطبُها ليرفع قدرَهُ
وأراك أنت خطيبُها المتعالي

ما للزعامة أنْ تُشَرِّفَ سيِّداً
ساد الأنامَ بفخره المتوالي

يا من تصارعَ والخطوبَ بهمَّةٍ
هي همَّةٌ من قائلٍ فعّال

إن الكويتَ تزيَّنتْ بقدومكم
يا زينةَ الأقرانِ والأبطال

انظرْ إليها قد بدتْ في وَشْيِها
تمشي ابتهاجاً مِشْيَةَ المختال

حَظِيَتْ بعيدٍ يوم زرت ربوعها
وزيارةُ الأبطال عيدٌ غال

في كل نادٍ من نوادي أهلها
خبرٌ يَسُرُّ عن الزعيم العالي

هذا يقول ألا ابشروا قد زاركم
أسَدُ العرين وغايةُ الآمال

وسواه يهتفُ بالمسرة قائلاً
إن الجهالةَ آذنتْ بزوال

أهلَ الكويتِ فعظِّمُوا من ضيفكم
بظلاله في المكرمات علالي

بظلاله يومَ النزال مهابةٌ
منها الجموعُ تُصابُ بالإجفال

وله إذا ما الأمرُ أصبح مشكلاً
رأيٌ يحلُّ غوامضَ الإشكال

ولم يكن الشيخ الرشيد الشاعر الفرد في ليلة النادي الأدبي السمحاء، فقد ألقى سليمان أفندي العدساني - كما وصفه تاريخ الكويت - قصيدة وصفها الرشيد بالبديعة،

وهو إجمال لإدراك غير مألوف، واستجابة غير مسبوقة لأسلوب قصيدة تسري فيها نضارة الجديد وطرافته، وهي جديرة بهذا وبخاصة حين نعرف أن زيارة الثعالبي للكويت كانت عام ١٩٢٥، ومن حق سليمان العدساني الذي توقف عن نظم الشعر تمامًا بعد تلك الفترة أن نحتفظ بقصيدته:

أنا لا أستطيعُ آتي بشعرٍ
صُبَّ في قالبٍ بديع النظام
لا ولا أستطيع ألقي خطابًا
هيبةً منك يا رفيع المقام
غيرَ أني وقفتُ يومي اضطرارًا
لا اختيارًا وما جهلتُ مقامي
أنت عبدَ العزيز أعلى مقامًا
كلما رمتُ وصفكم في كلامي
فأغضضِ الطرفَ لا تلُمْني إذا ما
جاء وصفي لكم بدون المرام
يا حكيمًا إذا أفاض بيانًا
نكّسَ الخصمُ طرفَهُ وهْو دام
وخطيبًا إذا أفاض حماسًا
دفع القومَ للوغَى والصِّدام
وجريئاً إذا تقدَّمَ قومًا
شَمَّرَ الخصمُ ذيلَهُ لانهزام
وزعيمًا إذا يهزّ يراعًا
وقف السيفُ باهتًا باحترام
كلما رمتُ أن أذيعَ علاكمْ
جفَّ حبري وما بلغتُ مرامي

يا لَقومي وما عهدتُ كراماً
الِفُوا الذلَّ فانهضوا باعتزام
مَنْ لحِملِ اللوا وصدِّ الأعادي
من لصَوْن الحِمَى ورَعْي الزمام
ليس عيشُ الجبان يا قوم عيشًا
فدعوا الجبن وانهضوا للأمام
إن هذي الحياة دارُ عراكٍ
عاش فيها مِنَ الأنامِ العِصامي

إن نفحة من التجديد تسري في عروق هذا الشعر البسيط كأنما صنع عفو الخاطر – المسبوك كأنما عرض على محك التجويد: «أنا لا أستطيع.. لا ولا أستطيع .. غير أني..» هذه الأبيات المطلع اصطادت الأذن بنسقها الصوتي، ونبهت الذهن بالنفي ثلاث مرات أعقبها استثناء فكأنما ترك النفي معلقًا، والتوقع منتظرًا ليستكمل المعنى في البيت الثالث. وفي المقطع الثاني يستخدم وسيلة صياغية أخرى في تعميق الحس الإيقاعي بتكرار النسق في الأبيات الأربعة المتتالية التي تبدأ بالبيت:

يا حكيمًا إذا أفاض بيانًا
نكس الخصم طرفه وهو دام

إذ تبدأ بالنداء الظاهر أو المقدر بالعطف + صيغة فعيل (حكيم/ خطيب/ جريء/ زعيم) + أداة الشرط إذا يعقبها الفعل (الماضي أو المضارع) وبعد الفاعل المضمر يأتي التمييز أو المفعول، ليبدأ الشطر الثاني بجواب الشرط المكون من فعل وفاعل ومفعول. لقد أدى هذا التثبيت للنسق وظيفة صوتية إيقاعية، كما أضاف إلى شعور المتلقي بقوة التماسك في نص القصيدة[٧].

وما فعله أدباء الكويت احتفاءً بالثعالبي فعله أدباء البحرين حفاوة به كذلك، وكان الشاعر خالد الفرج مقيمًا في البحرين فألقى مطولة حيًّا فيها الزعيم التونسي، ثم توسع بطرح هموم الأمة العربية بسبب تنافر أقطارها وتقطع أوصالها، وكأنه يلتمس الشفاء بفكر

الزعيم المستنير، على الرغم من أن الشاعر في أثناء قصيدته قدم تصوره للتغلب على صور التخلف التي يشكو منها، والقصيدة حديث إلى الثعالبي وليست حديثا عنه[٨].

وقد حظي الشيخ محمد الشنقيطي بحفاوة مناسبة في حفل اقامة النادي الأدبي (الكويت) كذلك، وانشد فيه سليمان أفندي العدساني إحدى قصائده ايضاً. وفي البحرين احتفي بقدوم الشنقيطي باجتماع الأدباء حوله، وبقصائد كبار الشعراء تشيد بذكره، وقصيدة عبد الله الزائد ذات نهج فريد في إظهار الحفاوة بالقادم، فقصيدته في المناسبة صورت التخلف بازغًا ونجم المجد مخسوفًا ومكسوفًا مكسور الجناح طعينًا، ثم يعدل الشاعر عن مخاطبة نفسه إلى مخاطبة بني العرب، وكيف أنهم لا يأنفون لذلة ويرضون – من دون الخلائق – بالدون، حتى يسمي العصر: عصر المضحكات. وفي نهاية القصيدة يعيد كل سلبيات الواقع العربي إلى علة واحدة هي الجهل، وهذا ما يمكنه من الاستدراك والتحول ببنية القصيدة من اليأس إلى الرجاء، ومن الوصف إلى المديح الذي كان ختامًا للقصيدة:

فــقــد قــيَّضَ الرحــمن للشــرق قــادةً
هُداةً إذا بـات الـنـجــــــادُ شطـونـا
يسـيــرون في الإصــلاح سَيْــرَ مــحــمــر
خـــبـــيـــر بادواء الشـــعـــوب فطينا
فــلا تيــاســوا ان ترجــحــوا كــفــةً بهم
فـــرُبَّ الوفر لا تطيـق مـــئـــيـــنا
عليكِ ســــلامُ الله شنقـــيط مـــا زَهَا
بنجلكِ نبـــراسُ المعـــارف فـــينا

وقد أشار الدكتور خليفة الوقيان، في الفصل الثالث من كتابه:» القضية العربية في الشعر الكويتي«[١٠] إلى احتفاء أهل الكويت بالقادمين إليهم من انحاء الوطن العربي، ويستدل من هذا على قوة ارتباطهم بالقضية القومية (التحرر والوحدة)، ويحدد الوقيان

زيارتين – وليس واحدة – قام بهما الثعالبي للكويت: (١٣٤٥هـ – ١٩٢٧و ١٣٤٧ – ١٩٢٩)، ويسجل في الزورة الأولى أن مدرسة السعادة أقامت بالمناسبة حفلة تبارى الشعراء خلالها في تكريمه، ويذكر أبياتا من قصيدة محمود شوقي الأيوبي[١١]، وينبه إلى أخرى في الزورة الثانية صنعها صقر الشبيب وقد أناب الشاعر عبد اللطيف النصف في إلقائها، وفي ختامها وصف الثعالبي بأنه «واحد تونس»[١٢]. إن لعبد اللطيف النصف مطولة عن الجزائر قصداً، ولكننا في هذا الموضع نتعقب الشرايين الممتدة تتحدى المسافات والزمن في عصر لم تكن سبل الاتصال متاحة أو ميسرة، وفيما نحن بصدده تفاجئنا قصيدته التي قالها حين هب أبناء الريف المغربي بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي لمقاومة الاحتلال المزدوج الإسباني الفرنسي ما بين عامي ١٩٢١و ١٩٢٦، لقد ترددت أصداء تلك الثورة الباسلة في الكويت، فسجلها عبد اللطيف النصف في قصيدته «إلى أسد الريف» التي أشاد فيها بالخطابي وبطولته قبل أن يضطر إلى الاستسلام[١٣]، وإن من حقها أن نحتفي بها، ونعدها ذخيرة تاريخية لما نحن بصدده، لأنها مجدت الكفاح المغاربي في إبان صحوته المبكرة، وعمقت الوعي بمعاني البطولة وقيم الجهاد: – يقول عبد اللطيف النصف عن أسد الريف المغربي:

أرى الشرقَ بالأغلال يرسفُ باكيا
على حين بات الغربُ جذلانَ يبسمُ

حنانيكمُ يا ساسة الغرب حسبكم
فيا طالما أجرمتمو وظلمتمو

ألا لا تسومونا الصَّغارَ فإننا
ولا فخرَ قد جربتُمو وخبرتمو

ملكنا فواسيناكمو بنفوسنا
فهلا فعلتمْ مثلَ ذا إذ ملكتم

تخلوا عن الريف العزيز لأهله
وعودوا إلى أوطانكمْ فهْو أسلم

حمى الريفَ ابطالُ المعامعِ عنكمُ
واسْدٌ جياعٌ في الجبال تهمهم
فصبرًا حماةَ السّينِ صبراً على الردى
ولا تجزعوا ممّا شربتمْ وذقتم
طلعتَ فظنوا في ثيابكَ طارقًا
وذكّرتهمْ ايامَ طارقَ فيهم
صدمتهمْ وسطَ الملاحم صدمةً
فكم بعدها ثكلى ترنُّ وترزم
فلله يومٌ فيكَ قد شهدَ العِدا
حسامًا جلاه الله لا يتثلم
فقد علمتْ مدريدُ انك فاتحٌ
وقد شهدتْ باريسُ انك ضيغم
وقد علموا لو اصبح العلمُ نافعًا
بانك من بسماركَ ادهى واحزم
وانك اقوى الفاتحين حفيظةً
وامضاهمُ عزمًا واعلى واعظم
فضعْ فيهمُ السيفَ الذي انت حاملٌ
وعلمهمو في الحرب ما لم يعلموا
تقدمتَ لا يثنيكَ عمّا ترومُهُ
مدافعُ يرتاعُ الردى حين تُهْزم
إذا سُددتْ فهي القضاء مسدّداً
وإن اطلقتْ فهي البلاءُ المحتم
تدكُّ الجبالَ الشمَّ وهْي منيعةٌ
وتحصدُ جمعَ الجيش وهْو عرمرم

فمرحَى لليثِ العُرب مرحَى ومثلها
ثلاثٌ يؤدّيها اليراعُ المقوَّمُ

لقد عرضنا لهذه القصيدة في دراسة عن الشاعر عبد اللطيف النصف، وحاولنا استخلاص ما تتسم به من خصوصية، في إطار وعي الشاعر بالخبرة الأساسية المطلوبة لصياغة قصيدة تنبعث عن مناسبة محددة – وهو الأمر الذي يفرض حضوره على كل ما قال الشعراء عن الجزائر – إنه يعرض لموقف الخطابي البطولي، ويعجب به بغير حد، ولكنه يدرك أنها ليست قضية فرد وإن يكن هذا الفرد بطلاً، إنها قضية شعب، وأمة، وأنها ليست قضية اليوم حتى وإن كان صليل المعارك يدوي في الأفق، إنها ذات بعد تاريخي من الواجب استحضاره حافزاً في جانبنا، وكاسرًا لجانبهم، وهي أيضًا قضية الشرق في مواجهة الغرب.. وفي هذا السياق يرتقي وعي الشاعر ليشمل في رؤية مستوعبة دورة الحضارات ما بين صعود وهبوط، ويوازن بين موقف الشرق حين ينتصر، وموقف الغرب في زمن استعلائه بقوته.. إن طارق بن زياد يتماهى في عبد الكريم الخطابي[١٥]، أو العكس إذ يحمل بطولته وخلقه، إن ذكر بسمارك (موحد ألمانيا الحديثة في حينه) في هذا الموقع من القصيدة يناسب الآمال المعلقة على بطل الريف في توحيد المغرب العربي الكبير، وفي التوزيع النوعي للحقول الدلالية يحوز بطل الريف من صفات المدح ما يؤكد إنسانيته: الجسارة، وعلم الحرب، وليث العرب، في حين وصف خصومه بالقوة المادية: المدافع التي بها الموت، وهي كالقضاء نافذة تدك الجبال وتحصد الرجال، ولكن الليث العربي استثناء، هنا يقوى مدخل المدح البطولي، ويتوحد مبنى القصيدة ويتأكد انتماؤها إلى أسلافها من القصائد الملحمية العربية التي أشادت بأبطال الأمة.

وتتأكد هذه الحفاوة في الخليج بأبطال المغرب العربي، وتحررها من مناسبة القرب المكاني والطابع الاحتفالي حين نقرأ هذا الرثاء الحار من الشاعر البحريني أحمد محمد آل خليفة، بعنوان» بطل الريف« ، مقدمًا لقصيدته بعبارة: «قيلت في الأيام الأولى لوفاة المجاهد عبد الكريم الخطابي»[١٦]، ولعله كان يمكن الاجتزاء عن ذكر المرثية بذكر مطلعها،

ولكن وصف البطولة في نواحيها القتالية والخلقية والروحية، وارتكاز هذا الوصف على طبائع الحياة العربية والموروث الشعري منذ رثاء الشاعر (الأموي) مالك بن الريب لنفسه رجح عندي الرغبة في إخراج هذه المرثية التصويرية المفعمة بعشق المثل العليا والإيمان بالعروبة من سياق الديوان إلى سياق آخر يضيف إلى وجودها - يقول آل خليفة:

نعتك العلا لما بكتك النوادبُ
وكادتْ منَ الناعي تخرُّ الكواكبُ
فخطبُكَ خطبُ المكرماتِ وطالما
بموت فتى فردٍ تموتُ المناقب
سرى البرقُ في الآفاق ينعي مجاهدًا
قضى بعدما هانتْ لديه المصائب

أحقًا قضى عبدُالكريمِ وأصبحتْ
كتائبُه محزونةً والمضارب
بكتْهُ السيوفُ المرهفاتُ وحَمْحَمَتْ
من الحزن في البيد العتاقُ السلاهب
وناحتْ أساطيرُ الجهاد على فتى
به للعلا كانت تسيرُ المواكب
فقُلْ لرفاقِ السيفِ من بعد موتهِ
رُوَيْدَكمْ فالخطبُ للصبرِ غالب
دعوا السيف يغفو في القراب فإنما
قضى فجأةً عنه الكميُّ المحارب
ولا تسرجوا من بعده الخيل للوغى
فما أحَدٌ من بعده اليومَ راكب
أميرٌ قضى فجرَ الشباب مجاهدًا
فلم تنْتَصِيَاه الطلا والكواعب

سرى يدفعُ الشرُّ المغيرَ بسيفه
وما غرّةٌ تبتزُّ الورى والمناصب
إذا ما انتضى سيفَ الجهاد رايتُهُ
كما البرق لا تطفي سناه الغياهب
لقد اذهل الغربَ المغيرُ ببأسه
إذا التحمتْ تحت السيوف الكتائب
نعته العُلا للعُربِ حُراً فلم يَهُنْ
وكيف وقد غذّتْ علاه المواهب
لقد جزعَ النائي الديار لفقده
كما جزعتْ اصحابُه والاقارب
فنم ايها الحُرُّ المحاربُ هانئًا
فقد بقيتْ للخلد منك المناقب

لا نريد أن نمنح انفسنا حق التوسع في هذا المحور المترامي وإلا ما بلغنا الضفاف، ويكفي ما دلت عليه القرائن من عمق التواصل حتى مع ما نعرف من عزلة الخليج والجزيرة حتى الربع الأول من القرن العشرين، لم تكن قصائد التواصل قاصرة على الرجال، فلدينا قصائد قليلة عن عدد من المدن التي تعرضت لمحنة الزلزال، مثل اغادير، والأصنام وغيرهما. ونكتفي بهذا الإطار، لنتملى الصورة ذاتها على كافة مستوياتها. يمكن أن نضيف في ختام هذه الفقرة إن الجزائر كانت حاضرة في تكوين هذه الشخصيات بدرجات مختلفة، فقد تلقى الباروني علومه في تونس والجزائر ومصر، وكان الثعالبي جزائري الأصل، كما كانت حركة الريف وحكومته مثلاً يحتذى من الجزائر، اما عبد القادر الجزائري فهو قطعة صلبة من تاريخ الجزائر. لم تفرق المشاعر العربية في الجزيرة العربية والخليج بين قطر مغاربي وقطر آخر، فجميعهم «عرب» حتى لو لم يكونوا بالعرق والسلالة عربًا، لقد صهرنا تاريخ واحد، وشكلتنا عقيدة واحدة، وجمعتنا طموحات لا نستطيع تخطي حواجزها المنظورة والخفية إلا بأن نظل «واحدًا» في المستقبل أيضاً.

****

الهوامش

١ – قدمت دراسة الدكتور تركي الحمد ضمن فعاليات ندوة أقامها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت تحت عنوان: الثقافة وقضايا الحياة العربية الراهنة – ٣٠ أكتوبر – ١ نوفمبر ١٩٩٩ ويتعقب الباحث أشكال هذا التأثير من المركز، أو المراكز – على الأطراف ما بين المذاهب الفقهية إلى الوقائع التاريخية المؤثرة، وحتى زمن انبعاث الوحدة المفقودة (الإسلامية أو العربية).

٢ – القصيدة كاملة (٢٣ بيتًا) في ديوان أبي الفضل: الشيخ محمد بن عيسى بن صالح الحارثي – (تحقيق حسن بن خلف الريامي) – مكتبة الضامري – سلطنة عمان ١٩٩٥ – ص ١٧٨ – ١٨١ – وبعدها قصيدة أخرى للشاعر نفسه في وداع الباروني عند مغادرته المنطقة الشرقية عائدًا إلى مسقط.

٣ – محمد بن راشد الخصيبي: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان – وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط ١٩٨٩ .

٤ – يذكر الزركلي في «الأعلام» أن الباروني كان أباضي المذهب، وحين ذهب إلى مسقط وعمان جعله سلطان مسقط مستشارًا لحكومته، فأقام عامين، ثم مرض فسافر إلى بومباي، وفيها كانت وفاته.

٥ – ينظر كتابه: تاريخ الكويت – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت (وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه يعقوب عبد العزيز الرشيد) – ص ٢٨٢وص ٢٨٥ .

٦ – كان هذا مدى تقدير الكويت للزعيم التونسي وتثمينها لما عانى في السجن وجهاده السياسي بتأسيس حزب الدستور. يذكر الزركلي أنه غادر تونس ١٩٢٣ فظل متنقلاً بين مصر وسورية والعراق والحجاز والهند، فلما عاد إلى تونس ١٩٣٧ ناوأه بعض رجال حزبه، فابتعد عن الشؤون العامة إلى أن توفي!!

٧ – لسليمان العدساني قصيدة أخرى – سجلها «تاريخ الكويت» في الفقرة ذاتها – قالها في الاحتفاء بالشيخ محمد الشنقيطي عند قدومه من الزبير إلى الكويت، وهي أقل جودة من قصيدة الثعالبي.

٨ – ديوان عبد الله الزائد (جمع وتحقيق مبارك الخاطر) ط أولى – البحرين ١٩٩٦ .

٩ – مطلع قصيدة خالد الفرج :

إن رضتُ في الترحيب فيك مواهبي
بك يا زعيم فذاك دون الواجب

وهي في طبعات ديوانه ومتداولة بما لا يستدعي إعادة تسجيلها . وقد حدد تاريخ احتفال النادي الأدبي – بالبحرين بالأستاذ الثعالبي (٢٤ من ذي القعدة سنة ١٣٤٣هـ – ١٥ من يونيو ١٩٢٥) – انظر ديوان خالد الفرج – (تقديم وتحقيق خالد سعود الزيد) – الكويت ١٩٨٩ .

١٠ – خليفة الوقيان: القضية العربية في الشعر الكويتي (ط أولى) – المطبعة العصرية – الكويت ١٩٧٧ – الفصل الثالث ص ٦٩ وما بعدها.

١١ – السابق – ص ٧٤ .

١٢ – السابق – ص ٧٥ .

١٣ – السابق – ص ٨٤ .

١٤ – تاريخ الكويت – ص ٣٨٤ .

١٥ – عبد الكريم الخطابي (١٨٨٠ – ١٩٦٣) أمير مغربي قائد، ولد في مدينة أغادير وقاد الكفاح المسلح ضد الأسبان وأنزل بهم خسائر ضخمة في معارك مشهودة عصفت بجنرالاتهم، حتى اجتمع عليه الفرنسيون والأسبان كي لا تسري الثورة إلى أرض الجزائر. ظل في المنفى حتى توجه إلى مصر (١٩٤٨) فعاش بها زعيمًا للنضال المغاربي، حتى زمن رحيله.

١٦ – أحمد محمد آل خليفة: ديوان بقايا الغدران – ص ١٠٧ .

****

٢ - من المفردة إلى الوثيقة

اكتسبت «الجزائر» وضعًا استثنائيًا في الوجدان العربي المعاصر لأحداث حرب التحرير والاستقلال، ما لبثت أن فرضته على الذاكرة العربية حتى أصبح واحدًا من علامات التخوم العربية التي تستحضر حين تستنهض مستجدات الراهن الاستعانة بالأعمال الكبرى في الماضي لترشد التوقي والتوقع حاضرًا ومستقبلاً. لم نقصد بالاستثناء أن الجزائر كانت منسية أو مهملة، فهي حاضرة دائما في التصور العربي (القومي) الشامل، غير أنها لا تقع على الحد الذي تستوعبه العبارة المتداولة: «من الخليج إلى المحيط» ، من ثم ينطلق التصور حتى أقصى المغرب، ويمضي الآن إلى موريتانيا مترسمًا خطى جامعة الدول العربية، وهذا ما يستوعب الجزائر دون النص عليه، ولكن زمن حرب التحرير أعطى بالبذل غير المحدود والبطولة النادرة ورسوخ الصمود، والإرادة المتميزة للقتال وللسياسة في عالم المحاور والتقلبات - أعطى الجزائر هذه الخصوصية التي جعلتها حاضرة في الضمير والذاكرة تأخذ مكانًا/ موقعًا محددًا منصوصًا عليه في قصيدة ذات توجه قومي يعبر عن وعي كلي بقضايا العروبة وطموحات المستقبل. وهنا ننبه إلى ثلاث نقاط:

١ - إن الديوان المختار «مائة قصيدة وقصيدة» عن الجزائر الذي نوثقه هنا ينهض على الاختيار، وعلى تسجيل القصائد المختارة في صيغتها الكاملة (فهذا شرط التوثيق) من ثم يتبقى بين أيدينا نوعان من النصوص: الأول: أبيات مفردة ومقاطع في قصائد لم نتمكن من الوصول إليها، ونرى أن نحافظ على ما تيسر منها، ثم يبقى الأمل مشرعاً أن تدل هذه المفردات أو الوثبات على القصائد التي استدعتها بعض الدراسات منها، فتعين مستقبلاً على إتمام هذه المختارات لتصبح ديوانًا شاملاً - والثاني: قصائد كاملة لم يقع عليها اختيارنا وحقها أن تدل على مواقعها في أصولها (دواوين الشعراء).

٢ – في الفقرة السابقة ، إشارة إلى الهدف العلمي، وأخرى إلى المنهج النقدي، وهو ما نعنى بتبيانه. إن اللفظ المفرد، أو البيت المنفرد لا يخرج بالكلام عن نطاق اللسانيات، بل لعل البدء به يحدد معنى أدبية النص من جهة لسانية، لأن العلامة تقوم بنفسها حين تحمل بقيمة جمالية، حتى وإن تكن لفظًا مفردًا، وهي تفقد علامتها الجمالية حين تستخدم في كلام هدفه عملي الإبلاغ وليس هدفه الإثارة الإبداعية، مضافة إلى وظيفة الإبلاغ أو غير مضافة. لنتأمل مفردتين – من الخصوصية الجزائرية التي ارتقت إلى مستوى العلامة، وهما: جميلة (اسم علم = إنسان) والأوراس (اسم علم = مكان) عن جميلة – البطلة الجزائرية المجاهدة – يقول الشاعر اليمني (من سيئون – حضرموت) عبد القادر محمد الصبان – مشيدًا بدور المرأة العربية التاريخي، وداعيًا إلى اتباعه وتجديده:

... ودَعِ الوقوفَ على الطلال وقفْ معي
واشهدْ حياةَ الجدِّ في الأحياء
واتركْ لعروةَ دمعه وبكاه
إني حبستُ مدامعي وبكائي
دعْ ذِكْرَ عزةَ او كُثَيِّرَ والتفتْ
واذكرْ لنا أسماءَ في الأسماء
(أم السليم) وفي الوغى كم خنجرٍ
شَدَّتْ يداكِ به على الأعداء
هذي نُسَيْبَةُ بنت كعبٍ كم لها
من عزةٍ من نخوةٍ وإباء
واذكر (جميلةَ) في الجزائر إنها
مَثَلٌ يحطمُ قوةَ الجبناء[1]

إن الشاعر يمحو، ليسطر، وينفي ليثبت، يمحو المتخيل (الأطلال) ليحل في مكانها: الواقع (اشهد) ثم يستدرك على نفسه، فهو لا يرمي إلى محو التاريخ بل إعادة قراءته وجلاء عناصر القوة فيه، كما تعبر عنها رؤيته. لقد تعاقبت – في القصيدة وفي الوثبة – أسماء نسائية مرفوضة ومحمودة، كلها تاريخية باستثناء «جميلة» التي جسدت

الحضور التاريخي للمرأة العربية، واكسبت الرؤية المنتمية إلى الماضي دلالة الحضور وإمكان التحقق في هذا العصر.

أما الشاعر مقبل عبد العزيز العيسى فإنه يكتب قصيدته بعنوان: «عامان قد مرّا» بعد مرور عامين على النكسة (نظمها ١٩٦٩)، فيحدد مرتكز مستقبل الرسالة في مطلعها الرمزي:

إيه أبا الهــول!! اصبــرٌ جــمــيلٌ..!؟
والقـــيــدُ باقٍ.. والطواشي هزيلْ!!
والصـــبــرُ أحلى منه كــاسُ الردى
على طريدٍ في الخـــيـــام نزيل
عـــامـــانِ قـــد مـــرّا على عـــارنا
والقـــدسُ ناءٍ عن جـــنــانا.. ذليل!!

وبعد أن يسخر من احتماء العرب بالشرق (الاتحاد السوفيتي في حينه) وأنه لا يختلف عن الغرب طمعًا فينا واستهانة بنا، يختم قصيدته:

مـــــــا هـــاب إلا ثـــورةٌ أرهـــبــتْ
جنودَهُ فـــاســـتـــسلمـــوا للرحـــيل
فـــــــــي ثرى الأوراس أردتْ بـــه
تجـــربةٌ لا تعـــرفُ المســتـــحـــيل[٢]

إن الأوراس – حيث انطلقت شرارة الثورة الجزائرية، واستمرت كامنة في جباله وأدغاله، تؤكد هوية النص، من ثم تمنحه حق الانتساب إلى ثقافة معينة، فالأوراس ليست اسماً لمكان يستوي وأي مكان آخر، إذ ليست محصورة في المدلول اللغوي،إنها تتجاوزه إلى المدلول الثقافي، الذي يكتسب قيمته متجاوزًا المعجم (اللغوي أو الجغرافي) إلى التغلغل الحضاري في تجربة الأمة التي تتداوله، وهذا ما يرقى به عن النفعية إلى الجمالية والإثارة المؤكدة للأدبية، وهذا يفسر لنا لماذا آثر الشاعر ذكر الأوراس في مقابل ما نص عليه مطلع القصيدة: «أبو الهول – و: طريد الخيام» ، فهو في تصوره يضع العنصر

البديل، وعبر النقيض تتأكد درامية القصيدة، كما يرتبط مطلعها بختامها داعمًا وحدتها، وهو في الحالين يستدعي التجربة الجمعية المستقرة - وإن مرحليًا - في ضمير الأمة ويفعل المشاهدة.

٣ - أما مصطلح «الوثبة» فإننا نستعيره من الدكتور مصطفى سويف - الذي رأى استخلاصًا من منهجه التجريبي في تحليل عدد من القصائد وجوابات شعرائها عن طريقتهم في صنعها - أن الشاعر - غالبًا - لا ينظم قصيدته بيتًا بعد بيت على نسقها الذي تشاهد عليه بعد تمامها، إنها ترد على خاطره في شكل مقاطع متماسكة، هي ما يسميه «الوثبات» ، التي تبدو كإشراقات تتبعها لحظات انطفاء. وسنجد - في عدد غير قليل - اسم الجزائر يشكل وثبة في سياقات شتى، في صدارتها السياق القومي والدعوة إلى المقاومة والإصرار على الهدف.

وقبل أن نمضي إلى شيء من التفصيل فإننا نرى أن اللفظة المفردة يمكن أن يكون داعيها إلى المثول في القصيدة مطالب الوزن أو القافية، أو تأكيد الموسيقا الداخلية، وهذا يعني أنها ليست متواشجة مع غيرها، وأن لفظة أخرى كان يمكن أن تؤدي وظيفتها(٤). وليس لنا أن نتوقع - إلا في النادر - أن تذكر اللفظة مجردة من سياقها المناسب، ويتجلى الفرق بين اللفظة المفردة والوثبة أن اللفظة في الوثبة ذات تأثير ممتد، يشكل العبارة ويلونها، ويتواشج مع مفرداتها، وربما هيمنت اللفظة على مسار القصيدة، كما رأينا في قصيدة الشاعر مقبل العيسى، بعكس ما نجد في قصيدة الشاعر أسامة عبد الرحمن «يا دهر» ، فقد اتخذت الجزائر فيه موقعًا لا يحمل حتمية ولا يحقق تكاملاً مطلوبًا في طريق الوصول إلى مبدأ أو الاستدلال على نفاذ رؤية:

هبُّوا على الغرب لا تخشوا جحافلَهُ
فقد أباحَ الحمَى ظلمًا وعدوانا
ففي الجزائر كم أردتْ مجازرُهُ
في خُضْر جناتها حورًا وولدانا
وفي فلسطين كم أجرى الدموع دمًا
وكم أذلَّ بها شيبًا وشبانا(٥)

إن بيت «الجزائر» أكثر الأبيات الثلاثة اقترابًا من الشعرية، إذ نجد التوافق الصوتي (الجناس الناقص) بين الجزائر والمجازر، وبين الردى ورموز الحياة في خضر جناتها تضاد كاشف، وفي حور وولدان مستوى من التضمين، مع هذا يعاني هذا البيت - كما تعاني أبيات القصيدة - من عزلة تحاصره بإغلاق دلالته حتى وإن تشكلت في الإطار العام الذي تتحرك فيه القصيدة، وهذا الغياب لهيكلة القصيدة يبدأ من عنوانها، فالمنادى المجرد غير المجسد (الدهر)، المطلق غير المحدد يفضي إلى مساحات من الصعب إقامة علائق تتشعب ثم تلتقي في نقطة ارتكاز توحد الرؤية، بافتراض حتمية تحكم هذا التشعب وتجعل من الإطار حقيقة بديلة بقدرة التخييل.

ولا يختلف عن النموذج السابق ما ختم به عبد العزيز بن عبد الله الرويس قصيدته بثلاثة أبيات استأثرت بها الجزائر دون غيرها من أقطار العرب، لقد حشد الكثرة منها في بيت واحد:

نحن في الشـــام وفي مـــصـــرَ وفي
مـــهـــبطِ الوحيِ على حبٍ مـــتينْ
وحــــــدةِ الــديـن ونـطـقٍ واحـــــد
وأمـــانٍ تحـــرمُ المســـتـــعـــمـــرين

ولما كان عام إنشاد هذه القصيدة في معهد علمي بمدينة الرياض عام ١٩٥٦ عقب اندحار العدوان الثلاثي في معركة قناة السويس، فقد أخذت معركة الجزائر حقها في أن تكون ختام القصيدة، وأن تفوز - وحدها - بثلاثة أبيات:

الجـــزائرُ مـــوطنُ العـــرب فـــمـــا
بـالُ نـهـــر الـسينِ لـلـحقِّ مـــهـين
يـقـــــتلُ الأحــــرارَ فـي أوطـانـهـم
وهْو بـالقـــتل جـــديرٌ وقـــمـين
وإذا مـــا الـصـــدقُ أضـــحى مـــسلكًا
وجـــهـــادًا أنـهـتِ الـنـفسُ الأنـين[١]

لقد بدا التعلق بالمناسبة سببًا كافيًا لذكر الجزائر، كما بدا ذكر الجزائر سببًا كافيًا لاجتلاب التصفيق والرضا عن هذا النظم محدود القيمة. وليس مثل عبد السلام هاشم حافظ – في ديوانه: صواريخ ضد الظلم والاستعمار، (وكفى به عنوانًا دالًا) في شغفه بذكر الجزائر، ولكنه ذكر ينتمي إلى مستوى اللافتات المعلقة لتلفت أنظار العابرين[٧]. أما سيف الرحبي فإنه يحشد أسماء العواصم فتجد فيها الجزائر غير مرة،كأن يقول في قصيدة النثر: «متسكع لا يحلم بشيء» : « ... كنت ملاحقًا بفزاعة الفقر والفريسيين وبنات اوى في القاهرة ودمشق، في بيروت والجزائر وصوفيا وباريس.. إلخ تذكر كل شيء بسطوع الولادة، بوضوح السرطان المتجول بين الأنهار كسائح مأخوذ بمضارب البدو» ، أو يقول في قصيدته الأخرى: «نجمة البدو الرحل: أو القاهرة» : «من القاهرة حتى الجزائر.. حتى اسكتلندا ودمشق و...» .. إنها محكومة بسياق القصيدة ليست سياق الرؤية التي تؤطرها وليست حشدًا من الأسماء، وإن جاز أن يحل غيرها في مكانها وتبقى ذاتها ماثلة لم تضطرب، وإن حاول بعض النقاد أن يجعل لهذا الاختيار دلالة بعينها محددة، فتقول عبارته: «من أماكنه القديمة، بأسمائها ومعالمها، حيث ولد وجاء في نشيجه سلالات أسلافه، يمد سيف الرحبي الشاعر العماني يد الشعر إلى آخر العالم. والصورة المجسدة والهائلة التي يمنحها العنوان لليد البشرية التي تنتشر إلى نهايات الوجود تذكر بسريالية سلفادور دالي المضخمة عينها... فالمشهدية الملحمية للأمكنة وعناصر الطبيعة تحقن النص بروح هائجة، وهي تتجه معه كيفما اتجه، مع العواصف القادمة من بحار الهند باتجاه بحر عمان... [٨]» إلخ، ولكن «الكلمة» هنا (الجزائر) تظل في موقع الاحتمال، ولا نستبعد أنها أخذت موقعها بفعل الوزن أو ضرورة القافية، أما «الوثبة» فإن لها شأنًا آخر، لأنها قطعة مسبوكة ذات حضور ذاتي، وبريق يخطف الاهتمام، فهي ليست موضوع القصيدة – بالنسبة للنماذج التي نعرض لها – ومع هذا فإنها قد تكون كل ما يبقى في ذاكرة متلقي القصيدة، ولا يستبعد أن تزاحم الموضوع الذي فرض سطوته الكمية، وموقعه المتميز، بل أن تزيحه إلى الهامش، وتستقر في مركز الدائرة. ونقرب فكرتنا بأخذ مثالين من قصيدتين، أولاهما للشاعر محمد بن علي السنوسي (وله غير قصيدة عن الجزائر) والأخرى للشاعر محمد حسن عواد، والقصيدتان كلتاهما تدوران في الفلك القومي، وهذا

واضح من العنوان، فقصيدة السنوسي: «اليقظة العربية[٩]»، «وقصيدة العواد «قوميتي[١٠]»، . يؤسس الاستهلال – دائمًا – لوجهة النص حتى ليعد النواة المخصبة، كما يعد علامة أيضًا وسيبدو هذا واضحًا خلال مراقبة هذا الاستهلال وكيف يسري (يتكرر وإن لم يكن بحرفيته) في النص عاملاً على شد أواصره وتأكيد وحدته[١١]. ومن ثم .. فهذا مطلع قصيدة السنوسي:

حيِّ صقرَ الجزيرة العربية
بطل الشرق نخوةً وحمية
حيِّ صقرًا محلقًا بجناحيه
على قمة المعالي السنية

وهكذا تنتمي القصيدة إلى فن المديح، وفي استثمار أركانه المتوازنة المأثورة تراثًا تمضي، وسيكون ذكر الجزائر – مع المساحة التي ينبسط عليها – أحد تجليات مديح الملك، في حالة من التجاذب مع كون الموضوع الجزائري يفرض ذاته بذاته، ولهذا تتكرر العودة إليه، وتتسع مساحته مع العودة، ولكنه لا يلبث أن يذوب في سطوة الاستهلال وهيمنته على مجرى القصيدة، وطاقته في استدعاء ختامها. القصيدة (٤٨ بيتًا) تبدو العشرون بيتًا الأولى خالصة لمديح الملك، لتتجه إلى بطولة الأمة وكفاحها الذي يصرع العنجهية:

٢٤ – في عُمان وفي الجزائر منه
ألقٌ كالسُّبيكةِ الذهبيه
٢٥ – هزَّ أعطافنا فخارًا وعادت
ذكرياتُ اليرموك والقادسيه
٢٦ – يا دُعاةَ السلام تلك فرنسا
تتحدّى مشاعر البشريه
٢٧ – تحرقُ الأرضَ باللهيب وتشويـ
ـها جهارًا وتصلبُ الحريه
٢٨ – وهْي في ظلكم تروحُ وتغدو
أفلا تزجرون تلك الشقيّه؟

٢٩ - أتقيمون مأتمًا يملأ الكو
نَ ضجيجًا لكلبةٍ روسيّه
٣٠ - وتُصمّوا آذانكمْ عن عويلٍ
صارخٍ في الجزائر العربيّه
٣١ - يا لها دعوة يصلّي لها الذئـ
ـبُ إمامًا بين الصفوف التقيّه

إن «الجزائر» التي فرضت حضورها علامة أخرى استدعاها السياق فصعب تخطيها، أو تطويعها لسياق المديح، لا تلبث أن تفرض موضوع الحرب والسلام، وخطر تصاعد لغة القوة:

٣٧ - الأساطيلُ والقنابلُ والألغا
مُ والطائراتُ والمدفعيّه
٣٨ - كلُّ هذا على الجزائر ينصبُّ
وينقضُّ بكرةً وعشيّه
٣٩ - ودعاةُ السلام يلهون بالأو
راق فوق الموائد الدائريّه

وقد أدى هذا إلى تطويع صفات المديح لآل سعود، لتناسب هذا المنحنى في القصيدة.

في قصيدة السنوسي امتدت الوثبة، فأخذت مدى «العلامة» المستأنفة التي نازعت «علامة» الاستهلال انتقاء دوال القصيدة وتوجيه مدلولاتها، وتطوير فكرتها، وهذا يختلف عن قصيدة العواد (وقد نظمها من الموزون المقفى وكتبها على نسق قصيدة التفعيلة) فاستهلها بهذه الأسطر:

١ - أحبُّ الجزيرةَ، والموطنا
ومستقبلَ العُرب أن يعلنا
٢ - أحب الحجازَ
أحب السراةَ مدارَ العروبة، أصل السّنا

٣ - ونجدًا
وأحساءها
والعسير
وحائلَ
واليمن الأيمنا
٤ - أحب العراقَ
أحب الشامَ
ومصرَ
ولبنانَ
والأردنا
٥ - وأهوى فلسطينَ
أهوى عُمان
إلى حضرموت، ومن سَوَّدَنا
٦ - وتجذبني تونسُ، والجزائرُ - تسعى - ومراكشُ للبنا
٧ - ولاسيما بقعةٌ حرةٌ
تسيلُ الدماء بها أعينا
٨ - أجابتْ على الظلم أحرارُها
بحد الظبا، ورؤوس القنا
٩ - جزائرُ
لكنها بالجبال محصنة - جلَّ من حصَّنَا!
١٠ - فمشرقها نبضات الحياة
وعزتها بسمات المنى

إن العنوان الذي اختاره الشاعر (قوميتي) - على أساس أن العنوان محمل بكافة معطيات النص - يقدم فهمًا خاصًا للقومية، من ثم يستحق هذه الياء الدالة على الانتساب أو الملكية، كما يريدها الشاعر، وهذا السياق الذي اختاره ليس دخيلاً ولا رفضًا ولا انتهاكًا لمفاهيم القومية، التي تعني - في أدبياتها - كل ما يتجاوز تخوم الوطنية وإن كان

يتضمنها، فليس قومياً من لم يحمل عواطف خاصة (تفصيلية شديدة القرب) لوطنه. إن العواد أجمل حبه الوطني في الدرجة الأعلى بعوامل معرفية واجتماعية وسياسية من خلال البدء به، وإجماله ثم تفصيله، والربط بينه وبين المستقبل العربي كله في موازاة أو مشاركة تؤكدها الواو العاطفة. ثم تتوالى الأقطار العربية (وإن لم يذكرها جميعًا) آخذة أماكنها في دائرة الحب. لقد استعمل العواد ثلاثة أفعال تشترك في صيغة المضارعة، وتختلف في دلالتها على مستويات العشق، فالحب، والهوى، والاجتذاب بينها اختلاف في الدرجة وفي نوع العاطفة الممتدة من طرف إلى آخر. قد يعطي المعجم دلالة تدرج عكس المتوقع (المفترض)، فالحب أقل درجة من الهوى، وهذا بدوره أقل من الانجذاب الذي يعني غياب الذات وانخطافها للتوحد بما تتوق إليه، وربما قدم لنا تاريخ نظم هذه القصيدة (١مارس ١٩٥٨) شعاعًا كاشفًا، فالحب تعبير عن علاقة سوية أقرب إلى الاتزان، أما الهوى فإنه الميل الجارف مع إهمال التحفظ، والانجذاب فقدان الخصوصية بادعاء التوحد بين اثنين. وعلى هذا يمكن إعادة قراءة مفهوم مستويات العشق على ضوء الآخر؛ فالوطن وما لحق به من بلاد الحب حاضر في علاقة مستقرة، وهنا تختلف فلسطين وعمان وما بعدهما، فهذه البلاد كانت عرضة لأحداث قاسية لا يكفي – إن كنت تعمل على مداواة جراحها – أن تحبها، فحقها الدرجة الأعلى (الهوى) فإذا بلغت الجزائر وتونس ومراكش حيث المعارك وأشد ألوان الاستعمار ظلمًا وضراوة، فليس لك إلا أن تتوحد بها، تنجذب إليها. إنها المريض حتى يعافى والغائب حتى يحضر!!، من ثم ينفتح «الانجذاب» على تخصيص تتميز به الجزائر درجة أعلى من جارتيها، فهي «تسعى» ، وهي البقعة الحرة..الخ، وهذا الامتداد منح الجزائر مقامًا لا تنافسها فيه حتى هذه المفردات/ التفاصيل التي صدر بها حبه لوطنه، لأن ما وصف به الجزائر يشكل «وثبة» قائمة بنفسها إبداعًا ومعنى، في حين احتشدت الأسماء الأخرى بوتيرة إحصائية، ربما استدعت وصفًا (كما في السراة) لمجرد إقامة الوزن واستقرار القافية. إن ما تفجر عن استحضار الجزائر في قصيدة العواد وثبة متماسكة لا يمكن النفاذ منها بإضافة أو حذف، أما أبيات السنوسي عن الجزائر فقد زاحمت المحور الرئيسي بمحور يوازيه أو يزاحمه، ولكن الحتمية فيه (أو فيهما) غائبة.

وهذه «وثيقة» ذات دلالة، تستحق أن نتوقف عندها، لنستخرج منها بعض أسرارها، وأول هذه الأسرار أنها ملتحمة بقصيدة مناسبات، جرى عرف النقد الحديث ألا يأبه لها استهانة بقيمتها الفنية، غير أن شاعرها ممن يؤبه له، فهو أحد شعراء البحرين ثم قطر، الرواد في العصر الحديث، وهو عبد الرحمن بن قاسم المعاودة، الذي قال قصيدته في تهنئة حاكم قطر بعيد الفطر عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧) - وهي من ٢٧ بيتًا، ذهبت التسعة الأبيات الأولى في التحميد والتسبيح والصلاة على النبي ﷺ استجابة للمناسبة الدينية، ثم تبدأ تهنئة الحاكم بالبيت العاشر، ممتزجة بتهنئة والده ومدحه، ويستغرق هذا عشرة أبيات (١٠ - ١٩) وفي البيت العشرين تطوى صفحة المدح، ليتجه الشاعر مباشرة إلى بني قومه، محاولا تحقيق قاعدة «التخلص» ، وما نحسبه أحسن التخلص، لأن النقلة كانت مفاجئة حادة، وإن امتدادها ليشعر متلقي القصيدة بأن ما تخلص الكلام إليه يوشك أن يكون قصدًا ثانيًا، أو قصدًا أولاً يستحق الصدارة، غير أن مقام الحاكم وافتراض الفرح بالمناسبة (العيد) جعلتاه ثانيًا في ترتيب أغراض القصيدة. وقد استغرق حديث الجزائر سبعة أبيات، تبدأ بالمناشدة، وتنتهي بالدعوة إلى المشاركة:

٢٠ - بني قومنا يا بارك الله فيكم
بكم عزةُ الإسلام والشرفُ السعدُ

٢١ - ألا فاذكروا شعبَ الجزائر إنه
لشعبٌ شقيقٌ ليس عن نصره بدُّ

٢٢ - يعيشون في ظلِّ البنادق ما ونى
جهادُهم أو فلَّ من عزمهم كدُّ

٢٣ - مشى الكهلُ جنب اليافع الصلب معلنًا
مهنده والموت في فمهم شهد

٢٤ - وسارتْ كرامُ الآنسات تحثُّهمْ
وتقدُمُهم والجوُّ بالنقع مربد

٢٥ - يذودون عن حوض العروبة والعلا
فما صدَّهمْ زجرٌ ولا غرَّهمْ وعد

٢٦ – ألا فاذكروهم واعرفوا حقهم لهم
فما هان شعبٌ في الشدائد يشتد

لقد تنبه الدكتور محمد عبد الرحيم كافود إلى أهمية هذا القسم من المدحة، غير أنه لا يراه منسجمًا مع موقف الشاعر المعاودة من القضايا القومية، ومن حرب التحرير الجزائرية خاصة، وكانت معاركها ذاك العام مشتعلة بغير هوادة، تقول عبارته: «نستغرب من موقف المعاودة حيث لم تأت هذه القضية (الجزائر) عنده إلا عرضًا في أبيات من قصيدة يمدح فيها الشيخ أحمد بن علي – حاكم قطر آنذاك – وإن كنا نعرف عن المعاودة أنه شاعر له حضوره العربي في قضايا أمته خاصة في المرحلة الأولى من شعره عندما كان يقطن البحرين[١٢]»، والباحث مصيب في استغرابه، وقد أمكن اكتشاف قصيدة للمعاودة قالها في احتفال خاص بالدوحة عقد ابتهاجًا لوقف إطلاق النار في الجزائر، ووزعت القصيدة في الحفل مطبوعة على صفحة خاصة كأنها «منشور» ، وقد تضمن الديوان المختار نصها، واخترنا لها عنوانًا «جهاد الجزائر[١٣]»، «ولم يضمها الشاعر إلى ديوانه، فظل مصيرها نهب المصادفة. ولكن: هل عرض الشاعر للوثبة الجزائرية بطريقة عرضية؟ إن الجانب السياقي لا يعضد هذا، فليس في مناسبة العيد، ولا في تهنئة الحاكم باستهلاله ما يذكر بالجزائر، أو بتضحية أهلها. لو أن المناسبة عيد الأضحى لأمكن أن يستدعي السياق معنى التضحية، وأهمية أن يراق الدم فداء للمعنى، ولكنه عيد الفطر، وكذلك فإن مساحة الاهتمام بالموضوع الجزائري وقد امتد إلى سبعة أبيات، تمثل ٢٦ ٪ من امتداد القصيدة[١٤]، وهذا ما يصعب عده أمرًا عرضيًا، فضلاً عن أن مدائح الحكام لها محاذيرها، والدخول إلى موضوعات تتجاوز ما يعنيهم مباشرة يحتاج إلى معرفة مسبقة بحدود المأذون به والمكروه أو الممنوع ذكره. والذي نرجحه أن الموضوع الجزائري كان يملأ أقطار نفس الشاعر، وأنه – ربما حاول تجنبه فلم يستطع، بل لا نجد بأسًا من قراءة هذه القصيدة مبتدئة بقسمها الأخير الذي يحث على مناصرة الجزائر، ثم تمضي إلى تهنئة الحاكم ومدحه، ثم تختم بالصلاة على النبي ﷺ وشكر الله سبحانه على حلول العيد بسلام على شعب البلاد، ولكن تركيب بنائها على النحو الذي ظهرت به في الديوان هو الشكل المقبول الذي يحتمه الهدف القومي، فالبدء بالتسبيح شعيرة دينية، وعنوان

القصيدة خطوة في اتجاه الدعوة إلى ضرورة المناصرة، وتمجيد الحاكم وذكر فضائل أبيه، وتديّن هذا الأب خطوة أخرى قصد بها التشجيع، ثم يأتي طلب الوقوف مع الجزائر في حربها الإيمانية الشريفة، وقد مهد لها الشاعر بما يغري بالقبول بل التحمس للبذل، ومن ثم يسطع البيت/ الختام، صادحًا بالدعاء:

ودامتْ لك الإقبالُ والخيرُ والهنا
ودام أبوك المرتجى العَلَمُ الفرد

محققًا أحد أركان القصيدة المادحة، وبالغًا باستثارة همة المناصرة أعلى درجاتها.

****

الهوامش

١ – عبد القادر محمد الصبان – مجلة الحكمة (عدن – اليمن) أكتوبر ١٩٧٤، والقصيدة مطولة (٦٤ بيتًا) والقصيدة موجهة إلى المرأة اليمنية تدعوها إلى المشاركة في بناء المجتمع الجديد.

٢ – مقبل عبد العزيز العيسى: ديوان غربة الروح – (طبعة خاصة) ١٩٩٤ – ص ١٤٦ – وهنا موقف طريف للشاعر ينهض على مفارقة تستحق التأمل، ففي رسالة شخصية من ولده (الأستاذ عبد العزيز مقبل) أرفق بها مقالة صحفية قصيرة كتبها والده الشاعر منذ عشرين عامًا (١٤٠٩هـ) بعنوان «هذه المرأة.. تحدثت عنها الصحف باندهاش» – والمرأة المقصودة هي الجزائرية غير محددة في شخص (وهو ما يناسب المقام/ النزعة الشخصية في مقالته) – غير أنه في قصيدة بطولة وفداء – الديوان السابق – ص ٢٠٣ – التي كتبها تحية للفدائية سناء المحيدلي (جنوبي لبنان أو زهرة الجنوب وعروس الجنوب كما دعاها) جعل من سناء علامة تجدد ذكر بطولة الخنساء ويرى أن الزمان بينهما يخلو من الملامح:

أنت شمسٌ، لم تَبْدُ يومًا لقومي

منذ أن كان فيهمو الخنساء!!

فلم يتذكر جميلة، أو الجميلات الثلاث، وما تحدثت عنه الصحف باندهاش.

٣ – مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة – دار المعارف بمصر ١٩٦٩ – ص ٢٦٦ – ٢٦٨ .

٤ – كما في قصيدة رضى الموسوي بعنوان :» هزتني الأحداث« ، ومطلعها:

هزتني الأحداث أحداث الكنانة والعراق

وهدير وعي شامل لبني العروبة وانطلاق

وقريبًا من نهاية القصيدة يذكر مناضلة الأعراب بالسمر الدقاق (الرماح) ثم يضيف:

في الصين في إيران في وهران يرتفع الزعاق

فالحق برا أهله والمكر بالظلام حاق

فمع اضطراب المعنى لا خصوصية لذكر وهران، وبخاصة إلى جانب الصين وإيران، ولو أنه وضع في مكانها: جرجان أو لبنان أو صنعاء أو أسوان، لما تغير شيء.

انظر ديوان سيف ووتر - البحرين (د. ت) - وانظر أيضًا نشيد العروبة - ديوان نفحات الجنوب، للشاعر محمد بن علي السنوسي - ص ١٢٧ .

٥ - أسامة عبد الرحمن - ديوان شمعة ظمأى ص ٤٣ .

٦ - عبد العزيز عبد الله الرويس: ديوان حصيد الزمن - ص ١٣٤ .

٧ - انظر قصيدة العيد الخالد - ص ٤٦ - وقصيدة حرب على الاستعمار ص٩ .

٨ - محمد علي شمس الدين: سلسلة آفاق عربية - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة - سبتمبر ٢٠٠٤ - ص ٢٥٠ .

٩ - محمد بن علي السنوسي: الأعمال الكاملة - منشورات نادي جازان الأدبي - ص ٢١٩ .

١٠ - محمد حسن عواد: ديوان العواد (ج ٢) - ص ١١٠ .

١١ - ياسين النصير: الاستهلال؛ فن البدايات في النص الأدبي - سلسلة كتابات نقدية - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ١٩٩٨ - ص ٤٦، ٤٧، ٥٠ .

١٢ - محمد عبد الرحيم كافود: دراسات في الشعر العربي المعاصر في الخليج - الدوحة ١٩٩٤ .

١٣ - هذا العنوان مستمد من الشطر الأول من القصيدة:

تضيق القوافي عن جهاد الجزائر

وإطراء ما قاموا به من مآثر

وهي من عشرين بيتًا.

١٤ - ينظر نص القصيدة، وهي بعنوان: ووحدت بالإسلام قومًا تنابذوا - ديوان دوحة البلابل - دار الثقافة - بيروت ١٩٦٠ - ص ٣٩.

****

٣ - إشارة في الاتجاه

هذه إشارة للتذكرة، وحفز المتابعة، لعدد من القصائد التي اختصت بالثورة الجزائرية، وهي تنقسم إلى نوعين: الأول قطع من قصائد لم يتح لنا الحصول على نصوصها كاملة لتأخذ اماكنها في مختار الديوان، وقد دل القليل المتاح منها على ما يمكن أن تضيفه من وعي بالجانب التاريخي، أو وضوح في الجانب الفكري، أو تنويع وابتكار في العرض والتصوير - في الجانب الشعري. لقد اخترناها من بين عدد أكبر، ورتبناها على أسماء الشعراء (هجائياً) ودللنا على مكان الحديث عنها في المراجع الأدبية المنشورة أو المخطوطة، وسجلنا أهم المعلومات المتصلة بكل نص منها مع بعض ما أتيح من أبياته.

الثاني: قصائد حصلنا على نصها، ولم يتح سياق الدراسة وحجمها أن تسجل كاملة، فكان من حقها أن يشار إليها حفاظًا على مكانها في أية دراسة قادمة قد ترى غير ما رأيناه، وسنذكر اقتباسات دالة من هذه القصائد.

النوع الأول: المقاطع

١ - إبراهيم أمين فودة:

قصيدة «حيِّ الجزائر» ، ومطلعها:

حيِّ المجـــــاهدَ في الجــــــزا
ئر حـــــيِّـــــه، حيِّ الجــــزائر

وهي مطولة (١٢٤ بيتًا) - سجل عبدالله العطوي في رسالته ما جملته ١٨ بيتًا: المطلع (ص ٣٦٥) +٧ أبيات (ص٦٠) + ٣ أبيات (ص ٦٣) + بيتين (ص٨٠) + ٥ أبيات (ص٨١) وأهمها الاقتباس الأول (ص ٦٠) الذي تضمن هجاء الغرب:

يا أيُّهـــــا الغــــــربُ المدلُّ
بعلمــــه مـــا شـــاء زاخـــر

يـا أيـهــــا الـغــــربُ المدلُّ
بفنه مـــا شــــاء ســـاحـــر
يـا أيُـهــــا الـغــــربُ المدلُّ
بجـيـــشـه الجـرار مـــاخـر
إنـي بـجـــيــشك أو بمـا
لك أو علومك جِـــدُّ ســـاخـر
الـعـلـمُ والمـالُ الـوفـيـــ
ـــرُ وكـلُّ هـاتـيـك المـظـاهـر
لا خــيــــرَ للإنـســــان تحـ
ـمله إذا فـسـدتْ مـخـابر
الخــيــرُ مـــا يعطي الفـؤا
دُ وليـس مـــا تعطي المـنـاظر

أما عن معاناة الجزائر، فإنها (ص ٦٣):

شـــعـبٌ يـئنُّ قــد اسـتـبـد
بـه عـــدوٌّ جِـــدُّ كـــافـر
هـم كـــبـلوه واسـلـمـــو
ه إلى المجـاعـة والبـواتر
وتبـجـحـوا بـشـجـاعـةٍ
لـم تُـرْوَ في تـاريـخ فـاجـر

الكفاح الجزائري في الشعر السعودي - مخطوط - جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢ - إبراهيم الدامغ

قصيدة بعنوان: «روابي الخلد» - وهي مطولة في ٦٦ بيتًا، متنوعة القوافي، مطلعها:

يا روابي الخلد يا مـهـدَ الأبـاةِ الثـائرينا
يا منارَ المجـد والشرف قـولي حـديثنا

هكذا سجلها عبد الله العطوي، وهذا المطلع من بيتين (مجزوء الرمل = فاعلاتن + فاعلاتن) وليس بيتًا واحدًا، فضلاً عن أن البيت الثاني مضطرب اضطرابًا شنيعًا وقد افترضنا أن صوابه : يا منار المجد في الشرق.. إلخ وسيكون الاضطراب - من ثم - له مسوغاته.

لقد عرض لهذه القصيدة التي لم تتح لنا فرصة الحصول عليها، إذ لم نطلع على الديوان، فاجتذب عنوان «أوراس» انظار الباحث المتعجل، وهي قطعة في خمسة أبيات، ولم يفطن لهذه المطولة، إذ صرفه العنوان (مع الأسف).

ذكر العطوي من القصيدة ١١ بيتًا - من مقطعين، استقل كل منهما بقافية:

أيها السفاح في أرضي وفي أوطانيه
كيف لم تسمع نداءات القلوب العاليه
كيف لم ترفعْ يدَ الظلم الدنيء العاتيه
سوف تلقى من بني أوراس أسدًا ضاريه
لا تبالي أسلاحا تلتقي أم داهيه
في يديها قصةُ الزحف الأبيِّ القاضيه
فانتظرها يا دعيَّ الحربِ نارًا حاميه [ص ٧٠]

أما الأربعة الأبيات الأخرى (ص ٨٨) فقد خصصت لهجاء ديجول.

٣ - خالد سعود الزيد:

قصيدة من بواكير نظمه، عن ثورة الجزائر، لم يضمنها أيًا من دواوينه، وذكر خمسة أبيات منها في ختام حديث بعنوان: «تجربتي مع الشعر» - مجلة البيان (الكويتية) مارس ١٩٧٣، وهذه الأبيات الخمسة:

سلْ قمةَ الأوراس من زانها
مجدًا ومن طهرها بالدم؟
نحن قريناها بأرواحنا
أكرمْ بها والمطعم المكرم

أيامنا في الدهر مشهورة
ما عابها مين الحقود العمي
ريانة الأمجاد عن قدرة
نشوانة الأعطاف لم تهرم
من حاضر سام بأفعاله
يرنو لماض بالهدى مفعم

يذكر الزيد أنه صنعها عام ١٩٥٧ – وأول نشر لشعره وثقة الكشاف: «الصحافة الكويتية في ربع قرن» – قصيدة بعنوان كلنا عنك يا كويت الفداء – مارس ١٩٦٣، فما كتبه عن الجزائر – حسب قوله – يسبق بستة أعوام.أشار إلى الأبيات ذاتها وعلق عليها الدكتور خليفة الوقيان في دراسته عن: القضية العربية في الشعر الكويتي.

٤ – عبد الرحمن العبيد:

قصيدة من ديوان «في موكب الفجر» نظمها تحية للجزائر في عيد تحريرها الأول. ذكرها محمد الصادق عفيفي: دراسات في الأدب السعودي (ص ١٠٦) واقتطف منها خمسة أبيات:

يا أيها الشعبُ النبيلُ تحيةً
إن الحياةَ لمن يجدُّ ويصبرُ
مهما استباحَ الغاصبون عرينكم
واستعبدوا أشباله وتنمّروا
مهما أراقوا من دماء حرةٍ
أو خادعوا بغبائهم أو غرّروا
إن الشعوبَ بحقها وكفاحها
وبقدرِ ما بذلتْ تنالُ وتنصر
وقضية التحرير مهما أغفلتْ
هي والحياةُ قضيةٌ لا تنكر

٥ - عبد العزيز الربيع

له ثلاث قصائد في الموضوع الجزائري، واحدة منها منشورة، واثنتان مخطوطتان بحوزة نادي المدينة المنورة الأدبي - أشار إلى القصائد عبد الله العطوي - (ص ٣٧١):

١ - قصيدة مرحبا بالجزائر، (٢٨ بيتًا) ومطلعها: مرحبا بالجزائر العربية مرحبا مرحبا وألف تحية.

٢ - تحية الجزائر في عيد الاستقلال (٥٨ بيتًا) ومطلعها: حييت يا شعب الجزائر المجد في الدنيا لثائر.

٣ - تحية الجزائر يوم الاستقلال (٦٥ بيتًا) ومطلعها: اليوم يوم الانتصار يوم المجادة والفخار.

وهذه القصيدة الأخيرة تستند إلى نص منشور بمجلة المنهل.

انظر: الكفاح الجزائري في الشعر السعودي (رسالة ماجستير - مخطوطة).

٦ - علي حافظ

قصيدة بعنوان «حيوا معي الأرض المباركة» - نظمها عام ١٩٧٣ - وتضمنها ديوانه: «نفحات من طيبة» - مجموع أبياتها ١٥ بيتًا - ذكر منها عبد الله العطوي في رسالته ثمانية أبيات، تبدأ بمطلعها:

حيوا معي الأرضَ المباركةَ الجزائر
أرضَ الكرامة والأصالة والمفاخر
واشدوا بأبطال الوغى شجعانها الـ
أسدِ الميامين الكواسر
ساروا إلى الأعداء والدخلاء كـالطـ
ـوفان بالبيض المهنَّدةِ البواتر

لم يرهبـــوا نيـــرانهم كـــالســـيل تهـ
درُ في البيـــوت وفي الجـبـــال وفي المآثر

يختم العطوي اقتباسه بالبيت الذي يتضمن حكمة وإن تكن مبذولة:

من لـم يغـــامـــر في الحـــيـــاة بمـاله
وبنفـســـه ألِفَ الخنوعَ لكل كـــافـــر!!

ينظر: الكفاح الجزائري في الشعر السعودي ص ١١٧ – ١٨٨.

٧ – عنجري أحمد العنجري

قصيدة الوطن العربي – مجلة صدى الإيمان (الكويتية) عدد أبريل ١٩٥٥ – قالها في وصف الجزائريين.

ما أمكن تسجيله من قصيدة عنجري ثلاثة أبيات ذكرها الدكتور خليفة الوقيان في كتابه «القضية العربية في الشعر الكويتي»، ونصها:

قـد أدركـوا كُنْهَ الحـيـاة فـجـيَّشـوا
جـيـشـاً يقضُّ الغـاصبَ الجـبـارا
لم ينثنوا رغم التـــعـــسـف والقلى
وكـــذا الأبيُّ يرى المذلـة عـــارا
لا يـذعـــــرون مـن المدافـع إن دَوَتْ
حـــتى ولـو صـــار النجـــيع بـحـــارا

٨ – محمد إبراهيم جدع

له ثلاث قصائد منشورة في مجموعته الشعرية الكاملة، وتضمنتها مختارات (مائة قصيدة وقصيدة)، ولكن يلاحظ أن القصيدة بعنوان: «جهاد الجزائر» – الرائية – في عشرة أبيات، في حين أن عبد الله العطوي (في رسالته المخطوطة – ص ٣٧٤) أشار إلى هذه القصيدة فذكر أنها في ٢٨ بيتاً. من حق الشاعر أن يعدل في قصيدته ما بين النشر

الأول وأي نشر بعد ذلك، ومن حق النقد أيضًا أن يتفحص اتجاه هذا الاختلاف ومساره وأسبابه، بما يكشف، أو يساعد على الكشف عن حركة الفكر عند الشاعر بعد انصياعه الأول لفورة الوجدان، أو تداعيات المعاني، أو إغراء القاموس.

٩ - محمود شوقي الأيوبي

قصيدة بعنوان «من وحي اللهب المقدس» - مطولة (٩٥ بيتًا) مطلعها:

إشـــــراقـــــةُ الـلـهب الـطـهـــــور
لاحـت عـلـى الـربـع الـنـضـــــيـــــر

نظمها الشاعر إذ أهدى إليه شاعر الثورة الجزائرية الأستاذ مفدي زكريا، الملقب بابن تومرت - ديوانه: اللهب المقدس إلى الشاعر، وكان ذلك في الكويت فكتب قصيدته، وهي في ديوانه المخطوط «أحلام الخليج» - الجزء الثاني أشارت إليه ولم تثبت القصيدة الدكتورة نورية الرومي في كتابها: محمود شوقي الأيوبي - ط ثانية - بيروت ١٩٩٩ - ص ٩٣، ٩٤.

١٠ - فؤاد شاكر

أثبتنا له في المختار قصيدتين: فائية (استقلال الجزائر) - وسينية (فرحة النصر). في مخطوط عبد الله العطوي أن قصيدة «استقلال الجزائر» في ٢١ بيتًا - في حين أن الصيغة التي نشرناها نقلا عن ديوان «وحي الفؤاد» جاءت في ٣٨ بيتًا وهذه الزيادة تستثير حاسة البحث في سيكولوجية الإبداع وشكل القصيدة، فالزيادة بالإضافة مثل النقص بالحذف، لعمل الناقد فيه مجال متسع.

ينظر رسالة العطوي - الجدول ص٣٧٤.

☆☆☆☆

النوع الثاني: القصائد

هذه إشارة أخرى تخص قصائد في حوزتنا نرى أنها تحتفظ بأهمية تستحق أن يشار إليها .

١ - إبراهيم الدامغ

له قطعة من خمسة أبيات بعنوان: «على مشارف أوراس» تضمنها ديوانه «شرارة النار» وهي من مجزوء الكامل، وهذا نص الأبيات الخمسة:

١ - أوراس والجـيـل الأشم ومـوطن الأمل الكبـيـر
٢ - ومنابت الزيتـون في أرضي ومـخـبـؤنا الصـغـيـر
٣ - ورحـابنا الفـيـحـاء والحـصن المزوق بالصـخـور
٤ - ومـرابض الأبطال والركب الملوح للمـسـيـر
٥ - والراية الخـضـراء شـعـري والبـواسل والنسـور

وقد يكون مهما - في النقد التحليلي - ما مهد به الشاعر لتلقي هذه الأبيات الخمسة إذ تقول عبارته: «تطل عبر المذياع قمة أوراس، قمة البطولة والفداء، فتثير ما في النفس من شمم» .

٢ - إبراهيم بن محمد العواجي

له قصيدة كتبها على نسق التفعيلة متخذًا من تفعيلة «الكامل» أساسًا لها، في ٦٧سطرًا، مطلعها:

في كل شبر ٍ
من موطني هبت رياح
زحف جديد
ومواكب تبغي الكفاح
وبروقها أصوات قعقعة السلاح
تلك الجموع

الثائرة

السائرة

من اجل تحقيق النجاح ...

تفضل الشاعر بإرسال قصيدته إلينا مصورة برسالة مطبوعة، موقعة بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٣ - وفي رسالة عبد الله العطوي ذكر لديوان الشاعر وعنوانه: «المداد» - دار خضر - بيروت ١٩٨٨ .

٣ - عبد الرحمن صالح العشماوي

له قصيدة في ١٩ بيتًا من بحر الخفيف، نظمها عام ١٩٧٦، وهي همزية مطلعها:

عـشَّشَ الجـرحُ في فم الضـعـفـاء

فـافـيـقي يا امّـةَ العلـيـاء

والقصيدة صرخة تحذير، أوضح مرماها فيما مهد به للقصيدة: لا يكاد الخلاف يرحل من بلد من بلادنا إلا وينيخ ركابه في بلد آخر، وهل ذلك إلا لأنه وجد في أوطاننا قلوبًا وعقولاً تنفخ فيه الروح؟ وسياق القصيدة يتحرك زمنيًا من الماضي (العربي) إلى الراهن (الجزائري) عام نظم القصيدة:

سطّرَ الجـرحُ الـفَ سطر وسطْر

في ربوعي بالأحـرف السـوداء

لم يزل ينبشُ الضـغـائنَ حـتى

ينفثَ السمَّ في ربا الخـضـراء

وعلى صـفـحـة الجـزائر ينوي

نقشَ الامـه ورسمَ الشـقـاء

القصيدة من ديوان: «إلى أمتي»

٤ - عبد السلام هاشم حافظ

له قصيدة عنوانها: «الجزائر الثائرة» ، وفوق العنوان عبارة تصفها بأنها «شعر مرسل» ، مصدرها الأعمال الشعرية الكاملة (ج١) ديوان «صواريخ ضد الظلم

والاستعمار»، وهذه دعوى تخلى عنها الدليل، أو أن الاتفاق في المصطلحات النقدية لا يزال غائبًا، ومطلع القصيدة يكفي للتدليل على هذا:

فرنسا فتكت بإخواننا

بأحرارنا في الجزائر، بالأبرياء

عتَوْتِ على الأمة الثائرة

لحق البلاد وآمالها الزاهرة

وفي مثل هذا السياق لا تقف القضية عند حد الإيقاع، بل تصل حد التصوير، والتعبير، وقيمة الفكرة مما يؤسس للرؤية.

وقد أشرنا إلى شيء من هذا في القسم الآتي، عندما عرضنا لديوان «النار والزيتون في الجزائر».

٥ – عبد المحسن الناصر الصالح

له قصيدة بعنوان: الجزائر تستغيث – في عشرين بيتًا من بحر الرمل، لم يصرفنا عنها عنوانها الموحي بالضعف والخذلان، فالمحتوى هو المرجع، وكذلك لم يصرفنا عن اختيارها أنها من الشعر النبطي (العامية البدوية)، وإنما صرفنا عنها أنها ظلت القصيدة الوحيدة المتاحة لنا من الشعر النبطي، من ثم رأينا أنها لن تمثل إلا نفسها، وأنها محرومة من تشكيل ظاهرة نعرف أنها أخذت مداها في شعر الخليج والجزيرة العربية، وهي مشاركة الشعر الشعبي في مساندة معركة تحرير الجزائر، ولم يتيسر لنا الحصول على شيء منه لأسباب لا يصعب اكتشافها أو توقعها.

القصيدة مطلعها:

يا منادي صِحْ بأعلى الصوت … قل للغافل قبل الفوت

قَدِّمْ لك من قبل الموت … خير عند الله تلقاه

مصدرها: ديوان عبد المحسن الصالح.

٦ – عبد الله بونه

له قصيدة بعنوان: إلى الكفاح يا شعب العروبة (في ١٥ بيتًا من بحر الكامل) ومطلعها:

شـعب العـروبة يا أبيَّ الأنفسِ
قم للكفاح تجاه شعبٍ مفلسِ
كافحْ عدوك في الجزائر معلنًا
حربَ البسوس على العداةِ الرُّجّسِ

مصدر القصيدة مجلة المنهل (السعودية) عدد ذي الحجة ١٣٧٨هـ – يونيو ١٩٥٩، والقصيدة تتخذ من الحرب الجزائرية منهجًا يحرص على إعادته في مواجهة الصهيونية:

وعلى اليهود فشن حربًا مثلها
مطهر من الأرجاس بيت المقدس

وأهم ما في هذه القصيدة قوافيها.

٧ – عبد الله بن حمد الحقيل

للشاعر في الموضوع الجزائري ثلاث قصائد – قصيدة حيِّ الجزائر – وهي في ١٩ بيتًا من مجزوء الكامل، ومصدرها ديوانه: «شعاع في الأفق». – ومطلعها:

حيِّ الجزائرَ حيِّها
ورجالها الغرَّ الكواسر

– قصيدة: تحية الجزائر، وهي في ١٤ بيتًا من بحر الوافر، ورد نصها في سياق دراسة عنه بعنوان: «عبدالله بن حمد الحقيل – سيرة أدبية» – ومطلعها:

أحيي الحفل في أرض الجزائر
بلاد الجود دومًا والكراما

- قصيدة: تهنئة بالنصر والاستقلال – وهي في ١٣ بيتًا من بحر الرمل، تفضل الشاعر بإرسالها إلي في رسالة خاصة بخط يده. – ومطلعها:

أيها الشعب سلامًا منعما
فاهنأوا بالفرح والنصر المبين

والقصائد الثلاث تعود إلى زمن كان الشاعر فيه يعيش بمدينة وهران منتدبًا للتدريس بمعاهدها، كما قام بزيارتها فيما بعد، وهذا البعد الزمني واضح في محتوى القصائد وصياغتها فليس فيها ما هو صدى مباشر للحياة في الجزائر.

****

٤ - محاولة كسر النمط

«عودة جان دارك» - العمل التمثيلي الوحيد الذي أمكن الاهتداء إليه، بفضل مؤلفه (الشاعرعبد الرحمن بن عثمان الملا) الذي أهدى إلينا ديوان قصائده، وفي آخره عملان تمثيليان، أولهما عن فلسطين، والآخر عن الجزائر، وقد ذكر في سيرته الشخصية - خاتمة ديوانه - انه بذل جهدًا عقب تخرجه في كلية اللغة العربية بالرياض ليستبدل العمل بالتدريس بوظيفة فنية بالأوقاف، كان مكلفًا بها. وإن تعلقه بالتدريس لابد يستند إلى قدرات وتطلعات مستقرة في ضميره، لا يتاح التعبير عنها في صورتها التي يرتضيها عبر وسائط العمل المكتبي، فضلاً عن نزوع إلى السرد القصصي تجلى في قصائد ديوانه، من ثم كان اختيار حدث قابل للتطوير، وعرضه كما تراه شخصيات مختلفة في رؤاها ومواقفها بما يحدث صراعًا تختلف فيه المصائر أو تتحول، وصياغة العبارات الحوارية تحمل سمة الشعر كما تحمل سمة قائليها.. كان هذا ممكنا للملا الشاعر المعلم، فجاءت تمثيليته القصيرة (٣٠ صفحة من القطع الصغير) منتمية إلى المسرح المدرسي، فامتدادها، وتركيب حوادثها، وعدد شخصياتها، وقرب معانيها، وجوهر فكرتها، وشعار ختامها، ويسر لغتها.. كل هذا يقربها إلى ما يقوم تلاميذ المرحلة المتوسطة أو الثانوية بتمثيله، وهي في هذا الإطار عظيمة النفع، ليس لما تغرس في وجدان الناشئة من قيم العروبة والبطولة والتعلق بالمثل العليا وحسب، وإنما لأنها تقدم درسًا عمليًا في ضرورة حفظ الشعر وتدريب الذاكرة على تلوين الإلقاء بما يناسب الموقف والمقام، وهذا ما يكاد طلابنا يجهلونه جهلاً فاحشًا، ولكن ستبقى مشكلة (تنظيمية) معلقة، لا تجد حلاً، ذلك أن في المسرحية ثلاثا من الفتيات الشابات الجزائريات (سعاد وفاطمة وهنادي) وفي بعض من أقطارنا العربية لا يسمح بالمدارس المشتركة بين البنين والبنات، فضلاً عن السماح للنوعين بالالتقاء على خشبة المسرح، كما أن الأسس التربوية التي تأذن للفتاة أن تضع شاربًا أو لحية لتؤدي دور فتى أو رجل، لا تأذن للفتى أن يظهر في زي النساء، وهذا يعني أحد أمرين: أن الشاعر السعودي لم يفكر في أمر تمثيل مسرحيته أصلاً، وأنه وضعها لتقرأ كما تقرأ

سائر قصائد ديوانه، أو أنه رأى الممكن في قيام مدارس البنات بذاتها فارتضى بذلك. وإذا كان هناك احتمال ثالث فإنني استبعده في حدود المنظور.

في تشكيل مسرحية شعرية (أو منظومة) – على المستوى التعليمي بخاصة، ستزدوج الأسئلة حول القضية، وحول الشعرية. وقد حقق الجانب الأول المطلوب إن لم يكن تجاوز حدوده وبالغ فيه، أما الشعر فقد أدمج في المواقف الدرامية القليلة، وهذا هو المطلوب، ولكنه نادرًا ما تنفس في الصياغة، إذ تراجعت اللغة المجازية تقريبًا، كما استخدمت بحور الشعر محققة درجة من سلاسة الإيقاع ورشاقته حينًا، ومستسلمة لبطء التفاعيل وثقل الامتداد حينًا اخر.

الحكاية – لبساطتها – صالحة للمسرح، كما أنها تناسب المسرح التربوي، إذ تقوم على مواجهة بين طرفين نشب بينهما صراع على أمر ذي شأن مصيري، وكذلك تنتهي بمفارقة تستحق إطالة التفكير، وهذه المفارقة تأخذ مغزاها التهكمي في صياغة العنوان: «عودة جان دارك» ، فهذه البطلة التاريخية تصدت لأعداء فرنسا وحاربتهم، ولكن ابناء فرنسا هم الذين قضوا عليها بطريقة بشعة، وبعد زمن أعلنوها قديسة!! إن «سعاد» – الفتاة الجزائرية تدافع عن وطنها كما دافعت جان دارك عن وطنها، وإن الحكم بموت سعاد ظلم بيّن، كما كان الحكم على القديسة الفرنسية من قبل. وفي مجال الشخصيات فقد انقسمت إلى أخيار وأشرار، فحمل الاخيار أسماء عربية وجسدوا أخلاقًا إنسانية تعاطفت حتى مع الخصم حين يستحق ذلك، وحمل الأشرار صفات دلت عليها أعمالهم، باستثناء محامي سعاد (الفرنسي) فقد دافع عنها بحرارة وإن لم تأخذ المحكمة بدفاعه، وأصدرت حكمها بالموت!! الانتقال الزماني، والمكاني يناسب امتداد المسرحية، الزمان بطبيعته قياس للمكان، ومواقع التنقل حاسمة ما بين المستشفى والمغارة والمحكمة، ولكن مشهد الطفلين يبكيان أمهما بين الجماهير اثناء تنفيذ الحكم فيها، فإنه فضلاً عن تأخر الإعلام بأن سعاد زوجة وأم وأنها لم تعبر عن عاطفة الأمومة قبل هذا المشهد، فإن المشهد في ذاته لا يقره فن المسرح، لأنه استدرار لعاطفة فطرية بوسائل غير فنية (هي عرض أطفال يبكون أمهم التي تساق أمامهم إلى الموت).

في التمثيلية مواقف استرسل فيها المتحدث لعدة أبيات، ولكن طبيعة الموقف تتقبل هذا المستوى من الإطناب: هنادي وصفت ما جرى لأبوي سعاد في سبعة أبيات، وتحدث المدعي العام عن جريمة سعاد وما يطلب من عقوبة في ثمانية أبيات، ودافع محاميها عنها في عشرة أبيات، وهذا من شأنه أن يعمل على إبطاء الحركة، ولكنه مقبول في سياق المشهد، ويستدعيه الوصف، وعرض القضية، ونفي التهمة.

وقد نظم الشاعر حوار شخصياته على البحور: المتقارب، والهزج، والرجز ومجزوء الرجز، والكامل ومجزوء الكامل، والخفيف، ومجزوء البسيط، والسريع، ولم يخضع الانتقال عن بحر إلى غيره لأسس محددة بالشخصية، أو بموضوع الحوار، ولكن بوجه عام كان التعويل - في الأكثر - على المتقارب، والرجز، والكامل، وهي من البحور الصافية، قد أكسب الحوار قدرًا من الرشاقة التي قربته إلى الواقع، وأبعدته عن افتعال الفصاحة.

يرتبط الموقف الشعري بالطاقة الدرامية، بقوة التعارض بين الطرفين، أو داخل طرف معين في موقف تتداخل فيه أو تتعارض فيه مشاعر متناقضة، ويصبح اتخاذ الرأي الحاسم ضربًا من المغامرة، كما يصبح القول نبوءة أو حماقة. حدث هذا في مشهد حين حملت سعاد الطفلة الفرنسية الجريحة إلى المستشفى مغامرة بحياتها من أجل إنقاذ الطفولة البريئة (ص ١٨٣ - ١٨٤) ففي هاتين الصفحتين لحظة شعرية رفيعة قادرة على صنع تأثير عميق في وجدان القارئ أو المشاهد. أما في بناء الصورة الشعرية، فإن هذا الجانب لم يشغل حيزًا مؤثرًا، من ثم تبقى فضيلة هذا العمل أنه الوحيد (في حدود ما أتيح لنا قراءته) الذي بنى رؤيته لجهاد المرأة الجزائرية في شكل تمثيلي، وليس هذا بالقليل.

على أن بعض الصور الاستعارية أو التشبيهية أضفت قدرًا من الجدة يستحق التنويه، فحين تحكي هنادي لفاطمة ما جرى لأسرة سعاد فإنها لا تدخل في التفصيل، وإنما تعول على الإيماء والتورية والقياس؛ فعندما سخر الأب من جنود فرنسا ولم يفض بمكان ابنه، تقول هنادي عن نتيجة هذا:

لا شك أنك تدركين الآن كيف الخاتمه.

أما تفاصيل ما جرى فسيحكيها الجيران فيما بعد حين تذهب إليهم سعاد، وهذا الترتيب يوافق التشويق المطلوب وتجزيء الحدث بين أطراف متعددة، وهذا الجانب مستفاد من فن السيناريو الحديث .

أما شخصية سعاد المجسدة لجهد جميلة (أو الجميلات الثلاث = جميلة بوحيرد، جميلة بو باشا – وجميلة بوعزة) فإنها حملت عبء تأكيد النازع الإنساني عند العرب حين عرضت نفسها للخطر (واتهمها الفدائي بالحماقة) لكنها لم تتحول عن ضرورة إنقاذ الطفلة الفرنسية المصابة، فالطفولة نقية تستحق الرعاية حتى وإن كانت طفولة الأعداء. ويؤدي المجاز (الاستعارة) وظيفته الجمالية حين يتقدم الجندي الفرنسي واضعًا القيدين في رسغي سعاد، وهو يقول:

سيُحلّي يديك أغلى سوار

قد تحلت به بنات الجهاد

فالسوار يقدم عادة هدية لعروس، وسعاد تزف إلى الخلود، وإلى شرف الجهاد وإلى الاستشهاد في هذا الموقف.

وإذ يدهش المدعي العام من ثبات سعاد إبان المحاكمة، فإنه يشبهها بجبل الأوراس:

وها هي الآن تقوم بينكم

كأنها أوراس بين العاصفه

ليس هذا التشبيه يقف عند مدى الرسوخ والصمود وحسب، ولكنه يتجاوز هذا إلى إثبات علاقة التوحد بين الإنسان والطبيعة، بين أخلاق أهل المكان، والمكان نفسه، والأوراس ليس أحد جبال شرقي الجزائر، إنه الأكثر مهابة بوضعه الطبيعي، وهو الذي بدأ منه إطلاق شرارة الثورة .

وعندما تساق سعاد إلى تنفيذ الحكم، يصفها جنديان من جنود الأعداء:

إنها كالعروس تبدو اتزانا

في ثباتٍ تمضي لحبلِ فناها؛

ترمقُ الكلُ في حنانٍ وحبٍّ
فكان الذي يموتُ سواها

إن هذه الشهادة (الوصفية) تأتي من عدو، والفضل ما شهدت به الأعداء، وقد ظلت عناصر التشبيه ذات مكونات نسوية (العروس – الحنان – الحب) وهذا الوصف بالهدوء والثقة والتسليم القدري بالنهاية هو ما يناسب شخصًا نذر حياته لوطنه، وأقدم على مغامرة لم يستبعد أن يكون الموت – على أي وجه كان – نهايتها، من هنا يكون مشهد الختام لشهداء الحرية نورانيًا راقيًا ثابتًا، كأن كل ما يجري حولهم لا يعنيهم، وكأن غاشية الموت الزاحفة تتهدد سواهم. هذا النقاء الروحي، وهذا الثبات، استطاع الشاعر عبد الرحمن بن عثمان الملا أن يستبطنه، وأن ينفذ في صميم اللحظة في تصوير فاتن ورائع، استحقته سعاد بإنسانيتها، وشجاعتها وانحيازها لوطنها دون أن تشعر بأن أحد هذه المطالب الثلاثة: الإنسانية والشجاعة والانحياز إلى الوطن.. يمكن أن تتناقض.. لقد انصهرت متوحدة في ضميرها فصنعت بتلقائية مثيرة هذه اللحظة الخالدة.

عودة جان دارك [1]

شعر:عبد الرحمن بن عثمان آل ملا

المصدر: ديوان أغاريد من الخليج

مسرحية تصور جانبًا من أحداث الحرب التي خاض غمارها الشعب الجزائري في سبيل خلاصه من نير الاستعمار الفرنسي، وتقع في ثلاثة فصول.

الفصل الأول (المشهد الأول)

تدور أحداث هذا المشهد في أحد المستشفيات في الجزائر العاصمة، تشاهد (سعاد) بطلة المسرحية مع زميلة لها تدعى فاطمة، وقد اتخذتا مقعدين في مقهى المستشفى لأخذ قسط من الراحة من عناء العمل وتناول شيء من الشاي.

(١) تمت كتابة هذه المسرحية في أوائل عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

سعاد : (في تأفف وضجر):

متى يتوقف هدر الدماء؟ بهذي البلاد ورب السماء

فاطمة : في مزاح وسخرية بما يجري :

لـكـي لا نـطـعـم الـرا
حـة في هذي المصـحـات
تجـود الحـرب يومـيـاً
بـالاف الـضـحـيـات
ولـكـن مـا الـذي جـدّا؟
عـلـيـك انـت بـالـذات
ومـا خـضـت بـشـان الحـر
ب فـي مـاض ولا آت
قـبـيـل الـيـوم يـا اخـتـا
ه ....

سعاد :.. شيء جاش في صدري
وإحـسـاس غـريـب غـامـض مـا هـو ؟ لا أدري !

فاطمة :

لا بـأس بـعـد قـلـيـلٍ
وانـت بـين الاسـره
يـذوب هـمـك هـذا
لـك الـهـنـا والمسـره
لان كـلّ مـريـضٍ
لـديـك فـي الـعـقـد دره
تـرعـيـنـه بـحـنـانٍ
ينـسـيـه آلام ضـره

وفي هذه الأثناء ترى فاطمة إحدى زميلاتها تدنو منهما.

فاطمة : في دهشة :

هذي هنادي قــــــادمــــــه مــــــا
لــي أراهـا واجـــــــمــــــــــه

هنادي : تقبل عليهما فتلقي نظرة على سعاد وتحييها قائلة :

مــــرحى عــــزيزتنا ســــعـــــاد

(ثم تنظر إلى فاطمة قائلة) :

أهــلا بـك يــا فــــــاطمــــــــة
قومي معي ....

فاطمة :

.... مـــــاذا جـــــرى
قــــــولـي بـربـك ....

هنادي :

.... قــــــاصــــــمـــــــة
حـــــاقت بـاهـل ســــعــــــاد اجـ
ـمـــــعــــهم بـابـد اثـمـــــــه
هـجــــــمت عـلـيـــــهم في الظلا
م عــــصــــابـةٌ مــــتـلـثـمــــه
من جـنـد ســـــفـــــاح البـــــلا
د لـكـي تـســـــائلَ عـكـرمـــــه
عن دور شــــبـلـه في الجـــــهــــا
د ومـــــا عــــسى أن يـعـلـمَـــــه
عـنـه وعــن كــلّ الــرفـــــــــا
ق فــــــقــــــال انـتـم واهـمــــــه

لا علم عندي فاطلبو
هم في السجون المعتمه
لا شك انك تدركي
ن الآن كيف الخاتمه

تعود فاطمة إلى سعاد وقد بدا عليها التأثر الشديد مما سمعت، وتحاول جاهدة أن تخفي مظاهر الحزن عن وجهها وتكفكف الدموع المنهمرة من عينيها بمنديل معها، وما أن تراها سعاد حتى تفزع من مكانها والرعدة تدب في أوصالها.

سعاد :

بالله يافاطم قولي ما الخبر
إني أراك لا تريدين النظر
إليّ هل هناك خطبٌ أو خطر
على قريبٍ أو عزيز ....

فاطمة :

.... من صبر
يا بنت عماه فبالأجر ظفر

سعاد :

قولي ولا تعمّمي
فإن ربي راحمي
فلي فؤادٌ عامرٌ الإي
مان إن لم تعلمي

فاطمة :

نال الكرامة والشهادة والإبا
أبواك في عزٍّ وصبرٍ نادر
شاء الطغاةُ بأن يدلوهم على
فخر الجهاد أخيك سعد العامري

سعاد :

يا رحمة الله ادركيني واغمري
شهداءنا منك بحظٍّ وافر
هيا معي لأرى الرزية علّني
أرى منهم الثأر يكحل ناظري

(المشهد الثاني)

في منزل أهل سعاد، تسير سعاد وفاطمة حتى تصلا إلى المنزل الذي جرت فيه المأساة، وقد غص بأهل الحي الذين قدموا لتجهيز الأسرة المنكوبة وتشييعها إلى مثواها الأخير، وما أن يروا سعاد قادمة نحوهم حتى يهرعوا إليها فيخاطبها بعضهم قائلا :

سعاد مرحى سلمت
فإن هذي الرزيه
قد المتْ كل شهم

....

سعاد : تجيب قائلة :

بل إن هذي القضيه
ليست قضية بيت
للغدر صار ضحيه
بل محنة الشعب

....

احدهم : يقول :

.................................حقاً
من العصاة الغضيّه
ما مات منجبُ سعد
واخته للبريه

سعاد :

لئن ضـــرســـتنا ضـــواري المنون
فــــإن جـــزائرنا الـغـــاليـــه
ســـتنجب في كل يوم كـــمـــا
ةً تزلزل اقـــسى القـــوى العـــاتيـــه
لســـوف تهـــاوى عـــروشُ الطغـــا
ةلان الشـــعـــوب هي البـــاقـــيـــة

ثم تدير نظرها إلى أبويها وقد سجيا على محفتين، فتلقي عليهما نظرة ملؤها الحزن وقد اغرورقت عيناها بالدموع فتقول :

وداعـــاً ابي امي لئن ســـرتما مـــعـــاً
مـــن المنـــزل الادنـــى إلـــى المنـــزل الأعـلـــى
فـــإن لتـــحـــرير البـــلاد ضـــريبـــةً
وإنفـــاقـــهـــا من خـــالص الشـــرفـــا اولى
لقـــد جـــدتما بـالروح وهي عـــزيزةً
ولكن مـــجـــدَ الحُـــر من روحـــه اغلى
وداعـــاً إلى ان يجـــمـــع الله شـــملنا
بجنات عـــدن مـــا اجلّ ومـــا احلى

****

الفصل الثاني (المشهد الأول)

في أحد المغارات الجبلية تعقد إحدى مجموعات الفدائيين اجتماعاً، يقدم فيه رئيس المجموعة لبقية الأعضاء المجاهدة سعاد في أول أدوار جهادها المعلنة.

الرئيس :

من دواعي فـــخـــارنا والســـرور
ان نرى بين هـؤلاء النـمـــــــــــور

حـــرةً شـــاءت الجـــهـــاد طريقـــاً
يَهَبُ الشـــعب حـــقـــه في المصـــيـــر
اخـــذت في الجـــهـــاد دوراً مـــجـــيـــداً
منذ ســـاعـــات بدئه في الظهـــور
حـــيث كـــانت في حكمـــة وخـــفـــاء
همـــزة الوصل بيننا في الكثـــيـــر
مـــثل نقل الســـلاح والكشف عـــمـــا
يتـــبنى العـــدو من تدبـيـــر
إنهـــا اخـــتكم ســـعـــاد ....
....

اعضاء المجموعة :

.... فـــــــــــــاهـــلاً
بســـعـــاد في ســـاحـــة التـــحـــرير

أحد الجالسين : يلاحظ شخصاً قادماً نحوهم فيقول:

ارى على البـــعـــد ســـعـــد لأي امـــر قـــد ورد ؟!

أخر من الجالسين :

لـعـلـه مـــــبـــــشـــــر
....

ثالث من الجالسين :

أو جـــــــــــاء يـطـلـب المـدد

سعد :

سلام عليكم ....

الحضور :

.... عـلـيـك الســـــــلام
....

سعد:

مـــضى كل شيء علـى مـــا يـرام
فـقـد تم تدمـيـرُ مـسـتـودعين
وكـــوكـــبـــةُ من جنود النظام
ضـحـــايـاهم قـــدرت بـالمئـــات
ومن نـالـه الأســر نـال الـســـلام
وامـــا خـــســـائرنـا لـم تـزد
عـلـى رجـلـين وبـعـض الخـــيـــام
فـــقـــد قـــادنا للنجـــاح الكبي
ر فــتـــاةٌ اتتْ تحت جنح الظلام
إلينا بـاخـبــار جــيش العـــدو
بـتـلـك المــواقــع وهــو المــرام

الرئيس :

فلـلـه منـا جـــزيـلُ الـثـنـاء
وبوركـــتـم من رجـــالٍ عظام
كـمـــا بوركتْ في فـصـــول الكفـــاح
ســعـــاد فـفـيـهـــا يدور الكلام

يلتفت سعد فتلتقي عيناه بعيني اخته، فيتعارفان على الفور ويحتوي كل منهما الآخر في لقاء مؤثر .

سعاد :

اسعد أرى ؟ ....

سعد :

.......................اخـــتي ســـعـــاد .. ..

سعاد :

اهذه طيــــــوف امــــــان ؟ ....

سعد :

.... بـل هـو الحـق بـاديـا

الحاضرون : يرددون في دهشة بيتًا مأثوراً :

(وقد يجمع الله الشتيتين بعدما

يظنان كلّ الظنّ انْ لا تلاقيا

سعد :

فكيف تركت قــــرة العين والدي

ووالـــــدتــــي ؟ ....

سعاد :

.... هم في الجنان العـــواليــا

الرئيس : محاولاً إخراجهما من هذا الجو العاطفي :

مـــاغـــاب بدر انتـــمــا

من نوره يا فـــخــــرنا

فـــانتـــمـــا في هيكل ال

تحـــرير خــيــــرُ من بنى

سعد وسعاد : (في صوت واحد) :

عـــفـــواً فـــمـــا قـــمنا بما

يـوجـبُ إســـــداء الثنا

فـــالكلُ منا ســـاعـــدٌ

يســــــهم في رفع العنا

عـن أمــــــــــــة لا حــظ فــي

حـــــيـــــاتهـــا للجـــــبنا

سعد : يتذكر أمرًا مهماً فيقول :

أوشكت أن أنسى مـــــهـــمـــتي التي

جـــئت هنا لأجلهـــا من دهشـــتي

الرئيس :

فـــمــــا الذي تريده يا ســـعـــد

فكل شيء للوغى مـــعـــد

سعد :

أردت أن أســــــــــالــكـم

هـل من طبـــــيـــب بـيـنـكـم ؟

أحد الحاضرين :

خيراً ؟! ...

ثان :

.... لمـــــــاذا ؟ ....

ثالث :

.... مـا الخـبـر ؟ ......

....

سعد :

بعضُ الأسـارى تحـتـضـر

وبعـضـهم يشكو جـرا حـات ومنهم في خطر

سعاد : في حماس :

هيـا إلى إســعـافـهم فـإنما القـوم بشـر

(المشهد الثاني)

في إحدى قواعد المجاهدين، سعاد تتجول بين الجرحى محاولة إسعافهم فيظهر عليها الجهد والتعب، وحين يلاحظ أحد الفدائيين الإرهاق باد على وجهها يخاطبها قائلاً :

حسبك يا سعاد جهداً فقومي

واستريحي فقد بذلت الكثيرا

سعاد :

كيف أوي إلى فراشٍ وهذا

مستغيثٌ وتلك تصلى سعيرا

من جروحٍ ومن كسورٍ وما في

حوزتي بلسمٌ يريحُ الكسورا

وفي هذه الأثناء ينتهي إلى مسامعهم أصوات فدائيين قادمين يرددون أبياتًا من رائعة علي محمود طه المعروفة :

(اخي جاوز الظالمون المدى

فحق الجهاد وحق الفدا

فجرد حسامك من غمده

فليس له بعد أن يغمدا

طلعنا عليهم طلوع المنو

ن فصاروا هباءً وصاروا سدى

يصلون إلى الموقع وفي حوزتهم بعض الأسرى، بينهم طفلة تعاني من نزف شديد جراء شظايا منتشرة على جسدها، فتسارع سعاد لإسعافها ولكنها تجد الطفلة في حاجة إلى العلاج في أحد المستشفيات .

سعاد : تخاطب أحد الفدائيين :

لا بد من نقل المصـــابة في عـــجل

لصـحـة فـمـصـابـهـا امـرٌ جلل

الفدائي :

طلبٌ عـــجـــيبٌ ، هـل نسـيت اننا

بمغـارةٍ قـصـوى على راس الجـبل

سعاد :

لم انسَ هذا يا عـــزيزي فلتـــسيـرْ

في صـحـبـتـي فـانا الكفـيلةُ بالعـمل

الفدائي :

إن مــا تطلبـــينه مـســتـحـــيل

فـجـــمـيع الدروب بالجند غـــرقى

إن ذهبت بهـا إلى اي مـسـتـشـفى

لن تعـودي ، ومـا اخـالك حـمـقى

سعاد :

ايُّ ذنبٍ لـهـــذه فـــتـــلاقي

حـتـفَـهـا بيننا فـبـالله رفـقـا

الفدائي :

ذنبـهـا ان قـومَـهـا يرهقـونا

منذ قـرنٍ قـتـلاً ونفـيًـا وسـرقـا

ذنبـــهـــا ان امـــهـــا واباها

من فـــرنســـا وهل هنالك اشــقى؟!

سعاد :

لم تصـــز مـــثل هـؤلا يا اخـــانا
بعـــدُ والرفقُ بالطفـــولة اتقى

ايُ فـــرقٍ بين الخـــيـــول إذا هم
قد تساووا في حلبة الظلم سبقا

ااكن كـــالغـــزاة لؤمـــا وظلمـــا !؟
الفُ كـــلا ، بهـــا ســـامـضي والقى

مـــا الاقـــيـــه من مـــصـــاعبَ إني
بنتُ قـــومٍ ترى المبـــادئ ابقى

لا ابالي بان امـــوتَ وتحـــيـــا
طـفـلـةٌ مـــن بـراعـم الـورد انـقــى

سعاد : تحمل الطفلة وهي تخاطب نفسها بصوت مسموع وقد علمت أن أخاها غير موجود في الموقع انذاك :

اينك يا ســـعـــد فلو كنت هنا
لمـــا تجـــشـــمتُ من الامـــرِ عَنا

فتدفع النخوة أحد الفدائيين للسير معها ، فيحملان الطفلة إلى المستشفى الذي كانت تعمل به سعاد .

(المشهد الثالث)

في المستشفى الذي كانت تعمل به سعاد سابقاً يدخلان المستشفى فتلاحظ سعاد أن كل شيء حولها يبدو غريباً .

سعاد :

عـــجـــبـــاً مـــا الذي جـ
ـرى !؟ مـــا الذي جـــدّ يا ترى!؟

اين ولّتْ صــواحـــبي ؟ ....

يجيبها رجل كان واقفاً هناك :

.... كلُّ شيءٍ تـغـــــيـــــرا

سعاد : تتقدم لاستقبال الطوارئ فتخاطب المسؤولة قائلة :

هـذه طـفـلـة عـــــثــــرت علـيـــــهـــــا

وهـي فـي حـــــاجــــة إلـى الإنـجــــاد

المسئولة : تتسلم الطفلة وتقول :

لـن تُـراعـي فـــســـوف نـبـــذلُ اقـــصـى

مـــــــا لـديـنـا مـن الـدوا والـوداد

وعـلـيـك إحـــــاطةُ الأمـنِ عـلـمـــــا

....

أحد رجال الأمن : يتم الكلام وقد اكتشف حقيقة سعاد :

....

هـا هـو الأمن مــــرحـــبًــا بـســـعـــاد

سعاد : (وقد فهمت كل شيء):

لا ابـالـي وقـــــد بـلـغـتُ مــــــرادي

رجل الأمن : متهكماً :

فـــــهـنـيــــئــــا لـك بـهـــذا المراد

رجل الأمن : يواصل الكلام وهو يضع القيود في يديها :

ســـيــــحـلـي يديـك اغـلـى ســــوار

قـــــد تحلت بـه بنـاتُ الجـــهـــــاد

ثم يتم نقلها إلى السجن بصحبة رجال الأمن .

الفصل الثالث (المشهد الأول)

في المحكمة ، وقد انعقدت بحضور القضاة والمتهمة والمدعي العام ومحامي الدفاع والشهود وعدد من المتفرجين .

القاضي :

مــــا اســــمك يا هذي ؟ ومـــا حــــدا بكم
بـان تبـثــوا الرعبَ في أســـيــادكم؟

سعاد :

اســـمي ســـعــــاد ويقـــولُ بعــضكم
عني (جــــان دارك) فــــهل يســــؤكم
مـــا صنعتْ جـــان دارك في أعـــدائكم
حــين انلــوكــم ونــكــلــوا بــكــم

القاضي :

جــان دارك تلك الرمـــز في كــفــــاحنا
وانـــت لا تـــالـــين فـــي إرهــابــنــا
شـــتــــان بين من يريد مـــجــــدنا
وبين من يســـعـى إلى تدمـــيـــرنا

سعاد :

عــجــبتُ من عــقـليـةِ المغــتــصبِ
ليس لهـــا من مـــبــدا أو مـــذهب
بمنـطقِ الذئـب ومكر الثــــعــلب
تســـوسُ من تحكمـــهم ....

القاضي :

.... اجــــــــــتنبي

هذا الهراء الآن ، اخبرينا

ما عمرك واين تسكنينا؟

سعاد :

عمري فداء لحِمَى الجزائر

وموطني مِعْقَلٌ كلُّ ثائر

حتى تعودَ الروح للضمائر

فيختفي كل غشومٍ جائر

ويصدحُ التكبيرُ في المنائر

للنصر والتحرير والبشائر

أحد الغلاة من المتفرجين:

طائشة مغرورة تكابر

تواجه الموتَ ولا تحاذر

المدعي العام :

إن التي ترونها امامكم

اكثر من سفاحةٍ محترفه

افنتْ مئات الجند من عسكركم

وفي قضايا الخطفِ ادهى خاطفه

تؤلبُ الناس على عصيانكم

والناسُ في تيارها منجرفه

اشعلت الارضَ لظًى من تحتكم

حتى غدَت كلُّ فرنسا خائفه

على بنيها فلتكن احكامكم

قاسيةً في هذه المعترفه

بكلِّ مــــا قـــــد صنعتْ في حـــــقِّكم
من فـــادحِ الجـــرائمِ المخـــتلفـــه
وهــا هِيَ الآن تـقـــــــومُ بَـيـنـكـم
كـــأنـهـــا (أوراس) حين العـــاصـــفـــه
لم تطلب الـغـــفـــرانَ من حـــضـــرتكم
ولم تقلْ يـومـــاً لديكم اســــفـــه

القاضي :
الـشـــــــــــاهـد الأول ....

الشاهد :
.... أمـــــر المحكمــــــة

القاضي : أجب بصدق : تعرف المتهمة؟

الشاهد :
أجل وربي إنهـــــا لمجـــــرمـــــه
قـد أوسـعـتنا في الليـالي المعـتـمـه
قـــتـــلاً وتشــريداً وعـــادتْ ســـالمه
وتـارةً تبـــدو لنـا منجـــــمـــــه
تـبث في أرواحـنـا المنهــــزمـــه
رعــبـــاً بأخـبـــار رزايا قـــادمــه

القاضي :
الشاهد الثاني ....

الشاهدة :
.... أمـــر ســـيـــدي

القاضي : قولي لنا ما تعرفين واشهدي
بالحق فـــالفـــيــصلُ قـــولُ الشـــاهد

الشاهدة :

كانت مثالَ البطل المجاهد
في نصرة المظلوم والمستعبَد
لم تدَّخِرْ من طارفٍ أو تالد

محامي الدفاع :

حضرات القضاة إن القضية
ليست اليوم جرمَ هذي الفتاةِ
إنها مصرعُ الحضارة فينا
بيَدِ الراغبين نهبَ الحياةِ
من سوانا لكي نزيدَ ثراءً
وتموتَ الشعوبُ بالحسراتِ
إن تكن هذه أبادت مئاتٍ
من جنودٍ زجَّتْ بهمْ في الفلاةِ
طغمٌ تُيِّمتْ بكلِّ خسيسٍ
زينته الأطماع عند الطغاةِ
فلقد كان جرمنا شرُّ جرمٍ
حين خُنّا مبادئاً للأباةِ
سطروها من الدماء لتبقى
مشعلاً للإنسان في الحلكاتِ
باسمها أطلب البراءة فوراً
لفتاةٍ كانت أبرَّ البناتِ
بذويها وشعبها فذبحتم
أهلها مثلَ ذبحكم أي شاةِ
فعظيم الرجاء ألا تكونوا
مخلباً للمغامرين الغلاةِ

المدعي العام :

سفسطة لا خير منها يرتجى

لا تنطلي اصلاً على ذوي الحجى

القاضي : (يتلو الحكم):

تقررَ الحكم بامر المحكمةْ

بالشنق حتى الموت في المجَرْمه

سعاد بنت العامري عكرمة

ينفَّذُ الحكم بها في العاصمة

امام كلّ الناس فهي مجرمه

٭٭٭٭

(المشهد الثاني)

في ساحة الإعدام ، الناس يتقاطرون على الساحة من كل حدب وصوب ليشهدوا الحدث الجلل .

رجل : يقول لآخر حين رأى الناس يتسارعون في الطريق إلى الساحة :

ما للجماهير اراها مسرعة ؟

لساحة الموت فهل من فاجعه ؟

الآخر : يرد قائلاً :

بل إنها شمسُ الجهاد الساطعه

تعدم هذا اليوم ....

الرجل الأول :

.... يا للقارعة

سعادُ تستشهدُ وهي البارعه

في كلّ ما تاتي به من واقعه

يؤتى بسعاد على مجنزرة وحين تترجل آخذة الطريق إلى منصة الإعدام ترتفع الأصوات بالهتاف وإطلاق عبارات التشجيع لها والتحدي لرجال الشرطة :

الحق يعلو لا سواه
سحقاً لأعداء الحياه

احد الجنود الفرنسيين : يلتفت وقد راعه ما يجري قائلاً لصاحب له :

إن إعدامها جهاراً نهاراً
بين هذي الجموع امرٌ خطيرُ

صاحبه : يرد عليه قائلاً :

خطأ فادح تسبب فيه
سوء تقديرنا لما قد يصيرُ

الأول :

خطأ للقضاة لن يتكرر
ابداً بعد ما جرى ....

الثاني :

.... فتصور !

الجنديان : وهما ينظران إلى سعاد :

إنها كالعروس تبدو اتزانا
في ثبات تمضي لحبل فناها !
ترمقُ الكلَّ في حنانٍ وحبٍّ
فكان الذي يموتُ سواها !

سعاد : تصعد للمنصة وحين تلتقي عيناها بالجماهير تهتف في جراة وثبات :

يا مرحباً بالموت ....

الجماهير : انت الخالده

في قلب كل صـــامـــد وصــامـــدةْ
الا فــــقَــــرّي ايهــــا المجـــاهدةْ
عـــيناً فكلُّ الشـــعب نفسٌ واحـــدةْ

سعاد : ترمق طفليها وهما بين الجماهير بنظرة ملؤها الحنان والعطف فتقول :

إن شـــاءت الأقـــدارُ أن تصـــبـــحـــا
في مـــوكب التـــحـــرير بعض الجنود
لا تنســـيـــا يومـــاً بأن العـــلا
والمجـــدَ لـلإنســـان لا لـلأســـود
فـــــاشــــرفُ الأبـطال من لم يكن
بين ضـــحـــاياه صـــغـــارُ الورود

الطفلان :

امّـــــاه إن حــــــان الرحـــــيـ
ـل إلى الحـــــيـــــاة الخـــــالده
فـــــخـطـاك بـالـنصـــــر المؤز
ر لــلـجــــــزائـر واعـــــــده
ســنـحــــــــــــقّـق الامـل الـذي
فـــيـــهِ مـــضَـــيْتِ مـــجـــاهده

سعاد : بأعلى صوتها :

الـيــــــوم اكـــــــتب من دمي
سطراً بملحـــــمـــــة الكفـــاح
لا تغـــرقـــاه من دمـــوعكمـــا
فـلـن يـجـــــــدي الـنــواح
نـحـن قـــــــرابـين الـكـرا
مـــة للتـــحـــرر والنجـــاح

فـــــغـــــدأ إذا ولّـى الـظّـلا
مُ وجـــاد بـالـنور الصـــبـــاح

تجـنـون مـــا زرعــتـــه لـلـ
أجـــيـــال أسـنـانُ الـســلاح

وفي اللحظة التي يلتف الحبل حول عنقها ، يسمع صوت يتردد صداه في كل مكان حتى يصم الآذان منطلقاً من حناجر الجماهير :

الـلـه أكـــبـــر يـا شـــعـــو
بَ الـشـــرقِ هـيّـــا إلـى الـكـفـــاح

ثم يسدل الستار وتنتهي المسرحية

****

٥ - قراءة موازية

لم تكن الإثارة العاصفة التي صنعها العمل الجزائري في اتجاه تحرير الوطن من الاستعمار الفرنسي لتقف عند حدود الشعر أو الإبداع الأدبي، إذ كانت الاستجابة شاملة الأنشطة الإنسانية كافة، وإن الأمر يطول إذا تعقبنا المسرح والسينما والبرامج الوثائقية والتاريخية في الإذاعة والتلفزيون، والمقالات الأدبية والسياسية والريبورتاجات الصحفية. وفيما يخص الشعر - وهو موضوعنا - سنجد بين أيدينا عددًا من الدراسات الأدبية والنقدية التي تنبهت إلى خصوصية الثورة الجزائرية وما أحدثت من تأثير متميز في بنية القصيدة القومية ومعجم اليقظة العربية وآفاق تطلعاتها، ومعجم الهجاء للاستعمار والحفر تحت امتدادات عروقه الخبيثة الناشبة في التربة العربية. من هذه الدراسات ما كتبه عثمان سعدي تحت عنوان: «الثورة الجزائرية في الشعر العراقي» - دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٨١ - والدراسة التي أعدها الباحث أحمد السعودي مزدور - تحت إشراف الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد - كلية الآداب - جامعة عين شمس، بعنوان: «الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر» ، وما أعده الباحث محمد بن زاوي - للحصول على درجة الماجستير من جامعة الاسكندرية تحت إشراف الدكتور سعيد حسين منصور - بعنوان: «ثورة التحرير في الشعر الجزائري الحديث» (١٩٨٨) - وما أعده عثمان سعدي أيضًا عن «الثورة الجزائرية في الشعر السوري» - بجامعة الجزائر (معهد اللغة والأدب العربي - قسم الأدب المعاصر) - وهذه الدراسة الأخيرة اطلعت على جانب منها (المجلد الثاني) بمكتبة المعهد العالي للدراسات العربية - بالقاهرة، وهي دراسة غنية بالنصوص الغزيرة، المتدفقة، المتنوعة التي جادت بها قرائح شعراء لهم في الإبداع قدم راسخة وشهرة مستقرة، في مقدمتهم سليمان العيسى، وحسان عطوان، ومحمد الحريري، وشوقي بغدادي.. وغيرهم. وأحدث هذه الدراسات ما أعده الشاعر الدكتور حسن فتح الباب تحت

عنوان: «ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر» (الدار المصرية اللبنانية – القاهرة ٢٠٠٥) – والدكتور فتح الباب أستاذ في القانون عاش في الجزائر عقدًا من الزمان يدرس في جامعة وهران وله مع أهلها وشائج وعواطف.

هذه إشارة دالة على مدى الاهتمام، والشعور بخصوصية الشعر العربي الذي استأثرت به الثورة الجزائرية فاتخذ منها، من أهدافها، من أبطالها، من تطور وقائعها، من تراتب أحداثها.. مرتكزات للتأمل، والتصور، والتوسع إلى قضايا أخرى ذات صلة، وفي حالات ليست نادرة يرتبط الاقتحام الموضوعي المتجاوز للمألوف بمحاولات اكتشاف لغة خاصة أو بنية خاصة تلائم هذا التجاوز وتسانده لدى قارئ يفترض فيه التوق إلى نوع من التلقي يتجاوز المألوف.

أما الدراسة التي نؤثرها بهذه الفقرة لأنها متصلة بموضوعنا، فقد أعدها الباحث عبد الله بن عودة بن عياد العطوي، تحت عنوان: «الكفاح الجزائري في الشعر السعودي – دراسة موضوعية وفنية» – بإشراف الدكتور طلعت صبح السيد – للحصول على درجة الماجستير من كلية اللغة العربية (قسم الأدب) – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – بالرياض (١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م) وقد أشرنا إليها غير مرة وسنشير إليها غير مرة فيما يأتي – والرسالة مترامية المساحة (٤٢٨ صفحة من القطع الكبير) وهي تسد فراغًا وتؤدي واجبًا مقدرًا، وكان ينبغي العمل على نشرها لتكون متاحة لجمهور المثقفين، والمعنيين بفن الشعر، وبالشعر القومي بصفة خاصة.

حدد الباحث أهداف دراسته في ثلاثة أمور:

١ – ما حدده عنوان الرسالة من سبر لأغوار الموضوع والوصول إلى ما دعاه أسراره الفنية.

٢ – وإبراز مدى تماسك أبناء الأمة الإسلامية في كل مكان، ووضع هذا الموقف تحت أعين الأجيال القادمة ليكون قدوة لها ونموذجًا.

٣ – إبراز دور الدولة السعودية في دعم الكفاح الجزائري. وقد حققت الرسالة هذه الأهداف الثلاثة من خلال الحصر الشامل لكل ما قال الشعراء (السعوديون) من شعر يتصل بالجزائر إبان ثورتها التحريرية، بموضوعية كاملة لا تنحاز لقصائد العروض الخليلي على حساب قصيدة التفعيلة أو العكس، حتى وإن يكن النوع الثاني أقل عددًا، ولعله أقل تمكنًا في الإمساك بناصية الإبداع الشعري، بالقياس إلى منجز شعر التفعيلة فيما بعد، أو في غير السعودية من الأقطار العربية التي سبق شعراؤها إليه.

انقسمت مادة الرسالة في أربعة فصول: الفصل الأول عن موضوعات الشعر السعودي في الكفاح الجزائري، وتفصيل القول في كل موضوع، مع إبراز وتقديم موضوع: هجاء المستعمر وفضح نواياه، لأهميته واتساعه. وتفرق الدراسة بين الموضوع والمضمون الذي تخصه بالفصل الثاني الذي يعرض لمضامين الشعر في الكفاح الجزائري، ويتضح مراده بالمضمون الذي يرادف «الرؤية» أو الاتجاه أو وجهة النظر، حين يشرح بقوله: «ولما كان الاتجاه الإسلامي هو البارز بدأت به، ثم اتبعته بالاتجاه العربي (يعني القومي) وأوضحت الترابط الوثيق، بل التكامل بين الاتجاهين» – ويستأثر الفصل الثالث بالدراسة الفنية، وهو أطول الفصول (٢٣٣ – ٣٦٢) وأكثرها تفصيلاً وأقربها إلى تحليل الموضوع برمته، إذ قامت مادته على رعاية ستة عناوين فرعية:

١ – بناء القصيدة.
٢ – الأفكار والمعاني.
٣ – التجربة الشعرية.
٤ – المعجم الشعري.
٥ – الصورة الفنية.
٦ – الموسيقا الشعرية.

ويلخص الباحث محتوى الفصل الرابع الذي خصه برصد الكم الشعري (السعودي) في الكفاح الجزائري، بأن نظر إلى الكم والكيف واهتم بتاريخ الدواوين

والقصائد ليرصد انعكاس وقائع الثورة على النشاط الكمي والازدهار الكيفي، ملحقا بهذا عددًا من الأقوال النقدية، مبينًا ما بينها وبين آرائه التي انتهى إليها من اتفاق أو اختلاف.

هذا إجمال تضمنته مقدمة «الكفاح الجزائري في الشعر السعودي» التي كتبها عبدالله بن عودة بن عياد العطوي، وقد بذل جهدًا وصبرًا واضحين، في محور الاستقصاء والرصد للقصائد التي استهدفت الموضوع الجزائري، في جملتها، أو في إحدى فقراتها حين تتعدد موضوعاتها أو تعرض للصحوة القومية في عدد من أقطار العروبة التي تزامنت والثورة الجزائرية مثل عمان، وعدن (وكانت قطرًا منفصلا عن اليمن ذاك الوقت) أو كانت سابقة على الثورة الجزائرية ولكن وضعها كان يراوح بين الاشتعال والكمون، مثل فلسطين. إن الرصد والتوثيق وترتيب المادة وتصنيفها وتسجيل مطالع القصائد، وعدد أبياتها، والبحور التي نظمت على إيقاعاتها.. ليس بالأمر اليسير، وليس بمكنة الباحث المتعجل أو المتلهف على حيازة الدرجة الأكاديمية، حتى وإن كنا لا نملك الوسائل التي تدلنا على درجة الشمول. ولقد أفادت دراستنا هذه من الرسالة إفادة مقدرة، بخاصة في الاهتداء إلى مواقع النصوص الشعرية (التي قالها شعراء السعودية بالطبع،لأن الباحث لم يتجاوز حدود المملكة بأية درجة من الموازنة أو المقارنة) – وتتأكد الأهمية البالغة التي اكتسبتها رسالة «الكفاح الجزائري في الشعر السعودي» – حين نلاحظ الأثر السلبي الذي تركه غياب نظائر لها تعنى بما أبدعه شعراء أقطار الجزيرة العربية والخليج في الموضوع الجزائري. لقد تفوق شعراء المملكة العربية السعودية في الناحية الكمية وهذا ما تنطق به الأرقام، وهو أحد معطيات التعداد السكاني وتنوع البيئات المكانية والثقافية، ولكن الجودة الفنية لن تكون عنصرًا ينصاع تمام الانصياع للكثرة العددية، أو السبق الزمني، أو القرب المكاني.. فأسباب التفوق الفني تبدأ من قدرة المبدع الذاتية (الاستعداد الفطري) وتكوينه الثقافي (تمثّله لثقافة أمته ومعارف عصره) ودوافعه الخاصة والعامة وصلته بالمتلقين، بما يمثل أهداف الشعر كما يتصورها ورسالته كما يحققها ويتحقق بها. وهذا قد يخضع للسياق التاريخي وقد يقطعه صانعًا طفرة فيه، ومن ثم نرجح أن في نتاج شعراء اليمن، وعمان، وسائر أقطار الخليج قصائد تستحق أن تأخذ مكانًا في الذاكرة

القومية، ولكن غفلة الدراسات الأدبية والنقدية عنها، أو إهمالها لها، قد يوصل إلى فقدانها، وهو وما حاولت دراستنا هذه – قدر طاقتها في الزمن المأذون به لإنجازها – أن تنهض به.

لن نحاول أن نعرض بالنقد لمنهج رسالة «الكفاح الجزائري» – فهذا يخرج بدراستنا عن غايتها، حتى وإن انتهى مطافه إلى التعريف بشعر الخليج والجزيرة العربية الذي فجر الوعي بالثورة الجزائرية والإيمان بضرورة مؤازرتها بكل الممكن، مع هذا فهناك بعض جوانب مفتقدة كانت جديرة بإشباع رغبة المتلقي في تذوق النص، والثقة بتميز قائله والاطمئنان إلى جدارته وخصوصيته، فهذه الدراسة على امتدادها وإسهابها لم تتضمن نص قصيدة بتمامها، باستثناء قطعة قصيرة (١٠ أبيات) للشاعرة ثريا قابل – بعنوان «وشاء الجهاد» (ص ١٤٤) وهي ليست من فائق الشعر ولا متوسطه، ومع هذا خطفت اهتمام الباحث لطرافة موضوعها، وهو ما قيل من أن فقد البصر يتهدد عيني جميلة بوحيرد، فعدها من قصائد الرثاء لحاسة البصر، وأنه تحقق فيها الوحدة الموضوعية.. إلى آخر ما ذكر وكأنما انفردت القطعة بهذه الخصائص. كان من المهم – فيما نرى – أن ينتخب الباحث عددًا محدودًا من القصائد، يسجل نصها كاملاً موثقًا، يراعي في اختياره أن يكون محققًا للتفوق الفني الذي يتيح للدراسة النقدية أن تجد مجالاً لحيويتها وجدارتها بأن تكون كاشفًا عن الجمال، ووسيطًا مقبول الشهادة بين المبدع والمتلقي.

ويتعلق بهذا أن الدراسة الفنية بدأت ببناء القصيدة، وحقها أن تنتهي به، وكذلك اعتد الوزن الشعري فارقًا بين المقلدين والمجددين، فمن أخذ بالبحور الخليلية واتساق القافية فيها مقلد، ومن أخذ بنظام التفعيلة مجدد، وستدل قصائد شعراء السعودية، وغيرهم أيضًا، أن الأمر لم يكن كذلك.

وفيما نتصور أن ما نظنه العدل بين القصائد قد يكون دليلاً على غياب العدل بين الشعراء، فهنا نجد (في إطار الموضوع نفسه) شاعر القصيدة الواحدة، وشاعر القصائد الكثر، والشاعر العروضي، وشاعر قصيدة التفعيلة، والشاعر الذي حاول التجريب أو المزج بين الإطارين، بل نجد شاعرًا (عبدالله عبدالوهاب العباسي) يصنع ديوانًا للجزائر، يطلق عليه: «ديوان النار والزيتون في الجزائر» ويأخذ في جملة كل قصائده بنظام التفعيلة

و كتابة، وإن اعتمد البحر الشعري في بعض منها . إن شعراء مثل العباسي، والسنوسي، والبواردي، والغزاوي، والقرشي، كانوا بحق تعدد القصائد ومحاولات التجريب يستحقون أن تفرد لهم فقرات خاصة ترعى جانب الامتداد والخصوصية والتنوع في قصائدهم، وأن يأخذوا مواقع ظاهرة، ليس باعتبارهم روادًا (تأسيسًا على السبق الزمني) وإنما باعتبارهم دعائم الاستمرار وعازفي اللحن الأساسي وصانعي التوجه العام في منظومة الشعر السعودي. لقد ساوت الدراسة بين صاحب الواحدة – بصرف النظر عن المستوى – وصاحب القصائد الطوال المجودة، ما دام كلاً منهما يقدم – تحت العناوين الفرعية – مقاطع تستجيب بتقديم الشاهد المطلوب في هذا الموضع، وعلى حد عبارة الجاحظ وقد أجراها على لسان أحد بخلائه: هذا ليس من الإنصاف، وهذا يخرج علينا فضلاً كبيراً!!

لقد بذل الباحث عبد الله بن عودة بن عياد العطوي – جهدًا إحصائيًا ذا قيمة، ولعله حاول تقديم أصحاب الامتداد في التجارب والاستمرار في الزمن من الناحية الكمية، بأن رتبهم تنازليًا حسب أعداد القصائد – وأعداد الأبيات في جملة هذه القصائد، (ص ٣٨٣ وما بعدها) – وهذا مؤشر له تقديره، ولكنه ليس المؤشر الكاشف عن الخصوصية الفنية أو التفوق الموضوعي أو استقرار النمط الأسلوبي. مع هذا أضاءت رسالته مساحة شاسعة من شعر الجزيرة العربية بالنسبة للموضوع الجزائري، تستحق به أن تذكر بكونها دراسة موازية لما نقوم به شاملاً شعراء الجزيرة والخليج.

****

القسم الثاني

قراءة في الديوان المختار
(مائة قصيدة وقصيدة)

١ - تمهيد

في القسم الأول تحركنا - بالخطوة السريعة - بين خمسة مداخل تفضي إلى الديوان ولا تحيط بصفته، أردنا بها أن ندل على اتساع الظاهرة، وامتدادها، وتعدد طرائق الاقتراب. أما هذه القراءة التي نحن بصددها فهي شأن آخر له منهجه المختلف، وضفافه المحددة، بهذه القصائد التي وقفنا بها عند الرقم (١٠١) ولكي يكون أمرنا معها واضحًا فقد جعلنا نص القصيدة (أو نصوص القصائد) هو المرتكز الذي نبدأ به ومنه، ونعود إليه، وليس الشاعر في ذاته أو في جملة إبداعاته أو ملابسات حياته، ما دمنا قد وضعنا خطة هذه الدراسة على أن محورها الأساسي هو تجميع أكبر عدد يمكن الوصول إليه من القصائد التي صنعها شعراء الخليج والجزيرة العربية وموضوعها الجزائر وطناً أو جهادًا وتحريرًا، أو شخصيات، أو مناسبات وتهنئات، مدحًا لها أو هجاءً لخصومها. لقد حاولنا - ما وسعنا الجهد والوقت المتاح - أن نحصل على كل ما بلغنا عنه خبر مكتوب أو شفهي، وأن نوثقه ونؤكد انتسابه ونصه. ولعل هذا قد أدى إلى نتيجة كانت - بدرجة ما - متوقعة أو محتملة، لكنها بعد قراءة القصائد أصبحت حقيقة ماثلة - هي أن هذه القصائد - على كثرتها النسبية - لن تكون - إلا في حالات نادرة - أجود قصائد قائليها، أو بعبارة أخرى: إن خطوات ومرامي القصيدة التي تقال بقصد الإشادة القومية، أو إظهار المساندة لإخوة الدين أو الدم، ستظل ذات آفاق قريبة، ومحددة، مما يمكن أن يؤدي - وقد أدى في حالات ليست قليلة - إلى غياب الخصوصية التي تدل على الشاعر وتكشف عن قدراته الفنية، ذلك أننا نوافق سلفًا على أن جميع الشعراء الذين كتبوا قصائد في الموضوع الجزائري إنما كان باعثهم الشعور القومي ووحدة المصير العربي، والإيمان الديني والغيرة على أرض الإسلام أن تدين لغير المسلمين، وأن« تتفرنس» علانية في القرن

العشرين بفعل سلطة في بلد يعلن نفسه أنه أحد مؤسسي قيم الحرية في العصر الحديث (ولا منازعة في هذا) ولكنه بالنسبة لغير العنصر الأبيض يتحول إلى جلاد ومصاص دماء ومزور هوية وعدو للحرية. هذا هو الإطار «المعنوي» الذي ساقت إليه المناسبة، وهنا نشير إلى بعض الأمور التي ينبغي وضعها في الاعتبار؛ أولها تدل عليه إشارات تصدرت عددًا من القصائد تحدد المناسبة التي أعدت القصيدة لتلقى على جماهير محتشدة بهذه المناسبة. وهذا الأمر الذي يتحسبه النقد ويحاذره ويضيفه سلبًا على قصيدة المناسبات، بذريعة أن واعز «المناسبة» خارجي، مفروض أو مفترض، وليس نابعًا من وجدان الشاعر ودوافعه الروحية المنبثقة من وعيه الداخلي بالموضوع الذي يشكل قاعدة تجربته. من هنا تنشأ تهمة الافتعال، والتلفيق، والسطحية، ولكن من هنا أيضًا، من مخاطبة الجماهير بالشعر، تتولد حالات ينبغي وضعها في الاعتبار، ويتضح ما نعنيه ونحرص على إعادة النظر (النقدي) فيه، إذ يدرك الشاعر أن قصيدته ليس لها من طريق إلى المتلقين غير آذانهم، فهي قصيدة «سماع» ، وليست قصيدة قراءة، وبين النوعين فرق، نظلم الشعر كما نحرف النقد إذا أغفلناه، كما يدرك الشاعر – قبل أن يجد نفسه في مكان الاحتفال – أنه سيأخذ موقعه بين أنداد من الشعراء، وأنه – لهذا الاعتبار – يجب أن يبذل جهده في إضفاء ما يمكن أن يعد «مفاجأة» تتجاوز المألوف المتوقع، قد يكون – كما سنرى – تنويعًا في الإطار الموسيقي، أو إطالة غير مألوفة في ترديد معنى أو عبارة، أو تجاوزًا في هجاء العدو يصل حد السباب والفحش، بل وإنكار الحقائق المشاهدة والزعم بضدها!! – منذ أن ألف «والتر – ج. أونج» كتابه «الشفاهية والكتابية» – عام ١٩٨٤، ومنذ ترجمه إلى العربية الدكتور حسن البنا عز الدين، ونشرته «عالم المعرفة» (١٩٩٤) استقر في الإدراك النقدي العام أن الجماليات الشفاهية تعد درجة أدنى، والحقيقة أنها درجة مختلفة، وأنها لا تزال تشغل مكانها وتنهض بوظائفها استجابة لاستمرار دواعيها النفسية والاجتماعية، وهذه الإشارة تغني عن تكرار القول والاستطراد في طرح قضايا الشفاهية في ما بين أيدينا من شعر، وكيف أنها أسهمت في بناء القصيدة، كما أسهمت في تشكيل عناصرها والكثير من صورها، بدرجة ربما تأذن لنا بأن نقول إن قصائد الموضوع الجزائري، على كثرتها، توشك أن تصنع لوحة جدارية ممتدة، تداخلت فيها الخطوط والألوان وتشابكت فيها

الحركات والوقفات، وتماثلت الملامح واللواعج، فأنت - في أي موقع تقع فيه العين على امتداد الجدارية، ومن أية زاوية نظرت إليها، تجد بصرك - لا محالة - يزحف إلى الأجزاء البعيدة، ويتعقب الخطوط والملامح، لتستكمل المشهد، الذي لن يكتمل إلا ببلوغ الضفة الأخرى، أو حافة اللوحة.. آخر قصائد الديوان.

لقد أباح لنا هذا التقارب الذي يبلغ درجة التوحد أحيانًا، أو أتاح لنا، أن نقرأ هذا الديوان قراءة مزدوجة: أفقية أولاً، ترعى أوجه التميز المشتركة في قصائد الديوان، ثم رأسية ثانيًا، تتمهل (قليلاً) عند قصائد بعينها كانت لها خصوصية صياغية وبنائية تجعل زمنها نموذجًا مختلفًا في بعض ما تنطوي عليه. إن القراءة الأفقية ستتعامل مع قصائد الديوان وكأنها تلك اللوحة الجدارية الممتدة التي أشرنا إليها، وهذا الأمر تقبله - أو تطلبه - القراءة النقدية لديوان الشاعر متعدد القصائد، وللمجموعة من القصص القصيرة كذلك. وهنا فرق نوضحه حتى لا يلتبس الرأي، فالشاعر هو المسؤول عن ترتيب قصائد ديوانه، والقاص هو الذي اختار قصص مجموعته ورتبها على نحو محدد، من ثم لا تثريب على النقد في أن ينظر إليها نظرة كلية، وأن يجتهد في تفسير الاتصال أو الانقطاع بين بعض منها والبعض الآخر، أو تأويله، بما يثري المعنى الكلي والأسس الجمالية التي نهض عليها هذا المعنى. فيما يتعلق بهذه المختارات فإن هناك اختلافًا لا يمكن إغفاله، فهذه القصائد ليست لشاعر واحد، وإنما صنعها شعراء كثر منتشرون على مساحة من الأرض شاسعة، كما أن هذه القصائد لم نرتبها زمنيًا (ولا نملك إمكانية هذا إلا بالنسبة لعدد محدود حين يذكر الشاعر مناسبة القصيدة، أو تصف بعض أبياتها هذه المناسبة) وإنما رتبناها ألفبائيًا (هجائيًا) على أسماء الشعراء ثم على أحرف العنوان، وكان هذا أجدى فيما نتصور، لأن وضع عنوان للقصيدة اكتشاف عرفه الشعر العربي الحديث، نجده في ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي في طبعته الأولى (عام ١٩٠٠) ولا نجده في ديوان محمود سامي البارودي، على جلالته وعظيم أثره. كان الشاعر القديم يعرّف القصائد بأوصافها أو بالشطر الأول منها، مثل المعلقة، واحر قلباه، يا ليل الصب، أما في مذاهب النقد الحداثي فهناك من أولى عنوان القصيدة أهمية بالغة، حتى عده «عتبة أولى» تفضي إلى ما بعدها، وتنطوي على خصائصه وسماته، وهذا الترتيب الألفبائي الذي يغري بالقراءة

الأفقية يتقاطع وقراءة رأسية، تستصفي عددًا محدودًا من القصائد لتقدم عن كل منها قراءة شاملة، تكشف عن أهم عناصر البناء الفني المميز لها. وهذا الشمول المرتقب لا يخرج عن خطة الإيجاز التي تلتزم بها.

لقد قدم بعض الشعراء عددًا من القصائد في الموضوع الجزائري تصنع ديوانًا أو توشك أن تبلغ حجم الديوان الصغير، لقد كانت سبع سنوات من الحرب الضارية التي لا هوادة فيها، وتقلب الحالات والموازين واقتران هذه السنوات بأحداث ومواجهات على امتداد الأرض العربية.. كافية لتحفيز موهبة الشاعر الذي لم ينظر إلى ما يتصل بالقضايا العربية الكبرى - في تلك الزمن - على أنه فرض كفاية، أو أنه تكفي «قصيدة» لإثبات المشاركة وإسقاط حرج الصمت، لقد كتب أحمد السقاف قصيدته بعنوان: «في مهرجان الجزائر»، وفيها يذكر الأثر الإيجابي لحرب رمضان (٦ أكتوبر ١٩٧٣) بما يقرب إلينا تاريخ القصيدة ومناسبتها، - وفيها يقول عن علاقته بالجزائر:

أنا من تغنّى باسمها
ولهان مذ عشرين عاما
نبّأتها النصرَ المبين
وهجتُها شعبًا هماما
شعبًا بمليون من الشّـ
ـشُهداء قد سحق الطغاما
لم يخش حلف الأطلسي
ولا المهالك والحماما
أوراسُ أجّجها فبرْ
زَ بها أساطيرَ القُدامى

إن عشرين عامًا قضاها الشاعر في ولهه بالجزائر تؤكد صدق عاطفته في اقتحام التفاصيل: الشهداء، وحلف الأطلسي، ورمز جبل الأوراس. وليس الشاعر السقاف حالة استثناء، فمثله عبد الله سنان، وسعد البواردي، وأحمد الغزاوي، وحسن عبد الله القرشي، وصالح الأحمد العثيمين. وهذا الشاعر - العثيمين - اختار لديوانه الشامل

عنوانًا هو «شعاع الأمل» ، وهذا العنوان الشامل هو بذاته عنوان قصيدة بعينها، مهد لها بقوله: «قيلت على لسان جزائري مجاهد، بمناسبة تولي دكتاتور فرنسا الجنرال ديجول مقاليد الحكم، وما عرف عن ميله إلى العنف والشدة» . وإذا كان النقد يرى في عنوان القصيدة بذرة تنطوي على أسرار تكوينها، فإنه – بالمثل – يمكن أن نتفحص القصيدة التي تتصدر الديوان، ويحمل اسمها، من منظور هذا الاحتواء الإمكاني، فنعدها «البذرة» التي تنطوي على «الشجرة» ، من ثم تكون قصيدة «شعاع الأمل» حجر الزاوية، المشكل لبنية القصائد في الديوان، والتي احتضنت – تحديدًا – سر القصائد الخمس الأخرى (الموكب الظامئ – الجزائر – الجزائر المجاهدة – نداء جزائري – موطني) – بل إن الشاعر عبد الله عبد الوهاب العباسي، مضى إلى خطوة أبعد، حين أصدر ديوانًا كاملاً بعنوان: «النار والزيتون في الجزائر» يتضمن إحدى وعشرين قصيدة (ثلاث منها من الموزون المقفى وثماني عشرة أخذت بنسق التفعيلة) وتلتقي على الجزائر ونضال رجالها ونسائها وتضحية أطفالها...إن طبعة الديوان الوحيدة – وقد صدرت في مدينة جدة – لم تحمل تاريخ النشر، ولكن متابعة الباحث عبد الله العطوي، في دراسته (المخطوطة) بعنوان: «الكفاح الجزائري في الشعر السعودي» وجدت مقالاً نقديًا ترحيبيًا للديوان، في مجلة المنهل – عدد ذي الحجة ١٣٧٧هـ (يونيو ١٩٥٨)، وفي هذا ما فيه من فورة الحماسة واستجابة الموهبة، هذا ولم تكن الحرب الجزائرية انتهت،أو بدت تنذر نهايتها، بل على العكس، كان ديجول قد أصبح رئيسا للجمهورية الفرنسية، وأظهر – في البداية – من التشدد ومضاعفة الحشود ما ينذر بالعودة إلى نقطة البدء، ولكن صلابة المقاتل الجزائري، وتماسك موقف القيادتين الميدانية والسياسية، كانت ذات أثر إيجابي واعد في أقطار المشرق العربي، وعند مثقفيه خاصة.

إن هؤلاء الشعراء الذين تعددت تجاربهم، وواكبت مراحل الثورة الجزائرية منذ يومها الأول (أول نوفمبر ١٩٥٤) وحتى توقيع صلح إيفيان (١٩مارس ١٩٦٢) قدموا بنتاجهم الحافز الكافي لهذه القراءة الأفقية، وبخاصة أن هذا الدفق المتوحد الاتجاه ارتبط بالسنوات السبع، وهذا بدوره يقارب بين الوسائل لتقارب الغايات، ومن المسلم به، المنطقي، أن القراءة الأفقية لا تساوي بين القصائد، وإنما تؤثر المشترك بين الأكثر، كما تؤثر الانفراد في القراءة الرأسية.

٢ - العناوين

بين أيدينا مائة قصيدة وقصيدة، ولكن ما نجد لها من عناوين دون هذا العدد، وقد علل الفيروز بادي (صاحب القاموس المحيط) ما تعنيه كلمة «العنوان» حين تضاف إلى الكتاب بأنه «سمي لأنه يعن له من ناحيته. وكلما استدللت بشيء يظهرك على غيره فعنوان له» . وما يعن لشاعر قد يعن لغيره دون قصد، لأن العوامل الاجتماعية والدوافع في الزمن نفسه تمارس ضغوطها وتوجه تحولاتها النفسية بحيث لا يستبعد أن تتماثل الكلمتان.

من ثم سنجد «الجزائر» عنوانًا مفردًا محددًا لخمس قصائد لشعراء من الكويت، والسعودية، والإمارات العربية المتحدة، وكذلك يتفرد اسم «جميلة» أو «جميلة بوحيرد» بأربع قصائد لأربعة شعراء من السعودية والكويت واليمن. أما إذا تعقبنا لفظ «الجزائر» في كافة تراكيبه وعلاقاته فإننا سنستعرض قصائد الديوان كلها تقريبًا، ويكفي أن نذكر علاقة الإضافة التي تكررت أربعًا وثلاثين مرة، يحقق تقصيها أمرين: فيبرهن – من وجه – على عبارة الفيروز بادي: «كلما استدللت بشيء يظهرك على غيره فعنوان له» ، وهذا مدخل بنيوي لقراءة القصيدة مضمرة أو مكثفة في عنوانها، الذي يعد «أيقونة» تؤسس للنص وتحدد مساره محققًا مستويات من التناظر بين هذا العنوان/ الأيقونة، والخطوط أو الخطوات المؤطرة للنص، المحددة لمعالمه. قد يبدو العنوان مجرد كلمة، مثل «الجزائر» أو «جميلة» أو «صور» ، ولكن هذه الكلمة تتصدر قصيدة، تأخذ موقع العنوان تؤدي جملة من الوظائف، أولها إجمال الرسالة التي تحملها القصيدة، ولهذا الإجمال شروط منها ألا يكون مباشرًا مكشوفًا محددًا بطريقة تعطل نشاط المتلقي في اتجاه الاستكشاف والتفسير أو التأويل. إن قراءة قصيدة هي حالة من المواجهة المنفردة التي تؤدي فيها الكلمات دور الإثارة، أو الغواية، وإن عنوان القصيدة يمثل باب الولوج، وقد يشاركه الاستهلال (أو المطلع) في أداء هذا الدور الاستدراجي للاستمرار في القراءة، ولعله لهذا السبب – يندر – بوجه عام – أن يقتصر العنوان على كلمة منفردة، على الرغم من أن دلالة هذه الكلمة المنفردة لن تكون علاقة «حياد موضوعي» بقوة القرائن الاجتماعية التي استدعتها. إن قصيدة تنشر الآن بعنوان «جميلة» قد توسع من آفاق التوقع حسب الخبرات والممارسات

المختزنة عند المتلقي فيظنها قصيدة غزل، وربما حسبها بنيت على مفارقة لتعني القبح في بعض مظاهره، ولكن إبان معارك الجزائر لم تكن في الأمة العربية كلها غير «جميلة» واحدة هي البطلة الجزائرية، وبهذا كان لهذا العنوان انحيازه وإيقونيته البعيدة عن الالتباس. إن الموقف الجمالي للتلقي، الذي يتأسس على متعة القراءة يبدأ تفاعله حال توجه القارئ في أن يكون منتجًا (مشاركًا في انتاج المعنى) وهذه العملية تبدأ مع قراءة العنوان الذي لا يلبث أن يستثير مراكز التفكير ويدفعها في اتجاه الاحتمالات، لأن المعنى – أي معنى – هو بطبيعته اختيار من إمكانات مختلفة، يفتح على اختيارات أخرى تتوالد مع امتداد القصيدة. هذه العملية الممتعة تتأثر سلبًا أو تتوقف في إحدى حالتين تعرضان للعنوان: أن يكون واضحًا وضوحًا قطعيًا أكثر مما ينبغي، أو يكون – على العكس – غامضًا مستغلقًا يصل حد الإلغاز الذي يسلم بعد الوهلة الكاشفة أو المستكشفة إلى عبث المحاولة، وأن الثمرة المرتجاه لن تكون مكافئة في قيمتها للجهد الذي يبذل في سبيل الحصول عليها.

(لقد استخدم كبار الشعراء عناوين ذات تكوينات مختلفة، قد تكون من كلمة واحدة مثل «فضة» أو كلمتين بينهما رابطة الإضافة/ مثل: «إله الحب» أو كلمتين بينهما رابطة العطف مثل: «الشباب والشيخوخة» ، كما قد يطول العنوان مثل: «في الساعات الأخيرة من الليل» أو: «في وداع بعض الأصدقاء في ساعة مبكرة – وقد ترجمنا هذه القصائد عن الإنجليزية – انظر فصل: التصوير وألوان المجاز – من كتاب: اللغة الفنية – دار المعارف بمصر – ١٩٨٥).

أما الأمر الآخر الذي يؤدي إليه تقصي عناوين القصائد (ونعني هذه المختارات) فإن هذه العناوين ستضع بين أيدينا العناصر، أو المفردات المكونة لقصائد الديوان، لا نعني حدود ذاك المستوى من القراءة الذي ألمحنا إليه في الفقرة السابقة.. أن نقرأ الديوان وكأنه قصيدة واحدة ممتدة، وإلا فإن ما نحاول استخراجه هو تحصيل حاصل، وإنما نعني أن هذه العناوين في حقولها الدلالية قد جمعت الأحوال التي تطرق إليها كل ما قيل في الموضوع الجزائري من شعر، على الرغم من أنها تمثل أكثر من ثلث قصائد الديوان على

التقريب (٣٤ قصيدة يتكون عنوانها من اسم الجزائر مضافًا - من بين ١٠١ قصيدة) وحتى لا نقع في الإطالة نكتفي بالعناوين التي أضيفت فيها إلى الجزائر صفة، فتحتاج إلى تقدير ليكتمل ركنا الجملة:

استقلال الجزائر - أفراح الجزائر (قصيدتان بالعنوان نفسه) انتصار الجزائر - أهل الجزائر - بطولة الجزائر - تحية الجزائر - ثورة الجزائر - ثوار الجزائر - جهاد الجزائر - صوت الجزائر - غضبة الجزائر - نشيد الجزائر - نكبة الجزائر - وداع الجزائر - ونختم بالإشارة إلى أربع قصائد لأربعة من الشعراء (أحدهم من الكويت وثلاثة من السعودية) اختاروا «يوم الجزائر» عنوانًا لقصائدهم؛ وهذا الاختيار الأخير له جذر في تراث الجزيرة بصفة خاصة، إذ كانت المعارك تحمل اسمًا يصبح علامة، بترديده واستيحاء خواصه التاريخية، مثل يوم حليمة (وما يوم حليمة بسر) ويوم واردات في الحرب بين بكر وتغلب، ويوم الفجار، وفي القرآن الكريم (ويوم حنين)، ويضاف إلى هذا الجذر التاريخي أن هذه القصائد كانت ذات طابع احتفالي، إذ يقام يوم لمناصرة الجزائر تفتح فيه أبواب جمع التبرعات، وهو يوم رمز يبدأ فيه العمل، ولكنه يظل مفتوحًا على الزمن الآتي إلى أن تنقضي الحاجة إليه.

إن العناوين في تشكيلها اللغوي والدلالي تستطيع أن توفر لنا أنواعًا من تقدير المحذوف لتكتمل أركان الجملة ويستقر المعنى، هذا فضلاً عما ألمحنا إليه قبل من احتواء عناصر القصيدة (القصائد) في هذا الموضوع الجزائري، فقد جاءت «الجزائر» مبتدأ في عدد من العناوين، منها: الجزائر تستغيث، الجزائر في نضالها المجيد، الجزائر المجاهدة - كما جاءت خبرًا في: من للجزائر. إن هذا المستوى النحوي يخدم البنية الإبلاغية للكرم (وقديما قالوا: الإعراب فرع المعنى، وإن كنا نرجح أن العكس هو الصحيح) - وتهيمن هذه البنية الإبلاغية على عدد من عناوين القصائد بهدف قائلوها إلى تحديد مواقفهم من حدث اقتحم عليهم حياتهم ووضعهم في موقع الاختيار، من ثم نجد قصائد بلغت عناوينها درجة من الوضوح والتحديد الذي لا يترك مجالاً لإعمال فكر المتلقي في اتجاه الاحتمالات الممكنة، مثل: تحية البحرين إلى الجزائر - تهنئة إلى شعب الجزائر المجاهد - تهنئة

بالنصر والاستقلال - إنها جمل مكتملة الأركان، تبعث برسالة محددة، وهذا يلقي مهمة صعبة على استهلال القصيدة، وهل باستطاعته أن يرسل إشارة تثير رغبة التلقي أم يظل المعنى حبيسًا وراء جدران العبارة.

بعض العناوين تجاوزت البنية الإبلاغية، إلى البنية التصورية وهذه البنية تتجلى في طرح سؤال أو استفهام، يثير تلقيه البحث عن جواب، كما تتجلى في تجسيد المجرد وتقوية عنصر التخييل. وبهذا الحد يقترب التصور من التصوير، ولكن دون التصوير محاذير، وكما هو متوقع فإن في الصور ما هو مستهلك أو مألوف، فتضعف مكانته في المجاز إن لم يفقدها فقدًا كاملاً، ومنها ما هو جديد طريف، إننا ننظر إلى عنوان مثل إلى الجزائر، أو إلى الجزائر الحبيبة، على أنه بنية فقدت مجازيتها، وليس يكفي أن نقيسها على قوله تعالى [واسأل القرية] فيكون إلى الجزائر، بتقدير: إلى أهل الجزائر أو: إلى أبطال الجزائر!! فمثل هذا التقدير أصبح من المألوف الذي لا يثير الفكر أو الخيال، وليس هكذا عنوان آخر بذات الصياغة النحوية، ولكن طاقته التصويرية تختلف، مثل: إلى جبل الأوراس، لأن هذا الجبل - في زمانه وإلى اليوم - تجاوز أن يختزل معناه في أهل الأوراس، أو أبطال الأوراس. نحن نعرف أن الكلمة إذا جاوز ترددها في نص، أو في مجموعة نصوص، معدل الاستخدام العام تحولت إلى المستوى الرمزي بقوة هذا التردد ذاته، وفي حرب التحرير الجزائرية كان اسم الأوراس قادرًا، بدرجة التردد العالية، والبطولات التي تنسب إلى مقاتليه، واستعصائه على أن يقتحمه العدو، أن يشغل بؤرة الرمز البطولي، وأن يكون اسم الجزائر تابعًا له، مضافًا إليه مع أن الواقع - الجغرافي والسياسي والتاريخي - يقرر عكس ذلك، ومثله: على مشارف أوراس. أما التصور فإنه قد يأتي في صيغة سؤال مباشر، مثل: أحقاً نحن في أرض الجزائر أو: حيوا الأباة، وقد تنتمي بعض العناوين لبنية الجاذبية، معتمدة على ادعاء ما لا يكون ممكن الحدوث، مثل: أم المليون، ومثل: صنعاء في الجزائر، أو الاعتماد على الغموض المغري بمحاولة جلائه وكشفه، مثل: قالت غيور، والنسر السجين. هذا العرض لبعض عناوين القصائد يبرهن على حقيقتين، إحداهما سبقت الإشارة إليها وهي أن هذه العناوين اختزلت المحتوى المشترك الذي تمدد في نسبة عالية من القصائد، وهذا ما ستبرهن عليه القراءة الأفقية

التحليلية. الحقيقة الأخرى أن الكثرة الكاثرة من العناوين لم تستطع أن تبارح الوصف العام المستمد من الجو العام المشحون بأحداث الصدام وما تردده الصحف والإذاعات، وكأنه يعيد إنتاج ما أنتج، أو يلقي خبرًا متوقعًا مثل: أفراح الجزائر، أو الجزائر تستغيث، أو بطولة الجزائر.. إلخ. إن هذه العناوين - ومثلها كثير - قامت بوظيفتها الإبلاغية حينها، فأدت وظيفتها في مطلبها المرحلي الدعائي الكاشف عن انحياز الشاعر لما تنحاز إليه جماهير قرائه، ولكن الاتصال الجمالي بين الشاعر والمتلقي كان يتطلب جهدًا يحقق شعرية العنوان، لتكون داعمة لشعرية القصيدة، ومدخلاً منسجمًا معها، مغريًا بقراءاتها، وهذه الشعرية تتحقق بمراعاة أصول الجمالية أو الأدبية في صياغة العنوان بأن يكون قادرًا على اجتذاب انتباه المتلقي، بدءًا من بناء الكلمة أو الكلمات، والأصوات التي تكونت منها، وقدرتها على إثارة أفق دلالي يحيل مع القراءة إلى ما تدفع صور القصيدة وإيقاعاتها إلى تمثله من آفاق، وبهذا يبدو العنوان أدبيًا (شعريًا) بقدر ما يتأكد التحامه بجسد القصيدة وصحة تمثله له، ليس من خلال التلاعب بالكلمات، وإنما من خلال استبطان التجربة، وهذا مفترض أساسًا في دافع إنتاج القصيدة، وهنا مساحة لنقاش نظري قد لا يفيدنا التوسع فيه، فهل عنوان القصيدة يرتبط بمطلعها، أو بأبيات الاستهلال فيها، وبهذا يكون حاضرًا وحاكمًا لبدايتها، أم أنه - على العكس - وإن أخذ مكانه في صدر القصيدة فإنه آخر ما يتواطأ الشاعر على صياغته، وبعد أن يتأمل مسار قصيدته،أم أن العنوان بمثابة «كبسولة التفجير» ، يبدو منفصلاً بقدر ما هو معد سلفًا لأداء مهمة محددة؟ غير أن بعض هذا يبدو في اختيار عدد من العناوين، مثلما فعل عدنان النحوي الذي اتخذ من شطر المطلع عنوانًا: «دم الجزائر فوار بساحتها» ، وهذا المسلك الذي يحيي أو يستعيد تقليدًا تراثيًا، قد حقق الشعرية في بناء العنوان، ليس لأنه دخل في موسيقا القصيدة دخولا متمكنًا (البحر البسيط) وحسب، وإنما لأنه وازن بين التصريح والتلميح بذكر مفردات على قدر من التصادم، (فالدم في ذاته علامة مثيرة لا نتقبلها في سلبية وإنما نتحفز لنكتشف مصدره ودوافعه - وهذا الدم الفوار في ساحة الجزائر، والدم دمها وليس دم الأعداء، والساحة ليست ميدان قتال بالطبيعة) وهذا بدوره يستدعي نشاط المخيلة بهدف الكشف، والرجوع بحالة الصدام (الذهني) إلى حالة التوافق ومنطقة المعنى

(أن يبدو منطقيًا مقبولاً) وهذا لن يتحقق إلا بالاستسلام للتجربة والتفاعل معها، وربما إعادة تشكيلها لتغادر بناء الشعر وتستقر في ذاكرة المتلقي على أبنية (أو قواعد) الواقع.وهناك قصيدتان أخريان كان العنوان فيهما شطر بيت في سياق القصيدة وليس المفتتح: قصيدة: يأبى لنا الإيثار إلا نجدة، وقصيدة: إنما الحق لذي البأس، وهذا الاختيار توكأ على المعنى، وليس على الصورة، وبهذا خلا أو كاد من التشويق والإثارة، وقد يؤدي الإفضاء بهذا المعنى في العنوان إلى تراجع الشغف بالتلقي والرغبة في كشف المستور من القصيدة.

لم تتكرر مفردة «الدم» في عناوين القصائد بدرجة ملفتة، مع أن الدم والنار من ثوابت القصيدة في هذا الموضوع، بل نلاحظ اتجاهًا إلى إرسال البشائر وصور التفاؤل في العناوين، وهذا مؤثر فاعل في توجيه السياق، فالعناوين: شعاع الأمل – أفراح الجزائر – كأس النصر – فرحة شاعر – فرحة النصر – قف للجزائر – وغيرها – هي دعوة للارتفاع بالروح المعنوية، وإعلان ثقة في أن الجزائر ستفوز بما تتطلع إليه. في قصيدة واحدة ذكرت الدماء في تكوين مجازي غاية في الطرافة، إذ كان عنوان القصيدة: «لآلئ الدماء» وهذه العبارة في بناء آخر شطر في آخر بيت من القصيدة، وهي لشاعرة (ثريا قابل) التي أعلنت في قصيدتها أن المرأة العربية قررت مغادرة الخباء لتشارك في البذل، وأنها ستبذل ما تملك دون تحفظ – من كنوز لآلئها الدماء!! إن هذه العلاقة (التشبيهية) ذات حس أنثوي إذ تشبه النساء باللؤلؤ المكنون، كما أنهن يتخذنه زينة، فالآن اختلف جوهر التزين، وتحول اللؤلؤ إلى دماء.

ليس دائمًا ترتبط درجة الإبداع في العنوان بدرجة الإبداع في القصيدة، وسنصادف فيما بين أيدينا قصائد ذات حضور وتميز، استطاعت أن تتمثل التاريخ والحضارة وأن تملك ناصية اللغة القوية، والإيقاع الملائم، والامتداد المناسب، وأن تقول عن الجزائر وعن الأمة العربية، وعن المعركة الناشبة ما يجمل بالشعر أن يقوله، ومع هذا لم يستطع العنوان المختار أن يفضي – ولو بالقليل – الذي ينبغي عليه أن ينوب فيه عن النص، أو أن يفتح بعض المسالك لتلقيه. وقد نشير إلى شيء من هذا فيما يأتي، غير أن حالة من التوافق

الجمالي والتكامل المعنوي قد تحققت في عنوان وبعض قصيدة لم يتح لنا الحصول على نصها، وهو عنوان يجري في نطاق المألوف، ولكنه يجتذب دلالته بالإيحاء إلى أجواء التصدي للعدو والاستعداد لدفع ثمن الحرية. عنوان القصيدة «مهر فتاة أوراس» – للشاعر يوسف صالح السيف، وهذا المهر يستدعي من المأثورات الشعبية أفضلية ابن العم، وحرصه على حماية حريمه وقومه، كما يستدعي من الذاكرة الأدبية مقولة أبي فراس في قصيدته الرمزية العظيمة «ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر» ، أما شاعرنا السيف، فيخاطب من الجزيرة العربية حبيبته في أوراس قائلا:

أحـــبك حب الطهـــر للغـــصن والندى

وحب عظيم القـــوم للخـــيل والصـــقـــر

لقد جمع في هذا البيت الواحد أنبل مقاصد الحب، وجعل من علاقات الطبيعة صورة مناظرة (في علاقة تشبيه) وجعل الطهر قسيمًا في بناء معنيين، عن الحب أولاً، وعن الغصن والندى ثانيا، وبهذا التوسط تولدت صورة نادرة، فالطهر معنى فاعل في علاقة الغصن والندى. وهي علاقة طبيعية (فطرية)، وهذا المعنى في المشبه به انسحب إلى المشبه، وهذا شرط علاقة التشبيه، ولكنه تجاوزها إلى صورة ماثلة من صور النقاء المشاهد بالحواس ليكون مرجعًا للمدرك بالإحساس، وفي الشطر الثاني يستجد تشبيه آخر، يختلف، فيؤكد العمق والثراء والسمو، مستدرجًا النقاء في الطبيعة إلى ملاقاة النقاء في السلوك وأساليب العيش، حيث شارات السيادة، وهذا ما يتفق وإغلاء المهر لفتاة أوراس. العنوان يختلف بعض الشيء عن الكثير من الصيغ التي ذكرنا، لكنه تشكل من مفردات فيها جاذبية، وتصويرية، وفيها تواشج واضح مع هذا البيت المفرد (الفريد) الذي توقفنا عنده، وليس بمستبعد من بعضنا، وقد تكونت مرجعيته أو أكثرها من الخطب الحماسية والقصائد الخطابية، أن يتحرك أفق التوقع – كصدى للعنوان – في اتجاه إهدار الدم والتضحية بالروح، من ثم يصنع الحب في هذا المقام دهشة ومفاجأة، ويستعيد إلى الذاكرة شارات السيادة العربية، دون أن ينص على هذا.

لقد استلهمت بعض العناوين رموزًا عصرية متداولة في سياقات مختلفة، استدعاها الشاعر إلى مجال الحرب والقتال على سبيل الاستعارة، كما نجد في «كأس النصر» –

وهذا منقول عن مباريات الكرة، وأيضًا «في مهرجان الجزائر» ، المنقول عن حفلات الترفيه. وانفرد عبد الله بن عبد الوهاب بعناوين ذات طابع رمزي، لا توصف بأنها مستغلقة بقدر ما توصف بأنها بعيدة – لا تصل إلى موقع عملها في الذهن إلا عبر وسائط يحتاج المتلقي إلى استعداد (ثقافي) خاص لإقرارها في موقعها من القصيدة، من مثل: شحرور وشجر، والنار والزيتون، والصباح في الجزائر، ومثلها كثير مما سنعرض له في مكانه، فهذا الضرب من العناوين لا يوجه إلى الموضوع، ولا يستبعده، بقدر ما يحرك رغبة التعرف، التي قد تتأخر كثيرًا لتكشف عن وجه التواصل ليس بين الشحرور والشجر، فهذه علاقة تكاملية لا قلق منها، ولكن بين الشحرور والشجر والجزائر!!

وإذ كانت هذه الطائفة المختارة من القصائد قد صنعت قصدًا لمساندة حرب التحرير الجزائرية، أو إزجاء التحية للجزائر في مناسباتها السعيدة، فإن بعض القصائد آثرت أن تعلن المساندة في عنوانها بإظهار التوحد بالجزائر، إنها «موطني» في عنوان قصيدة، وفيها «قبر جدي» في عنوان قصيدة أخرى، ويوم انتصار الجزائر هو «يوم الجزائر» في عدة قصائد، و «يوم العروبة» في قصيدة معينة. وقد يتوعد حسن عبد الله القرشي – الفرنسيين، صراحة وتحديدًا ووعدًا وتبشيرًا في «سنسحق أعداءنا»، وأركان العبارة يحدد الساحق والمتوعد بالسحق، ولكن عنوان أحمد السقاف «اقتلوهم» ، يبدو مثيرًا صادمًا، إذ تتقبله القراءة على أنه أمر، أو طلب لمجاهدي الجزائر بأن يقتلوا أعداءهم، ولكن مفتتح القصيدة يصنع صدمة كما ينقلب بالطلب، ونعرف أن الدعوة المحرضة على القتل كانت من المستعمر المعتدي، من نسائه تحديدًا، تحريضًا على إفناء الجزائريين لأنهم تطلعوا إلى الحرية.

لقد تنفست موروثات مختلفة في صياغة عناوين القصائد، منها ما يتصل بالتراث، مثل اختيار شطر بيت ليكون عنوانًا، ومثل إطلاق كلمة «يوم» للدلالة على التميز، وما يتصل بالعرف والسلوك مثل إطلاق البشائر قبل أن يتم المأمول لتقوية الشعور ببلوغ النصر، وقد يعمد العنوان إلى مسخ الخصم بأن يطلق عليه «جنكيز خان» ، أو يتخذ من المناداة بموته عنوانًا، مثل «يسقط الاستعمار» ..ولكن العناوين المنحوتة من بذرة القصيدة المستنبتة في

ضمير الشاعر، المتخلقة بانفعالاته ستبدو أكثر تواشجًا مع القصيدة ذاتها، كما في ثلاثة عناوين لثلاث قصائد أبدعتها ثلاث شاعرات: ذرى الأوراس (جنة القريني) – لآلئ الدماء (ثريا قابل) في المؤتمرات التنكرية (فوزية أبو خالد).

لقد قدمت الثورة الجزائرية تجربتها التحررية إلى الأمة العربية، وإلى العالم، على أنها جهاد، وكان يطلق على مقاتلي جيش التحرير الجزائري «المجاهدون» كما كانت صحيفتهم تسمى «المجاهد» . وهذا الطابع الديني استقبلته حواس بعض الشعراء وترجمته إلى عناوين، وإلى مضامين متسربة في تشكيل المحتوى. من هذه العناوين إطلاق «جهاد الجزائر» عنوانًا لقصيدتين، وظهرت مفردة الجهاد أيضًا في «وشاء الجهاد» و «الجزائر المجاهدة» و «المجاهد الجزائري» ، كما أخذ «الفداء» مكانًا في عنوانين: «انتصار الفداء» ، و «أم الفداء» والفداء بمعنى التضحية له مرجعيته الدينية، وكذلك تكرر المقدس، في «كفاح مقدس» و «كفاح الجزائر المقدس» . ولعل هذه العناوين ذات المرجعية الدينية هي الأكثر تواشجًا مع تجربة القصيدة، وتوجيه معجمها اللغوي وإفساح المجال لاستدعاء شخصيات التاريخ وأحداثه، كما سنرى في فقرة تالية.

٣ - مفتتح القصيدة

وقد آثرنا هذا المصطلح متبعين فيه ابن طباطبا العلوي (في كتابه: عيار الشعر) على مصطلحات أخرى هي أقل تحديدًا مثل: ابتداءات، أو مطالع، أو استهلال، فليس شرطًا أن يكون المفتتح بيتًا، وإنما هو عادة بضعة أبيات تعد مدخلاً إلى القول الرئيسي الذي به يتحدد موضوع القصيدة، أو معناها أو رؤيتها، ومن المؤسف أن النقد الأدبي (العربي= القديم) ربط اهتمامه بالمفتتح أو مطالع القصائد بالتكسب بالشعر، فجملة المحاذير التي وجهها إلى الشعراء أن يحترزوا – من حيث لا يقصدون أو يشعرون – توجيه ما يمس ذوق الممدوح أو يثير تشاءمه أو يتطرق إلى ذكر شيء من حرماته أو خصوصياته.. الخ.

أما ياسين النصير – في كتابه «الاستهلال» – (الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة – ١٩٩٨) فإنه قدم دراسة حديثة، تستوعب معنى أن تكون القصيدة «تجربة» ، تحتضنها نفس الشاعر قبل التدوين، وترعاها زمنًا، فيكون هذا الاستهلال بمثابة النواة

المخصبة، ذات القدرة التوليدية الديناميكية الفاعلة، التي تؤسس لمسار المعنى في القصيدة وتمهد لتقبل منحاها العام، أو كما تقول عبارته: «الاستهلال مبتدأ يستوجب خبرًا، وإذا ألغي الخبر لا يصبح الكلام مبتدأ، والخبر الجيد هو الذي يصاغ من فاعلية المبتدأ» (ص ٣٨). سنفيد من هذا التصور في جملته، وإن كان يتسع للاستهلال أيًا كان النوع الأدبي، ولا يختص بالقصيدة في ذاتها، ولا يعني هذا أن الشعر نوع أدبي لا يخضع لشروط الإبداع العامة، ولكن يعني، أو ما نعنيه أن «القصيدة» شكل متجذر في تربة الإبداع العربي، وأنها اكتسبت تقاليد راسخة يصعب مجابهتها والتمرد عليها، من ثم ظلت سائدة دون مساس بها نحو ألف عام، ثم جاء «المساس» جانبيًا، أو جزئيًا لا يمس جوهر الشعر وقوالبه المأثورة وظل على هذا عدة قرون، أي إلى مشارف العصر الحديث. وهذا الموروث التاريخي – الذي بذل جهدًا في تبريره بالعلاقات الاجتماعية القبلية وما يسودها من تقاليد – قد تعرض مؤخرًا إلى اضطرابات عميقة (كما يرى النصير= ص ١٠٣) وسنجد أمثلة صالحة لهذا فيما بين أيدينا من قصائده دون أن نعدها اضطرابًا عميقًا أو غير عميق، فالشاعر في الخليج والجزيرة العربية شأنه شأن عامة المثقفين في أقطار الوطن العربي، يعيش مرحلة تعدد الثقافات، والاعتماد على الجهد الفردي في اتخاذ القدوة بقدر ما يعيش متفاعلاً – وهو يدري أو لا يدري – مع التيار الغالب في بلده، وأن يحلي كلامه بأحدث ما يظنه مؤثرًا ومبهرًا لقرائه.

لم تكن مفاجأة لنا أو تثير دهشتنا تلك المفتتحات التي استرفدت أقدم مقدمات القصيدة العربية (التراثية)، التي تتخذ من المرأة أو من الحب وما يثير من العواطف وما يترتب عليه من أفراح وآلام – مدخلاً إلى موضوع القصيدة، وقد افتن شعراء الديوان المختار في هذا المعنى، كما افتنوا فيما أطلق عليه النقد القديم «حسن التخلص» بكثير من التوفيق، ولعل بعض هذا يعود إلى شيء خفي من التناقض في التوقع بين ما يضمره الشاعر، وما يتوقعه المتلقي. إن الشاعر عبد الله بن علي الخليلي (في قصيدته : من وحي الجزائر) يستدعي أهم مفردات مشاهد الغزل، فيفتتح بها رسالة تقدير لدور الجزائر التاريخي وتضحياتها، وفخر به، وحب لأبناء ذلك القطر العربي:

١ - تحية ماسور الفؤاد سليبه
تخبطه مسًا فراق حبيبه
٢ - تحية من يبكي إذا الليل جنّهُ
ويضحك والأشواق ملء قلوبه
٣ - تحية ملسوع الغرام سليمه
تحية ماخوذ الفؤاد سليبه
٤ - رمته عروبُ الحسن من جانب الحمى
فخَرّ صريعا بين عِطْفَيْ عروبه

إننا في هذه الأبيات الأربعة أمام مفتتح «حالة حب» ، يتحدث فيها عاشق «بصيغة المفرد» عن معاناته تجاه محبوبة مفردة (عروب الحسن= جمعت بين التحبب والجمال) غير أنه يتدرج كي يحدث التحول الذي يريد بلوغه، فيبدأ (في البيتين ٥، ٦) في استخدام صيغة الجمع: أحبابي، سلام عليكم، ولكنه جمع يتقبل - بالعرف - أن يوجه إلى المفرد، فهكذا نلقي السلام في مواجهة الواحد، ولكنه - في هذا الاستدراج - يكون قد مهد للكشف عن أسرار معاناته التي أشار إليها سابقًا، وهي معاناة عاشق للوطن، وللمجد، دون أن يكسر الجو النفسي الذي بدأ به، فبعد «السلام عليكم» تأتي المصافحة:

٧ - يصافح في ريف الجزائر أيديًا
غذاها جلال الفخر فضل حليبه
٨ - مدينة ألفِ الألفِ من شهدائها
بأزكى دم هامَ الجلالُ بطيبه

وفي هذا المفتتح ظواهر أسلوبية تحتاج إلى قدر من الرعاية على امتداد القصيدة، أهمها ظاهرة تكرار لازمة البدء «تحية» ، وهذا المفعول المطلق يصلح خبرًا على تقدير مبتدأ: هذه تحية، أو مفعولاً به على تقدير أحييكم، وفي كل الأحوال ستكون «رمته عروب الحسن» إلخ في البيت الرابع في محل نصب حال، للجمل المستأنفة الثلاث التي بدأ بها كل بيت، وهذا التركيب عامل مؤثر في تأكيد وحدة «الوثبة» - بالمعنى الذي قدمناه لهذا

المصطلح، إذ يظل المتلقي متشوقًا إلى إتمام المعنى وتبيان وجهته بذكر التعليل الذي تضمنته «رمته عروب الحسن» من ثم يظل معلق المشاعر لا يتبين مراد الشاعر حتى يتلقى أسباب ما جرى، وهو سبب واحد جمعه الشطر الأول من البيت الرابع، فهذا الشطر جواب وتعليل للصيغة المفتوحة في صدر كل بيت. على أن الشاعر يذكر «عروب» - وهي الحسناء... ولكن بناءها الصوتي يلتبس بالعربية والعروبة، الذي هو موضوع القصيدة، وكذلك جمع قلوب في البيت الثاني - وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وهذا يخلخل طمأنينة المتلقي إلى أنه بصدد تجربة حب. وإن المفردات التي شكلت المعجم اللفظي لهذا المفتتح لتحمل أجواء من الألم والمعاناة والفرح أيضًا؛ لنقرأ: مأسور - سليب - تخبط - مس - فراق - يبكي ملسوع - مأخوذ - رمته - خر صريعًا..

إنها مفردات طابعها الحزن والضيق والألم، ولكنها نظمت في سياق يصف حالة عشق، وهذا قدر الحب في الموروث العربي، وهذا بدوره يقوي التحام هذا المفتتح بسائر القصيدة.

وهذا الاتجاه نفسه يفتتح به الشاعر الدكتور عبد الولي الشميري (قصيدة: قالت غيور) مع إضافة وتعديل في الصياغة يستحق أن نتأمله، ولعل الفرق بين ما سبق إليه الخليلي، وما انتهى إليه الشميري يستند إلى ما استجد من تأثر بنية القصيدة (الغنائية) بالفنون الدرامية، وإيثار «الديالوج» على «المونولوج» ، - أو الحوار على الاسترسال - لما يحقق الحوار من تعدد الأصوات، ومن تأكيد درامية المشهد، تلك الدرامية التي تقوم على تعارض المشاعر، حتى وإن كان التعارض أساسه الظن، ومن ثم سينتهي الشك إلى يقين، والاختلاف إلى اتفاق، وستكون الجزائر هي الفائز الذي لا يختلف عليه أحد:

١ - بروقُ الشوق أم وهج المشاعر
يلوح على جبينك بالبشائر

٢ - تقول وقد بكت جزعًا غيورٌ
وأدمُعُها مجرَّدةٌ خناجر

٣ - أراكَ مولهًا جذلاً معنًى
ودمعُ العين في الخدَّيْنِ ظاهر

٤ – اتعشق؟ من سواي سَبَتكَ حُبًّا؟
فإني لست أقبلُ بالضرائر

هذه – إذًا – حالة عشق أخرى، عشق متمرد على انحصار الحب في الزوجة، وعشق الزوجة التي تأبى أن يشركها غيرها في حب زوجها، ويضيف المفتتح إشارة أخرى تعضد المشهد العتابي (أو الصدامي) بين الزوجين، وهو التأهب للرحلة، وفي الموروث الشعري ارتباط بين العشق والرحلة، تلك الرحلة التي قد تكون بحثًا عن السلوى، أو طلبًا للمعشوق:

٥ – فحطَّ الرحل: لا سفرًا قريبًا
واقسم لا أراك لها مسافر

إنها امرأة قوية، واثقة من نفاذ قسمها، ولن تصمت حتى يعترف لها باسم من أحب فتأهب للرحيل إليها. وهنا يلجأ إلى تقديم لغز (سهل الاكتشاف) فتفرح الغيور، ليس لأنها كشفت اللغز، ولكن لأن المعشوقة ليست مما يفسد الحب بين الزوجين. وبانتهاء هذا الحوار (في البيت١١) تعود الغنائية إلى سليقتها الفردية المتأصلة، فيطول الاسترسال، ليقطعه تساؤل في بيت واحد يكون جوابه ختام القصيدة.

ويجتمع العشق والرحيل مرة أخرى في مفتتح قصيدة هلال السيابي «وداع الجزائر» والوداع هنا حقيقي وليس مجازيًا، فقد كان الشاعر سفيرًا لسلطنة عمان في الجزائر، فلما فاجأه أوان الرحيل – شأن السفراء – كانت القصيدة معبرة عن هذا التعلق الخاص المتجاوز الذي تتجلى فيه الأرض أنثى معشوقة، وهذا ما تفوح به رائحة الكلمات، وانبعاثات ومضها التي تبرق في اتجاه المرأة، وفي اتجاه الأرض دون وجود فاصل بين العشقين، بل إن أبيات المفتتح تقوم على نوع من التشكيل يراوح بين المدلولين:

١ – بيني وبينكِ عشقٌ عابقٌ وندى
فلستُ عنكِ وإنْ أرحلْ بمبتعد

إن ذكر البينية، وما تعني من القرب، وذكر العشق، وروائح العشاق، وطراوة المعشوق والاحتفاظ بصورته في القلب... ترجح جانب الأنثى.

٢ – ولي بواديكِ أصــــداءٌ مـــؤرجــــةٌ
تنســـاب كـــالعطر بين القلب والكبـــد

إن ذكر الأريج والعطر والقلب والكبد مفردات تنتمي إلى حقل دلالي واحد، حتى وإن كان الأولان من عالم الروائح، والآخران من عالم الأعضاء، فالجميع من معجم العشق، ولولا أن «الوادي» أضفى ملمحًا مكانيًا، لجاز أن يكون الغزل للأنثى خالصًا، وها هنا سر آخر، فإضافة الوادي إلى كاف المخاطبة يطرح احتمال المراد الأنثى إذا عددنا الوادي مجازًا للقاء أو مكانًا للإقامة. وبالطريقة نفسها من حالات التشكيل التبادلي بين الأرض/ الأنثى تمضي الأبيات السبعة، التي تعقبها علامة فاصلة في نسق الكتابة، وهذا يؤكد حالة الالتباس التي عاشها الشاعر العاشق بين ما يمكنه أن يفضي به، وما يجب أن يفضي به، وإن البنية العميقة للشكوى وصور الفراق تنتهي إلى ضرب من النقص لا يكتمل إلا بالالتحام. أما بعد الفاصلة فإنه يذهب بدرجة العشق إلى أبعد الممكن، ليعقبها بما ينهي هذا الالتباس، ويتزل بالتصور الشعري إلى مستوى الشعار السياسي أو الدعوي، ويتأكد زوال الالتباس بذكر الأم والوالد، فيتحيز العشق إلى مستوى الشغف القومي:

٨ – أراحـــلٌ أنــــا؟ لا والـلـــه لا رحـلـــتْ
روحي وإن جـــاب في الآفـــاق بي جـســدي
٩ – أرضُ الـعـــروبة أرضي أينمـــا ذهبتْ
ركـــــائبي فـــــهْي لي كــــالأم والـولـد

هذه أهم ثلاث مفتتحات اتخذت من معجم العشق مدخلاً للتعبير عن التعلق بالجزائر، ولعل المشترك بين هذه الثلاثة أنها لم تكتب إبان احتدام المعارك، وإنما بعد أن دخلت الجزائر حالة من الأمان وأصبحت ذات شخصية مشهود لها بما بذلت من تضحيات غالية، وبما تعلن من طموحات لبناء مستقبلها، وهذا يعطي متنفسًا للشاعر أن يتأمل، ويفاضل، فلا يشعر بغرابة ترديد آهات العاشق التي ما كان باستطاعته أن يتطرق إليها إبان احتدام القتال. سيكون لهذا النوع الأخير ضروراته التي تراعى في المفتتح، بل إن عددًا من القصائد التي عاصرت سورة الحرب وعنفوانها كانت تقتحم الموضوع

اقتحامًا دون مقدمات، وكان الشاعر يلقي بنفسه في أتون معركة ناشبة تدعوه إلى الانضمام إلى قومه على الفور دون تمهل أو تدبر.

بين ايدينا مفتتحان يعتمدان صيغة الدعاء، في قصيدة «أم الفداء» للشاعر الدكتور حسن نعمة، وقصيدة «أهل الجزائر» للشاعر حسن بن عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف. ومن المألوف في القصائد الموجهة إلى الوطن، وما أشبهها من الإزجاء إلى الكبراء أن يكون «الدعاء» خاتمة القصيدة، أو في سياق الخاتمة، لأنه يعبر عن مشاعر باطنة، ومعانيَ وأمنيات تمثل الأمل المستقبل المفتوح على الزمان الآتي. ومع استقرار هذا المبدأ الفني، فهناك في تأويل المقدمة الطللية، وما يتصل به من الغزل من أعاده إلى طقوس الصلاة التي كان يرفعها الشاعر القديم إلى ربات الفنون أن تلهمه وتعينه في إبداعه، ونحن لا نناقش مدى صحة هذا التأويل، ويمكننا أن نتقبل منه ما يسمو بشخصية الوطن ويرفعه إلى مستوى المقدس الذي تخشع في حضرته القلوب، وتهفو الأرواح إلى المثول في ساحته، وهذا ما استطاع الدكتور حسن نعمة أن يصنعه في مفتتح قصيدته عبر العبارات المنتقاة بعناية لتجسد هذا المثول الرائع في حضرة الوطن الأعظم:

١ - أمّ الفـداء وساحة الشهداء
ومحط آمالي وكل رجائي

٢ - أمّ الفداء، أزكى السلام على الفدا
وعليك يا أنشودة الشعراء

٣ - محبوبةَ الأحرار أنت هززتني
هز الغصون بصرصرٍ هوجاء

٤ - فنهلت منك وأنت أطيب منهلٍ
للثائرين قصيدتي وغنائي

٥ - وصنعت أشعاري وبرّحني الهوى
فأتم إيماني وزاد ولائي

٦ - أنا فيكِ هيمانٌ وفيك متيمٌ
من فرط إحساسي وفرط وفائي

٧ – أنا في هوى الأحرار صرتُ معذبًا
ومولهًا يرنو لخير لقاء
٨ – يا لهف نفسي كم أحنُّ إلى الغنا
فرحًا بعيد عروبتي ولوائي

هذه «وثبة» افتتاحية، صنعت مادتها من ألفاظ الفداء والوفاء، والتضحية، والتعلق والتلهف والهيام والتتيم، والرضا بالعذاب في هوى المحبوب.. ثم يأتي هذا الشطر الفريد البسيط المسرف في بساطته وصدقه: «يا لهف نفسي كم أحن إلى الغناء» ، هذه حالة لا تنتاب الفرد إلا حين تحتشد نفسه بالمعاني، وتغلبه انفعالاته، فتعجز الكلمات عن الإفضاء بمكنون نفسه، فيستعين بالغناء، إذ ندرك أن اللحن (أو الموسيقا) هي التي يمكنها أن تتجاوز قدرة اللغة على التعبير. وإذا كان الشاعر قد عبر بصيغة المفرد، فإن الحنين إلى الغناء حالة تتوق إليها الجماعة حين تشتاق إلى دوافع الغناء، وإن النصر أقوى هذه الدوافع، فكأن الشاعر يعلن حاجة الأمة العربية كلها إلى انتصار الجزائر، لتغني، بعد أن طال بها زمان السكوت. في المعبود يجتمع معنى الحب والخوف والإيمان بالطهر واللانهائية، وهذا ما تحمله كلمات: أم الفداء (وتكرارها) وأنها معقد الرجاء، وأنها – مع هذا أو ضد هذا هزته هز الغصون بصرصر هوجاء.. الخ.

في البيت السادس إطناب بتكرار الجار والمجرور وتكرار فرط، إذ تكفي أداة العطف في إقرار المعنى، ولهذه المسألة وجه بلاغي إذ يعد الإطناب مطلوبًا ومستعذبًا في مخاطبة المحبوب، أو من يحلو معه الكلام، فلو أنه قال: أنا فيك هيمان ومتيم من فرط إحساسي ووفائي – لأبلغ المعنى، ولكن ليس بالتمكن وتمام الإحاطة كما هو الشأن في هذا البيت.

أما الدعاء في مفتتح قصيدة حسن السقاف فإنه لم يتجاوز البيت/ المطلع، وجاءت فيه صيغة الدعاء غامضة بدرجة ما – لأنها اعتمدت على استخدام لا زال – بصيغة الماضي مع النفي بلا، في قوله:

١ – أهل الجزائر لا زالت بلادكمو
تبدي لنا من ضروب المجد أمثالا

الجملة إنشائية دعائية: حفظ الله بلادكم وأدام أمجادها. وكما كان مفتتح قصيدة حسن السقاف دعاء، فقد جاء مفتتح قصيدة الشاعر حميد بن عبد الله بن سرور «مليون النصر» مبنيًا على مفارقة صادقة، وهذا بقصد إثارة ذهن المتلقي بمحاولة إيجاد مساحة من التوافق تأذن بتصديق التناقض الذي أخذ صيغة المفارقة، يقول المفتتح:

١ - المجـد يزهو ويـزكـو روضـةُ النَّضِـرُ

حـــيث القـنابلُ لا تبــــقي ولا تذرُ

فبين حالة الدمار التي لا تبقي ولا تذر، وبين زهو الروض النضر تناقض ومفارقة، وهذه استثارة تقتضي الترقب وتوقف حالة التصديق حتى يأتي بيان مفصل يكتمل به المفتتح ويأخذ مداه في صدر القصيدة، وقد بدأ الشاعر كشف قناع المعنى في تعاقب «حيث» ثلاث مرات بعد تلك المرة التي واربت باب التصديق، إن «حيث» التي أعقبها ذكر القنابل الماحقة، هي بذاتها «حيث» من بعدها: العزائم، والممات (الاستشهاد) والسياسة شورى. لقد رسم بن سرور حدود حيثيات الزهو والحسن والنضرة بملامح أو معالم واعية بحقائق الصراع بين ثوار الجزائر وسلطة الاستعمار، إذا لم يحصر القضية في شجاعة رجال الحرب دون غيرهم، وإنما ضم إليهم:

٣ - حيث السياسة شورى بين قـادتها

إمـــامُـهمْ نورُ مـــا جـــاءت به السُّـوَرُ

فالقيادة السياسية الديمقراطية (وإن أثر المصطلح الإسلامي: الشورى) والاستهداء بالقرآن الكريم، هو ما يتحول بأرض القنابل والدمار إلى روضة نضرة، وتتأكد مفارقة المطلع بمفارقة أخرى هي ختام امتداد المفتتح:

خـالوا الجـزائر عطشى للدمـا شـرفًا

فـامطروها دمًـا فـاخـضـرت الجـزر

فهذا الشطر الأخير، تأكيد لما بدأ به المفتتح، والمعنى مسترفد من البيت القديم:لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم.

إن شطري البيت الأول مؤسسان لبنية التضاد في بناء القصيدة؛ فبين يزهو ويزكو والروض النضر تكامل وانسجام، يتحقق لدى النقيض في الشطر الثاني حيث القنابل والمحو والإفناء، وهذه الحيثية أخذت مكانًا وسطًا تؤكد وحدة المكان وتكامل الفعل، فكأن القنابل الماحقة تقوم بحرث الروض ليكون نضرًا.

لدينا مفتتحان يلتقيان على إيثار الغموض، قد يأخذ شكل التشويش في أحدهما، ويصل حد العجائبية في الآخر، وهما لشاعرتين، آثرتا شكل قصيدة التفعيلة وإن كانت إحداهما أقرب لامتلاك ناصية التشكيل الصوتي من صاحبتها، تقول الشاعرة جنة القريني - في مفتتح «في ذرى الأوراس» :

١ - يعاتبني الصنوبر في ذرى الأوراس

٢ - ودفء الشمس تجذبه جديلة نخلة..

عبرت أثير الضوء

٣ - واتحدت بغيمة نخلة شرقية الخضرة

توارت في رؤى الأشواق

هذا المفتتح ينطوي على خلاصة تجربة القصيدة، كما يحدد طبيعة الصوتين المتحاورين فيها، وحين نعرف - خارج بناء القصيدة - أن جنة القريني زارت الجزائر (١٩٨٦) فإن هذا التحديد الزمني - أو الوضوح الإضافي - لا تحتاجه القصيدة المكتملة فنيًا، التي أفضت إلينا بالمحنة التي عاشتها وصدمت بها شاعرة القصيدة، فقد فوجئت بسيادة اللغة الفرنسية في مجالات الحديث العام،وفوجئت أيضًا بأن اتهامًا بالتقصير وجه إليها هي (لماذا لا تعرف الفرنسية؟) كما قرأت لومًا في العيون لهذه «الراء» العربية موضع الاستغراب والاستهجان، وقد أخذت لأن «الغين» - الأكثر رقة وزلاقة ودلالا - احتلت مكانها، وبهذا تحول ضحية التقصيرإلى متهم به.

إن الشاعرة أثرت المنحى الرمزي حين جعلت الحوار بين الصنوبر (رمز المكان الجزائري= الأوراس) والنخلة (رمز التاريخ العربي والانتماء الشرقي) وصورة ما جرى تدل على أن النخلة هي التي تشكو، ولكن مفتتح القصيدة يعكس الموقف، في حين تظل

أحزان الفتاة العربية القادمة من الشرق موارة في قلبها تطرح التساؤلات الحبيسة على نفسها دون أن تفضي بها إلى صاحبتها (الصنوبر) المقتنعة بذاتها. إن التشويش في هذا المفتتح، الذي اعتمد على خلط الأوراق، أو تماهي العلاقة بين الشاكي والمشكو بحقه، لا يصعب كشفه، لأن امتداد الصوتين (الصنوبرة والنخلة) قد تحول إلى حوار امرأتين جاءت إحداهما من أقصى الشرق محملة بالشوق والرغبة في القرب، متوقعة أن جهاد الماضي لابد طابت ثمراته وإذا بالأخرى لا تقيم وزنًا لهذه الرغبة الحميمة، بل تنطوي على عزوف يوشك أن يكون ازدراء. وهذا التقابل قد نظمته القصيدة – رمزًا – في المفتتح الذي امتد حوارًا ثنائيًا حينًا بين المرأتين، وداخليًا حينًا آخر يجري في وجدان فتاة المشرق، إلى أن تبلغ التجربة غايتها بالأسى الرومانسي واستيعاب الصدمة بطرح الأسئلة.

أما الشاعرة فوزية أبو خالد، في قصيدتها: «في المؤتمرات التنكرية» فإنها ارتفعت بدرجة الغموض إلى مستوى الغرائبية، كما تراجعت بأنساق الإيقاع إلى التوافق النغمي دون حرص على صفاء التفعيلات:

أخونك؟؟؟
يصهل المهر في صدري
يسحبونني من حلمتي «جميلة»
في عز الظهيرة
والديوك تصيح
والأطفال يلعبون في دهاليز البيوت
وعلى الأسطحة.

إن «المؤتمرات التنكرية» إذ تمسخ الأشكال وتنقلب الحقائق ويبلغ الزيف أوجه، ومع هذا يعد المشهد طريفًا ومسليًا، وربما منطقيًا ومقبولاً.. هو عنوان القصيدة الذي استمد الوصف التنكري من حفلات الترفيه، بأن نقلها إلى المؤتمرات، التي يفترض أنها مكان للحوار الصريح والمواجهة بقصد بلوغ الاتفاق. إن المؤتمر الذي تعنيه الشاعرة وعبرت عنه بصيغة الجمع يشمل المجتمع كله، إنه مجتمع زائف يعيش حالة من التنكر يتخذها ملهاة ويمارس بها حياته وكأنه يعيش الحقيقة؛ ومن الواضح أن علاقة القصيدة بالموضوع

الجزائري تنحصر في استمداد جميلة «نموذجًا» أو رمزًا للمرأة العربية وليس شخصًا. ولكن: لماذا «جميلة» – البطلة الجزائرية – دون غيرها من نساء العرب؟ – لأن جميلة تعرضت لامتهان الجسد والتعذيب وهددت حياتها فصمدت بما يتجاوز قدرة الاحتمال، حتى امتدحها شاعر آخر (الشاعر محمود عارف) بالرجولة، والفحولة!! (لم يكن نموذج الفتاة المتمنطقة بالحزام الناسف قد وجد بعد) من ثم استدعت فوزية أبو خالد، في حفلتها التنكرية الفظة شخص جميلة، امتزجت الذات المتكلمة بها، توحدتا في التعرض للامتهان. ولنتأمل مفردات تكوين المشهد الذي يبدأ بصيغة استفهام إنكاري لا نعرف المخاطب به، بل لعله يلتبس بعض الوقت حين يذكر اسم جميلة في السطر الثالث بما يقدم توهمًا – له وجاهته الممكنة في تحويل الخطاب، بأنه موجه إليها (بكسر الكاف)، ولكن تكرار اللازمة – القرار: «أأخونك؟ من بعده:» اغفر لي» – طفلك في أحشائي» يعيد شرعية الكاف المفتوحة، ويقرها. وقبل أن نبحث عن المخاطب، من المهم – بالترتيب الطبيعي لتداول الخطاب – أن نعرف المتكلم – إنها المرأة العربية، المستلبة عبر عصور التاريخ، دون غيرها من إناث الأجناس الأخرى. فالشركسية بنت ملوك، والمرأة الغربية إما تملك الوعي والموقف، وإما تملك الحرية حتى حرية الخطيئة، وكلتاهما تدافعان عن العربية المهددة بالجلا (الموت)، وبالبيع في سوق النخاسة (النبذ). وفي هذا المناخ (الاجتماعي) المزري بكرامة المرأة، المرموز إليه بكشف النهدين والسحب من الحلمتين (كما كان يفعل جلادو فرنسا إبان سجنها بتوصيل أسلاك الكهرباء إلى حلمتيها)، في هذا المناخ الممسوخ (التنكري الذي نصنعه بإرادتنا) نحرص على أن يبدو الأمر طبيعيًا: الديوك/ الرجال تمارس حقها المظهري في الرجولة = تصيح، والأطفال يلعبون، والثيران/ الرجال أيضًا تحرث الأرض/ النساء، وتمارس الحب مع الجواري، وأشواق المرأة العربية محبوسة في صدرها، لأن سيف جلاد السلطان/ سلطان الرجل وما يعتنق من قيم مجتمع الذكورة. يتهددها.. إلى آخر القصيدة.

إن امتداد الحفلة التنكرية مكثف بكل عناصره. وعروقه المتشعبة في هذا المفتتح، فإذا ارتفعت درجة غموضه إلى تجميع مفردات مشهد لا ينتسب إلى الواقع فإن توالي المقاطع، تبدؤها عبارة «أأخونك»، ليعقبها مشهد يتحرك بنائيًا على سابقه، كما تتتابع مشاهد الصور البطيئة يؤدي عكسًا إلى نزول «العجائبي» إلى مستوى «الواقعي» ويتم

وصول الرسالة، ومن ثم يأخذ الاستفهام الاستنكاري في «الخونك» وضعا تنكريًا ينسجم مع حالة التنكر التي تشمل القصيدة، فيستحيل الاستنكار إلى دعوة إلى الإنكار والرفض.

هذه أهم مفتتحات القصائد التي تميزت بدرجة من الابتكار لا يقف عند حد جودته أو تشويقه في ذاته، وإنما يؤدي وظيفته البنائية، بأن يكون متضمنًا أهم عناصر التشكيل الفني للقصيدة في أهم تفصيلاتها، وأن يكون موصولاً بها مدمجًا فيها بحيث يعد «علامة» تحدد المدخل الذي يمكن الولوج منه إلى قراءة صحيحة وتذوق جمالي يكشف عن خصوصية القصيدة.

هل نقول، في ختام العناية بالمفتتح، إن نسبة عالية جدًا من قصائد الكفاح الجزائري بصفة خاصة (وهذا الوصف أطلقه عبد الله العطوي وهو يصدق على القصائد التي قيلت بقصد المناصرة في زمن المعارك، ولا يضم «كل» ما قيل في الموضوع الجزائري) سيقت دون مقدمات، أو بعد مقدمات تقليدية لا تثير الالتفات النقدي؟ هذا صحيح في حالات ليست قليلة، ولكنه غير مقبول على إطلاقه، ذلك لأن نمطًا من القصائد، بخاصة ذات الطبيعة الخطابية، تنصهر فيه مراحل البناء لتتوحد في مرحلة هي البداية والجسد والختام، وفي هذا النوع من القصائد يتكرر معنى المفتتح مع اختلاف في بعض الألفاظ لا يصنع فروقًا أو يطور شعورًا أو يكشف عن رؤية، وهذا الضرب من القصائد له أشباه في التراث الشعري في فن المديح خاصة الذي يعتمد على المعاني العالية والعبارات حسنة السبك والتسلسل المرحلي المحكوم بمنطق التداعي، وليس من بأس في أن تبدأ المدحة من جديد، وأن تأخذ بمنهج «الترديد» دون أن تبدو في تصورها الصحيح مصنوعة من ثلاثة خطوط متوازية، وربما أكثر، تقول الشيء نفسه، وإن يكن بعبارات فيها شيء من الاختلاف. قصيدة الشاعر زاهر بن عواض الألمعي: «ثورة الجزائر» مكونة من واحد وثلاثين بيتًا؛ يقول المفتتح:

١ - موكبُ المجد غارةٌ وفداءُ
اججتْ نارَ عزمه النجباءُ

٢ - وتسامى إلى النضال رجالٌ
واعتلى فوق صرحه العظماء

٣ - يا أســـودًا من الجـــزائر صـــولي

ثم يستمر في تقديم وصاياه أو نصائحه لأسود الجزائر، وماذا ينبغي أن تصنع بالعدو، إلى أن يصل البيت (رقم ١٨) ونصه:

١٨ - يا حُـمـاةَ الديار يا جـحـفلَ المجْـ
ـدِ ويا أمّــــةً لهــــا العليــــاء
١٩ - شمّروا عن سواعد الجد وامضوا
فـالمعـــالي صـــروحـــهــا شــمــاء

وهذا، وما يليه ترديد لما سبق إليه المفتتح، بل إن «المقطع» يعيد إلينا إنتاج «المطلع»، ونص الأبيات الثلاثة الأخيرة دليل على هذا:

٢٩ - فـالكفـاحَ الكفـاحَ يا أمّـةَ المجْـ
ـدِ فـــأنتم أشــــاوس أكـــفــــاء
٣٠ - حـــرروها من كل غـــزوٍ دخـــيلٍ
أوقـــدوها لتنجلي الظلمـــــاء
٣١ - لا يعــيــدُ الحــقــوقَ إلا كــفـاحٌ
تـصـطـلـي مـن أواره الأعــــــداء

إن آخر أبيات القصيدة يحمل أهم شرائط المطلع (باستثناء التصريع)، وقد يبدو هذا محبوبًا أو ليس مستنكرًا عند كثير من الشعراء، لأنه يدعم الشعور بوحدة النص، أو استدارته، ولكن هذه إحدى خصائص «الشفاهية»، أو لنقل القصيدة/ الخطبة الحفلية التي تسعى إلى أن يصاحبها التصفيق مع انتهاء الإلقاء. في مثل هذا النوع من القصائد ليست «الخطابية» تهمة تبحث عن وسائل دفاع، لأن المقام يتقبلها (ولم نقل يستدعيها) من ثم يكون قياس التجربة إلى الوسائل التي ساعدت على إبلاغ الرسالة الخطابية، وسنجدها ماثلة في هيمنة الجمل الإنشائية، صيغة الطلب بصفة خاصة، وقد بلغت عشرين جملة ما بين طلب ونداء ودعاء، وهذا الانتشار حافظ على مستوى الإيقاع الداخلي من جانب، وثبت المسافة بين ملقي الرسالة ومتلقيها من جانب آخر، وهي مسافة قصيرة جدًا، أو تكاد

تنعدم، لأنه في مجال توجيه العمل، على الرغم من جهارة النبرة، فإنه لا يكون إلا من مشارك في العمل ذاته، وهذا ما تحققه هذه القصيدة.

٤ - بين المدح والهجاء

«مدح الجزائر وهجاء فرنسا» خلاصة قريبة وجاهزة للقول الشعري في الموضوع الجزائري أو في المساحة المتعلقة بالحرب بصفة خاصة، وشعر الحرب – كما هو معروف – موضوع قديم مترامي المسافات الزمانية والمكانية في التراث العربي، متعدد الفنون والمداخل، ولسنا بحاجة إلى محاولة تعريف أو حصر لأن القصائد التي معنا قالت كل ما يقال عادة في المقام.. وزيادة. أما هذه «الزيادة» فإنه حملت على المدح لتحقق غرضًا إضافيًا، كما سنرى. وفي التحليل الموضوعي لما بين أيدينا من قصائد سنجد صور الممكن (العقلي) متحققة، فهناك من مدح بني قومه وسكت عن هجاء الخصم، وهناك من مدح ثم هجا، أو العكس، ومن اكتفى بالهجاء، على أن «الفن» يكمن في التفاصيل، أو الأسلوب الذي يصنعه السياق، ويتقبله الذوق والعصر، وهنا سنجد الكثير من التجاوزات التي تدخل في نطاق غير نطاق الفن إذ يعتمد الفن على الإلماح والرمز وليس على تسمية الأشياء بأسمائها، غير أن تكرار هذه التجاوزات قد يدل على درجة الغيظ وانفلات الأعصاب، والرغبة في تجاوز المقبول عرفيًا وخلقيًا، بل تجاوز فن الشعر نفسه، بالاستسلام لإغراء ألفاظ السباب الصريح. لقد تعرض النقد القديم لمعنى الهجاء المقذع، واستنكره، ورأى صاحب الوساطة (القاضي الجرجاني) أن القذف والإفحاش سباب محض وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن. كما قرر قدامة بن جعفر (في كتابه: نقد الشعر) أن الهجاء يكون بسلب المدح، وأن المدح بالصفات النفسية أجمل. ولكن: لماذا نختار هذه البداية لعرض محتوى القصيدة في صلب تكوينها؟ لأن الشعراء الذين نقرأ أعمالهم في حدود الخليج والجزيرة العربية ثقافتهم حتى ذلك الحين تراثية محضة، أو يمثل الشعر القديم رصيد الخبرة المستمدة، وهنا يتجلى تفصيل دقيق، فالفحش حتى الإقذاع كان الشعراء يجترئون عليه في هجاء أشخاص، أو قبائل زمن الحروب القبلية، أما في عصر حروب الأمم، وبين أيدينا سيفيات المتنبي في مدح سيف الدولة وجيشه، وهجاء الروم،

سنجد صورًا فنية تنال من العدو ولا تصنف كشتائم أو سباب، حتى وإن تضمنت شيئًا من هذا فبالتأويل البعيد وليس بالتعبير المباشر، وهذا يدل - بصفة عامة - على فقر الخبرة الفنية وقصور المعرفة بالشعر القديم. تقول عبارة القاضي الجرجاني: «فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض وما قربت معانيه وسهل حفظه وسهل علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس» . وإن المتتبع لشعر الهجاء خاصة لن يجد هذه القدرة الفنية (التصوير الهازل والتعريض) متحققة إلا في النادر، أما السباب المحض فإنه - ربما - يسهل الحفظ ولكن لا نظن أنه يعلق بالقلب أو يلتصق بالنفس!!

في بنية القصيدة البدء بالمديح هو الغالب، وهذا متوقع لأن الخطاب موجه بطبيعة العلاقة من شاعر عربي إلى أبناء عمومته، ولأن المدح يرتبط بخوض المعارك فإن الشجاعة ستكون الصفة والصورة ذات الصدارة دائمًا:

يقول محمود عارف (قصيدة يوم الجزائر):

٥ - هو شعبُ الجزائر الحرُّ يمشي
في غمار الكفاح مشيَ القساورِ
٦ - حطَّمَ القيدَ وهْو أحرى بعزمٍ
في مجال الدفاع يحمي الدساكر

ويقول حسن عبد الله القرشي (قصيدة كفاح مقدس) :

٣١ - فجبالُ الأوراسِ حصنُ البشائرْ
٣٢ - والبرانسُ العقابُ أمنعُ قاهر
٣٣ - والشبابُ أشدُّ كواسر

وقد أشرنا قبل إلى «الأوراس» وكيف تحول إلى رمز، وهو الموقع المنيع (جبال محصنة بالغابات والأدغال) الذي بدأت منه الثورة. وكما ألح الشعراء على ذكر الأوراس، فكذلك فعلوا - بدرجة أقل - بمدينة وهران، وهي موطن أحمد بن بلا، وهواري بو مدين،

وهما من هما في قيادة الثورة السياسية والقتالية، وهذا الشاعر عبد الله سنان في قصيدة «الجزائر» يستهل بمفتتح طقسي شعبي يستخدم التعويذة لمقاومة الحسد:

١ - رَمَتِ الجــــزائرَ أعينُ الحـــســـــاد
فـــتـــقطعتْ إربًا من الأحـــقـــــاد

٢ - مــاذا جـرى في أرض آســاد الشـرى
فـي تـلـكـم الأوهــاد والأنجـــــــــاد

٣ - من ذا بـوهـران تـعـــــيث ذئـابـه
فـيـنال من زعــمــائـهــا الأســيــاد

٤ - الله أكـــبــر هل غــــدت الـعـــروبةُ
حــتى يعـــيثُ بـهـــا ذوو الإفـــســـاد

٥ - وهـي التي وقــفتْ بـوجــه عــدوها
ســبــعًــا من الأعـــوام بالمرصـــاد

٦ - يجـتـاحـهـا الإعـصـارُ وهي صـمـودةٌ
لا يســـتــخفُ بـغــصـنهــا الميـــاد

إننا لا نجد دافعًا للاسترسال في إيراد مزيد من الأبيات في هذا المعنى، لأنها - في جملتها - تقول الشيء نفسه بالطريقة ذاتها، فإن كانت فروق فإنها في التفصيل وليست في جوهر الصناعة الفنية، ولهذا سببه المنطقي - وقد أشرنا إليه في القسم الأول، فشعراؤنا لم يكونوا يومًا محاربين، وليست لهم خبرة عملية ولا ثقافة نظرية بخوض المعارك، من ثم استولت عليهم «الخطابية» بكل ما تستدعي من الصور الجاهزة من الأسد إلى أسماء الأسلحة وتشبيهات المعارك بدءًا من البرق والرعد، وتوصلاً إلى الزلازل والبراكين، وقد تجمح بالشاعر رغبة استخدام الآلات الحديثة، فيذكر القنابل والطائرات والقصف والنسف، وربما جاء هذا في قصيدة ذكر فيها السيف والرمح فلا يشعر بأثر هذا الانتقال على ما ينبغي أن يسود القصيدة من استواء وتكامل، توصلاً للإقناع، توسلاً إلى التصديق والتأثير، يقول الشاعر عبد الله بن إدريس في قصيدة «المجاهد الجزائري»:

١٣ - صـوتُ المدافعِ أحلى في مسـامـعنا
ممّا يُـقـــــدَّمُ من شـكـوى ومـن طـلـبِ

١٤ - والسيف ابلغ قولاً زانه عملٌ
في موقف حرجٍ - من منطق الخطب

١٥ - عصرُ الكلام مضى والآن اعقبَهُ
عصرُ الأساطيل بين الجوِّ والعُبب

هذا البناء للمعنى يمكن الدفاع عنه بالمنطق، وليس بالفن الشعري. لقد صدر بن إدريس قصيدته بما يحدد مدخل الخطاب فيها، فهي نوع من «المونولوج» إذ نظمت على لسان أحد المجاهدين الأحرار وهنا أنطق الشاعر «قناعه» الجزائري بمعنى متداول وقريب، خلاصته أنه لا جدوى من الكلام، ولن ترد إلينا المنظمات الدولية حقنا المسلوب بالخطب والشكاوى. وهذا ما قاله المجاهد الجزائري، ولكنه قاله باللغة التي يحذرنا منها الكلام والخطب، وليس تصوير خوض القتال وروعة أن تواجه خصمك تحديًا، وتقهره ليعترف بجدارتك ويسلم بحقك. الشاعر لم يحسن إحكام قناع الشخصية على فكرته، بل لعله استعاد موقعه الحقيقي المباشر حين خاطبنا (البيت رقم ١٨): هيا إلى الموت!! وفي الأبيات الثلاثة السابقة تشرد العبارة بين المأثور (السيف) والمستحدث الراهن (المدافع والأساطيل) وقد اثر هذا سلبًا في الموقف واستبطان الشخصية (القناع) إذ كان في ذكر أحد المستويين كفاية فنحن لا نرى عيبًا في ذكر السيف، ليس لأنه أداة قابلة للاستخدام في القتال لا تزال، وإنما لأنه في امتداده التاريخي استوعب طاقة الرمز، فإذا جنح شاعر إلى تصوير واقع الحال فذكر المدافع والأساطيل فإنه يخاطب عصره مباشرة بغير رموز، وله الحق في هذا، ولكن محاولة الجمع بين المستويين: الرمزي والواقعي في القصيدة ذاتها، وعلى قرب مسافة الأبيات بين النوعين، فإن هذا يؤدي إلى قلق واضطراب قد يصل حد التشويه . ومثل هذا نجده في قصيدة حميد بن سرور «مليون النصر» غير أن له مخرجًا قد يجعله مقبولاً او فيه مجال قبول يعتمد على إسناد العبارة، ففي البيت السابع سقى الجزائريون عدوهم من سيفهم سقرًا، وفي الثامن: صارعوا طائرات الخصم حاضنة شر القنابل. هذه مقابلة بين اداتين، وليست خلطًا بينهما، من ثم نالت قدرًا من التوفيق إذ جسدت الفجوة في التسليح بين طرفي الاقتتال، وهي مقبولة بدلالة الرمز، كما في تجسيد واقع المواجهة، ولكن ابياتًا قلائل لا تلبث أن تمر حتى يقول:

١٣ - نحن الالى دوخوا الدنيا كما هويت
رمــاحنا لا كــمــا شــاءت لنا غُــصُــرُ
١٤ - ألذ شيء على الأحـــرار مـــوتهمُ
في عـــزهم نطق الصـــاروخُ لا الوتر

إن الصاروخ ينتمي لستوى الطائرات، والوتر (المرفوض) ينتمي إلى السيف المرموز به من قبل، وهذا الخلط يمكن تفسيره بأمرين: ان الشاعر - أي شاعر - لم يملك من الخبرة باساليب الشعراء والوعي بفنون الإبداع بحيث يتجنب التلفيق، وأن ينظم قصيدته بيتًا بعد بيت، أو مقطعًا بعد مقطع، في حال من الانفصال، او هو يقدم في الاهمية طول القصيدة على اتساقها وتوحد صورها، فيكون ما نلاحظه في غير قصيدة مما نحن بصدده. وهذا واضح في قصيدة الشاعر سعد البواردي «من للجزائر؟»:

٣٤ - هـذي قـــــذيفـــــة ثـائـر
مـــرقت، أطـاحت راس كــــافـــر
٣٥ - ومـــدافـعُ، الموت واكـــبـــهـــا
فـــحـــيث تـســيـــر ســـائر
٣٦ - والمتـــخـــمـــات من الرمـــاح
دم الأعـــــادي، والخـنـاجـــــر

في اللوحة القتالية الواحدة لا يلتقي المدفع، والقذيفة، والرمح، إلا ان يكون كل في سياق خاص به، وإذا كان إتخام الرماح بالدماء مفهومًا، فإن اتخامها بالخناجر يحتاج إلى تأويل بعيد!!

في مجال مديح الثوار وصفوا بأنهم الآساد، والأشبال (أو الشبول) وأساد الشرى، والأسد الكواسر، وفي مستوى الهجاء، كما سنرى، وصف الأعداء بأنهم ذئاب وكلاب وخنازير، ولكن الشاعر حسن عبد الله القرشي الذي جعل من الثوار أسدًا كواسر، لم يجد حرجًا في أن يكونوا - بعد قليل - ذئابًا كواسر أيضًا، كما في قصيدته «كفاح مقدس»:

٣٢ - والشباب الشباب أسد كواسر
٣٥ - فحماة الحمى ذئاب كواسر

إن الشاعر القرشي متمرس لا يبخل بجهد في تنقية عبارته وتنمية موضوع قصيدته. وهو يدرك لا شك أن نقاد الشعر - منذ أقدم عصوره - عابوا ترديد القافية ذاتها قبل سبعة أبيات (هي الحد الأدنى لمصطلح قصيدة)، إننا لا نرى ضيرًا في وصف مقاتلي الجزائر بالذئاب، فالذئب مشهود له بالجسارة وذكاء التدبير في اصطياد الفريسة ربما يفوق الأسد، ولكن هذا التنويع بين أسود كواسر وذئاب كواسر في اللوحة الواحدة الممتدة يفتقد السبب المقبول، ولا يجد له سندًا غير الرغبة في الإطالة على الرغم من استنزاف القوافي.

من أهم أركان المدح الفخر بالتاريخ، واستدعاء شخصياته الجهيرة المؤثرة، وأحداثه ووقائعه التي تشهد بالسمو والشجاعة والإنسانية. وهنا لابد من توضيح بعض الجوانب، وبخاصة أن التاريخ العربي (الإسلامي) حافل إلى درجة الازدحام بالمعارك والأحداث والإنجازات الحضارية والعلمية التي يشهد لها العالم، ويقر للمسلمين بالفضل فيها. فمبدأ استدعاء التاريخ لا خلاف عليه، بل إنه متسق تمامًا مع صحوة الجزائر وحربها التحريرية، سواء كان دافع هذه الصحوة دينيًا أم قوميًا، فالحقيقة أن الفصل بين العاطفتين غير ممكن، وموصوف بالتعسف وتحميل الهوى - أو الميل الشخصي - على شعور إنساني فطري يستوعب في تكامل وانسجام كل أشواق الإنسان للانتماء والتوافق الروحي والنفسي. بعد هذا - أو يترتب على هذا - الحرص على انتقاء أسماء الشخصيات، والمعارك، والأحداث، بحيث يتوافر لها الشمول الدلالي، والعلم العام المتوافق مع المعطى أو المستخلص، والصلاحية للإثارة الشعرية التي تتجاوز مجرد الإعلام بالحدث. وقد تحقق هذا حينًا، وتخلف حينًا آخر. من المتوقع أن يحظى اسم محمد - صلى الله عليه وسلم - بمكان بارز، لأنه جمع بين الانتماءين: الدين والقومية العربية، ومع هذا فإن الحصر العددي لا يؤيد هذا التوقع، وقبل أن نرصد اتجاهات استدعاء التاريخ نمثل بأبيات من قصيدة «الجزائر في نضالها المجيد» للشاعر صقر بن سلطان القاسمي،

قالها عند تمكن فرنسا من اختطاف بن بلا ورفاقه، ومما جاء فيها متعلقًا باستدعاء التاريخ متحدثًا عن الفرنسيس:

١٣ - لم يهنأوا منذ «الأمير» بنومةٍ
إلا على الصيحات من شجعانهِ

١٧ - إن قيل بن بلا هوتْ من ذعرها
مهجٌ، ولاح الموتُ من كيوانه

١٨ - فكأنما هو «خالد» في جيشه
وملائك الرحمن من أعوانه

١٩ - عهد البطولة من ضياء «محمد»
ومفاخر الأمجاد من بنيانه

٢٠ - بعثته في أرض الجزائر فتيةً
كانوا دعاة الحق من رحمانه

لقد تحقق في هذه الأبيات القلائل دقة الاختيار، وحسن الاعتبار، مع الترتيب ومراعاة المقام.

لقد تحدد المدخل التاريخي بالأمير (عبد القادر الجزائري ١٨٠٧ - ١٨٨٣م) وهو البطل القومي المجمع على عظمة جهاده وتضحيته ودوره في مقاومة الاستعمار الفرنسي، فإذا كانت المناسبة اختطاف القائد السياسي للثورة، وهو الاسم الأكثر شهرة في المشرق، فإن تشبيهه بخالد بن الوليد - في ارتباط اسمه بالانتصارات - يرفع معنويات الثوار وجميع أهل الجزائر، فضلاً عن هذا الامتداد للصورة الذي جعل جيشه من الصحابة، ومن ملائكة الرحمن أيضًا، بمعنى الوعد بالنصر الإلهي، فهذا الامتداد يلقي أضواءه على الجيش أكثر مما يسلطها على خالد في ذاته، وشخصية خالد - وقد بدأ فتوح العراق والشام - تحتل مرتبة عالية في الضمير الإسلامي، مهما اختلفت الأعراق. وأخيرًا فإنه يكني عن شخص الرسول بضيائه، وهذا الضياء هداية وبناء. في سياق واحد اجتمع المثير الجزائري (عبد القادر) بالمثير العربي الإسلامي (خالد) ليلتقي الجميع في ضياء محمد

(صلى الله عليه وسلم)، ويشبع هذا الاستدعاء التاريخي عناصر الوقت الماثل بأن جعلهم فتية نهضوا بدعوة الحق. هذا المستوى الرهيف من التوازن الذي يتجنب الإغراق فيما لا يستوعبه الإدراك، ويستبعد من فكرته ما لا يتفق على استخلاص مزيته، لم يكن دائمًا موضع رعاية من كثير من الشعراء، وأغلب الظن أن مصدر القلق يأتي من ناحية المعرفة بطبائع الأقطار في تكوينها الثقافي، وتعدد الأعراق فيها، واتجاهات مذاهبها وعصبياتها، وأن الشاعر المشرقي في اندفاعته الحماسية عالج الأمر وكأنه يوجه مقولته إلى جمهوره الذي يعرفه، وأن هذا الجمهور تثقف بما يحمل هو من ثقافة أيضًا. لقد تغنى غير شاعر بيعرب – الذي يفترض أنه الجد الأول للعرب – وأعاد إليه مفاخر أهل الجزائر، وهذا حسن ظن من شاعر يسقط فروق العروق واختلاف الثقافات. لقد بنى الشاعر صقر الشبيب مطولته (٧٣بيتا) بعنوان: «يا أشقائي العرب» على مبدأ يرى أن العربي الحق المنتسب إلى فضائل أجداده من واجبه أن يتبرع بالمال لإعانة الجزائر في جهادها، وهذا معنى نبيل وغاية شريفة، ولكن هل تحتاج حقاً إلى هذا الامتداد من الأبيات؟ وهل يتطلب هذا أن كلمة يعرب وحدها تذكر تسع مرات (في هذه الأبيات: ٦، ٨، ٩، ٢٢، ٣٤، ٥٢، ٥٤، ٥٥)؟ أليس من حق الخيال أو من واجبه أن يشق المسافات ليصل إلى المناطق الجبلية في الجزائر، فيجد بالتوهم رجلاً من القبائل، أو من غير القبائل يحاول قراءة هذه القصيدة فيسأل نفسه سؤالاً لن يجد من يجيبه عليه: من يعرب المقصود؟ وما علاقته بحرب التحرير؟. ربما يخفف من لوعة النتيجة أن الشاعر حسن النية وجه قصيدته – منذ المفتتح – إلى بني وطنه ليحضهم على البذل المادي الذي لن يعادل ولا يغني غناء بذل النفس. لقد ترددت هذه النغمة وإن يكن بدرجات أقل إلحاحًا، لأنها تذكر لمرة واحدة ، ولكن يحدث أحيانًا أن تكون هذه المرة الواحدة «مستعصية» معطلة للتفاعل مع القصيدة، كأن يقول الشاعر عبد الله بن علي الخليلي في قصيدته «من وحي الجزائر» :

١٦ – بني يَعْرُبٍ فيها ومن لي كيعربٍ
إذ الدهرُ ضم السوء طيَّ جيوبه

١٧ – ورثتم إراقاتِ الدِّما عن أبوةٍ
لها دان صرفُ الدهرِ تحت ندوبه

١٨ - تزعمها المختار والكفر بازلٌ

فذلٌ لسيف الله رغم شطوبه

١٩ - وقاومها الصديقُ والناس ردةٌ

فعاد جلال الحق بين شعوبه

٢٠ - وقارعها الفاروق شرقًا ومغربًا

فحطم سيفَ الشرك تحت صليبه

٢١ - إليها إليها أنتم أهل صرحها

وبانوه في خسبث الزمان وطيبه

إن الخطاب في هذه «الوثبة» المحددة بعلامات ترقيم خاصة موجه إلى أبناء الجزائر، ففي مناداتهم ببني يعرب، ثم المباهاة بيعرب ما قد يثير الالتباس، ثم نمضي مع هذا الرصف اللغوي البديع حقًا، وإن صدمنا صدمة موجعة أن يصور حركة الفتوح الإسلامية على أنها وراثة إراقة الدماء!! وهذا فخر قبلي لم يحسن قراءة الطبائع السائدة في العصر، كما لم يحسن قراءة حروب صدر الإسلام، ومثل هذا يمكن أن يلحظ وإن يكن بدرجة في الصدمة أقل، في قصيدة بديعة للشاعر احمد الغزاوي الذي يفخر بشجاعة أهل الجزائر على أنهم «العرب العرباء» (البيت رقم ٢٧) وهذه التسمية خالصة لقحطانية اليمن دون غيرهم، أما الشاعر خالد عبد اللطيف الشايجي فقد دفع بالانتماء اليعربي إلى ما بعد الانتماء إلى الشرق، والإسلام، فجاء السياق شارحًا مبررًا:

٢ - بلادي بلاد الله والنور والهدى

يجول بها وحي الإله ويجتبي

٤ - لنا في حضارات الزمان وركبه

أيادٍ وفرسانٌ على كل ملعب

٩ - فما بالنا شطت مقاصد دربنا

وصرنا عبيدًا في نخاسة أجنبي

١٣ - وما الكثرة الجلى تحقق مطلبًا

بلا قوة عظمى ووحدة مأرب

١٤ - وإنا وإن ســـارت خطوبٌ بـبــينـنا
فـــأنتم فـــروعٌ من أرومـــة يـعـــرب

١٥ - فـإن سـال جـرحٌ في الـجـزائر خـاضبٌ
تسل منه في الشـرق القلوب وتـخـضب

هنا يتحقق التوازن السياقي، الفكري، كما يتجلى حسن التأتي، كما لمسناه فيما اقتبسنا من قصيدة الشيخ صقر بن سلطان القاسمي.

وقد تشعبت استدعاءات الماضي بغير حد:

ففي ستة أبيات للشايجي بدأ بنسبة البلاد إلى خالقها، ثم إلى الاسلام، وأشاد بالحضارة التي «لنا» جميعا، فعظيمها من صنعنا وتراجعها محسوب علينا، وكثرتنا ليست فخرًا لنا.. وهنا يذكر الوحدة وهي المعنى الذي يستوعبنا، ويأتي ذكر «فروع» لأصل هو يعرب بعد مطلب الوحدة الذي يجعل جرح الجزائر تسيل له المهج في الشرق.. فها هنا توازن دقيق وترفق في المعنى وتسلسل في بلوغ الغاية.

فتحدث الشاعر محمد بن علي السنوسي في «انتصار الحرية» عن اليرموك والقادسية، والعزة الغافقية (نسبة إلى عبد الرحمن الغافقي بطل معركة بلاط الشهداء)و النخوة الطارقية (نسبة إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس)، ويضيف: الإباء المضري، وهذا باب في الفخر غامض، ولا يستثير شعورًا محددًا ولا يوجهه، ولعله استمد المعنى من البيت الشهير لبشار بن برد:

إذا مـا غـضـبـنا غـضـبـةً مُـضـريّةً
هتكنا حـجـابَ الشـمس أو تُمطرَ الدّمـا

هذا قول مقبول في سياق مبالغات المدح القبلي في زمن مضى عليه ألف عام، وكان ينبغي التفكر فيه لأنه ليس من سنخ طارق والغافقي. ويستدعي الشاعر حسن عبد الله القرشي في «ثوار الجزائر» إلى: طارق، والسمح، وخولة، وغزالة، والخنساء.

وفي قصيدته الأخرى: «كفاح مقدس» يستدعي طارقًا والغافقي ويذكر الرسول وابن الوليد، والرشيد، والمأمون. ويستدعي الشاعر أحمد الغزاوي في «تحية الجزائر المستقلة»

يوم ذي قار، ويوم حليمة (الذي لم يعد سرًا) ويمضي إلى ابن أبي سرح وعقبة، كما استدعى الشاعر أحمد محمد الخليفة في «الأرض الملتهبة» : حطين وأسامة (بن منقذ) وذاك الملهم صلاح الدين، ولكن الشاعر أحمد السقاف في «قبلة إلى الأوراس» لا يكتفي باستدعاء صلاح الدين، وإنما يكلفه تقديم تاجه لأبطال الأوراس!!

يقول الخليفة:

٣٤ – لولا البطولةُ وَهي وحي إرادةٍ
ما فازَ في حطين ذاك الملهمُ

٣٥ – خاض الرماح الراعشات بصدره
والخيل تشرَقُ بالسيوف وتُلجم

٣٦ – فهي التي دفعتْ أسامة فانبرى
بالجيش يخترقُ السدود ويقحم

ويقول السقاف:

١٠ – وإذا أوراسُ في نشوتها
فوق ما يرجون سلمًا وأمانا

١٦ – والفتوحاتُ وقد طال السُرى
زغردتْ تعلي بها شأن علانا

١٧ – وصلاح الدين من عليائه
قدم التاجَ لها والصَولجانا

إن أبيات السقاف فيها تشخيص وحركة، وفيها بشائر المستقبل (قيلت أعقاب توقيع صلح إيفيان): فالأوراس في نشوة، والفتوحات تزغرد فرحًا ببلوغ الغاية بعد أن طال السرى، ثم يمثل صلاح الدين (من عليائه) ليقدم التاج والصولجان، وكأنهما شارة المستقبل البطولي المستمر. البيت الأول عند الخليفة تجريدي ذهني، والإشارة إلى صلاح الدين بذاك الملهم. مع ما فيه من الوصف بالإلهام، والحكم بالفوز، واستعمال اسم الإشارة للبعيد: ذاك، فإن التصريح كان أنسب للمقام، وإن كان لا نزاع في أن حطين تستدعي

بالتحديد صلاح الدين، غير أن البيتين غادرا دائرة الذهنية الجافة، وتجسدت صور القتال وحركته، وعاد الاستلهام في غاية الصورة إلى ذاك الملهم مرة أخرى فاجتمعت أطراف المشهد.

لقد طال الوقوف مع مدح الجزائر، ومع هذا هناك الكثير الذي ينبغي أن ينبه إليه وإن في عجالة:

١ - هناك قصائد كاملة توجهت إلى الجزائر بالمدح دون أن تتطرق إلى هجاء النقيض.. وهي قليلة، لكنها مؤثرة، لأنها الأقرب إلى الغناء القومي أو الوطني الصافي الذي يعلي من شأن الأمة، ونذكر في هذا المحور قصيدة فاضل خلف: «أرض البطولة»، وقصيدة محمد عامر الرميح (النثرية): «مواكب الأبطال» ، وقصيدة الدكتور حسن نعمة «أم الفداء». أما قصيدتا الدكتور عبد الولي الشميري (قالت غيور - لذكرى انتصار ثورة الجزائر) وقد قيلتا منذ زمن قريب، وقصدهما التحية، فإنه لا موجب لذكر فرنسا، وفي الأولى ختمها بذكر دبليو الفاجر، وفي الأخرى لعن الفيتو وتوعد شارون.

٢ - ومن القصائد عدد حملت فيه عبارات الفرح بالجزائر وإعلاء تجربتها النضالية إشارات سريعة تحمل آمالاً تتجاوز الموضوع الجزائري برمته، لتحلم للأمة العربية بنهضة شاملة، ونكتفي بنموذج واحد للشاعر صالح الأحمد العثيمين، وهو مفتتح قصيدته: شعاع الأمل:

١ - هو فجر أمتنا سيشرق بالحياه

٢ - حلو الرؤى

٣ - بادي الشعاع

٤ - سيطل من تلك الحقول

٥ - الزاهيات

٦ – ومن دماء الكادحين

٧ – ومن دموع

٨ – المرهقين

٩ – المتعبين

١٠ – سيظل يحتضن الحياة الداجية

١١ – ورؤى الأماني الكابية

هكذا يتدفق سياق المستقبل الحلم، في قصيدة بن الشاعر في مقدمتها أنه يقولها على لسان مجاهد جزائري، ولكننا لا نجد فيها صوت هذا المجاهد بقدر ما نجد صوت الأمة العربية المشوقة إلى العدل، وإلى السلام، وإلى الأمان، وإلى التقدم، وهذا هو المدخل الصحيح لقراءة القصيدة، الذي يزيل الشعور بوجود مساحة مجهولة أو مختفية بين هدف التقدم وما يرسم النص من أطياف حياة تتمناها جماهير الشعب العربي في كل أقطاره، وليس المجاهد الجزائري الذي حدد هدفًا وحمل سلاحه ليحققه.

إن هذه القصائد، ومثلها كثير في شتى أقطار الوطن العربي، جديرة بدراسة فنية موضوعية تخضعها لتحليل معجمي أسلوبي، يكتشف تلك الآمال والأمنيات المتسربة أو المندغمة في سياق التأييد للثورة الجزائرية، وهي صادقة كل الصدق في هذه الحماسة للثورة، وفي كل ما وصفتها به، ولكننا – إذا ابتعدنا قليلاً عن حدث الثورة، وقد ابتعد في الزمان بطبيعة الحركة، سنجد أن انفعالات عظيمة، وذات دلالات مهمة قد تحركت أو استيقظت من سباتها، لتجد في غبار الحرب ودخان الثورة وبخور الآمال المرتقبة ما يمكن أن يواري أو يخفف من مراقبة انفعالات أخرى تطلعت بالأماني إلى مستويات من التغيير، في بلاد أخرى غير الجزائر، ورأت في ثورة الجزائر فاتحة أو مفتاحًا لها .

٣ – بعض القصائد، عدد قليل منها حمل طابع المكان الذي جاء منه، قد يضع الشاعر هذا في عنوان القصيدة، كما فعل أحمد محمد الخليفة: «تحية البحرين إلى

الجزائر» – وفيصل البريهي: «صنعاء في الجزائر» ، ولكن شعراء آخرين يضعون هذا في ختام قصائدهم كما صنع عبد الله علي الخليلي، وقد أنهى مدائحه المزجاة إلى الجزائر في «من وحي الجزائر» ليقول في المقطع الختامي (من خمسة أبيات):

٢٦ – عُمانُ الذي ما ذلَّ للدهر لحظةً
وكم جاءه من بأسه في عصيبه

فيخرج إلى مدح وطنه والإشادة به، رائيًا أن هذا ليس خروجًا على موضوع القصيدة لأن عمان هذه هي التي حملته أزكى التحيات والثناء إلى الجزائر. وهناك وسائل ادخل في الفن بما أنها ابعد عن المباشرة، كما صنع الدكتور عبد الولي الشميري في «قالت غيور» . إذ اكتفى بالتلميح عن التصريح:

١٢ – نعم أهوى الجزائر مثل حبي
لأرض الجنتين وللمعافر

ولكي ييسر على متلقيه إدراك المرمى أتبعه بما هو أكثر تعريفًا والتصاقًا باليمن:

١٧ – وجئت اليوم من سبأ يقينًا
بأنباء الأوائل والأواخر

١٨ – بلاد أرومة وسماء مجد
وموئل فاتح وعرين ظافر

فأرض الجنتين هي سبأ (اليمن) والمعافر تصدق على الأسد والخصب والظباء، وقد تحدد خروجه إلى مدح وطنه بهذه الإشارة الطريفة. في قصائد أخرى توجه المدح مباشرة – في الختام وأحيانًا في البدايات – إلى الملك، وقد يطول المدح إلى عدة أبيات، كما قد يجمع إليه ولي العهد، كما قد يتغنى بمجد الوطن على أساس أنه أرض مباركة، وفي قول الشاعر إن التأييد من أرض مباركة يختلف عن التأييد من أية أرض أخرى.. ولهذا لم يختصر الإشارة ولم يعمد إلى الرمز، بل جاء القول مباشرًا صريحًا، فكان إلى جانب الإطالة مجافيًا لروح الشعر ووحدة القصيدة.

من الطبيعي أن يفكر شاعر المدح في الهجاء، مادام يعرض لقضية ذات طرفين، فالمديح ييسر مهمة الهجاء إذ لا يخرج الهجاء عن كونه الصورة السلبية (النيجاتيف) لما يزجي الشاعر من أيات المديح، ولكن هذا التيسير لا يتخطى المعاني المجردة، اما مهارة الصياغة وطرافة التصوير ودقة التناول فإن لها استعدادًا خاصًا، ولهذا مهر كثير من الشعراء في أحد الفنين: المديح أو الهجاء – دون أن يؤدي التفوق في أحدهما إلى القدرة على إجادة الآخر. والعقل العربي – بتكوينه المتوارث – مشغول بالآخر، يجد تمام بهجته يكتمل بأن تكون هذه البهجة مصدر غيظ أو علامة هزيمة لآخر، ولهذا كثرت في قصص العشق، وتسجيل الأمجاد الإشارة إلى العاذل والرقيب والواشي والمنكر.. الخ. لكل هذه الدوافع الفنية والنفسية والمشاهدة العملية ارتفعت نسبة القصائد التي قام بناؤها على مرحلتين متعاقبتين أو متداخلتين، إحداهما مادحة للجزائر والأخرى هاجية لفرنسا، وليس مهمًا بأيهما يبدأ، فهذا مرتبط بالمفتتح الذي حاك إيقاعه في صدر الشاعر فنسج أنغامه عليه مستجيبًا لتداعيات المعنى، دون أن يطيل التفكر في دارمية البناء التي لا تتحقق بمجرد توالي المدح فالهجاء أو العكس، وإنما تتحقق هذه الدرامية بوجود السببية: تتحرك الأفعال فإذا هي عند فريق بطولة، وعند الفريق المقابل خسة ونذالة، وتتحقق أيضًا بأن يتحرك الزمن فإذا الأشخاص أنفسهم يتغيرون، يمارسون أعمالاً استهجنوها في زمن آخر، أو يتنكرون لأفعال كانوا من دعاتها من قبل.. وهكذا. وكما أشرنا قبل فإن لدينا شتائم وسبابًا كثيرًا وهجاءً محددًا، يصعب أن يغادر دائرة النظم إلى آفاق الشعر، ولهذا فإن الاكتفاء بعدد محدود من النماذج قد يغني عن سائرها، غير أننا سنستمر في الإشارة إلى القصائد إذا تضمنت ما تستحق به أن نتعرف عليها، ولعل الشاعر أحمد السقاف في «إلى جبل الأوراس» قد فتح الطريق أو رسم النمط أو على الأقل جمع أهم المثالب التي تكررت في مقاطع الهجاء. إن عنوان القصيدة ومفتتحها يوجهان التلقي إلى التمجيد والإعجاب والفخر، وقد مضى النظم في هذا الاتجاه تسعة أبيات تضمن بعض منها إشارات تؤسس للنقيض، فحرب الجزائر أفقدت «موليه» عقله، وموليه رئيس فرنسا، ثم:

١٠ – وقـد جـهلت فـرنسـا أي جـهل

فليـسـت ثورة الأحـرار سـهلـه

١١ - ومن عجبٍ تقاتلنا فرنسا
وكانت من فتى الألمان نعله

١٢ - ولا لوم إذا غدرتْ فرنسا
ومن ذا - لا جهلْتَ - يلوم نذله

١٣ - فإن وفتِ الهلوكُ فذا عجيبٌ
وإن غدرتْ فذاك يعد خلّه

١٤ - ولا ذكرٌ تُدِلُّ به فرنسا
سوى ذكر الهزائم والمذلّه

يمكن أن نلاحظ أن كثرة ما سيأتي لن يكون أكثر من تنويع أو توسع في هذه المعاني: أن الفرنسيين لا يحسنون التقدير ولم يعرفوا حقيقة الجزائر، وأنهم هزموا أمام هتلر (فتى الألمان) هزيمة منكرة، وهناك من سيذكر هزيمة الهند الصينية (فيتنام) أيضًا، وترتبط سبة الغدر بسوء الخلق الذي يصل حد العهر، وتوسع في هذا المعنى كما تشاء (قصيدة عبد الله سنان: فرحة شاعر - البيت ٢٩ على سبيل المثال لا الحصر) وبالنسبة للشاعر عبد الله سنان فإنه في القصيدة السابقة صور الجزائريين ضراغمة كواسر - البيت ٣، وفي قصيدة «الجزائر» ردد هذه الصفة للجزائريين، وجعل الفرنسيين ذئابًا، لئامًا، تكالبوا - البيت ٨، وكذلك يحتفظ لهم الشاعر عبد العزيز الرفاعي في «كلمة إلى الجزائر» باستعارة الكلاب التي لا يصح أن تحوز كهف القساور - البيت١٣، ويضيف الشاعر حسن السقاف في «أهل الجزائر» إلى صفات الغدر والخزي وإدمان الهزيمة أنها ستجر حلف الأطلسي معها إلى الهزيمة، مستفيدًا من لفظ الأطلس، وهو وصف للذئب، والذئب لا يصمد للأسد، وأن فرنسا مصابة بداء النقص أيضًا، وجعل من هذا المعنى ختام قصيدته:

٢٢ - ويحَ الشعوبِ إذا التْ زعامتُها
لمن يظلُّ بداء النقص مختالا

وفي ثلاث قصائد للشاعر حسن عبد الله القرشي:« ثورة الأحرار - ثوار الجزائر - كفاح مقدس - حشد صفات المقامرة والفجر والكفر والقرصنة، وأنهم جزارون،

وخفافيش، ولا يختلفون عن الغنم!! ولكنه في أثناء هذا الحشد من مفردات السب والقذف جاوزه إلى التهديد والوعيد، كما استخدم أسلوب التهكم أيضًا، وماثله فيهما الشاعر عبدالله سنان، بل جاءت عبارات التهديد عنده أشد حدة وتحددًا، لذكره جمال عبد الناصر:

٣٢ - ستنسوقكم مثل الخرا ف فلا معاند أو مكابر

٣٣ - وبهمة الأحرار سو ف نبيدكم وبعزم ناصر

ويسجل الشاعر عبد الله بن إدريس هزائم فرنسا العسكرية بأسلوب تهكمي، فيقول على لسان «المجاهد الجزائري»:

٦ - مهلاً فرنسا ألم ينذرك ما كسبتْ أيدي غزاتك من عار ومن تبب

٧ - أمام هتلر إذ أحنيت صاغرةً وعاد جيشك من رأس إلى ذنب

٨ - ثم الفيتنام إذ دكت قواعدكم حتى أطاحتْ بها في لمة القضب

وفي «صوت الجزائر» يكرر إدريس المستوى الصريح نفسه من الهجاء، فهم شعب الدعارة والمجون - بيت ٢٢، وهم حثالة المستعمرين - بيت ١٦، غير أنه - في القصيدة نفسها - يستخدم أسلوبًا راقيًا في إكساب الدلالة قيمة نفسية وإنسانية، فنكون أقرب إلى إدراك شاعر، وإلى لغة الشعر حين يقول:

٣٠ - قم نسحق الباغي ونثأر في إباء

٣١ - لدم الشيخ الكبير

٣٢ - ودم الطفل الصغير

٣٣ - ودموع أيتام تشرد في العراء..

هذه افعال محطة بالإنسانية، وليس من فعل إلا وله فاعل، والقصاص من هذا الفاعل واجب مقدس، فهذا النهج في التعبير وإن كان فيه مباشرة وتحديد، فإنه اقل استفزازا من الشتائم والرمي بالمويقات، ويوصل الرسالة بطريقة مفصلة هي أقرب إلى لغة الشعر.

ويهدد الشاعر محمود شوقي الأيوبي – في «يوم الجزائر» – فرنسا، فيوعدها بزلزال، ويسبها: «خسئت يا بؤرة القرصان» – البيت ٣ – ويصف بينو ولاكوست ومواليه بالنذالة – بيت ٩، والوقاحة – بيت ١١، وتستمر لغة التهديد: الطمي خديك – بيت ٣٣ – يا عجائز السين – بيت ٣٢، ويستحق مواليه تهديدًا خاصًا – بيت ٣٥.

نختم فقرة هجاء فرنسا بقصيدة خالصة لغرض الهجاء، للشاعر محمد بن علي السنوسي، وهي بعنوان «جنكيز خان» ، وهكذا يبدأ الهجاء من عنوان القصيدة أو يستجمع هذه العنوان مفرداته، وهذا – على اية حال – نهج فريد في الهجاء من حق الشاعر أن يحظى بفرصة منفردة في عرض محاولته، إن استخراج النموذج التاريخي القادر على جمع كل مظالم المشهد الاستعماري يعد في ذاته نوعًا من البراعة الموفقة. هناك محاولة لا تزيد عن كونها إشارة في قصيدة صالح الأحمد العثيمين «شعاع الأمل» ، فكما يدل العنوان هي بشارة للغد العربي:

٣٨ – للأمة العطشى إلى ومض الحياة

٣٩ – الناعمة

٤٠ – لن يبق فرعون جديد

٤١ – في أرضنا وبلادنا

٤٢ – لن يبقى هولاكو العتيد

٤٣ – يستنزف الدم والحياة

٤٤ – من أمتي .

في سياق واحد جمع العثيمين بين القائد المغولي المدمر هولاكو، بكل ما يحمل من وزر اجتياح دولة الخلافة الإسلامية وتخريب بغداد، وفرعون حتى وإن لم يقيده بصفات سلبية اكتفاء باسمه الذي ألصق به القرآن الكريم صفات الادعاء والاستبداد والاستكبار في الأرض، فهذا الموروث الثقافي القرآني يصعد من الذاكرة إلى الوعي لمجرد سماع اللقب، أما هولاكو – وهو شخصية تاريخية محددة – فوصف بأنه يستنزف الدم والحياة. أما الشاعر السنوسي فقد اختار جنكيز خان عنوانًا، وإن ورد هولاكو سياقًا في القصيدة لتتجه الاستعارة الفنية إلى ديجول (رئيس فرنسا عام ١٩٥٨) الذي أعاد مخازيهم، ولعله فضل الخان الأعظم الذي لم تطأ قدمه بلادنا، لأن الأعمال تنسب إلى الأكبر، ولأن لفظ «خان» لها معنى شائن في العربية، ولكن الشاعر لم يستثمر هذا العنوان استثمارًا نافعًا، لم تسعفه معارفه، ومن الواضح انه لم يسع إلى أن يعرف عن هذا الخان إلا أنه صنو هولاكو ومدمر مثله، وانهما معا كانا حربًا على الإسلام وتراثه ومدائنه، وأن ديجول يحاول استعادة هذا الدور في الجزائر المسلمة، ولكن أبطال الأوراس لن يمكنوه من هذا..

٣ – جنكيز خان وهولاكو ولفهما
وكل ما سجل التاريخ من نقم
٤ – عادوا وعادت مخازيهم يمثلها
ديجول في قحة نكرًا وفي نهم
٥ – الكفر يزحف والطغيان محتدمٌ
والشرُّ يسخر بالأخلاق والقيم
٦ – والبغيُ بغيُ فرنسا يقشعر له
جلد البرية حتى أوحش الأمم
٧ – هناك فوق ذرى الأوراس معركةٌ
وقودها عزة الإسلام والشمم

معركة الجزائر في تصور الشاعر السنوسي معركة بين الإسلام والكفر، ولهذا لا يلبث أن يمتدح مليكه «سعود» وأن يعتبره «خير معتصم» ، كما كان المعتصم في معركة عمورية، غير أنه – بعد أبيات ليست كثيرة – لا يستطيع أن يتغافل عن أن وقفة الأمة هي وقفة عربية، وأن الجزائر قطعة من العروبة:

١٧ - يوم الجزائر يوم العرب قاطبةً
في النجد والسهل من فاس إلى اضم
١٨ - وما الجزائر إلا قطعة ودمٌ
من العروبة من راس إلى قدم

لقد أهدر الشاعر رمز جنكيز خان فلم يتعمق الصورة ولم يدرك التفصيل، ومع هذا فقد قرأها قراءة عامة أو سطحية في حدود مناسبة للموقف في الجزائر، وأمينة أيضًا مع طبائع أهل الجزائر من انحياز إلى الدين، ونفور من مخالفيه، ومن ميل إلى الأمة العربية والرغبة في الانفتاح عليها وتأكد حضورها الثقافي في حياتهم.

وفي ختام الختام نتمهل عند هذه القطعة الطريفة من قصيدة الشاعر محمود عارف «يوم الجزائر» ، وفيها يرسل الأسئلة تترى تشكك فيما اتفق عليه الناس من عظمة باريس، وعراقة السربون وتحضر فرنسا:

١٧ - يا فرنسا، وانت عنوان ويلٍ
حسبك اليوم موبقات المخاطر
١٨ - كم سقيت الزعاف شيبًا وغيدًا
وقذفت الاطفال طي الحفائر
١٩ - قال عنك الأحلاس إنك رمزٌ
للحضارات في الزمان المعاصر
٢٠ - واستفاضوا إفكًا بانك مهدٌ
للثقافات في العصور الغوابر
٢١ - إن دار السربون مصنع هولٍ
يدفع الغاشمين عبر الجزائر
٢٢ - اترى كانت الحضارة تعني
هذه الموبقاتِ - بَلْهَ الجزائر؟

هذا الموقف المتسائل، وهذا التشكيك المستخلص من نتائج مشاهدة (حتى وإن لم يصح أن جنود فرنسا في الجزائر كانوا متخرجين في السربون) يضيف إلى المنحى

الهجائي قوة وتمكنًا، وهو خال من الشتائم، وهو أيضًا إذا ما ترجم إلى اللغة الفرنسية يمكن أن يثير قلق الفرنسيين تجاه ما يعتزون به، إذا ما قرأوا هذه الأسئلة، بعكس ما تراكم من سباب فاحش ووصف فاضح.. لا ينكرونه، بل يجدونه من مظاهر تحررهم ودليل حيويتهم.

٥ - الثلاثة الرموز

في التجارب ذات الطبيعة الكلية، مثل حرب التحرير الجزائرية، وما يمكن أن تفتح الطريق إليه من موضوعات جزئية قد تند عن الحصر، يحدث كثيرًا أن تتجه أنظار عدد كبير من الشعراء إلى حدث بعينه، أو شخص محدد، أو مكان معين، ليؤثروه بالاهتمام، باستنطاقه، أو الحديث إليه، أو عنه، أو اتخاذه قناعًا وبخاصة إذا أصبح ذا شهرة مستقرة. وليس من حق النقد أن يسأل: ولماذا هذا الشخص أو ذاك المكان؟ والمتوقع أن يكون جواب السؤال حاضرًا أو مقدرًا من السهل العثور عليه، كسبق الظهور والشهرة، أو طرافة الاسم، أو دلالته، أو غرابته، أو إيقاعه الصوتي، أو نسبة عمل فذ إليه. وهذا السبب الذي أخرناه هو الأكثر أهمية وسطوعًا بالطبع، ولهذا لن تطرح حوله أسئلة عادة. والسؤال النقدي المشروع سيكون عن رؤية الشاعر لهذه «الجزئية» ، وهل استطاع أن ينفذ منها إلى ما هو كلي وإنساني، وأن يستخرج منها شيئًا يتجاوز المألوف الذي يدركه كل الناس إلى الكشف عن شيء آخر خاص نادر لم يبتذل بكثرة الدوران على الألسنة؟ هذا هو ما ينبغي أن نسأل عنه حين نجد الشاعر يجتزئ من القضية الكلية التي يضعها نصب وعيه وعينيه قطعة محدودة: شخصًا أو مكانًا فيضعه تحت المجهر ويحاول أن يصل من خلاله إلى ما قد يجد صعبًا عليه أن ينفذ إليه من المنظور الكلي. ما نعنيه تحديدًا: أن قصيدة عن «حديقة» ليست بالضرورة أغنى من قصيدة عن «زهرة» واحدة من أزهار هذه الحديقة، وأن الكتابة عن قصائد الفرسان قد لا تخدم مشهد الفروسية كما يمكن أن يخدمه الحارس الذي اعتنى بالحصان، فمشط شعره، وربت عنقه، وربط السرج على ظهره بإحكام، فالمهم هو إمكانات الحاسة اللاقطة ونفاذ البصيرة في المشهد، الذي يمكن بعض الشعراء من أن يرى العالم في حبة رمل، أو قطرة ماء!! ولا يمكن آخرين من رؤية نار الطغيان تحيل حياة أمم بأكملها إلى جحيم.

في إطار الموضوع الجزائري سطعت ثلاث شخوص، هي بترتيب الإحصاء: جميلة بوحيرد، والأوراس، وأحمد بن بلا. سيقترن ذكر اثنين منهما معًا، قصائد متعددة ذكرت بن بلا وجميلة، أو الأوراس وبن بلا، أو ذكرت الثلاثة باحتمالات الترتيب، وهذه أمور يستوجبها الوزن وتطلبها القافية، من ثم لن يكون التقديم أو التأخير ذا دلالة فارقة، ولكن الفارق يتجلى في حيوية التصوير وطرافة التعبير أو جدته أو امتداده أو تداخله مع جوانب أخرى .. الخ.

نوضح ما نعنيه بمقاطع من قصائد ذكرت جملية بوحيرد، أو أشارت إلى الجميلات الثلاث (جميلة بوحيرد، وجميلة بوباشا، وجميلة بوعزة) وثلاثتهن من بطلات الجهاد.

يقول الشاعر حسن عبد الله القرشي – في «ثوار الجزائر»

٣٦ – «جميلة» .. وأنت يا أنشودة الإباء

٣٧ – يا نغمة تشع بالطهر والصفاء

٣٨ – شهيدة في وطني تضحك للفداء

كما يقول الشاعر عبد العزيز الرفاعي – في «كلمة إلى الجزائر»

٧ – فــــإذا ثورة الدمـــــاء نعـــــيم
يتـــصــــبى حــــتى الملاح الحـــرائر

٨ – «الجـــمـــيــلات» والكمـــاة ســـواء
صنــع الكل بـالفـــــداء الجـــــزائر

ويقول أحمد محمد الخليفة في «الأرض الملتهبة» :

٣٢ – من غـــيــر بن بلا وغــيــر جـــمــيلة
في الأرض أبرع في الخطوب وأقــــدم؟!

ويبذل الشاعر عبد الله سنان جهدًا متعسفًا ليجمع أسماء الزعماء الخمسة المخطوفين، في مقدمتهم بن بلا، وتتبعهم جملية، وبين الفريقين: الأوراس:

٢ – قف لابن بلا وأبطال تســـــانده
واهد الســــلام إلى الأوراس مــــعطارا

٣ – قف لابن بلا وضيـاف وخـيضـر واذ

كُـرْ اية احـمـد والبـيطاط تذكـارا

٤ – وقف لفـخر النساء الفاضلات واذ

ـكرهـا جـمـيلةً مَن لم تشك اضـرارا

أولاً - جميلة:

هذه وأمثالها نماذج هدفت إلى تسجيل الحضور، وإثبات أن الاسم في الذاكرة، وأنه بهذا الذكر تتأكد الهوية الجزائرية للقصيدة. ولكننا – بالمقابل – يمكن أن نتأمل مساحة أخرى ذكرت فيها جميلة، في قصيدتين، ومن الطريف أن أسمها قرن – في الموضوعين – إلى اسم البطلة الفرنسية القديسة جان دارك، إذ يقول الشاعر عبد الله بن إدريس في «صوت الجزائر» :

٦٠ – جان دارك إن تك في المفاخر

٦١ – لك يا فرنسا في الغوابر

٦٢ – فلدى العروبة في الجزائر

٦٣ – جان دارك .. كثر كاثر

٦٤ – يحنو لها التاريخ هاما صاغر

٦٥ – لك انت يحنو

٦٦ – «يا جميلة»

٦٧ – ولداتك اللاتي صنعن البطوله

٦٨ – ما كنت يومًا ترهبين المقصله

٦٩ – بله السجون المظلمه

٧٠ – فالحر لا يرضى حياة الذل ألف عام

٧١ – والموت في إعلاء الحق يمحو كل ذام

ويقول الشاعر أحمد الغزاوي في: «يأبى لنا الإيثار إلا نجدة» :

١٦ – جـان دارك تفرق من وشـاح جـمـيلة

وجـمـيلة كـالسـيف او هي جـحـفل

١٧ - لو انهـا اصـغت إليـهـا سـاعـةً
لمشت إليـهـا في المسـرح تذلل
١٨ - شـتّـان بين نضـال كل منهـمـا
هذا يصـول وذلكم يتـسـول
١٩ - بل تلك غـانيـةٌ وهذى حـرةٌ
عـذراء في مـحـرابهـا تتـبـتل
٢٠ - هيـفـاء إلا انهـا بقـوامـهـا
املٌ يضـيء وصـارمٌ يتـهـلل
٢١ - دوى الأثيـر بعـزمـهـا وثبـاتهـا
وتوقف التـاريخ وهو يسـجـل
٢٢ - مَـثَلٌ بهـا للغـيـد يضـرب صـاعـدًا
وكـذلك الأخـلاق وهي تـكلل
٢٣ - لهـفي عليـهـا في الحـجـول رهينةً
والأسـدُ تزار والعـرين يُصلـصل

في الاقتباسين يتفق الشاعران في استدعاء جان دارك ووضعها في موقع المقارنة مع البطلة الجزائرية، فكل منهما جاهدت في سبيل تحرير وطنها من غاصب محتل. ويتفق الشاعران أيضًا في النظم على بحر الكامل، وإن كان بن إدريس قد اكتسب استطاعة زائدة، وحرية تحريك مضافة بتحرير صيغته من عدد التفعيلات في السطر الشعري، ومن القافية أيضًا، وليس هذا بالأمر الهين، مع هذا نشعر في قراءته بمعاناة بناء العبارة، واختيار خاتمة الجملة التي أبى إلا أن تكون مسجوعة دون مقتضي حقيقي، دون أن يضفي هذا النغم الإضافي المسجوع على شعره جمالاً إيقاعياً لا يزال يفتقده، بل إنه يفتقده بشدة، بسبب هذا السجع المزدوج حينًا، والمبني على ثلاث أو أربع أحيانًا، وليس لهذا الإيقاع المصنوع إلا إشعار المتلقي بمكابدة استيراد الألفاظ لمعان مألوفة، أبعدها هذا التنضيد السجعي عن ساحة الشعر، واضطر نفسه إلى عبارات لها بدائل أبهى وأدق مثل: كثر كاثر، الغوابر، بله، الذام. كما اضطره الحرص على السجعة إلى تحريف المعنى

في السطر (٧٠) الذي يفترض انه يعني: الحر لا يقبل أن يعيش عمرًا مديدًا في مقابل الرضا بالذل. اما إن كان لا يرضى بالذل ألف عام فإنه قد يرضى به اقل من هذا المدى الطويل!! - على عكس هذا نجد أبيات الشاعر الغزاوي الذي تضج أبياته بالحركة، والدلالات النفسية، فجان دارك لا تفرق من جميلة؛ ذلك لأن جيش فرنسا بكل يقظته عانى منها وسقط رجاله صرعى بفعلها الجسور، من ثم تفرق من وشاحها، وهذه الاحتمالات مضمرة في ذكر الوشاح. فإذا غادر الفعل إلى القول لظهر أن القديسة الفرنسية في مسوح قداستها لن تكون أكثر من تابعة ذليلة للبطلة العربية، ومعيار المفاضلة يستند إلى القضية ونقاء الممارسة، ثم يمدح «جميلة» بما تمدح به النساء، فهي هيفاء، وأمل يضيء، وصارم يتهلل، وإذا يضعها في السجن، يجعلها في بيتها، فهي لم تغادر بيتها حتى وإن سجنها عدوها، ولن تبقى فيه طويلاً فالأسد تزأر والعرين يصلصل.. ويستمر تحريك المشهد دون أن نتعثر في كلمة غريبة، أو صورة منافية لطبيعة البطولة أو طبيعة المرأة.. وستكون لنا عودة إلى هذا الوصف من منظور مختلف.

هذه - على أية حال - قطع جاءت في سياق قصائد، أما القصائد التي عنونت بأسماء الشخوص الرموز، فقد فازت جميلة منها بثمان قصائد، ترتيبها حسب عناوينها:

١ - إلى بطلة الجزائر - شعر محمود عارف - ٣٥ بيتًا - من بحر الخفيف

٢ - إلى جميلة - شعر بهية الجشي - ٢٧ سطرًا - على تفعيلة المتقارب

٣ - امنية والد - شعر صقر بن سلطان القاسمي - ٢٠ بيتًا - من مجزوء الوافر

٤ - جميلة - شعر سعد البواردي - ٥١ سطرًا - على تفعيلة المتقارب

٥ - جميلة - شعر طاهر زمخشري - ٢٦ بيتًا - من بحر الخفيف

٦ - جميلة بوحيرد - شعر عبد الله سنان - ٣٠ بيتًا - من مجزوء البسيط

٧ - جميلة بوحيرد - شعر علي محمد لقمان - ٧٩ بيتًا - من بحر الخفيف

٨ - وشاء الجهاد - شعر ثريا قابل - ٢٠ بيتًا - من مجزوء البسيط

إن تأمل اللوحة السابقة يقود خطى التلقي إلى تقبل اتفاقات تحتاج إلى كثير من التفكر إذ لا مصادفة في الفن، حتى وإن ظن «الفنان» أنه هكذا كان الأمر دون تعمد من جانبه، فهنا ثلاث قصائد من الخفيف، واثنتان من مجزوء البسيط، واثنتان على نسق قصيدة التفعيلة من المتقارب، وقصيدة واحدة من مجزوء الوافر.

عدد أبيات الموزون المقفى (٢١٠) مائتا بيت وعشرة أبيات.

وعدد أسطر قصيدتي التفعيلة (٧٨) ثمانية وسبعون سطرًا.

أما شأن صوت (حرف) الروي أو القافية فإن الاتفاق فيه يفتح بابًا لمناقشة البنية الصوتية ودور القافية في تعميقها، لأن ستًّا من هذه القصائد الثمان جاءت على قافية اللام، وصيغة (فعيله) لتوافق اسم جميلة، وفي القصيدتين المتبقيتين كانت القافية في كلتيهما (الهمزة) بعد ألف ممدودة!!

إننا - إذًا - إنما نقرأ ما يمكن أن يشكل ديوانًا صغيرًا يخص جميلة بوحيرد، التي حظيت باهتمام عربي دعائي لا نظير له، وقد لحقت بها بطلتان تحملان نفس الاسم (جميلة بوباشا ثم جميلة بوعزة) ولكنهما لم تحظيا بالقليل مما نالته جميلة بوحيرد، إذ كان لها السبق، والصبر على مواجهة التعذيب، وكانت أجهزة الإعلام والدعاية العربية متعطشة لحدث غير مألوف، يكسر إيقاع الصدام اليومي باقتحام القصبة، فجاءت جميلة لتقتحم على الفرنسيين مجتمعهم في أحيائهم، وحتى بعد أن توالى القبض على الجميلات الثلاث انصرف المجد كله إلى الأسبق الأشهر، وكأنها «ليلى» التي اختزلت صور المعشوقات، أو الخنساء التي جمعت أحزان النساء على الإخوة والأبناء.

في قصيدة محمود عارف استدعى جان دارك أيضًا، ولم يلجأ إلى تفضيل جميلة عليها، وإنما جعل خذلان الشعب الفرنسي لبطلته، ووفاء الشعب العربي لبطلته دليلاً على طبائع كل من الشعبين وتقديره للبطولة. يقول، والخطاب لفرنسا:

٣٢ - ما نسينا جان دارك وهي تعاني

منك وكسًا، فأين منها جميلة؟

٣٣ - يوم ذكرى جميلة هتف الشّـ
قُ مشيداً: حييتِ بنتَ الفضيله

إن الشاعر العربي المسلم لم يستطع أن يتحرر من النسق الثقافي السائد في بيئته، ومن أركانه أن أهم صفات المرأة الفضيلة، حتى وإن كانت تنازل المقاتلين في الميدان، وأنها تابعة لقومها محسوبة عليهم، وليست - بذاتها ولذاتها - منهم، فضلاً عن أن الرجولة والفحولة تظل المثل الأعلى الذي تقاس إليه الأعمال الخارقة حتى وإن كانت من صنع النساء:

ومشت والإباء في ناظريها
تحمل العبء شأن عزم الرجوله
وسقت بالدماء أرض ذويها
والهجير السوار في أصغريها
لهبٌ فاض ثورةً وفحوله
خلدوا للفداء عزم فتاة
رفعتْ في الأنام رأسَ القبيله

لم يستطع شاعر الهيمنة الذكورية أن يستبطن شخصية الأنثى، وأن يجوب في عالمها ويستكنه دوافعها وتخيلاتها وهي تقدم على مغامرتها، إنها - في رأي الشاعر - سقت بالدماء أرض ذويها، أرض القبيلة، وليست أرضها... الخ.

أما الدكتورة بهية الجشي التي كتبت قصيدتها وهي فتاة في المرحلة الثانوية فإنها ببصيرتها الأنثوية النافذة تخترق المرحلي الراهن إلى المستقبل، وتنظر إلى الفرد في إطار المجموع، من ثم تختم قصيدتها بحث جميلة على أن تصمد حتى الموت:

٢١ - موتك يا جميلة
٢٢ - وصمة عار لفرنسا الطاغيه
٢٣ - وتاج عز للجزائر المجاهده
٢٤ - اسمك يا جميلة

٢٥ - كل فتاة أصبحت تريده

٢٦ - موتي

٢٧ - فإن الموت في سبيل الحق

٢٨ - مجد وبطولة

بهذه العبارات البسيطة الساذجة تنفذ الشاعرة إلى عمق معنى استشهاد فتاة، فهو يحمل التشنيع على فرنسا فيخدم قضية وطنها، وهو يحمل شهادة جدارة للأنثى العربية، يرمز لما تحمل من أشواق (أسمك يا جميلة - كل فتاة أصبحت تريده) وهذا إيماء وكناية إلى تعلق المرأة بأن تكون جميلة في تكوينها، وبأن تكون جميلة بوحيرد.

وتنفرد قصيدة الشيخ صقر بن سلطان القاسمي بنمطها البنائي الخاص، القصيدة قصيرة (عشرين بيتًا) كالأمنيات، تأتي في عبارة خاطفة، مقتضبة أو سريعة (من مجزوء الوافر) أمنية الوالد منقسمة في أمنيتين، كالوصية، لبناته، ولإبنيه، والقسمة عادلة: ثمانية أبيات لكل نوع، ثم تحدد الأهداف في الامتداد الختامي. يقدم الوصية للبنات أولاً، ويدخل إلى نفس «البنات» من عاطفة الحنين والوفاء، بعد أن يضع أمامهن النموذج:

٧ - وكنَّ «جـــمـــيلة» التـــاريخ في كـــر وفي صـــبـــر

٨ - وحـــقـــقن ولو في القـــبـــر لي أمنيـــة العـــمـــر

ولكن لماذا عددنا هذه القصيدة عن جميلة، وهي لأب يوصي أولاده (بنات وبنين) بتحقيق أمنية له؟، لأن «جميلة» هي الصورة المجازية، الكلمة المفتاح التي انبثقت منها القصيدة، وهذا ضروري لأنه يحدد الطرف الآخر (العدو أو الخصم) المستهدف في الوصية، إنه الإنجليز، في موازاة مع الفرنسيين، وله عن الجزائر قصيدة أخرى، ولكن هذه ليست عن الجزائر، وإنما عن «جميلة» الإماراتية، التي تراها أمنيته مجسدة في بناته، كما ترى الأوراس مجسدًا في أبنائه. هذه القصيدة الحلم قد اختارت معجمها بدقة صارمة، إذ توجهت الأمنيات إلى البنات بما يجري وقدرة الفتاة على منازلة العدو: شظية البارود في الصدر والنحر، والمحرضات على القتال المنشدات أناشيد الحماسة، وهذا ما صنعته جميلة عملاً وصمودًا.

أما الأمنيات الموجهة إلى الابنين فإنها تأخذ خاصية التعمد المسبوق بإعداد لتحقيق رسالة وإنجاز هدف: فقد رباهما ليتواصل بهما جهاده وتستمر فيهما حياته: نذرتكما ليوم الهول – مهر العلياء دم!! وإذا جرت أمنية الوالد من ابنيه في نطاق ما يحمل الآباء أبناءهم من أمل، فإن ما حمله لبناته مستمد من حضور «جميلة» وما قامت به من دور، ولهذا حق لها أن تكون ملهمة القصيدة، والمجاز الذي شكل صورتها ومنهما أهم مشوقاتها.

ثم تتوالى – حسب الترتيب الألفبائي للعناوين – أربع قصائد تتخذ من اسم «جميلة» عنوانًا لها، وهذا العنوان المشترك، وقد سبق ما يناظره، لم يؤد إلى شيء من التشابه إلا في استخلاص المعنى المجرد، وهذا متوقع بدرجة أو بأخرى، لكننا حين نحلل البنية اللغوية، أو الصورية سنجد فروقًا كافية للقول بانفراد كل شاعر بما صنع، فقصيدة الشاعر سعد البواردي تنبني على مبدأ أساسي واحد، هو اكتشاف النقيض الخفي تحت الماثل المرئي، بما يؤكد معنى الانقلاب المؤدي إلى التجدد على أساس صيغة تتمرد على المألوف، على القانون، على المستقر، لتضع في مكانه ما هو أكثر جدارة، حتى وإن يكن مخالفًا لما تعودنا. وهذه بعض صور النقيض:

١ – في المفتتح يتكرر اسم جميلة في سياق يناقض الجمال، إذ هو السجن فالجمال مرادف الحرية والسجن نقيضها .

٢ – يؤدي جمال السجن (وهو القبح والقسوة) إلى أن يكون: دمها ورد – دمعها عطر، ويصل التناقض ذروته في قوله «وهيكلك المكدود نعم الخميلة» !! والهيكل المكدود لا يكون إلا هشيمًا وحطامًا، ولكن الشعر يستخرج من الموت حياة خاصة مزدهرة.

ومثل هذا التعليل يسوغ أن تذرع النار جسمها، في حين صوتها كالرعد.

٣ – على أن هذا السجن، وتلك القيود لم تنل من حريتها وسطوتها فإذا همهمت للظلام بأن ينطوي .. انسحب على الفور..

٤ – ثم تتوالى صور التناقض:

- يا أمنا في النضال،

- أقوى من الخطب وأنت العليلة،

- أنيتك أنشودة كفاح.

- وأنت شمس وإن عشت في ظلام السجن،

- أنت الفجر العربي، في مقابل فرنسا: الليل الذي سيرحل،

إن اتساق البناء في قصيدة البواردي، وانتماءها لحركة التجديد ليست فيما أجرى من مجازات متوقعة، فلو أنه وصف جميلة بأنها قوية، وأنها شمس، وأنها فجر، وأنها لم تذعن لمعذبها لكان القول مقبولاً ومألوفًا معًا، ولكنه دأب على ذكر الصفة ليعيد قراءتها أو رصد ثمرتها في مستوى النقيض، فهي الفتاة الصغيرة، لكنها أم الرجال في الكفاح، وهي محطمة الجسد، ولكنها خميلة، صامدة للخطب، وهي شمس تعيش في الظلام.. هذا ما أسبغ على صورة جميلة جدة وطرافة.

لم يبتعد طاهر زمخشري كثيرًا عن بناء الصورة على التناقض، غير أنه لم يبتعد عن الصيغ المأثورة بالدرجة التي تحرر البناء من الانصياع لأساليب البلاغة التي سرعان ما تفتح طريق الخطابية فتنال من دماثة الصورة وإنسانيتها:

٢ - خطرتْ غضّةً تميس إلى السّجْـ
ـنِ خلاخيلها القيود الثقيله

٣ - وعلى زندها سوار حديد
رقَّ كالخزِّ فوق كفٍّ نحيله

١١ - والتراب الذي تدوس ينادي
عطِّري الأفقَ بالشذا يا خميله

هكذا يمضي الزمخشري حتى يذكر «حياض الفضيلة» - البيت ١٥، والفخار الذي جر ذيوله - البيت ٨، وهذا فرق على دقته يحتاج إلى تدبر، وقد مضى الشاعر عبد الله

سنان إلى مدى أبعد في خط التعبير المنظوم المباشر، المغرق في الخطابية حتى تذود جميلة عن حياضها، ويصفها بأنها من بنات الصيد، كما يتوعد «جاپار» وشلته الهزيلة!!

ثم نصل إلى الهمزيتين، وفي مطولة الشاعر علي محمد لقمان وضع «جميلة» عنوانًا ولكنه جمع في قصيدته أركان المديح (للجزائر) وأركان الهجاء (لفرنسا) – وتنفرد جميلة بتشكيل المفتتح، كما ينطوي المفتتح على أهم خصائص المعجم، كما سنرى، ثم تلتمع أبيات على مراحل تختص جميلة، ما بين مدح قومها وهجاء أعدائها. يقول المفتتح:

١ – قـمـرٌ في الجـزائر الخـضـراءِ

في سـمـاء العُـلا عـزيزُ السـمـاء

٥ – جـردتْ فـيـه سـيـفَـهـا ذاتُ حـسنٍ

مـن سـنـى فـي رحـى الـوغـى وسـنـاء

غير أننا نجد نفس أحمد شوقي ساريًا في بعض مقاطع القصيدة، في سبك الجملة، وفي حركة المعنى بين شطري البيت، مثل قوله عن جان دارك:

١٨ – احـرقـوها تزلُّفًـا ونـفـاقًـا

لـيس يـدعـى تـزلُّفُ الجـبـنـاء

٢٠ – بعـثـتْ من ضـريحـهـا كلُّ عـارٍ

كم يضـيقُ الجـبـانُ بـالبـسـلاء

ثم يقول عن جميلة:

٥١ – إن شـعـبًـا نسـاؤه بوحـريد

لجـديرٌ رُجـالـه بـالبـقـاء

٥٢ – جـملتْ بـاسـمـهـا بلادي وقـومي

في البـرايا جـمـيلةُ الأسـمـاء

٥٣ – وبنتْ أمـةً فـهـبّتْ شـعـوبُ

من سـبـاتٍ على رفـيـع البـنـاء

في مفتتح هذه القصيدة، كما يسري في عروقها اهتمام بالألوان التي تتحول إلى صور مادية أو مدركات لونية، أو تدخل في ترميز حالة وجدانية أو نفسية، فالمفردات:

قمر - الجزائر - الخضراء - السماء - الأضواء - السنى - البروق - الرقطاء - الرقشاء - لؤلؤ - قتام - الظلماء - الجزائر الحمراء - الغابة السوداء - الضياء - الخضاب - الدماء - أومضت - أظلمت - الصهباء - صفراء - ظلام وظلم - السمر - نيران - الأفياء - النار - ظلال - اللألاء - الحرباء - هذه الألوان في انتشارها على مساحة القصيدة قد منحتها خصوصية أسلوبية مميزة، كما منحها نابليون خصوصية معنوية، فالشاعر لقمان هو الوحيد - فيما بين أيدينا من قصائد - الذي مدح النسر، كما مدح جان دارك ليجعل هذا المدح لهما قدحًا في قومهما:

٣١ - يستحي النسر من مخازيك في ال
حكم ومن قصف قرية عزلاء
٣٢ - لم يكن ينفث الردى في السوا
قي، لا ولم يستبد بالضعفاء
٣٣ - يُخضعُ الألبَ حين يصرخُ في ال
خيل ويجري في الغابة السوداء
٣٤ - سنّ في الحرب شرعةً وبنى للس
لمِ نهجًا يسيرُ مسرى الضياء
٣٥ - ياسرُ الوحشَ لا الحسان العذارى
ويراعى عواطفَ العذراء

انفرد الشاعر برسم صورة بطولية لنابليون، فحقق هدفين: أنه بذل جهدًا معرفيًا أعانه على اجتياز الحصار - أو القالب الجاهز القريب - الذي سقطت أكثر القصائد في أسره، كما جعل هذا الامتداح تمهيدًا لمقابلة هجائية لخلفائه، وبذلك هجيت فرنسا المعاصرة للحدث من ناحيتين: حين تقابل صورتها الباغية بصورة الجزائر المناضلة عن الحق، وحين تقابل صورتها الراهنة بدورها التاريخي في عصر نابليون، وهو بطل لا تنازع

بطولته. والهدف الثاني يستند إلى تقليد عربي قديم، إذ كان المنتصر لا يبخل على المهزوم بوصف خصمه بالشجاعة، وكان هذا يصب في مجرى بطولة المنتصر، كما يدل على أنه منصف حتى لعدوه، لا ينكر عليه شجاعته، وهذا أدعى لأن يكون هو - المنتصر - الأعلى شجاعة. أما وصف الخصم بالجبن والنذالة والميوعة.. الخ، فإنه لن يكون محسوبًا في جانب البطولة الجزائرية.

وتنتهي قصائد جميلة بوحيرد إلى قصيدة الشاعرة ثريا قابل، وهي إحدى ثلاث من السيدات كتبن عن الثورة الجزائرية، اثنتين كتبتا عن جميلة قصدًا (ثريا قابل وبهية الجشي) والثالثة (فوزية أبو خالد) اتخذت من جميلة مدخلاً رمزيًا لمعاناة المرأة العربية التي تجد نفسها تعيش حياة يتناقض ظاهرها مع باطنها، وكأنها في حفلة تنكرية. قصيدة ثريا قابل تأخذ شكل القناع، تروي بضمير المتكلم، وهي من مقاطع - على الرغم من وحدة القافية - مزدوجة، يبدأ كل مقطع بشطر يتكرر خمس مرات على امتداد الأبيات العشرة مع تغيير محدود:

١ - أنا إن عميت وغاض الضياء

٣ - وشح الرجاء

٥ - وقل الهناء

٧ - وخاب الرجاء

٩ - وغاب الضياء

إن هذا الترديد للصيغة يناسب مقام النوح والعديد وحالات الفقد الشديد، وقد أصابت فيه الشاعرة إذ جاءت بصيغة المتكلم لتعبر عن حالة من العناء الداخلي والتمزق والبحث عن العزاء الذي تعيشه فتاة شابة أسيرة، مهددة - بفعل قسوة التعذيب - بفقد البصر، وقد كانت «الحالة» أكثر دقة، والوصف الراصد أقوى إحكامًا، لو أن هذه الأطوار الخمسة رتبت ترتيبًا تصاعديًا، ليس من الممكن أن نقول إن غاب الضياء - الختام، أقوى أو أشد حلكة من «غاض الضياء» ، لأن الغياب مجرد الاختفاء أو الستر، في حين أن غاض تعني نزل في الأرض وغاب فيها، وهو معنى «غار» أيضًا، وبين غاض وغاب يأتي: شح الرجاء - قل الهناء - خاب الرجاء وجميعها في درجة من الفجيعة أقل من غاض الهناء الذي يشمل كافة المستويات السابقة.

ثانياً: الأوراس

الأوراس هو الاسم الأكثر شهرة وترديدًا عند جميع شعراء العربية، وقد تكتب (الأوراس) ولكنها معرفة دون أداة التعريف، مصدر التسمية موضع اختلاف وهل هو اسم إله إغريقي (أريس) أو نبات (أذربيس) أو أنه اسم ملك من قدماء البربر أطلق على جبل بناحية خنشلة ثم عم استعماله على بقية جبال المنطقة التي تتكون من كتل جبلية مرتفعة شديدة الانحدار تكسوها غابات وأحراش وتتخللها أشجار الأرز والبلوط والصنوبر، وأعلى قمم الأوراس: سليا والشلعلع ومستاوة وبوعريف.. ولعل هذه الأسماء تعلل لماذا الإقبال على تبني رمز الأوراس دون الأسماء الأخرى التي تفتقد الإيحاء الموسيقي والطرافة. الأوراس موطن قبائل الأمازيغ (البربر) وإن ساكنهم بعض من بني هلال حين تمت تغريبتهم في العصور الوسطى. لقد بدأت الثورة الجزائرية في الأوراس، في اللحظة التي انطلقت في جميع مدن القطر الجزائري، ولكن الأوراس دون سائر المناطق الجبلية، ووهران دون سائر المدن (ساحلية أو غير ساحلية) استطاعا أن يجدا لنفسيهما مكانًا مرموقًا في عديد من القصائد، بل أن يتموضعا في عنوان القصيدة، وأن يكسبا بهذا أحقية أن تقول الأوراس وأنت تقصد القطر الجزائري الثائر، وأن تقول وهران وأنت تريد جميع مدن هذا القطر بما فيها الجزائر (العاصمة) نفسها، بهذا تدخل «وهران» دائرة الرمز في حضن الأوراس، وإذا كان الأوراس آخر ما خضع للسلطة الاستعمارية من مناطق الجزائر (١٨٤٥) فإنه أول من واجه، كما كانت وهران مسقط رأس قائدي الثورة العظيمين: القائد السياسي أحمد بن بلا، والقائد الميداني هواري بو مدين، وقد شغل كل منهما منصب رئيس الجمهورية الجزائرية على التعاقب، وكثيرًا ما تذكر الأوراس ووهران في القصيدة الواحدة دون أن يكون القصد الجمع بين الجبال والمدن، أو بين البربر والعرب، فحين يقول الشاعر عبد الله سنان في «الجزائر»:

٣ – من ذا بوهران تعيث ذئابه
فينال من زعمائها الأسياد

أو يقول:

١٨ – ويدا السلام يطلُّ من شرفات أو
راسٍ على وهرانَ بالإسعاد

فإن هذه النسب التي تجسدها علاقات المعنى لا تصدر عن الشاعر وفق تصور ينهض على تراتب مضمر، وإنما هو التصور العام الذي مرجعه - في كل الأحوال - الجزائر ذاتها.

في قصيدة واحدة غنت عذراء أوراس مقطعين من قصيدة «أم المليون» للشاعر عبدالرحمن بن زيد السويداء، فبعد تمهيد وصفي ينميها إلى عروبتها ويزينها بأكاليل نصرها، كأنها في يوم عيد. تغنى باعتزاز:

٦ - انـا عــــــــــــذراء أوراس
ليـــــــعلــم بـاقـي الـنـاس

٧ - بـان المجــــــــد مـن صـنـعـي
ومـن وحــــــيي وإحـــــــساسي

وتمضي لتؤكد انتسابها إلى عدنان وقحطان، وتجدد عروبتها بالانتساب إلى زناتة.
أما القصائد التي اتخذت من الأوراس عنوانًا لها (أو وهران) فهي - حسب الترتيب الهجائي:

١ - إلى جبل الأوراس - شعر أحمد السقاف ٢٠ بيتًا من بحر الوافر

٢ - صرخة الأوراس - شعر سعد البواردي ١٥ بيتًا من مجزوء الكامل

٣ - على مشارف أوراس - شعر إبراهيم الدامغ ٥ أبيات من مجزوء الكامل

٤ - في ذرى الأوراس - شعر جنة القريني ٤٤ سطرًا على تفعيلة الوافر

٥ - في ربى وهران - شعر عبد العزيز بن عبد الله الرويس ١٤ بيتًا من بحر الرمل

٦ - قبلة إلى أوراس - شعر أحمد السقاف ٢٠ بيتًا من بحر الرمل

هذه أربعة وسبعون بيتًا، وأربعة وأربعون سطرًا نفذت إلى الموضوع الجزائري من مدخل الأوراس ووهران، وعلى الرغم من هيمنة «المكان» على العنوان، فإن القصيدة

المعنونة لم تكن وصفًا أو مناجاة لهذا المكان المحدد بقدر ما كانت عن القضية، وهذا ما يفسر القلة الكمية هنا إذا ما قيست إلى ما قيل عن «جميلة» من قصائد، فإذا كانت «الجزائر» هي الموضوع فإن ذكر الأوراس أو البدء به لا يعني تخصيصه بغير ذكر الاسم وكأنه طقس للدخول أو مفتاح وبداية. ولم تعكس القصائد مستوى من الخبرة بالمكان، أو أهله، وهذا ملمح عام لنسبة عالية من جملة القصائد الداخلة في النطاق الجزائري، فالحماسة للموضوع غالبة على رغبة الابتكار وتحقيق الشعرية بإضفاء جماليات الدهشة والإثارة والتخييل والمفاجأة وتشكيل اللغة. لقد نظر إلى الحماسة للقضية – في كثير من الأحيان – على أن فيها الكفاية، أو أنها مكتفية بنفسها مادام القصد هو إبلاغ الرسالة إلى الجماهير واستثارة حماستها. إن الشاعر يدرك أنه لا يبدع شعره ليروق للنقاد، ولكن لا يصح أن يبدع شعره مهملاً كل ما يحرص عليه هؤلاء النقاد.

ليس بين قصيدتي أحمد السقاف من فرق يستثير الموازنة أو يغري بإفراد مقطع من إحداهما، والقصيدتان من نوع البوح الخطابي المسند إلى المتكلم نفسه، وإذا كان السقاف حقق إسناد النص تمشيًا مع العنوان الذي تمثل «إلى» ركنًا أساسيًا يوجه المعنى، سواء كان «قبلة إلى» أو «إلى جيل» ، فهنا مسافة بين المرسل والمستقبل، من ثم اتسعت الرسالة لصوغ الحكم وإبداء المشاعر الذاتية. وهنا يختلف البواردي في «صرخة الأوراس» ، فاختفاء المسافة أدى إلى التوحد، المتكلم (الصارخ) هو الأوراس نفسه، وقد هيمنت ياء المتكلم التي شكلت القافية: أنيني – كبلوني – يقيني – آتوني – سنيني – ديني – عريني – جنوني – عيوني – جفوني – يميني، فهذه إحدى عشرة قافية تنتهي بياء المتكلم، وفي الأبيات الأربعة الباقية تعوض هذه الياء في الشطر الأول في البيت نفسه أو فيما يجاوره، وهذا قوى عنصر الاستبطان، فالصرخة لا تكون إلا من صاحب المعاناة نفسه. وهنا تبقى قصيدة الشاعرة جنة القريني ذات نهج متفرد، وقد سبق الإلماح إلى مفتتحها وكيف تعمد التشويش في المفتتح ليكون «علامة» تحدد مسار المعنى وتفسر تكويناته عبر مراحل النص. بدءًا من عنوان القصيدة سنجد البعد المكاني إلى الأعلى: «في ذرى الأوراس» ممهدًا لتقبل إيماءات عديدة، فقد يحمل معنى «فوقية» القضية المثارة بعدّها هامشًا متعاليًا إذا ما قيست إلى هموم الحياة الأحق بالاهتمام في الأوراس، كما يمكن أن تكون تحديدًا

لمدخل العتاب الذي لن ينتهي بتفاهم مشترك، فكأنما يجري في ذروة عالية إذ تتراجع قوة السمع وقدرة الإبلاغ، وإذا أكد مسار الضمير في النص أن المتكلم، المعاتب (بكسر التاء) هو الذي ووجه برغبة من عدم الفهم أو عدم التجاوب فإن المعاتب (بفتح التاء) والحال هذه سيكون المجسد الفعلي والرمزي للوقوف فوق ذروة الأوراس. في القصيدة مواجهة بين أصوات:

٢٨ – مددت يدي ..
٢٩ – أصافحها
٣٠ – فردت في ابتسام أشقر «بونجور»
٣١ – ورنت راؤها في السمع
٣٢ – «غيثاء غام فيها الكون
٣٣ – واختلط ابتسام الشمس بالبحر الصموت
٣٤ – بغفوة الوديان
٣٥ – وعدت أخاطب الوجدان
٣٦ – بأي ملامح الأصوات أشكو همي الهدار؟
٣٧ – أحتم أن أذيب «الضاد»
٣٨ – الوي راءنا الفصحى لكي أشكو؟
٣٩ – ولف الصمت مزمار الشجى الخفاق في صوتي
٤٠ – وجنح من شحوب الريح
٤١ – يدفعني إلى الأعماق
٤٢ – إلى نفق الأنين
٤٣ – وصخرة الأوهام
٤٤ – في صدر الأسى الدفاق.

في هذا الجزء الختامي من القصيدة تتجلى قدرة على الإفصاح بوسائل الشعرية، إذ تسود الصورة، وتضمين الرموز – المسرفة في بساطتها وربما قربها – المعاني البعيدة، ويتشكل البناء مستكملاً نسقه، معمقا جمالياته ومنبهًا إلى بداياته بما يغري العين والذهن

والتخيل باستجماع كل المعطيات في شبكة من العلاقات الكاشفة عن موهبة الشاعر المتميزة. من المهم أن نوضح هذا: فالقصيدة ترصد مشهدًا استخدمت فيها تقنيات السينما: الإنسان والمكان، الحركة والصوت، البؤرة والخلفية، الفعل ورد الفعل. السرد وقطع السرد. ولأن القصيدة مروية بضمير المتكلم، والمتكلم هو الواقف خلف الكاميرا يحكم اتجاه عدستها فيقرب ويبعد كما يتراءى له، أو لكي يحقق خطته، فإن هذا المتكلم يبدأ بالكشف عن دافعه للتحرك في اتجاه الآخر: الأشواق، شوق النخل إلى الصنوبر، وشوق المتكلم نفسه (الشاعرة) إلى الشعور بالاكتمال بمغادرة قوقعة الذات ومداواة الشعور بالاغتراب. إن عدسة الرصد الحساسة جدًا متجهة إلى الداخل، داخل المتكلم: بنت الشرق الحزين، والصحراء، والخليج المهدد، والحلم القومي المعلق. لكل هذا جاءت ورغبة التوحد والانتصار على القلق تدفعها إلى اللقاء في الغرب الذي تقرأ منه جوانبه الجميلة (وربما دل الغرب/ الغروب على عكس هذا، ولكنها كانت تواقة لمغادرة معاناتها) فكان هذا المشهد الذي حدده الاقتباس السابق. يتحول الاختلاف اللهجي (الصوتي) إلى لغوي، فصراع الراء والغين يستحيل إلى تهديد للضاد، للهوية. وهي نقطة خلافية أدت إلى «الصمت» . ولكنه صمت له صوت، وهذا ما يناسب الإثارة الصوتية في الموقف: مزمار الشجي الخفاق، ومع الخفق تأتي الريح، جانحة شاحبة، وهذا الجنوح والشحوب يدفع إلى الأعماق، البعد النقيض لذرى الأوراس، وبذلك يكتمل الشكل باكتمال الهبوط من الذروة (الحلم) إلى نفق الأنين (الواقع)، من «ذروة الأوراس إلى صخرة الأوهام» . فهذا الختام يغلق مفهوم الرحلة بين قطبين متناقضين، ونعرف عبر خطوات هذه الرحلة كيف رسمت جنة القريني خريطتها، وأين وضعت مفاتحها، وإلام تريد أن نصل معها من خلال القراءة.

ثالثاً: ابن بلا

أحمد بن بلا بطل الجزائر القومي الذي نظم صفوف المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ووحد جماعاتها. يملك الخبرة الحربية الميدانية إذ حارب في صفوف الجيش الفرنسي إبان الحرب العالمية الثانية ولكنه وقد أصبح من الثوار أخذ موقع القائد

السياسي، منذ إعلان حرب التحرير (١٩٥٤) وقد اختطفت طائرة كانت تحمله مع اربعة من رفاقه، واعتقل في فرنسا عام ١٩٥٦ إلى أن وقع صلح إيفيان، فأعلن الاستقلال وقيام الجمهورية (١٩٦٢) من ثم اختير أول رئيس للجمهورية (١٩٦٣) لمدة عامين، وقد أزيح بانقلاب عسكري، ليتولى القائد العسكري القيادة السياسية للدولة، (١٩ يونيو ١٩٦٥). هذا العرض شديد الإيجاز يفسر لنا لماذا يبرق اسم هذا الزعيم ويذكر محوطًا بالإجلال موصوفًا بالشجاعة في عدد غير قليل من القصائد عبر سنوات الحرب الجزائرية (سبع سنوات ونصف السنة) كان في أكثرها سجينًا مجمد القدرة على العمل بالطبع، ومع هذا لم تغفله الذاكرة الشعرية في العديد من قصائد الخليج والجزيرة العربية، وظل حاضرًا وضلعًا أساسياً في مثلث: الجزائر (أو الأوراس) وجميلة، وبن بلا، ولكن حالات من القلق التنظيمي انتابت محاور السلطة في الجزائر المستقلة، لم تكن مستوعبة تمامًا في أقطار المشرق العربي، ولم تكن النفسية المشرقية التي شهدت الكثير من الانشقاقات وصراعات الرغبة في الزعامة بين قادتها بقادرة على تقبل المزيد القادم إليها من أقصى المغرب العربي. لقد وضح بقوة حجم الفرح والاستبشار بإعلان الثورة الجزائرية، وتمكن الفرح والاستبشار بالخطى الواثقة التي أوصلتها إلى تحقيق هدفها العظيم (إعلان الاستقلال وتحقيق الاستقرار) فإذا ما ورد، عبر أجهزة إعلام تجعل من أهدافها ترسيخ الشعور بالاستقرار قبل أية قيمة أخرى، ما يثير القلق ويوحي بالعودة إلى الصراع (الداخلي، وهو شر من الصراع الخارجي) لابد أن تثار حساسية الشعراء، وأن يحاول أكثرهم إغلاق باب الأمر برمته، إذ لا يملك من الوضوح أو الرغبة في المشاركة ما يحمله على المشاركة بالقول فيه.

لقد فاز بن بلا بقصيدة واحدة، كتبت فيه قصدًا، عندما تمت تنحيته عن موقع الرئاسة، وكما بينا فإن هذا مقلق جدًا قياسًا إلى موقع السلطة وصراعاتها في الأقطار العربية وقلق المثقفين بخاصة تجاه هذا التصارع السلطوي، ولعله ليس مصادفة أن يكون شاعر يمني صاحب هذه القصيدة الوحيدة التي أسسها على منظور أخلاقي، وليس سياسياً.

ولكننا قبل أن نتوقف عند هذه القصيدة، ومع ما ذكرنا من إشارات كثيرة في قصائد مختلفة سجلت لابن بلا زعامته وأثره الإيجابي في الثورة الجزائرية وجدارته بأن يكون رمزًا لها (والرموز قضية أساسية في الشعر، وهي التي تيسر مهمة الشاعر إذ تخرج بالموضوع من المطلق إلى المحدد، ومن التجريد الذهني إلى المجسد الإنساني)، فدائمًا يذكر اسمه ثم يعطف على حضوره بذاته رفاقه بالإجمال، فيقول الشاعر مانع سعيد العتيبة في قصيدة «الجزائر»

٢ – أهدي السلام لمن عليها استشهدوا
ليحرروها من عدو غادرِ
٣ – ولابن بلا والرفاق تحيةٌ
من قلب كل مؤيد ومناصرِ

فالشهداء أولاً، وابن بلا ثانيًا، ورفاقه (دون تفصيل) بعد ذلك. فإذا قامت فرنسا باختطافه فإن الشاعر المشرقي افترض بالأماني أن هذا عار على فرنسا، وأنه لن يؤثر سلبًا في الثورة بل ستزداد تأججًا، وهذا ما يقوله – بعاطفة حارة – الشاعر حسن السقاف في «أهل الجزائر» :

١٠ – يا فتيةً في إسار الغدر كم فصمتْ
نفوسكم فيه للطغيان أغلالا
١١ – ما كان ظن فرنسا يوم غدرتها
بأنها سترى في الحرب أهوالا
١٢ – ولم يدرْ بضفاف السين في خلدٍ
بأنكم تكسبون النصر عزالا
١٣ – عزائم قد أقامت في جوانحكم
فأعقبت في الفرنسيين بلبالا
١٤ – من ذا أرى كابن بلا في صلابته
يكاد لو حال لون الشمس ما حالا
١٥ – في فتيةٍ آمنوا بالله واعتصموا
فجددوا ذكر أهل الكهف أمثالا

١٦ - يا ويح شعب فرنسا من سياستها
كم ذا تجـــــرعــــــه شكلاً وإذلالا

في استعارة «أهل الكهف» استعارة لطيفة ملتبسة في هذا السياق، فهم في الوصف القرآني، وكما تسجل القصيدة لابن بلا ورفاقه المخطوفين فتية آمنوا بربهم، ولكن هذا لم يحل دون دخولهم الكهف، بما يعني عزلهم عن زمانهم وتجميد وضعهم. مع هذا يبقى وصف الشاعر لابن بلا بالثبات على المبدأ والصمود دالاً على موقف، كما أن البيت رقم (١١) - يحمل بدليل الخلف أن العمل المقاوم والثوري قد ازداد نشاطًا، ولم يتراجع باستحكام إسار الغدر!!، وبالمثل تصدق مقولة الشاعر محمد بن علي السنوسي في «انتصار الحرية»:

١٤ - فـــإذا يابن (بلة) وهو مـــخطوف
علـى خـــاطفـــيـــه ابلى بليـــه

وينزعج الشاعر عبد الله سنان، في قصيدة «الجزائر» من الاختلاف الذي نشب في مؤتمر طرابلس، فيطالب قادة الجزائر بالتغلب على خلافاتهم أو اختلاف رؤاهم للمستقبل، ويرى أن هذا ضمانه الموافقة على توجهات بن بلا الاشتراكية:

٢٣ - لا يا ابن خـــدة فـــالعـــدو وراءكم
مـــتـــربصٌ كـــتـــربص الصـــيـــاد
٢٤ - لايا ابن يوسف لا تحيد عن الهدى
واجـــعل طريقك منهج القـــصـــاد
٢٦ - ضع كـــفك اليـــمنى بغـــيـــر تردد
في كف أحـــمـــــد منهل الوراد

إن الشاعر الكويتي على بعد آلاف الأميال يبدو واثقًا تمامًا من اختياره، وهكذا سيكون حين تحتكم أزمة السلطة بعد عامين من هذا الموقف.

فإذا وصلنا لليوم الذي أحيط فيه بابن بلا ونحي عن الرياسة، قدمت وسائل الإعلام المعبرة عن حكوماتها، إلى شعوبها صورة من صور التمرد على الشرعية والتنكر للجميل،

وهذا يزعج الباحثين عن النظام والعدل، من ثم كانت قصيدة الشاعر محمد سعيد جرادة في قصيدته: «النسر السجين – أحمد بن بلا» . وقد بدأت باستعارات التقويض والهدم، وراكمت تلك الصور المقبضة لتؤكد حالة من الذعر وقلق التوقع، بما يجعلها قصيدة متشائمة بحق:

١ – أيمسي النسر مقصوص الجناح
أيغمدُ سيفُ ملحمةِ الكفاحِ؟
٢ – أيسكتُ صوتُ تاريخ تغنتْ
نشيدُ علاه السنةُ السلاحِ؟
٣ – أيحتضنُ الجزائرَ جنحُ ليلٍ
وقد لاحتْ تباشير الصباحِ؟
٤ – أتحدثُ بابن بلا وهو ليثٌ
ثعالب لا تكف عن الضباحِ؟

إن الأبيات التالية لهذا المفتتح تقدم تعليلاً لا يريد الشاعر أن يعلن لنا أو لنفسه فحواه، وهو أنه لا يعرف ماذا سيكون شأن المستقبل في الجزائر، إذ إن السلطة التي أخذت موقعه:

٥ – تبعده وتعلن في غموضٍ
بأن الجرمَ جلّ عن السماحِ؟!

وتتوالى الأسئلة الحائرة التي لا يملك المواطن في المشرق عنها جوابًا، ولا ندري هل كان المواطن الجزائري في موقف العارف أم كان يعيش الحالة ذاتها، فهؤلاء الذين أزاحوه عن مكانه:

٢٠ – ذوو علمٍ به أم أهل جهلٍ
ذوو قربٍ إليه أم انتزاحِ؟
٢١ – هواة الحكم أم حساد فضلٍ
كلا الصنفين أكذبُ من سجاحِ؟

٣٢ - وهل وجدوا لدى الشعب احتفاءً
وهل سمعوا له نغمَ ارتياح؟

هذه الأسئلة تخرج عن نطاق الشعراء، إنها أسئلة السياسة، والخوف على الديمقراطية، وهي نتيجة تركيز الأضواء على قمة السلطة (الحاكم الفرد) ورغبة الشعوب في نسبة الإنجازات إليه، مع أنه - في زمن الثورة - كانت «الجماعية» صيغة مستقرة يحرص الشعراء على تمجيدها وإسناد الأعمال العظيمة إليها. إن استدعاء التاريخ - في هذه القصيدة ينفرد عن كل ما تقدم من الشخصيات، هنا نجد الادعاء (سجاح) كما نجد التنكر للصنيع:

٣٢ - لقد جهلتْ أميَّةُ قدر موسى
وصيتَ الفتح يدوي في البطاح
٣٣ - أقامته على حمراء قيظ
ولم يشفع له شرفُ الكفاح
٣٤ - خذوا من سالف التاريخ درسًا
فكم ضحكٍ بفيه وكم نواح!!

إن المغرب العربي، النقطة الأقرب إلى الأندلس، يتبادل معها الضوء الكاشف، والشاعر اليمني - على كثرة أحداث التنكر وممارسة الخيانات في الاستيلاء على السلطة في جميع حقب التاريخ العربي الإسلامي، استدعى هذه الحادثة الفاصلة في تاريخ الفتح الإسلامي للأندلس، لأنها الأقرب مكانًا، ولأن فاجعة التنكر كانت قاسية جدًا ودامية، إذ أهين موسى بن نصير، كما أهين طارق أيضًا، في حين فرح الآخرون بالغنيمة. إن عبرة التاريخ في هذا الموقف تقول الكثير. فكم في فمه من ضحك، ومن نوح أيضًا.

٦ - موسيقا الجزائر

القراءة الأساسية للشعر تبدأ من موسيقاه، وإن لم يكن الحتم أن نبدأ الكتابة بها، الموسيقا أيقونة الشعر وعلامة التصنيف والفرز المبدئية له، وهذا الشرط واجب التحقق

ولكن على أي مستوى؟ لقد اخترنا لهذه الفقرة عنوانًا ملتبسًا، إذ إننا نواجه في هذا الديوان المختار ثلاثة مستويات يطالب كل منها بحقه: نواجه موضوعًا محوريًا واحدًا هو الجزائر له حق التجلي والهيمنة، كما نواجه ستة وخمسين شاعرًا لكل منهم خصوصيته وشخصيته وحقه في أن يكون حاضرًا حتى مع تفاوت مستويات الحضور أو مساحته، وفضلا عن هذا نعايش مائة قصيدة وقصيدة تنفرد كل منها - مهما أطالت أو أوجزت - بمعجمها، وصورها، وسياقها، ونسقها، وتشكيلها الصوتي المؤطر لموسيقاها. ومن الواضح أننا آثرنا الأخذ بالمطلب الأول الذي يفضل أن ينظر إلى مائة قصيدة وقصيدة على أنها قصيدة واحدة، كما ينظر إلى النهر أو البحر، إن صعود موجاته أو هبوطها، وإن حالات سكونه أو ثوراته لم تخرج به عن أنه النهر نفسه أو البحر. مع هذا لا مهرب من التسليم بمبدأ القسمة، إذا ما كانت الموسيقا هي المعيار والمرجعية، إذ يعطي البحر الشعري إمكانات إيقاعية تختلف بالتجاوز أو القصور عما يعطيه النسق التفعيلي (أو السطر الشعري) وإن القافية التي وصفها عنوان كتاب أحمد كشك بأنها «تاج الإيقاع الشعري» إذ تمارس سلطتها الحقيقية لا تكتفي بإضفاء هذا الصوت الخاتم لأبيات القصيدة، على أهميته في تثبيت النمط الإيقاعي، وتأكيد وحدة القصيدة، وتثبيت نصها في مجال السماع والتلقي الشفاهي خاصة، فإن بلوغ حرف (صوت) القافية يستدعي بالضرورة مفردة بعينها لابد أن تمارس سلطتها في تغيير مواقع الكلمات ما بين تقديم وتأخير، وطرق الربط بين الجمل، وتفضيل كلمة عن غيرها من مفردات معناها، ودفع السياق في اتجاه المجاز أو الاستسلام للمألوف، هذه القافية التي تلجم تجربة الشاعر فتحدد اندفاعها، أو تطلقها فتضاعف من طاقتها، وتحملها حملاً - مع الوزن - لتصب رؤية الشاعر في قالب سابق التجهيز لكنه قادر على تفجير ممكنات عظيمة التأثير، أوضحها الإيقاع، يبدو التحرر منها أو التمرد على ضوابطها عند أصحاب قصيدة التفعيلة كسبًا عظيمًا، شأن التحرر والتمرد، ولكنه لم يكن كذلك دائمًا، وفي أعقاب «موسيقا الجزائر» سنتوقف عند بعض من المتحمسين للتحرر من البحر والتمرد على القافية لنتأمل جوانب ثورتهم، ولكننا، ونحن نفعل، لن نكون منصفين إذا أغفلنا زمن التجربة، فقد تنازع المبدعون والنقاد متى بدأ شعر التفعيلة، وهذا ليس موضوعنا، ومع

تنازعهم يتفقون على أن هذا الصنف من الشعر ازدهر في النصف الأخير من العقد السادس من القرن العشرين (بعد عام ١٩٥٥) – بعبارة أخرى: عاصر ازدهار قصيدة التفعيلة قيام ثورة الجزائر، وواكب صعودها تصاعد موجات هذه الثورة، ولا نريد أن نخاطر بأحكام لا نملك الدليل العلمي عليها بأن نزعم أن قصيدة التفعيلة بلغت الأوج مع تحقق النصر في الجزائر وإعلان قيام الدولة والدستور، ولعل هذا الربط يستحق أن يختبر بدراسة منهجية تتجاوز المنتج من شعر الخليج والجزيرة العربية إلى آفاق القصيدة العربية بين المشرق والمغرب.. على أن ما يعنينا هنا أن تجربة قصيدة التفعيلة – ذاك الوقت – كانت جديدة، ولافتة مثيرة، مغرية، وكانت طريقًا ممكنًا من طرق ممارسة الحرية والتمرد على الموروث، بل قد تكون الوجه (الآمن) لممارسة الحرية واعتناق مبدأ التمرد، من ثم نجد عليها إقبالاً واضحًا، على الرغم من أننا نادرًا ما نجد قصيدة من هذا النوع ذات بناء متميز، ونعني بالتميز أن نشعر مع قراءتها بأن تشكيلها الموسيقي على هذا النحو المتحرر من البحر قد اكتسب معنى الضرورة وأنه حقق من جماليات تشكيل المادة الشعرية وتلوينها ما لم يكن ليتحقق فيما لو أن الشاعر التزم موسيقا البحر بإيقاعه وترتيبه الخليلي.

إننا نختار «موسيقا الجزائر» بأكثر من معنى، فضلاً عن وحدة الموضوع، سنجد عددًا من الظاهرات ذات التأثير الموسيقي أو الإيقاعي تستند إلى هذا الموضوع نفسه أو تتداعى معه وتلتزمه، وفي هذا المستوى لابد من الولوج إلى التفصيل، والاستماع إلى لغة الأرقام التي لا تكذب، ويكفي أن نقول إجمالاً إن إيثار بحر شعري بعينه (وليكن بحر «الكامل») وتفوقه الواضح على سائر البحور المستخدمة لابد أن نجد له مسوغًا من طبيعة البحر والموضوع معًا، إذ لا يحسن في التصور أن نفرد أحدهما بأن يكون الدافع الوحيد، وكذلك تفوق قافية الراء المسبوقة بحرف مد، التي تتوافق وكلمة «الجزائر» – فيما سميناه: «رائيات الجزائر» – على سائر أصوات القافية، وهذا بفعل إغراء الكلمة الساحرة المؤثرة، الكلمة المركز التي تضبط اتساق الدائرة، كلمة «الجزائر» . هكذا ينفتح باب موسيقا الجزائر في اتجاه البحر – أو البحور، والقافية، أو القوافي، قبل أن نتوقف عند موسيقا

المتن، أو الحشو، التي ستصطفي قصائد، أو أبياتًا من قصائد لتدل على ما أضفته أو أضافته من جماليات التشكيل الصوتي للقصيدة.

عن الجانب الكمي – من الموسيقا – وتأويله نعقد هذه الفقرة:

- جملة قصائد الديوان المختارة ١٠١ قصيدة (مائة قصيدة وقصيدة).
- قصائد الموزون المقفى ٨٦ قصيدة – عدد أبياتها ٢٥٧٥ (ألفان وخمسمائة وخمسة وسبعون) بيتًا.
- متوسط عدد أبيات القصيدة ٣٠ (ثلاثون) بيتًا.

وهذا المتوسط يسلك القصائد في حيز المتوسط من القصائد بالفعل، فإذا اصطلح القدماء على أن الحد الأدنى لمصطلح قصيدة يتطلب سبعة أبيات، فإنهم لم يضعوا حدًا للأقصى. وفي الشعر القديم قصائد موحدة الموضوع – قصائد مدح على التحديد – تجاوزت المائتين والخمسين بيتًا موحدة الوزن والقافية – أما في ديوان الجزائر فلم تكسر الحد الأدنى، ولكن الحد الأقصى وقف عند مائة وثمانية عشر بيتًا، وهي قصيدة عدنان علي رضا النحوي (الشاعر السعودي) صاحب قصيدة: دم الجزائر فوار بساحتها، وهذا العنوان صدر بيت، تمامه:× تهيجه أمم من بعدها أمم

ومن المفهوم أننا وقد وقفنا عند حد المائة قصيدة وقصيدة أن تكون نسبة الموزون المقفى إلى غيره من القصائد تمثل ٨٦٪ أو تهبط إلى ٨٥٪ إذا احتكمنا إلى قاعدة جبر الكسر أو إلغائه، وستكون قصائد شعر التفعيلة، وعددها ١٥ (خمس عشرة) قصيدة بنسبة ١٥٪ ، وجملة أسطر هذه القصائد ٦٦٦ (ستمائة وستة وستون) سطرًا فيكون معدل امتداد القصيدة ٤٤ (أربعة وأربعين) سطرًا، وهذا الامتداد يتناسب وامتداد الثلاثين بيتًا من الموزون المقفى أو يقل عنه بعض الشيء، على أن في هذه النسبة شيئًا من التفاوت أو التجاوز، لأن عددًا من هذه النسبة لا يدخل في إطار قصيدة التفعيلة، التي اصطلح على أن حدها هو التمسك بتفعيلة البحر الشعري، دون الالتزام بعدد مرات تكرارها في البيت (إذ تعطل مبدأ البيت في ذاته وحل السطر الشعري محله)، ولكن عددًا من القصائد المحسوبة شكلاً على قصيدة التفعيلة ليست منه على التحقيق، إذ خلط بعض منها بين

تفاعيل غير بحر في قصيدة بعينها - كما في بعض قصائد عبد الله بن عبد الوهاب (العباسي) الذي سنخصه بفقرة نعرض فيها لديوانه المثير، ولم يلتزم بعض آخر بأي نسق من التفاعيل مكتفيًا بالتوافق الصوتي، كما في قصيدة محمد احمد المشاري «في الجزائر»، وقد ابدينا تعجبًا حين عرفنا موضوع (عنوان) هذه القصيدة ولماذا لم يضمها إلى قصائد ديوانه على جلالة موضوعها، فلما مثل نصها بين ايدينا ادركنا سبب إغفالها، وهو عدم خضوعها لقواعد شعر البحر أو شعر التفعيلة (ولم تكن قصيدة النثر قد اكتسبت حق الوجود، من ثم لم يتح له الاحتماء بها) ومثلها قصيدة فوزية أبو خالد: «في المؤتمرات التنكرية» وهي بناء بديع ومعنى رفيع ورؤية فنية صافية القطاف، ولكن موسيقا التفعيلة لا تستجيب لها، أو لا تستجيب هي لشرائط التفعيلة، وهناك عدد قليل جدًا قد يدخل من تفعيلة بحر إلى تفعيلة بحر آخر، ولم نتخذ موقف الرفض او الجفوة لهذا الضرب من التشكيل الموسيقي، كما لم نقصد بإيراده ان نسجل على شعرائه نقص الأداة، بل لعل الأمر على العكس، وهو أن الشعر لا يستغني عن الموسيقا، قولاً واحدًا، ولكن الموسيقا ليست طريقًا واحدًا، أو طريقين.. إنها اشد غموضًا مما يبدو لنا. ولنكن في موقع الاعتراف حين نقر بأن «التسجيل التاريخي» كان قصدًا من مقاصد انتخاب القصائد التي يتكون منها هذا الديوان المختار، فإذا كان بعض منها او أكثرها قد آثرناه لجودته، فليس من شك في أن بعضًا آخر محدود العدد اختير لدلالته الفنية على زمنه وسياقه التاريخي. وبهذا تكون «العينة العشوائية» - أو «القصائد المختارة» صالحة لتقريب جوهر الظاهرة وصورتها. استخدم شعراء الديوان المختار احد عشر بحرًا، ما بين تام التفاعيل أو مجزوء، وسنذكرها مرتبة تنازليًا، مع ذكر أرقام القصائد لكل بحر ويمكن أن نقسم هذه البحور الأحد عشرة إلى ثلاثة اقسام:

أ - بحور مهيمنة استجاب إيقاعها لنازع الرغبة في النظم وتوافق وحاجات اللغة ومطالب التقفية، وهذه البحور المهيمنة تنحصر في ثلاثة، هي على ترتيب الاستعانة بها -

- بحر الكامل (٢٠ قصيدة = ٦٥٤ بيتًا): متوسط امتداد القصيدة ٣٣ بيتًا
- بحر البسيط (٢٠ قصيدة = ٦٣٧ بيتًا): متوسط امتداد القصيدة ٣٢بيتًا
- بحر الخفيف (١٦ قصيدة = ٥١٠ بيتًا): متوسط امتداد القصيدة ٣٢بيتًا

إن هذه اللوحة الرقمية تكشف عن عدة أمور مهمة في توجيه القراءة العروضية للقصائد المختارة. فعلى هذه الأبحر الثلاثة وحدها نظمت (٥٦) ست وخمسون قصيدة، نسبتها إلى جملة قصائد الديوان المختارة الملتزمة بأصول العروض الخليلي، وعددها (٨٦) – كما ذكرنا = ٦٥٪ – ونلاحظ أيضًا أن معدل امتداد القصيدة، أو المتوسط – في هذه البحور الثلاثة يتجاوز المتوسط العام الذي وقف عند (٣٠) بيتًا، ولكن متوسط امتداد القصيدة في البحور الثلاثة امتد في الكامل إلى (٣٣) بيتًا، وفي البسيط والخفيف إلى (٣٢) بيتًا. إن درجة من التقارب غير المألوف في قصائد تنتمي إلى عدد كبير من الشعراء (وليست لشاعر واحد بحيث يغلب الظن أن هذا ما يجاري خبرته ويوافق إحساسه النغمي وطريقته في سبك المعاني وتشكيل الصور) إننا هنا إزاء عدد كبير من الشعراء، فإذا تجاوز إقبالهم على أداة معينة المستوى المتناسب مع الأدوات المناظرة فإن هذا التجاوز لابد أن يطرح أسئلة، ومن حقه أن نبحث له عن جواب مقنع أو مرجح وليس بالضرورة جوابًا قاطعًا يغلق باب الاجتهاد. ولقد شغلت قضية العلاقة بين الوزن والغرض من القصيدة اهتمام النقاد والعروضيين قديمًا وحديثًا، والقسمة العقلية تحصرهم في فريقين يرى أحدهما – بواقع تحليل إحصائي لقصائد مختلفة الغرض، مختلفة الوزن، أن الشعراء – عبر العصور – لم يقسموا أغراض قصائدهم على أوزان رأوا أنها تناسب هذه الأغراض، فعلى سبيل المثال تغزلوا، ومدحوا، وعاتبوا، ورثوا، ووصفوا على ذات البحر، دون أن تكون لهذا البحر مزية واضحة وفارقة في غرض دون غرض، بل إن القصيدة الموغلة في القدم (المعلقة مثلاً) كان سياقها يتسع لانتقالات في الغرض مع ثبات البحر واستقرار في الأسلوب، وهذا ما يمكن استخلاصه من معلقة امرئ القيس، ومعلقة النابغة، ومعلقة عنترة.. على وجه الخصوص، إذ تتعدد فيها الأغراض أكثر وضوحًا. أما الفريق الآخر فإنه لا يجعل للجانب الإحصائي الدلالة القاطعة، وإنما يحتكم إلى الجودة: استحكام المعنى، امتداد العبارة، إشباع النغم في تجسيد حالة وتشكيل مدلولاتها في صور مادتها اللغة وتدخل الأصوات وامتداداتها في جوهر هذا التشكيل. وقبل أن ننهي هذا الجدل (بمستوييه النظري والتطبيقي) نقول إن بعض الباحثين حاول أن يتوسط بين القولين، ولعله الأقرب إلى الصواب النظري، والاحتكام إلى الواقع العملي، بأنه لم يحصر الخصوصية

في كل بحر على حدة، وإنما في البحور الطوال، والبحور المتوسطة، والبحور القصيرة، وجعل لكل مستوى حالة وصفة تتجاوب مع قدرته الاستيعابية للنغم، وعلى هذا الأساس نعرض لخصوصية هذه البحور الثلاثة المهيمنة.

إن بحر الكامل – الذي يفوز بموقع الصدارة – يستحق عناية خاصة، إذ حقق انتشارًا (في صورته التامة أو المجزوءة) تجاوز به البحرين الآخرين اللذين شاركاه موقعه المتقدم. وخلاصة هذا أن بحر الكامل أقرب البحور موسيقا إلى الشعراء، وقصائده أطول القصائد أيضًا، وهذا بدوره يحدد طريق السؤال أو الأسئلة: لماذ؟ من وجهة إيقاعية بحتة يعد بحر الكامل من البحور الصافية، إذ تتكرر التفعيلة ذاتها (متفاعلن) في كل شطر ثلاث مرات، وهذا جعله ميسرًا – شأن غيره من البحور الصافية – للراغبين في صنع قصائد تفعيلية، وحين يعرض له إبراهيم أنيس (في كتابه: موسيقا الشعر) فإنه يشير إلى مرونته في استجابته لألوان من التغير المنضبط الذي يوازن بين الثبات والاختلاف، إذ يصح أن تكون بعض تفاعيله على متفاعلن = مستفعلن، بما يدخله في وزن الرجز، في بعض أبياته أو تفعيلاته، دون أن تأذن القاعدة العروضية للرجز بأن يلتبس بالكامل (لأن وجود تفعيلة واحدة على متفاعلن بتحريك التاء تخرجها من الرجز إلى الكامل) وكذلك تمتد المرونة إلى الحشو، فتكون تفعيلته متفاعل بل يمكن أن تكون في الضرب (آخر تفعيلات البيت): متفاعل أو متفا، وتكون بهذا الوزن لازمة في كل أبيات القصيدة (موسيقا الشعر – ص ٦٣، ٦٤). أما عبد الله الطيب في كتابه: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها (ج ١ ص ٢٤٦ وما بعدها) فقد حاول استخلاص وجه التميز أو الخصوصية في موسيقا بحر الكامل من خلال تعقبه لأشهر القصائد لكبار الشعراء الذين اتخذوه إطارًا شكليًا عبر العصور، من ثم يصفه بأنه أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، ويقول إنه بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء أأريد به جد أم هزل، وقد يدل كلامه على قصور استجابة الكامل لمعاني التأمل والتفلسف والحكمة، إذ طبيعته غنائية محضة، ويشرح هذه الغنائية بأنها ترنيمة موسيقية خالصة الموسيقا، كما يجمع في إطارها الفخامة والجلالة، والرقة واللطف، وينبه عبد الله الطيب إلى أن موسيقا الكامل تناسب النوع الناتج من الرثاء.

ونعود إلى كتاب عبد الله الطيب لنرى إلى أي مدى، أو في أي مستوى تلتقي البحور الثلاثة صاحبة الصدارة في إحصائنا الخاص بالموضوع الجزائري. وأوله ما يفاجئنا أنه يربط بين البحرين البسيط والطويل (المرشد - ج١ ص ٤١٤) فالبسيط أخو الطويل في الجلالة والروعة، إلا أن الطويل أعدل مزاجًا منه، ويقصّر بالبسيط أن فيه بقية من استفعالات الرجز ذات دندنة تمنع نغمه أن يكون خالص الاختفاء وراء كلام الشاعر، وكامل النزول منه بمنزلة الجو الموسيقي الذي يكون من الشعر كالإطار من الصورة. ويمضي الدكتور الطيب - بعد وجه المشابهة، إلى تحديد الخصوصية فيقول: لا يكاد روح البسيط يخلو من أحد النقيضين: العنف أو اللين، وتكاد صيغته على وجه الإجمال تكون إنشائية. ويقرر أن القصص الذي يستقيم في البسيط هو ما يكون فيه لون من عنف أو لين، كما يقرر أن البسيط يناسب قصص الفخر وما يذهب مذهب الخطب الطنانة من أوصاف الملاحم (المرشد - جـ ١ ص ٤١٩) وبهذا التوصيف يبدو البسيط أكثر ملاءمة للموضوع الجزائري في جملة تفرعاته التي يمكن إجمالها في الإشادة والفخر والبطولة والوصف الملحمي، وأنه تحرك بين العنف (في اتجاه فرنسا) واللين (في اتجاه الجزائر). ومع هذا، فإن تقريرات الدكتور الطيب التي كشفت عن وجه من التواصل أو التكامل بين بحر الكامل وبحر البسيط، أوجدت في إدراكنا لقيمة موسيقا البحر نوعًا من القلق وعدم الاطمئنان إذ ربط بين البسيط والطويل، وهذا الربط يجافي الواقع الإحصائي المتحقق لدينا، لأن قصائد الطويل، في الديوان المختار، لم تتجاوز (٧) السبع القصائد، مجموع أبياتها (١٩٦) مائة وست وتسعون بيتًا، فهي تمثل بالنسبة لعدد قصائد الموزن المقفى (٨٪) مقابل (٢٠٪) للبسيط، ونسبة عدد أبيات الطويل إلى عدد أبيات الموزون المقفى في الديوان (٨٪) أيضا مقابل (٢٠٪) للبسيط، ومعدل امتداد القصيدة من بحر الطويل (٢٨) ثمانية وعشرون بيتًا، مقابل (٣١) بيتًا في البسيط وهذه فروق تستند إلى عوامل مؤثرة، وليس من حق الباحث العروضي أن يهملها.

فإذا بلغنا ضفاف الموقع الإحصائي الثالث (بحر الخفيف) وجدناه - أو وجده عبدالله الطيب (المرشد جـ ١ ص ١٩٢) يجنح صوب الفخامة، وأنه واضح النغم والتفعيلات، وأنه إذا وقع الحوار فيه جاء كأنه مسرحي، وأنه قوي معتدل مع جلجلة لا تخفى، وأنه - كذلك - يصلح للغناء والترقيق.

وهنا لا تخطئ العين صلات تتجاوز النغم إلى الرؤية والانفعال الموجه، تشترك فيها البحور الثلاثة صاحبة الصدارة الإحصائية، وهذه المشاركة تحول دون الاطمئنان إلى فروق حاسمة تحبس كل بحر في خصوصية إيقاعية ينفرد بها عن الآخرين، وسنجعل هذا مدار تلمس في الفقرة التالية، نستكمل بها صورة الموسيقا في الديوان المختار، ممزوجة بالصورة التي تشارك الموسيقا، أو تمازجها في إسباغ الشعرية على مبدأ النظم.

ب – إلى جانب البحور المهيمنة الثلاثة، توجد ثلاثة أخرى، يمكن أن نقول إنها ذات حضور نسبي، ولكنه لا يرقى إلى المنافسة. هذه البحور هي (بترتيب عدد الأبيات):

– بحر المتقارب (٥ قصائد) = ٢٠١ بيتا، ويمثل هذا الرقم من الأبيات (٨٪) من جملة الموزون المقفى، ولكن الطريف حقًا أن متوسط امتداد القصيدة من بحر المتقارب (٤٠) أربعون بيتًا، وهذا الرقم يتجاوز المعدل العام (٣٠ بيتًا)، كما يتجاوز تلك البحور الثلاثة بدرجة واضحة.

– بحر الطويل: (٧ قصائد) = ١٩٦ بيتًا

– بحر الوافر: (٦ قصائد) = ١٣٠ بيتًا، تمثل ٥٪ إلى جملة الموزون المقفى من القصائد المختارة، وهنا أمر طريف آخر، تلحظه العين بسهولة، إذ يبلغ معدل امتداد القصيدة في المتوسط من بحر الوافر (٢٢ بيتًا) فهو أقل من المتوسط العام بنسبة ملحوظة، وهو الأخير في معدل البحور الثلاثة ذات الحضور.

ج – لدينا خمسة بحور أخرى، أو أخيرة، ذات حضور شحيح، هي (على ترتيب عدد الأبيات):

– الهزج : (٣) قصائد = ٧٢ بيتا

– الرجز : (٣) قصائد = ٦٨ بيتا

– الرمل : (٤) قصائد = ٦٠ بيتا

– السريع : قصيدة واحدة = ٤٤ بيتا

– المتدارك : قصيدة واحدة = ١٠ أبيات

يحق للمناهج ذات الهدف التعليمي أن تفصل بين أهم عناصر التكوين، أو التشكيل الفني للقصيدة، وهي موسيقا القصيدة، وعناقيد الصور فيها، ومعجمها الكاشف عن مرجعيتها وخصوصية بنيتها اللغوية. وفي غير السياق التعليمي سيبدو الفصل تعسفيًا، ومجافيًا لمفهوم التكامل في بناء القصيدة. وقد فصلنا بدرجة ما، دون إسهاب، في موسيقا هذه المختارات، وقفنا عند الإطار الجاهز (البحر) دون أن نتطرق إلى موسيقا الحشو، التي تندغم بقوة في العنصرين الآخرين: الصورة والمعجم، دون أن تنحصر فيهما.

سنجعل من الموضوع الذي أثرناه سابقًا مدخلاً لمادة هذه الفقرة، ونعني ما يتعلق بالبحور الثلاثة المهيمنة، وهل كانت الأصلح لتشكيل الصور، وإشباع المعجم، ومن ثم تعميق الشعور بالخصوصية في موسيقا البحر؟

سنختار أمثلة قليلة، من قصائد ذات مستوى عام أقرب إلى الجودة، لنرى إلى أي مدى كان الوزن (البحر الشعري) محققًا حضوره، وفارقًا عن غيره من العناصر، أو العنصرين المتأثرين به. وسيكون البدء - بحق التفوق العددي - لبحر الكامل، الذي يوصف بأنه أتم الأبحر السباعية (أي أن تفعيلته المتكررة من سبعة أصوات)، ولعلنا نستعيد ما وصفه به عبد الله الطيب من صلاحية للجلجلة والغناء، وأنه من ثم يصلح للفخامة كما يصلح للرقة، ويصلح للنوح كذلك. وفي نطاق الموضوع الجزائري لن نتوقع أن يكون فيما بين أيدينا من قصائد رقة ولطف، فالصراع الناشب بين المطالبين بالحرية والمنكرين لحقهم فيها لا يحتمل غير الجلجلة والفخامة، فإذا كان مجال لاستدعاء الماضي، وهو ماضٍ حزين قاسٍ شديد القسوة، فليس غير النوح والتحسر على ما كان، ليكون هذا التوجع حافزًا مستأنفًا لإعلاء الغضب وقعقعة السلاح. إن قصيدة الشاعر أحمد محمد الخليفة تقدم لنا التجسيد الموسيقي لما لاحظه عبد الله الطيب، هذه الفخامة المقترنة بالقعقعة وإرادة التهييج تتجلى بدءًا من عنوان القصيدة: «الأرض الملتهبة» الذي يضمر محتواها ويمسك بمفاتيح استهلالها:

١ - مـا لـلجـبـال من اللّظَى تـتـضـرّمُ
والأفق في الظلمـاء خَـضّـبـه الدّمُ

٢ – هل سال قرنُ الشمس في غسقِ الدُّجى
وانسابَ من حِممِ الشظايا عَيلَم؟
٣ – ماذا دهى هذي الرعان فإنها
بالنار في هوجِ الرياح تُدمدِم
٤ – نار تميد الأرض من طوفانها
ثُكلاً وتُصعقُ من لظاها الأنجُم
٥ – إني أرى الدنيا تمور كأنما
قُذفتْ بأسباب الفناءِ جهنّم
٦ – والناس في رهَج الزعازع تلتقي
أشباحُها وتفرُّ ممّا تضطرم

إن الحقل الدلالي في هذا المقطع – وفي سائر القصيدة – يدور في مادة النار وما يتصل بها من تحولات. وهي المادة الملازمة للحرب، إن مفردات: اللظى، والحمم، والشظايا، والنار، وجهنم، وتضرم، كلها ذات اتصال بحالات النار، وإن استجابة مظاهر الطبيعة لتتولد تلقائيًا بالحقيقة أو التوهم لهذه الحالة الاشتعالية، مثل: تدمدم، وتمور، ورهج الزعازع، وسال قرن الشمس.. لقد رسم الخليفة لوحة مستحيلة، وطرح تصورًا يتجاوز قدرة الإنسان على مواجهة الخوف والفزع، وفي هذا – لولا كلمة عيلم التي اعترضت الحركة بغموضها وقلقها – ما يستدعي مقولات الحرب النفسية في زماننا، وبصورة أخرى، أو من مستوى إدراكي مختلف، نستعيد ما نعرف من منازلات الشعوب البدائية في الغابات حين كان المحاربون يخرجون إلى القتال مرتدين جلود الحيوانات المفترسة، واضعين فوق رءوسهم قرونها أو أنيابها المكشرة. إن الثورة في المقطع السابق تأخذ شكل ظاهرة كونية، لأن القصيدة كتبت في زمن التفجيرات الذرية، فكان انصهار الصخور، وغلبة وهج التفجير على نور الشمس.. إلى آخر ما انتهى إلى علم الشاعر، فكانت هذه اللوحة المرعبة. وفي التشكيل الصوتي للأبيات سنجد صوتًا بعينه يتجاوز نسبة التوسط في كل بيت، مثل الضاد والظاء وبينهما تراسل في المخرج – في البيت الأول، والسين في البيت الثاني، والهاء في الثالث، والنون في الرابع، والهمزة في الخامس، والتاء في

السادس. وفي جميع الأبيات تتجلى الجيم بطبيعتها الانفجارية شديدة الوقع، وكأنها تجسد هذا المشهد الذي تنمو تفاصيله وتتضح مع تعاقب الأبيات.

إن بحر الكامل يعد من البحور الطوال (يتكون البيت من ثلاثين مقطعا) وهذا ما أتاح للمشهد السابق أن تستوعب تفاصيله بصورة تجمع بين الاتصال والانفصال، ففي كل بيت على حدة صورة حركية مستقلة رسمت بتمامها في البيت غير محتاجة، لكي نتخيله، إلى ما سبقها أو أعقبها، ولكن الأبيات جميعًا تمضي في تسلسل وكأننا في موقع يوازي الصورة، وفي هذا الوضع يكون البدء بالأعلى أقرب إلى حركة البصر، وإلى حالة الفزع، فكانت الجبال الملتهبة أول ما خطف البصر، وكان الناس الهائمين الفزعين آخر ما رأت العين الجزعة. فإذا ما توقفنا عند حرف (صوت) الروي (الميم) سنلاحظ أن ظاهر حاله يناقض مشهد الهول الذي يصفه البيت، لأن صوت الميم سهل المخرج (من افتراق الشفتين) فيه عذوبة بعيدة عن المكابدة والجهد، ولعل هذا ما حفز الشاعر على أن يختار من مفردات ما ينتهي بالميم ماله دلالة شديدة أو مؤلمة، يعادل بها سهولة الأداء الصوتي في الروي، فبين الدم، والدمدمة، وجهنم، وتضرم، (وحتى عيلم) لا تبقى غير «الأنجم» المسبوقة بالصعق واللظى، وهذا ما يدخل الميم في زمرتها، بقوة التكامل المشهدي في البيت.

بين أيدينا مثال آخر يوافق ويناقض في الوقت نفسه حالة القعقعة والجلالة والتهويل التي رأيناها عند الشاعر الخليفة، أو لنقل إنه يحقق ما أشار إليه عبد الله الطيب في موسيقا الكامل من أنها في سياق الغضب تحقق الجلجلة، وفي سياق الغزل تحقق الرقة، وفي سياق الرثاء تحقق النوح. في قصيدة «يأبى لنا الإيثار إلا نجدة» للشاعر أحمد الغزاوي، يرسم صورتين متقابلتين، لفتاتين إحداهما جزائرية (جميلة بوحيرد) والأخرى فرنسية (جان دارك) وهذا المقطع من القصيدة من أجمل ما قيل في معناه، ومن أزهى ما رسمت به صور جميلة من الألوان، وسنرى كيف استطاعت البنية الصوتية للأبيات، والدلالية للمفردات، أن تتنقل بمرونة واضحة بين طرفي صورتين افترض الرسام (الشاعر) أن بينهما تناقضًا أو تضادًا (وقد سبقت الإشارة إلى هذا المقطع بذاته، ولكن ليس من المستوى الإيقاعي):

١٤ - (الغانياتُ) وهنّ أمثال الدُمَى
ضحِكن والبلوى بهنّ تُغولُ

١٥ - لابسْنَ أحشاءَ المنون صواعقًا
تنقضُّ فوق المعتدين وتصقل

١٦ - (جان دارك) تفرق من وشاح جميلةٍ
وجميلةٌ كالسيف أو هيَ جحفل

١٧ - لو أنها أصغتْ إليها ساعةً
لمشتْ إليها في (المسوح) تذلل

١٨ - شتّان بين نضالِ كلٌّ منهما
هذا يصولُ وذلكمْ يتسول

١٩ - بل تلك غانيةٌ وهذي حرةٌ
(عذراءُ) في (محرابها) تتبتّل

٢٠ - (هيفاءُ) إلا أنها بقوامها
أملٌ يضيء وصارمٌ يتهلّل

إن تأمل هذه الأبيات، وما آثر الشاعر من مفردات، سيكشف عن دوافع نفسية، ومخزون مرجعي واعتبارات يمليها الموقف عملت على تشكيل هاتين الصورتين المتقابلتين. إن قرارًا بالانحياز إلى جميلة لهو أحد دوافع القصيدة بالطبع، ولكن استدعاء جان دارك وانتقاصها جاء متأخرًا فلم يدخل في نسيج السياق منذ تطرقه إلى الغانيات، والغانيات هنا تعني «جميلات» الجزائر اللاتي أشاد الإعلام العربي بأعمالهن البطولية، وما يدل عليه جهادهن من دور للمرأة في حركة التحرير، فحين ومض اسم جان دارك في خيال الشاعر الغزاوي فإن مسالك متعددة كانت تلوح له، أحدها أن جان دارك فعلت بالنسبة لوطنها ما تفعله جميلة لوطنها، وبهذا كان سبيل القصيدة أن تصف تناقض أو تخبط الفكر الغربي الذي يتغنى بقوة منطقه وموضوعية تفكيره، ولكن الشاعر آثر أن يحسب جان دارك على الحضارة أو المجتمع الذي أنتجها، ولأن صورة هذا المجتمع - في تصوره - غير كريمة، أو سلبية على الأقل حيال القضية التي فجرت معنى القصيدة في وجدانه، فإن هذا - لا

محالة – لحق بصورة جان دارك، وهذا أيسر في الأداء من الشكل/ الفكرة التي اقترحنا، لأنه يعفيه من التدقيق في تفاصيل الحياة في المجتمعات الغربية، بل لا يلزمه بإطالة التفكير في تجربة جان دارك وما عانته من قومها وكيف أدى بها إلى نهاية فاجعة قاسية، هذا – فيما نرجح – الإطار الخارجي الذي حكم طابع المقابلة بين صورتي الفتاتين، يواكب هذا موسيقا البحر الذي يجلجل، ويرق، وينوح، ليناسب ثلاث حالات يستدعيها ذكر جميلة (والبحر يتجاوزها إلى جملة القصيدة بالطبع)، وكذلك القافية (اللام) التي توصف بأنها – مع الميم – أحلى القوافي لسهولة المخرج وكثرة المادة الاشتقاقية التي آخرها لام. وهذه السهولة ستفرض نوعًا من الليونة، أو المرونة، أو الملاءمة مع ذكر النساء، مع أن السياق الذي غلب عليه هذا المستوى من الليونة لم يخل من ومضات تنذر بالعنف من مثل: وتقلبت فوق اللظى أكبادها – وجنوبها من وقدها تتململ، ولكن مثل هذا المعنى بشدته أخلى الطريق لحديث النساء أو الحديث عن النساء حتى وإن كن محاربات. إن محاولة تستحق الاهتمام تتحقق في انتقاء مفردات صورة المرأة (جميلة) فمفردات الصورة مختزنة في جماليات النساء كما يراها الذوق العربي، وكما يستدعيها الشعر أيضًا، من هذا القبيل: أمثال الدمى، وهذه الصورة ماثلة في الشعر الجاهلي، وكذلك ذكر الأحشاء مما يناسب النساء، وذكر الوشاح أيضًا، ولم يكن السيف بعيدًا عن وصف المرأة، وهو إحدى صور الهيف المذكور (الرشاقة) ويتأكد هذا بذكر الصارم (وهو السيف، على سبيل إنابة الصفة عن الموصوف: سيف صارم = قاطع). هكذا تأصلت جميلة عربيًا عبر التشكيل الجمالي الذي استمد من صفات المرأة (الصحراوية) جماليات فتاة القصبة في مدينة الجزائر، ولكن ليس لنا أن نتوقع أن تكون صورة جميلة في حالتها الراهنة بمعزل عن واقعها الذي يخوض حربًا ضارية، وهنا نرى كيف صنع الشاعر تداخلاً من مفردات تراثية تستمد دلالة مستحدثة من علاقة راهنة لتنتج صورة فتاة عصرية محاربة!! وهنا ينبغي علينا قبل أن نفصل في هذا – أن نقول إن ظاهر هذا القول يبدو أقرب إلى الاهتمام بالصورة الشعرية، وهذا صحيح عند أصحاب التقسيمات الجاهزة، المفصلة، على الرغم من قولهم بتمازج عناصر البناء، فالذي نراه لا يمنع الإيقاع من أن يكون صانع صورة، ولا يعزل الصورة عن توجيه الإيقاع، وسنبرهن على هذا في تحليلنا للمقطع السابق. لقد استخدم

الشاعر «الغانية» بالدلالتين: المعجمية ثم العرفية، فجعلها صفة مدح في الأولى، وصفة نقص في الأخرى، فالجزائريات الجميلات مثل الدمى، وصفن بالغانيات (البيت ١٤) والغانية – معجمياً – من استغنت بجمالها الطبيعي عن استعمال الزينة، أما حين توضع جميلة في مقابل جان دارك فإنها الحرة في مواجهة الغانية (البيت ١٩) وليس يصلح في هذا السياق الهجائي وصفها بالحسناء التي استغنت بجمالها عن الزينة، وكذلك تضفي مقابلتها للحرة ما يعني أنها عكس ذلك، فتكون الغانية هنا اللعوب أو ما يشبه هذا المعنى. إن هذه «التبادلية» قد تمت على امتداد المقطع بين الغانيتين لتصنع صورًا مركبة من عنصر قديم مستقر في إطار مرجعية مأثورة، وعنصر حديث أو راهن يتولى تغيير لون أو شكل ذاك القديم، فيتحرك بأفق التلقي إلى محاولة توسيع دائرة الدلالات لتقبل جديد، هو الصورة المرتجاة للمرأة العربية كما ترسمها الفتاة المناضلة في الجزائر: في «أمثال الدمى» رمز للأسطورة، وطقس التحول، ترشحه «ضحين» والتغول: اتخاذ صورة الغول. وهذا التناقض ماثل في «أحشاء المنون» وفي الملابسة التي تناقض الصعق الذي يعني الإفناء، وتناقض – مرة أخرى – الصقل. وفي البيت التالي يتحول الوشاح إلى أداة إرعاب، ويستدعي صورة السيف مستمدًا المأثور (توشح سيفه). وبالنسبة إلى الكلمة/ الفعل، خاتمة البيت فازت جميلة بثلاث: جحفل – تتبتل – يتهلل، لتشهد لمكانتها، وأحاطت بجان دارك كلمتان: تتذلل وتتسول. ومع وحدة الإيقاع فإن التلوين المعنوي فيما وصفت به جميلة يخلق في كل بيت حالة جديدة (إضافية) فالجحفل، غير التبتل، وهما غير التهلل، في حين يظل التذلل قرين التسول، وهذا يدعم حالة الانحطاط التي وسمت بها جان دارك.

في سياق اختبار علاقة الوزن (ووسائل الإيقاع الأخرى) بالمعنى في القصيدة، نتوقف عند قصيدة من بحر البسيط للشاعر محمد هاشم رشيد، بعنوان: «تحية الجزائر المنتصرة» – واختيارنا لها عن قصد، فهي في خمسة وخمسين بيتًا، بعبارة أخرى: إن امتدادها الواضح يعطي إمكانية أن يلون الشاعر في المشاهد والصور، وأن يجدد أو يغير في وسائل العرض والإيقاع الداخلي، مما يصعب أن يتاح في قصيدة قصيرة، ويدخل في التفضيل أن قصيدة رشيد تسبقها في التاريخ قصيدتان تشاركانها بحر البسيط، كما تتفقان معها في روي الياء المكسورة، مما يرجح – أو يؤكد – أن هاتين القصيدتين كانتا

ماثلتين أمام عيني شاعرنا محمد هاشم رشيد وهو يصنع قصيدته. وهما: قصيدة أبي تمام الشهيرة، التي وصف فيها فتح عمورية، ووجه الخطاب فيها إلى الخليفة المعتصم:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتُبِ
في حدِّهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ

(ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي – تحقيق محمد عبده عزام – المجلد١ ص٤٠) ومن بعدها بألف عام تأتي قصيدة شوقي، التي اختار لها عنوانا في ديوانه (الشوقيات ج٢ ص ٦١): انتصار الأتراك في الحرب والسياسة، وهي شهيرة أيضًا، ومطلعها:

الله أكبرُ كمْ في الفتح من عجبِ
ياخالدَ التركِ جدِّدْ خالدَ العربِ

أما المطلع الذي آثره محمد هاشم رشيد في تحيته للجزائر المنتصرة، فيقول:

جزائرَ المجد يا أعجوبة الحِقَبِ
عاش النضال! وعاشت أمةُ العَربِ

إن العلاقة بين القصائد الثلاث لا تنحصر في الإطار الموسيقي (الوزن والروي) فهناك رابط آخر أقوى، وهو غرض القصيدة الذي يستفزه النصر في الحرب على عدو مخالف في العقيدة، شديد الاغترار بقوته، والتمسك بصلفه. فهذا حال يقرب بين الدوافع، فتسهل السبيل إلى اصطناع الأدوات الموصلة، وقد يبدو – في تأثير أبي تمام الطاغي في مجالي التصوير المجازي والبناء الصوتي، ثم تأثير شوقي بقدرته الواضحة على تفتيق المعاني وتراسل المقاطع لتنتهي إلى مقولات كلية تصنع رؤية.. يبدو هذا مؤثرًا سلبياً في شاعرنا المعاصر الذي يحاول أن يدخل حلبة المنافسة متعلقًا بالمثال، أو المثالين، فإذا به أعجز من أن يسعى في مضمار تكتسحه خيل مضمرة خبيرة بفنون الكر والفر، فإذا رأى الانسحاب أسلم عاقبة فسعى إلى ألا يستدعي منهج الموازنة من أساسه وشت به الأوزان والقوافي. وسنرى أن التأثير القافوي الذي مارسه هاشم رشيد تجاوز الباء المكسورة، إلى المفردات ذاتها التي جلبها من القصيدتين السابقتين دون زيادة مؤثرة.

مهما يكن من أمر، فإن سؤالنا الأساسي عن بحر البسيط يحاول أن يختبر مقولة الدكتور عبد الله الطيب المتعلقة بموسيقاه، تلك التي وصفها بأنها تؤثر العنف أو اللين، وأنها تأخذ صيغة الخطب الطنانة، ولهذا تستجيب لدواعي الفخر (معنى) والإنشاء (صياغة) فتقرب من أوصاف الملاحم – من حيث المبدأ نميل إلى ترجيح أن عبد الله الطيب حين حاول تحديد تخوم موسيقا بحر البسيط بما سبق ذكره إنما كان يستحضر في ذاكرته قصيدتي أبي تمام وشوقي، وفيهما نجد دلائل ما أشار إليه، فإذا قرأنا قصيدة محمد هاشم رشيد في ضوء هذه المقولة ذاتها سنراها تستجيب حينًا، وتختلف حينًا، ترتيبًا على خبرة الشاعر وليس طبيعة المشهد، إذ لم تكن الحرب بين الجزائر وفرنسا بأقل خطرًا في وسائلها ونتائجها من حرب المعتصم والروم، أو الترك واليونان. ولعل النزعة الخطابية ورفع الشعارات (المسكوكة) أول ما يحدد باب الدخول إلى القصيدة: عاش النضال! وعاشت أمة العرب ، فهذا هتاف نواجهه في التظاهرات وفي المهرجانات الخطابية التي تقام لجلب التأييد، ومثل هذا يقال على الشطر: حاشاك أن تدعني يومًا لمغتصب. ومثل هذين البيتين:

٤٢ – يا أيها الفتيةُ الأحرارُ.. تهنئةٌ
بالفوز والنصر بعدَ الكدِّ والتَّعب
٤٣ – ضربتمو المثلَ الأعلى بثورتكم
وكنتمو قدوةً في الموقف الحرِب

إن الشعارات بطبيعة صانعها وسياق توجيهها تكون غير شعرية، لوضوحها الشديد، وقرب معناها واعتمادها على إيقاع مستقطع معزول عن السياق.

في القصيدة إضافة خاصة، ومن الواضح في نصها أنها كتبت عقب انتهاء الحرب وظفر الجزائر باستقلالها (من ثم وجهت إليها التحية وذكر النصر)، وفي هذه المناسبة (العامة) لم يفت الشاعر أن يذكر دور المرأة الجزائرية في المعركة، ذلك الدور الذي ارتبط بمرحلة البداية حين كان جيش التحرير محدود العدد يوجه أفرادًا لمهاجمة مواقع مختلفة، فكان للنساء دور في هذا، أما فيما بعد فقد توقف هذا النشاط النسوي، ولكن الشاعر يرى

ويثبت أن تغييرًا عظيمًا قد حدث في مكانة المرأة الاجتماعية استنادًا إلى ما أدته سابقًا في المعركة.

٣ - رويتـمـو بالدم المُـهـراقِ تربتَـهُ
حتّى تألّقَ في أثوابه القُشُبِ

٤ - ولاحتِ الزهراتُ الناضراتُ به
حمرَ الشفاهِ بلون الأحمرِ السَّرِبِ

إن الصورة لم ترتفع إلى مستوى الفعل، فحمرة شفاه الزهرات الناضرات بلون الدم لا تعني، أو لا تتجسد في مشهد نضالي، بقدر ما تستدعي صورة الجمال، ولولا ذكر الدم المهراق الذي روى تربة الوطن لكانت هذه الصورة معاندة لسياقها، ولم تكن قلقة وحسب.. لقد جمع الشاعر في قصيدته بين صور التضحية والبذل الشجاع وصور المكابدة ومعاناة القهر، وجعل الثانية تعليلاً للأولى، وهذا الاقتباس يكشف عن تراتب الصور وتواشجها الذهني:

٢٥ - ساروا على الصخر والأشواق وانطلقوا
وللردى حولَهم إيماءُ مرتقبُ

٢٦ - في كلِّ خطوةِ طفلٍ صوتُ باكيةٍ
ثكلى، وطفل ينادي: أين أين أبي؟

٢٧ - وكلُّ آهةِ شيخٍ راحَ يتبعُها
صراخُ مستنجدٍ أو صوتُ مُنتَحِبِ

٢٨ - ومأتمٌ في فجاجِ الأرض منتشرٌ
قد راح يزحفُ، أو يجثو على الرُّكَبِ

هذه الوثبة التصويرية المشهدية هي أقرب ما في القصيدة إلى فن الشعر، وهي أقرب إلى تصوير شوقي لمشاهد أخرى من حرب البلقان ولما نزل بالألبان والترك من مذابح الصرب الماحقة. ونعود إلى القافية، ومع ما هو معروف من اتساع معجم المفردات التي تنتهي بحرف الباء، فقد كان أمام الشاعر مجال اختيار ميسر واسع من قصيدتي أبي

تمام، وهي في (٧١) واحد وسبعين بيتًا، ليس فيها قافية مكررة، وكذلك بلغت بائية شوقي (٨٨) ثمانية وثمانين بيتًا، لم يكرر فيها قافية، وإن ظهر أثر أبي تمام - لا محالة - في قوافي شوقي، مع حسن تصرف في المعاني يخفي هذا الأثر تمامًا، أو يذهب به بعيدًا بحيث لا يكاد يلحظ وقد أجرينا إحصاءً موازنًا بين القصائد البائية الثلاث، وما يعنينا ينحصر فيما استمد محمد هاشم رشيد من قوافي أبي تمام، ثم قوافي شوقي. فالقصيدة التي استعملت خمسًا وخمسين كلمة تنتهي بصوت الباء، استخدمت (٢٣) كلمة مما سبق أبو تمام إلى استخدامه، وهي حسب ترتيب ورودها في قصيدة أبي تمام: الكتب - الشهب - كذب - الصلب - الخطب - القشب - الحقب - سرب - مختضب - اللهب - تجب - عجب - القضب - محتجب - لم تجب - الحرب - الذهب - صخب - الطرب - الغضب - الركب - التعب - العرب - وقد صنعت قافية (٢٧) بيتًا، إذ رخص الشاعر لنفسه بتكرار بعض القوافي، فاستخدم: «كذب» مرتين، و« حرب» مرتين كذلك، و «اللهب» أو ملتهب - ثلاث مرات - أما بائية شوقي فإن قوافيها سبقت إلى عدد غير قليل مما انفرد به هاشم رشيد عن قوافي أبي تمام، وهي الكلمات: تثبي - النصب - الثوب - منجذب - اللجب - الغلب - الهضب - أبي - الأهب - السحب - الضرب - محترب - عطب - الحجب - لم تخب، فهذه خمس عشرة قافية، إضافة إلى سبع وعشرين سبقت، وبهذا يبقى مما أضاف هاشم رشيد، ولم يسبق إليه في البائيتين المذكورتين ثلاث عشرة قافية (١٣) - تبدو في الكلمات: الداب - مغتصب (مرتين) الأشب - منسكب - مرتقب - منتحب - السغب - تعصف بي - محتجب - الحزب - لم تخب - النجب - فهذه خمس وخمسون مفردة، هي تمام قوافي القصيدة، وقبل أن نطوي صفحة «تحية الجزائر المنتصرة» من واجبنا أن ننصف موهبة الشاعر رشيد، فالقوافي مطروحة في الطريق، والألفاظ التي تنتهي بحرف الباء يصعب إحصاؤها ويمكن الاهتداء بالمعاجم المرتبة على الحرف الأخير لنقترب من حجمها في المستعمل والمهجور من لغة العرب، ثم نضيف إليه المولد والمعرب..إلخ، والمهم هو السياق الذي قاد الكلام إلى كلمة القافية، ومدى تمكن القافية واستقرارها، وكونها لا بديل عنها في مكانها. وهذا يحتاج إلى جهد آخر.

٨ - ديوان . . وظاهرة

صدر ديوان «النار والزيتون في الجزائر» للشاعر ابن عبد الله عبد الوهاب (العباسي) دون تاريخ، وقد أضاف الباحث عبد الله العطوي ثلاثة أمور مهمة باستطاعتها أن تفتح باب مناقشة الديوان: فقد استعان ببعض القرائن لتحديد عام صدور الديوان، وذلك في دراسته التي أشرنا إليها غير مرة عن الكفاح الجزائري في الشعر السعودي، فقد لاحظ أن مجلة المنهل (السعودية) أوردت نقدًا للديوان يوافق شهر يونيو ١٩٥٨، ويستخلص من هذا أن القصائد بذاتها قد أنتجت بالضرورة بعد إعلان قيام الثورة الجزائرية (نوفمبر ١٩٥٤) وقبل نشر الديوان بالطبع، ويرجح أن أكثر هذه القصائد أنتج عام ١٩٥٧ وإن لم يذكر سبب هذا الترجيح. الأمر الثاني أنه سجل على لسان ناقد المنهل – غير المحدد – تحية لصدور الديوان في حينه وإعجابًا إجماليًا بمنحاه الشعري، وهذا نص ما نقله العطوي عن المنهل: «تعجبني محاولة الشمولية في أدبنا، وهذا ما توخاه الشاعر حينما أصدر ديوانه،... وإننا نرحب بهذا الديوان الجديد ذي الأهداف السامية، والطراز الجديد في أدبنا وشعرنا» – (المخطوطة – ص ٣٩٨) وما يعنيه ناقد المنهل بالشمولية – فيما نرجح – يعود إلى أن جملة قصائد الديوان عن الجزائر، وأنه أول ديوان يضع الجزائر في صيغة عنوانه، وفي عناوين أربع عشرة قصيدة من قصائده التي بلغت اثنتين وعشرين قصيدة، أما الإشارة إلى «الطراز الجديد في أدبنا وشعرنا» فإن السياق الزمني يرجح أن المقصود هو أن النسبة الغالبة من هذه القصائد لم تنظم حسب قواعد العروض الخليلي، وإنما أخذت بنسق قصيدة التفعيلة – حسب اجتهاد العطوي أو حدود معرفته – ولكنها لم تكن كذلك أيضًا، كما سنرى. الأمر الثالث أن الباحث نفسه الذي نقل إلينا إعجاب ناقد المنهل لم يبد أية درجة من الإعجاب بما يعنيه صدور ديوان خاص (وحيد ربما في الأدب العربي) عن الجزائر، وإن أعطاه موقع الصدارة من الناحية الإحصائية الكمية المؤسسة على عدد القصائد، وفيما عدا هذا فإنه لم يتوقف عند اقتباسات من شعره ليظهر ما فيها من اضطراب، وهو محق في كثير مما أخذ على هذا الشعر، ولكنه غفل أو أغفل المنجز الإيجابي في تجربة الشاعر عبد الله عبد الوهاب..

ذكر العطوي (ص٢٧٠) أن الموزون المقفى من شعر الديوان ينحصر في ثلاث قصائد: الصباح في الجزائر (٨ أبيات) غضبة الجزائر (١٩بيتًا) نشيد الجزائر (١٩بيتًا) ما عدا هذا فإنه من شعر التفعيلة. مع هذا لم يسلم الموزون المقفى من أخطاء شنيعة، مثل هذا المطلع المتكرر ثلاث مرات في القصيدة: «غضبة الجزائر» :

ادجني يا سماء   واهطلي يا مطر

ومن الحق أن يتساءل العطوي عن تأنيث المطر والإصرار على هذا التأنيث المنفلت، ولكنه لم يحاول أن يكشف آفاق الدلالة في أصل الفعل «دجن»، ما بين اللون والسكون وأثر هذا في توجيه المعنى. ولا ننكر أن العطوي منح الشاعر قدرًا من «تسامحه» في قضية الوزن التفعيلي، وكأن قصيدة التفعيلة لا ضابط لها أو يمكن أن تؤسس على خليط من التفاعيل، فإذا صح لديه أن قصيدة: «رسالة إلى الصغار» مؤسسة على تفعيلة الرجز:

يا أيها الأطفال
يا أحبابنا طول المدى
يا عازفين
ألحاننا الرائعة الأوصاف
في أكواخنا
يا مبدعين

فإن أمر استخدام التفاعيل لم يكن بهذا القدر من سلامة الإدراك في عدد غير قليل من قصائد الشاعر، مثلما نجد في قصيدة «الصباح في الجزائر» فإن التفعيلة المنظمة للإيقاع فيها هي تفعيلة بحر الرمل: «فاعلاتن» ، غير أنه يستهل كل بيت من أبيات القصيدة الثمانية بتفعيلة على «فاعلات» ، وهي ليست مقحمة على الرمل. ولكنها – حسب قواعد العروض الخليلي مقبولة في «الضرب» – التفعيلة الأخيرة من الشطر الثاني في البيت – دون غيره، ومع هذا فإن الشاعر أباح لنفسه معتمدًا على أذنه وحدها – أن يقول:

١ – في الصباح:

عندما تبزغُ شمسُ الكونِ من خلف الدهور

٢ - كي تباح:
أنة المسكين يبــــــــصـــــــــــرها الضـــــــــــرير. .

كما أباح العطوي لبحثه أن يعد هذا من الموزون المقفى دون تحفظ، وبالمثل نجد اضطرابًا وتداخلاً غير قليل فيما عُدَّ من شعر التفعيلة، مثل قوله في مستهل قصيدة «أجزر الألم»

١ - خفف وطاك واصغ إلى
٢ - خفقات أمانينا
٣ - أصغي إلى كل أغانينا

فهذه الأسطر الثلاثة تبدأ بتفعيلة الرجز (مستفعل) وبها - مع تحوير مقبول - تنتهي، ولكن تتوسط بينهما صيغة (فعلن) = المتدارك، التي تتكرر أربع مرات تختم بخامسة من المتدارك أيضًا، غير أنها ساكنة العين!! وفي قصيدة «قبرتي» تسود تفعيلة «الرجز» واسعة الانتشار في قصائد الديوان، وفي قصيدة (إقلاع) تسود تفعيلة «الكامل».

إن التجريب العروضي (الشكلي) في شعر عبد الله بن عبد الوهاب يستحق العناية، والعناية هنا تعني المناقشة التفصيلية والرعاية بحيث تقود خطى المبدع في اتجاه الاستخدام الصحيح لإمكاناته.

ونعود إلى ما أخذ عبد الله العطوي على مستوى الرؤية في شعر صاحب «النار والزيتون» ، ويتضح هذا في مثال اقتبسه، مطلع قصيدة: «من آثار الاستعمار» :

قرف، جور، وبهتان وزور
وحكاياتٌ من العالم لا تجدي
وشحاذ
على قارعةِ الدرب

ونعود إلى تعليق العطوي: «إننا نجد فيها أفكارًا سطحية. لا عمق فيها، وصورًا مبتذلة، كما نجد حشدًا من الألفاظ العامية، والتراكيب الجاهزة، والتي يمثلها في هذا

المقطع القصير قوله: حكايات من العالم – وقارعة الدرب. وتجد ترادفات لا طائل منها مثل: جور، بهتان، زور، فهذه الألفاظ ما هي إلا حشو لا مبرر له، إذ كثر وصف انصار الشعر الحديث بأنه يخلص الشاعر من الحشو الذي تفرضه وحدتا الوزن والقافية» (ص٣٨٨).

ويمضي الباحث – في مواضع أخرى – ليعلن عن هذا النهج الذي ارتآه، ولعل تعليله لرؤيته هنا أكثر وضوحًا حين يعلق على أسطر من قصائد لشعراء آخرين: «والحقيقة أن الشعر الحر لم يكتف بما تحققه له وحدة التفعيلة من موسيقا، فعمد إلى الاستفادة من الموسيقا الداخلية، واستفاد مما استفاد منه الشعر عمومًا من مؤثرات إيقاعية لفظية، مثل الجناس والتكرار وغيره، ولكننا إذ قارنا الشعر الموزون بشعر التفعيلة نرى أن شعر التفعيلة فيما يخص موضوعنا أكثر ميلاً للتلاعب بالألفاظ تلاعبًا لا يخدم الموسيقا، ومن ذلك مثلاً قول حسن القرشي:

رفاقي إلى الملتقى

إلى الملتقى يا رفاق

ومثل قول محمد عامر الرميح (قصيدة مواكب الأبطال):

يا تاريخ سجل

سجل يا تاريخ

فأنت ترى ما في هذين المثلين من تكرار ممجوج، لا يخدم الناحية الفنية ولا الموسيقية، ولا فيه زيادة معنى تغفر له هذه الفضلة اللفظية (ص٣٦١ – ٣٦٢).

ونقول إن هذه الأفكار قد تجاوزها النقد في جامعات السعودية منذ ثمانينيات القرن العشرين، وما يدعونا للاهتمام بها أنها ذات تعلق بشعر الكفاح الجزائري. إن الشعر الحر (شعر التفعيلة) هو شعر قبل كل شيء، ولا تجاوز في أن يفيد من الموسيقا الداخلية أو مما يفيد منه «الشعر عمومًا» – كما يقول الباحث – الذي نظر إلى التكرار على أنه نوع من التلاعب بالألفاظ، فلم يذهب تصوره إلى مقاربة الواقع ومحاكاة الحياة اليومية، ومع هذا فإن العطوي في رفضه لغة الحياة اليومية ومحاكاة الواقع لم يقبل من الرميح في قصيدته السابقة أن يقول:

والمدن المصـــــبـــــوغـــــة بالدم الأخـــــضـــــر

فالدم أحمر بشهادة الحواس، أما هذه الاستعارة المؤسسة على تراسل الحواس فإنها في رأيه «تشدنا إلى ترهات تقرأها عند بعض الخارجين على ضوابط اللغة والشعر، وتهويمات لا طائل منها» (ص٣٦٦)، مع هذا لم يكن موقف الناقد رافضًا للاستعارة، وإن رفض غموضها لكنه ظل على إنكاره للاقتراب بالشعر من الواقع، لأن هذا الواقع - كما يتصوره - يؤدي إلى النثرية والتسطح، فإذا قال سعد البواردي (في قصيدة أسرة من الجزائر):

١ - لا تصــدق انني أول من خطَّ الطريقْ

٢ - فأخي عاش سجينًا، وأبي مات غريق

٣ - وابن خالي مزّق السوط حشاه بالحروق

قال عن هذا المطلع: «الشاعر يتحدث عن أسرة من الجزائر بشكل يقرب من النثرية، ونجد ألفاظًا بسيطة ومعاني سطحية، فالأب وهو المثال المحتذى والمكافح الأول يموت غريقًا، فهو بهذه الصورة بعيد عن الكفاح، ولو رجعت للمعنى العام لوجدت أن الشاعر لا يعني ذلك البتة، ولكن الألفاظ خالفته في حمل ما أراد من معان» (٣٨٩، ٣٩٠) والعكس هو الصحيح - فيما نرى - فالشاعر أراد شيئًا التوى به الناقد أو لم يستوعب مرماه. القصيدة قصيرة (١٢بيتًا) من مجزوء الرمل، في أربعة مقاطع استقل كل مقطع بقافية، كما استقل بتقديم زاوية أو مشهد من صورة كلية ماحقة. العنوان عن «أسرة من الجزائر» فهو متضمن في الجزائر كاملة، والأسرة تعني المؤسسة المتكاملة المتواشجة، ولكن ماذا جرى لها على يد المستعمر؟ لقد أهلك هذا المستعمر أجيال هذه الأسرة، بما يكشف عن غور المأساة واستمرارها (الزمني) وشمولها الراهن وتعقبها لكافة الأفرع، إن أفراد الأسرة جميعًا، عبر الأجيال، تعرضوا لوسائل وحشية أودت بهم، فالوسائل مختلفة والنتيجة واحدة. في القصيدة ثلاثة أجيال: الجد، والمتكلم (الراوي) والحفيد، وقد تطورت أساليب مواجهتهم للمستعمر كما تنوعت وسائل العقاب. وهذا الوصف الذي استغرق المقاطع الثلاثة اختتم بالمقطع الرابع الذي يماثل نقطة التنوير في القصة القصيرة، تلك النقطة التي تتجمع عندها خيوط النسيج الفني، فتضيء المعنى وتدل على وحدة البناء:

١٠ - كلهمْ كانوا الضحايا وبلا ذنبٍ جنوه

١١ - فهمو غرسٌ لأحرارٍ تروّى.. فمحوه
١٢ - ويْحَهم لو أمكنوا للمجد فينا لطووه

إن مفتتح القصيدة يبدأ بالنفي، وهو نفي موجه إلى مخاطب، وهذا المخاطب يقوي طابع السرد في تقطيع الحكاية، وهو ما فعله سعد البواردي في تقسيم الأسرة إلى أجيال، ومع كل جيل تستحدث وسائل تعذيب، فجيل الراوي ضاع بين السجن والإغراق والتعذيب بالجلد، أما جيل الآباء فإنه قد لاقى مصيرًا أشد تعاسة ما بين رمي بالرصاص لمجرد أنه يطلب القوت، والإعدام للاعتراض، أما جيل الأحفاد فإنه - لمعاناة الآباء والأجداد اكتفى بالصياح، فكان جزاءه القيد والعصا، وهنا شمل العقاب الأخت (المرأة) أيضًا. ثم تأتي نقطة التنوير: إن ما تشاهده من الثورة الماثلة الباسلة غرس زرعه أولئك الذين ذهبوا بالغرق والحرق.. إلخ.

هذا المستوى من التصوير ليس نثريًا، ولكن مجازيته لا تجري في نسق المألوف من إجراء الاستعارة أو عقد صلة التشبيه وتحديد وجه الشبه كما أراد القدماء، وكما يريد عبد الله العطوي.

ثم نتأمل في ديوان «النار والزيتون.. في الجزائر» بدءًا من عنوانه (وهو عنوان إحدى قصائده) وعناوين القصائد، ثم طابع التشكيل الفني السائد فيها. في هذا العنوان يتجلى الرمز، فالنار والزيتون هما الحرب والسلام، وبين الطرفين علاقة تضاد صانعة لدراما التكوين في القصيدة، وفي القصائد، والنار متداخلة تداخلاً إشكاليًا فيه قدر من الموروث الديني الذي جرد من النار نورًا، مثله بشجرة مباركة زيتونة غير متحيزة، والزيتون ينبسط من الرمز إلى الواقع، وهكذا يمكن أن نلمح في قصائد هذا الديوان تطلعًا ملحًا إلى طرح قضايا الواقع العربي (وليس الجزائري وحسب) وحاجته إلى جذوة من هذه النار المقدسة التي نتصل عبرها بالزيتون. إن القصيدة التي يحمل الديوان اسمها لا تجعل من النار نقيضًا للزيتون بل وسيلة إليه:

١ - لا أخمدت نيران
تسعى إلى فرحه

٢ - يا طائر الزيتون

عرِّج على داري

٣ - وانشدْ نشيدَ الكون

واعزفْ بأوتاري

٤ - فالمدفعُ الرشاش

من ضمن ما يقنون

...

١٢ - نار تشدُّ النار

١٦ - إنّا نَودُ النور

في كل أحيانا

إن هذه القصيدة التي نعنى بها تفتح زاوية مهمة لمناقشة عناوين قصائد الديوان، فلدينا ثلاثة أنواع من العناوين: الأول ما كان فيه ذكر «الجزائر» أصليًا يدل على مرتكز القصيدة، أو نقطة انبثاقها، وتحقق هذا في ست قصائد: أسرة من الجزائر - الصباح في الجزائر - إلى الجزائر - الريف الجزائري - غضبة الجزائر - من أجل أن تحيا الجزائر.

أما النوع الثاني فهو ما جاء تحت عنوان خلا من هذه الإشارة المحددة، ثم أضيف عنوان شارح (فرعي) ليعود بالقصيدة إلى الجزائر، وهذا ما نجده في القصائد التسع الآتية التي تضمنت عنوانًا أصليًا يتبعه العنوان الشارح: أجزر الألم (إنسانان في الجزائر) - الأحلام الغريبة (من أحد ميادين الجزائر) - إقلاع (الجزائري لم يعد يحب إلا وطنه) - أنا والمنى (من أهازيج الجزائر) - شحرور وشجر (من القرية التي قصفتها النار في الجزائر) - قبرتي (أغنية من الجزائر) - النداء (أو نداء الجزائري) - يا ساريًا (جزائري يناجي أخاه) - النار والزيتون (نشيد الجزائر).

أما النوع الأخير من عناوين الديوان فإنه خلا من أية إشارة تنتمي بالقصيدة إلى الموضوع الجزائري، وهذا النوع - على أهميته لم نختر من قصائده، وهو ماثل فيما بقي من قصائد الديوان، مثل: رسالة إلى الصغار - تحية إلى القمر (أمل العلم) - إلى

الإنسان .. العالم صورة إلى جزائري – افريقيا والنجوم – صورة عكسية من آثار الاستعمار.. وهنا تتجلى حقيقة مهمة هي القادرة على الكشف عن هوية الديوان وإضاءة رؤيته – لقد نظر عبد الله بن عبد الوهاب العياسي – صاحب ديوان: النار والزيتون في الجزائر – نظر إلى هذا القطر في أقصى المغرب، على أنه «حالة» ليس مجرد مساحة من الأرض استعمرتها فرنسا، وظلمت أهلها، فثاروا مرات وأخمدت ثوراتهم، حتى جاء زمان اشتعلت فيه ثورة لن تتوقف حتى يتحقق تحرير هذا القطر.. وهذه الحالة ليست محصورة في القطر الجزائري، إنها تكاد تكون حال الوطن العربي كله، الذي يحتاج إلى ثورة، ليس من المحتم أن تكون مسلحة بالرصاص، إنها يمكن أن تكون مسلحة بالوعي، والعمل، والرغبة في التغيير، والتطلع إلى العلم، والتوق إلى غد أفضل. . ليس هذا موضوعًا جزائريًا، وليس متصلاً أو مترتبًا على الثورة الجزائرية وواقعها الماثل عام إنتاج هذا الديوان، بقدر ما هو موضوع قومي ثوري يتطلع إلى التغيير ويعتنق التقدم ويعمل على تحقيقه، فجاءت ثورة الجزائر لتفتح باب القول وتنفي التهمة وتوسع من دائرة المسموح الذي استوعب الديوان، ولم يجد بأساً في توجيه التحية إليه دون أن يدخل إلى التفاصيل.

إن عناصر بناء المعنى في قصائد هذا الديوان تنفرد بذاتها عن كل ما تعرفنا عليه من قصائد ذاك المحور الذي قام على ثنائية مدح الجزائر وهجاء فرنسا، فليس في ديوان «النار والزيتون» مدح للجزائر بقدر ما هو تحريض، وليس فيه هجاء لفرنسا بقدر ما هو استعداء على الظلم والقهر والفقر والاستغلال، وليس في هذه القصائد حديث عن العقيدة، أو العروبة، على الأقل بذلك الوضوح والتحدد الذي لمسناه فيما تعرفنا من قصائد، بقدر ما فيه من دعوة إلى التضامن الإنساني وتحريض على التقدم العلمي، وإيمان بأن الغد ملك للأطفال، وللبسطاء، وللكادحين، وهذه معاني تحفز على النضال، وعلى التصدي للاستعمار ولكن ليس فيما بين الجزائر وفرنسا من منازلة في الميدان، إن المعركة أوسع مدى، وأكثر تنوعًا في أسلحتها من أن تكون كذلك.

في قصيدة «الصباح في الجزائر» لا نجد تركيزًا على دلالة المفردتين: الصباح/ الجزائر، بل لا نجدهما في متن القصيدة، فلا ذكر للجزائر في النص، أما الصباح فإنه ليس ذاك الوقت من النهار، إنه صباح تشرق فيه الإنسانية حين تتراجع الآلام وتتوقف أنة المسكين التي يبصرها الضرير!! وفي قصيدة «الريف الجزائري» لا تذكر الجزائر، وإنما

تذكر الورود والزهر (مرتين) والحصاد (٣مرات)والبشر (٣مرات) بل إن البشر آية (السطر رقم ١٤) والصغار حاضرون يعزفون مطالب البشر وغنوة السحر!! إن الشاعر حر فيما يستلهم، مختار كامل الإرادة في انتقاء مفرداته وتركيب صوره وتوجيه سياقه، ولكننا - المتلقين - نفترض بمرجعية التكوين الثقافي أنه حين نقرأ عنوانًا معينًا أن ينفتح أمامنا أفق التلقي بوحي حضور هذا العنوان، ولا يعني هذا أن ما نتوقعه من العنوان هو ما سيكون، أو ما ينبغي أن يكون ماثلاً في جسد القصيدة، وإلا بطلت خصوصية المرجعية ووظيفة إشباع النوع الأدبي المتحققة في تراكم ثقافة الشاعر، غير أن هذا لا يعني الانفصام الكامل بين التوقع والتحقق، لأن هذا يؤثر سلبًا في استقبال القصيدة، كما يؤدي إلى تغييب العلاقة بين العنوان والمحتوى، ولكي نخرج من حالة الانفصام هذه فإننا نقف في موقع ثالث ليس العنوان وليس المتن، وليس في منتصف المسافة، إنه من باب أولى يصنع رأس مثلث، بحيث تلتقي في هذا الموقع الافتراضي ومضات العنوان باحثة عن صور التجلي في المتن بما يصنع تشكيلاً متكاملاً، وفي هذا التشكيل لن نجد الريف ولا الفلاح الجزائري، لن نجد خصوصية التجربة، ولا طبيعة المكان، ولا أثر الصدام النزالي أو الحضاري، وكأن هذا الريف الجزائري ينتمي إلى المطلق، أو هو ريف العالم، العالم كما ينبغي أن يكون في رؤية الشاعر، وليس من الممكن استقبال هذه الصور المشبعة بالرومانسية بعيدًا عن هذا التصور الأساسي: في حيثما نرى المزون والشجر - تراقصت على مسالك الزمان - وزقزقت طيورها مع الأوان... تناثر الصغار يعزفون - مطالب البشر - وغنوة السحر... إلخ. وفي قصيدة أجزر الألم، ومع الطلب بالجزر بما ينطوي عليه من دم وأشلاء، ومع وضع المخاطب في الاعتبار، الذي يؤرثه العنوان الفرعي للقصيدة: (إنسانان في الجزائر) فإننا لا نجد صوتين، بل صوتًا واحدًا، في صيغة «مونولوج» وإن حاولت الاحتفاظ بدلائل الحضور الثنائي، نجد ضرورة في تعقب قصائد الديوان، وقد يكون من المهم أن نعرف أن هذه المفردات من مثل الغناء للألم، والمشي لمعانقة الصباح، وأن الأرض إلى الصبح تسير (أجزر الألم) وحيثما يعانق الربيع أرضنا، نغني للزهور والبشر ونبدأ الحصاد (الريف الجزائري) ضلت الغنوة لا جدوى، وأنياب الذئاب أبدًا تفتك بالموتى (الأحلام الغريبة) وارتشفنا حبنا ثملنا، غير أنَّا لم نزل نرنو كأنا من جديد، لم نحاول بعد تحطيم القيود (أنا والمنى) ثوري لأجلي أنت يا أشجار من عمقي الجريح

(شحرور وشجر) قبرتي، وفي السهوب تحمل الهدايا وتنشد الصبايا أنشودة السلام - قد كان حولنا جدار والموت فيه كامن يدار، فلم نكن نغني، ولم تكن أحلامنا تغني، مصيرنا مكبل محاط، لكننا لم نصطبر فثرنا، وحطمت اكفنا الجدار (قبرتي) أقدم، إنا ظلان على وجه الأرض أتينا، فتحاببنا، ذلك أنا من غصن واحد، غصن زيتوني أخضر، من الاف الأعوام زرعناه (النداء) بالأمس مزق الرصاص والهموم، صدر صديقي الحالك السواد، فكان أن نقيم حوله الحداد، لكننا لم نفعل، كنا نسير.. لابد أن نهدم الجدار (يا ساريًا) من أجل أن تتفتح الزهور في الربيع، من أجل أن تغرد الطيور في النقيع، من أجل أن تصان قيمة السلام، أكتب بالدماء للانام، أكتب كي يفتهم الصغار، أكتب كي يردد الكبار، لابد أن تقاوم التيار، لابد أن يزول الاستعمار (من أجل أن تحيا الجزائر).. إن هذه العبارات/ الصور المتقطعة من قصائد فجرتها تجربة النضال الجزائري واضحة الانتساب إلى زمانها، إلى لغة الشعر العربي في العقدين الخامس والسادس من القرن العشرين، زمن انطلاق السياب وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي، وهذا تقريب لطبيعة المناخ الثقافي والفكري وليس إيماء إلى أي قول آخر، فهذا الشاب (عبد الله بن عبد الوهاب العباسي) شاعر موقف، وشاعر رؤية، وشاعر ثقافة، وإن قصائده التي صنع منها مادة ديوانه لتعد بادرة انفراد عن شعراء زمانه في مكانه، فلا أحد يشبهه أو يقترب من مجاله، وليس الفارق ماثلاً في الانصياع للبحر الشعري أو التمرد عليه، فبين أيدينا محاولات قصائد التفعيلة صنعها شعراء يملكون ناصية البحر الشعري، وأغلب ما كتبوا من شعر يتشكل به، ومع هذا جاءت قصائدهم التفعيلية كاشفة عن فهم غير مستوعب لمعنى الشعر، ولمعنى التمرد على البحر، وإذا استطاع الإيقاع سابق التجهيز (البحر الشعري) أن يغطي أحيانًا على خطابية الأداء وتفكك البنية، فإن قصيدة التفعيلة تحولت على أيدي بعضهم إلى مقاطع مسجوعة على قدر كبير من الرتابة والسذاجة، فلم تضف إليهم بقدر ما أخذت منهم. سنكتفي بمثال واحد للشاعر عبد الله بن إدريس في قصيدة «صوت الجزائر» ، إذ يقول:

١ - لا، لن نحيد عن الكفاح

٢ - لن نحار.. ولن نهون

٣ - أو يستبد بنا السكون

٤ – رغم المقاصل والسجون

...

٩ – فشعارنا

١٠ – لنضالنا

١١ – الا نحيد عن الكفاح

١٢ – ابدًا ولن نضع السلاح . . . إلخ.

إن عبد الله بن عبد الوهاب نظم تحت عناوين ذات منحنى إنساني عالمي، أشرنا إليها سابقًا، مثل: رسالة إلى الصفار، افريقيا والنجوم، تحية إلى القمر، وإن هذه القصائد تحمل الرؤية ذاتها التي حملتها قصائده الجزائرية، لتؤكد لنا – من وجه آخر – أننا مع الشاعر الموقف والرؤية، والشاعر الذي يشكل قصيدته على غير مثال في ثقافة مجتمعه، وإذا كان الإنسان معزوفة التاريخ، وكان الأطفال عازفين ألحاننا الرائعة في أكواخنا، وأن أفريقيا المثقلة بالكلوم لم تزل تعصف بالدب بأنفاس الحياة، فإنه ليس من العسير أن نكتشف وحدة المعجم الشعري، وندرك طريقة تشكيل الصور ومتى تبلغ القصيدة غايتها. وإذا كانت قصيدة «صور عكسية من آثار الاستعمار» تبدأ بكلمات: «قرف، جور، وبهتان، وزور» ، تلك المفردات التي أدانها عبد الله العطوي ورأى أنها كلمات مقززة، ونثرية.. إلخ فإنه كان من الواجب أن يستوفي صورة القصيدة غير مكتف بمطلعها، لأنها عن آثار الاستعمار (وهذا متضمن في العنوان) من ثم تقدم صورة بائسة، لا بأس في أن تكون مقززة، فالشعر ليس إلهاء عن الواقع وإنما هو إغناء للوعي بهذا الواقع.

إن هذا الشاعر الذي لم يعرفه أحد ربما خارج الجزيرة العربية – عبد الله بن عبد الوهاب، ولم نقرأ له غير هذا الشعر بعد مضي نصف قرن على نشره الأول ولا نعرف أين ذهبت أشعاره أو ذهبت به أشعاره.. يملك موهبة متمردة، وفكرًا ثائرًا، وقدرة تصويرية غير نمطية. إنه نغم شارد عن زمانه في أرضه، كان يسعى ليلتئم مع أنساق عالمية باحثة عن العدل والحرية والأمن لجميع البشر، ووجد في الموضوع الجزائري روعة السعي إلى تحقيق الحلم الإنساني في هذه المبادئ الثلاثة، مؤمنًا بأن تحققها هو حتمية لابد أن تكون، فأنشد أشعاره وأرهف السمع ينتظر.. فإلى أين انتهى به الانتظار؟!

يبدي العروضيون اهتمامًا بمبحث القافية، حتى وإن جاء تاليًا لقضايا موازين البحور، وإذا تجاوزنا اختلافاتهم الفقهية عن تحديد حرف/ صوت القافية، في نهاية البيت، والفرق بين القافية والروي، وهل هما شيئان مختلفان، أو شيء واحد، سننتهي إلى الاقتناع بأهمية القافية - بالنسبة للشعر على إطلاقه، والشعر العربي بصفة خاصة الذي تأصلت مقاييسه الجمالية من الطبيعة، وأصوات اللغة، والإلف والعادة، والتربية الثقافية والاهتمام بالشفاهية. قد وضح الاهتمام بالقافية في إطلاق اسمها على بيت الشعر بتمامه، بل قد تطلق على القصيدة كاملة. وإن الذوق العربي الذي يطلب القافية، ينتظرها ويتوقعها، ويستجيب لها ويطرب إذا صادفت مكانها وتمكنت بإشباع المعنى واستكمال العبارة وأضافت إلى السياق ما يمكن الوقوف عنده لاستيعاب ما وصل إليه المنشد أو ما بلغته القراءة، وهذا الأمر يتخلف في القصيدة المتعددة القوافي حتى وإن تكن من الموزون المقفى، ولكن في شكل مقاطع أو رباعيات أو خماسيات مثلاً، بل إن بعض المنظرين ينظر إلى هذا التغيير في حرف القافية على أنه أقرب إلى الافتعال والتصنع من القصيدة موحدة القافية، لأن الشاعر - حال بحثه عن قافية تتغير مع كل مجموعة من الأبيات - سيكون عرضة للإنزلاق إلى البحث عن القوافي، وضبط الوثبات على عدد أبيات كل وثبة أو مقطع، في حين يكون الانفعال حرًا تمامًا في القصيدة موحدة القافية، وإذا وضعنا المتلقي (العربي) في الاعتبار، فإنه سيكون أنشط إلى التفاعل مع قصيدة القافية الموحدة إذ يتجاوب مع الإيقاع، ويرتب تلقيه وتعامله مع الموسيقى الداخلية وفق هذا التوقع المتأهب لتلقي الصيغة الختامية، منتهية بهذا الصوت المحدد، في حين أنه - في القصيدة متعددة القوافي - يعيد «برمجة» أذنه، وترتيب شعوره النغمي مع كل مقطع من القصيدة.

مهما يكن من أمر، فإن هذه القضية لا تؤخذ على إطلاقها، ليست محسومة بشكل نهائي، فيما نرى، وارتباط وحدة القافية، أو تنوعها لا تناقش في حدود الاستطاعة اللغوية (المعجمية) للشاعر، ولا في حدود المألوف والمعتاد، وإلا ما تمكنت التجربة أن تدفع بالإنسان إلى اكتشاف الجديد، من ثم يكون الربط بين البحر الشعري، والتصرف فيه

مدخلاً لفهم مستوى الضرورة في توحيد القوافي أو تنويعها في القصيدة الواحدة.. وهكذا يكون للتنويع ضوابط، وثوابت، وأنساق، تستند إلى الانفعال المسيطر على القصيدة (وهذا المصطلح من الناقد الإنجليزي الأشهر كولردج) وطريقة تجسيده في شبكة من الصور (أو عناقيد من الصور) تتوالى صاعدة بالانفعال، أو هابطة به حسب موقعها من القصيدة.

هذا موضوع يستحق العناية والتوسع في غير ما نحن بصدده، وإن كان من المهم للتعرف على خواص القوافي المستخدمة في هذه المختارات، كما أنه من المهم أن نعرف أن بحوث القافويين لم تجعل أصوات اللغة العربية (الثمانية والعشرين) سواء حين يستعين بها الشاعر ليجعل واحدًا منها حداً لأبياته، وقد قسم الدكتور عبد الله الطيب أحرف الهجاء ثلاثة أقسام: القوافي الذلل، أي الميسرة التي يتجه إليها اختيار الشعراء أكثر من غيرها اعتمادًا على حسن وقعها في السمع لسهولة مخرجها من الأعضاء النطقية (الحنجرة والحلق واللسان والأنف والشفتين) وكثرة الألفاظ التي تختم بها في المعجم، ثم تأتي القوافي النفر، تتبعها القوافي الحوش، فنحن – مع الطيب – إزاء ثلاثة مستويات تتجاوز المألوف في اتجاه الإقبال، ثم في اتجاه الصعوبة تتبعها الحزونة، أما المستوى المألوف فقد سكت عنه (المرشد ج ١ ص ٤٦ وما بعدها) وهو ما تبقى بعد حاصل جمع الأقسام الثلاثة. أما الدكتور أحمد كشك في كتابه: «القافية تاج الإيقاع الشعري» – ص ٥٤ – فقد حدد الأقسام الأربعة: ما يجيء روياً بكثرة، وما هو متوسط الشيوع، ثم يجيء قليل الشيوع، يتبعه النادر.

وهنا نوضح بعض الأسس التي اعتمدناها في عرض قوافي الديوان المختار:

١ – أننا حصرنا التحليل الرقمي للقوافي في القصائد المنظومة على البحر الشعري (دون قصيدة التفعيلة) على نحو ما صنعنا في تحليل الوزن، ذلك لأن قصيدة الشعر الحر ترفض مبدأ التقفية، كما أنها لم تؤسس قاعدة بديلة لهذا الرفض.

٢ – أن القوافي التي استعملها شعراء الديوان المختار، تنحصر في الأصوات (الحروف) التي نرتبها ترتيبًا تنازليًا حسب عدد القصائد ثم عدد الأبيات الإجمالي لهذه الحروف:

١ – الراء: ١٨ قصيدة = ٥٢٥ بيتًا – بمتوسط ٢٩ بيتًا في القصيدة

٢ – الميم: ١٣ قصيدة = ٤٠١ بيت – بمتوسط ٣١ بيتًا في القصيدة

٣ – اللام: ١٢ قصيدة = ٣٥٧ بيتًا – بمتوسط ٣٠ بيتًا في القصيدة

٤ – الباء: ٩ قصائد = ٣٠٩ أبيات – بمتوسط ٣٤ بيتًا في القصيدة

٥ – الهمزة: ٦ قصائد = ٢٣٢ بيتًا – بمتوسط ٣٩ بيتًا في القصيدة

٦ – الدال: ٥ قصائد = ١٠٤ أبيات – بمتوسط ٢١ بيتًا في القصيدة

٧ – ثم تتدنى الأرقام:

– النون: ٤ قصائد = ٧٠ بيتًا

– العين: قصيدتان = ٦٧ بيتًا

– الفاء: قصيدتان = ٤٧ بيتًا

– الحاء: واحدة = ٣٤ بيتًا

– التاء: واحدة = ٣٣ بيتًا

– الياء: واحدة = ٢٥ بيتًا

– السين: واحدة ٢٢ بيتًا

– القاف: واحدة = ١٣ بيتًا

جملة عدد القصائد الموزونة، الموحدة القافية ٧٦ قصيدة، نسبتها إلى إجمالي عدد القصائد الموزونة ٨٨٪ .

وجملة عدد أبيات هذه القصائد الموحدة القافية تبلغ ٢٢٤٠ بيتًا، نسبتها إلى إجمالي أبيات الموزون المقفى ٨٧٪.

٣ – استخدم الشعراء من بين حروف الهجاء نصفها فقط: (١٤ حرفًا) هذه الأربعة عشر حرفًا تتصدرها الراء، ثم الميم، ثم اللام، ثم الباء، فالهمزة. وهذه الأحرف الأربعة صاحبة النسبة الأعلى تدخل في مستوى القوافي الذلل – بتعبير القدماء وما أخذ به عبدالله الطيب، باستثناء الهمزة – وهي الخامسة في الترتيب -- التي تنتمي إلى المألوف، ولا يختلف الأمر في شيء حسب قسمة الدكتور كشك، فالأربعة الأولى مما يجيء بكثرة، والهمزة في المستوى متوسط الشيوع.

هذا جانب مستقر في القوافي المختارة، يكمله أن القوافي النفر أو الحوش لم تجد سبيلاً إلى ما قيل في الموضوع الجزائري، ولعل التصور (النظري) لم يكن يستبعد أن يجد بعض قصائد تبنى على قافية نافرة، أو قافية حوشية، أو وحشية، تجسيداً لحالة من العنف والقسوة، وتفاعلاً مع غياب الإنسيابية والنسق فيما يجري بالجزائر.

٤ – إن تصدر الأصوات الثلاثة (الراء – والميم – واللام) هو ما يتفق والتوجه العام للشعراء في كل عصور العربية، ولكن قافية الراء تحتاج إلى عناية خاصة، إذ جاء عليها أكبر عدد من القصائد وأعلى رقم في عدد الأبيات:

١٨ قصيدة، نسبتها إلى جملة المقفى متوحد القافية ٢٧٪

وعدد أبياتها ٥٢٥ بيتًا، نسبتها إلى إجمالي الأبيات متوحدة القافية ٢٣٪

وهذه نسبة عالية لصوت واحد من بين الأصوات الذلل، التي تجيء بكثرة، وهي سبعة أصوات عند الطيب، وثمانية عند كشك، فانفراد صوت معين (الراء) بما يقارب ربع العدد أمر يستحق التعليل.

٥ – ولا نستطيع في هذا المقام الباحث عن تعليل أن تكون مرجعيتنا صوتية وحسب، حتى مع القول بأن الراء صوت هين لين، فاللام والميم تسبقانه في هذا الوصف، إن اسم «الجزائر» – موضع الاعتناء والامتياز ومركز التفكير، يفرض نفسه على مخيلة الشاعر، ويقود الإيقاع إلى المفردات التي تنتهي بالراء قبلها حرف مسبوق بألف مد ليتسق ولفظ الجزائر، وهكذا أخذت راء «الجزائر» النصيب الأوفى من جملة ما جاء على «الراء»، كما يبين الجدول الآتي:

١ – قصيدة: مواكب النصر – ومطلعها

النصر اقبل يا جزائر

الفجر شعشع بالبشائر (٥٥ بيتًا)

٩ – قصيدة: يوم الجزائر – ومطلعها

رقرق الشعر ازجه كالجواهر

واشد بالوجد من زرود وحاجر (٥٥ بيتًا)

١١ – قصيدة: تحية البحرين إلى الجزائر – ومطلعها

اتيتم فكنتم في الحشا والنواظر

فمرحى بكم مرحى برمز المفاخر (١٣ بيتًا)

٢٣ – قصيدة: كفاح مقدس – مقطعان منها: الأول مطلعه

اشحذي من مداك هاتي الخناجر

واحشدي للنضال كل مكابر (١٢ بيتًا)

مقطع اخر – مطلعه

ثم دارت على البغاة الدوائر

واستقلت أرضي بلاد الجزائر (١٢ بيتًا)

٣٣ – قصيدة: من للجزائر – ومطلعها

اليوم يومك يا جزائر

اليوم يزار كل ثائر (٤٨ بيتًا)

٥٣ – قصيدة: جهاد الجزائر – ومطلعها

تضيق القوافي عن جهاد الجزائر

وإطراء ما قاموا به من ماثر (٢٠ بيتًا)

٥٤ – قصيدة: كلمة إلى الجزائر – ومطلعها

قبل أن تصدق المنى بالبشائر

حملتني إليك حلو الخواطر (٢٠ بيتًا)

٥٦ – قصيدة: في معركة الجزائر – ومطلعها

لمن الشعب فوق أرض الجزائر

ملت الأرض تحته وهو صابر (٢٣ بيتًا)

٦٢ – قصيدة: فرحة شاعر – ومطلعها

بوركت يا شعبَ الجزائر بوركت

شعبًا غيرَ خائر (٣٩ بيتًا)

٧٠ – قصيدة: قالت غيور – ومطلعها

بروق الشوق أم وهج المشاعر يلوح

على جبينك بالبشائر (٢٤ بيتًا)

٧١ – قصيدة: لذكرى انتصار ثورة الجزائر – ومطلعها

يا قلب أينك؟ أين ولى خاطري

وبأي حرف قد أخط دفاتري؟ (٢٩ بيتًا)

٨٠ – قصيدة: صنعاء في الجزائر – ومطلعها

شذى صنعاء يعبق في الجزائر

عبيرًا في القلوب وفي الخواطر (١٠ بيتًا)

٨١ – قصيدة: الجزائر – ومطلعها

أفديك من شعب عظيم ثائر

أشرقت مثل الصبح فوق جزائري (٢١ بيتًا)

٨٣ – قصيدة: جهاد الجزائر – ومطلعها

ما للجزائر لا تكف بها المآسي والمجازر (٢٨ بيتًا)

٥٥ – قصيدة: يوم الجزائر – ومطلعها

أمــــة العــــرب يا أباة الضـــمـــائر

أنتم اليــوم عــدة للجــزائر (٤٢ بيــتًــا)

أما قصائد (الراء) على صيغة أخرى فتبدو أقل حضورًا، وهذا يتضح في الصورة الرقمية، فـ «راء» الجزائر، بلغت جملة أبياتها ٣٥١ بيتًا – من إجمالي ٥٢٥ قافية رائية، فتكون نسبتها ٦٧٪ في حين حققت كل الراءات الأخرى ٣٣٪ .

٦ – تنفرد راء الجزائر بمزية أخرى تدل على اتجاه الشغف بها، أنها في القصائد ذات المقاطع (متعددة القوافي) لابد أن تكون لهذه «الراء الجزائرية» مساحة واضحة، بل إن الشاعر حسن عبد الله القرشي في قصيدته متنوعة القوافي بعنوان «كفاح مقدس» يؤثر «الراء الجزائرية» بمقطعين، كل منهما من اثني عشر بيتًا .

٧ – إن الشاعر الدكتور عبد الولي الشميري هو الوحيد الذي صنع قصيدتيه على «راء الجزائر» – مرة ساكنة، وأخرى متحركة بالكسرة، وهذا قصد يستحق أن نتأمله في بنية القصيدة، وليس في إيقاعها وحده.

١٠ - بناء قصيدة الجزائر

ليس لأحد أن يصادر سلفًا فيفترض أن قصيدة ينشئها شاعر عن تجربة بعينها ينبغي أن تكون على هيئة معينة أو أن تكون أجزاؤها دافعة في سياق مفترض، فكل محاولة هي اختيار، وهي تجسيد لمستوى معرفي محتشد بتراكمات من الخبرة العملية ومقتنيات الذاكرة من هذا النوع الأدبي (والأنواع الأدبية بعامة وغير الأدبية أيضًا)، وبقدر هذا الانفراد وحقه في حرية التحقق نجد ما يؤطره (أو يلجمه) من قواعد الصناعة وضغوط الأميال العامة. وبين هذين الخطين تلعب موهبة الشاعر، وتلاحظها خبرة الناقد، ومن ثم يحق له، (أو: قد) أن يتناول بناء القصائد قصيدة بعد قصيدة، اعتدادًا بالانفراد، كما يحق له استخلاص المشترك العام ليحدد الظاهرات المشتركة. لقد تطرقنا إلى الأمرين حين عرضنا للمفتتح، وللمدح والهجاء، وللرموز الثلاثة.. وهنا نعرض لما لم يتسع له المقام

في السابق. إن عددًا من القصائد انفرد بطريقة في البناء تستحق أن نتوقف عندها، ليس لأنها ابتداع موهبة، وإنما لأنها أسلوب في التعامل مع اللغة، مع فن اصطياد المعاني وحشد المفردات لبناء هيكل قصيدة، قد تبدو براقة، وقد تحرك الفكر، ولكنها تتكشف – مع الاستمرار أو التكرار – عن مهارة تقترب بها من لعبة «الكلمات المتقاطعة» ، مهارة قشرية لا تتوغل إلى مناطق الشعر الحقيقية في الفكر أو الوجدان. وبين أيدينا قصائد (أقل بطبيعة الحال) حققت قدرًا من الشعرية مناسبًا للطرح الشعري لموضوع هو في جوهره شعر. إن حرب الجزائر التحريرية لا توضع في مربع شعر المناسبات، حتى وإن كانت حدثًا طارئًا استمر مدة ثم توقف، حتى وإن كنا لم نعانها معاناة مشاركة، ولم نعاينها معاينة معايشة، فمثل هذا الحدث العظيم لا يملك العربي إلا أن ينحاز له، وأن يسعى إلى أن يكون له شرف المشاركة فيه، وإن أداة المشاركة التي تميز إسهام الشاعر ستكون شعره، حتى وإن تبرع بالمال أو قاد الهتاف في التظاهرات، أو حتى كتب مقالة.. إنه شاعر، والشعر هو التحدي، وفي هذا التحدي تكون المنافسة محصورة في القدرة على الدخول في الموضوع من زاوية غير مستهلكة بالأقوال السائرة والعبارات المسكوكة المتداولة، هذه الرؤية الكاشفة هي نقطة البدء، هي ما تبقى من الإلهام – بمعناه القديم، هي «الوارد» – كما أسماه صلاح عبد الصبور في كتابه: «حياتي في الشعر» ، ثم يأتي بعد جهد الشاعر المرتكز على ثقافته وخبراته المتراكمة واتساع أفقه في الإفادة من هذه البادرة الأولى. وهذا ما يميز «استطاعة» شاعر عن استطاعة شاعر غيره، في هذا المقام وليس على الإطلاق، فحين يقول الشاعر القرشي – في قصيدة «سنسحق أعداءنا» (على لسان جزائري مكافح) كما توجه الإشارة تحت العنوان:

رفاقي رفاقُ العذاب
ألا إننا أمةٌ لا تهاب
فحتّامَ نحفظُ عهدَ الكلاب
وهم ينهشون بأعراضِنا
وهم يستبيحون أقواتَنا
ويستأثرون بخيراتنا
وإن صاحَ من جورهم مُستجير
سقوه كؤوسَ الهوان

هذا السياق ليس من الشعر على مقربة، وليس هذا حكمًا على شعر حسن عبد الله القرشي، ولكنه مثل لما يمكن أن «تتورط» فيه رغبة الشاعر دون تحقق لحظة الشعر، والحقيقة أن العبارة التي صدر بها القصيدة، وهي أنها على لسان جزائري مكافح، كانت تحتاج إلى أناة وصبر، وكانت تستدعي طابع القصيدة «المونولوج» الذي لا يمضي – لطابعه النفسي واعتماده على التداعي الحر – في خط مستقيم، مرتب، ومنطقي، تسلم فيه المقدمات إلى النتائج، وينص فيه على الذنب والعقوبة.. إلخ. إن قصيدة من الموزون المقفى مثل «الموكب الظامئ» للشاعر صالح الأحمد العثيمين، وقد صدرها – أيضًا بأنه قالها على لسان فصيلة من مجاهدي الجزائر – قد تبدو أقرب إلى القصيدة المونولوج من المحاولة السابقة، إذ لم تستفد الأولى من حرية التفعيلة، ولم تستسلم الأخرى لاحتمال رتابة البحر، عشرة أبيات من «المتدارك» بتفعيلاته المتدافعة، تتحرك معبرة عن أشواق المستقبل أكثر مما ترسف في آلام الماضي. على أن الشاعرين كليهما لم يشبعا ما تعنيه الإشارة في توجيه التلقي، إذ إن معنى «على لسان» أنها «قصيدة قناع» ، من ثم كان الجهد الثقافي للشاعر يحتم عليه أن يتعرف على مطالب القناع وأساليبه، وكيف يقول على طريقته الخاصة. إن التسمع على اللحظة الشعرية والقدرة على رصد جوانبها يحتاج إلى كثافة في العبارة وقدرة على الانتقاء، وجرأة على حذف الفضول. إن قصيدة «الجزائر» للشاعر عبد الرحمن بن زيد السويداء تحقق هذا بتلقائية تمنحها قبولاً خاصًا، في ثلاثة عشر بيتًا من الكامل – نظم هذه القصيدة/ البرقية، التي تتشكل في امتداد «سوناتا» – (ينقصها بيت واحد) – تبدأ برسم المكان واللحظة، ثم يتفجر المشهد في غير اتجاه:

١ – وبجـــــانبِ المذياعِ أرقبُ لحظةً
القلبُ يخــفُقُ والعــيــونُ تُحــدّقُ

٢ – صَـدْيانُ لا يطفي المعينُ حشاشتي
إلا إذا قـــيـــدُ الجـــزائر يُطلَقُ

٢ – هدرَ الأثيـرُ وقـد علتْ مـوجـاتُهُ
أنبــاءُ عــمّتْ غــربَنا يا مــشــرقِ

٣ – حملتْ فرنسا عارَها واستسلمتْ
وبدتْ ســـريعًـــا لـلقــرار تُصَــدِّقُ

٤ - ثمرُ الكفاح تمايلتْ أغصانُها
ويدٌ مُضرّجةٌ لجنيُ تعشّق

لن أفكر - في قراءة هذه الأبيات - في طرائق الحداثة، بل لعلي استعير منهج عبدالقاهر الجرجاني في تحليله النادر لثلاثة أبيات تنسب إلى كثير عزة، كما تنسب ليزيد بن الطثرية، (ينظر أسرار البلاغة: ص ٢١، ودلائل الإعجاز - ص ٧٤ - ٧٥ وغيرهما) - ومع هذا لن أصفها على مألوف لغة عصره بأنها الماء جريانًا والهواء لطفًا والرياض حسنًا، وكأنها الديباج الخسرواني في مرامي الأبصار، ووشي اليمن منشورًا على أذرع التجار - وإنما سأكتفي بوصف جانب الشعرية المتمثل في التصوير والحركة الحسية موازية أو مكملة للحركة النفسية. إن مشهد البدء يمتزج فيه الحسي بالنفسي، الظاهر والباطن:

جانب المذياع: وضع حسي (راهن)

أرقب لحظة: حالة نفسية متوترة متشوقة

القلب يخفق: حالة حسية (خفية) ذات دلالة نفسية

العيون تحدق: حالة حسية (ظاهرة) ذات دلالة نفسية

صديان...: صورة تنتمي إلى الماضي، فالعطش لا يحدث في لحظة يقويه ذكر الحشاشة، ولو أن حلقه جاف أو لسانه متصلب لأمكنه التغلب على هذا بجرعة.. ولكن الحشاشة أمر آخر.

هدر الأثير وقد علت موجاته: من معاني «هدر» ترديد الصوت، وصوت السائل وهو يغلي، وإذا هدر العشب طال وكثر وتم (المعجم الوسيط) - وهذا من قبيل الاستعارة لأن الأثير (مادة تملأ الفراغ) لا يهدر على الحقيقة، وتتأكد الاستعارة بذكر الموجات، إذ لا علو ولا موجات وإنما هو التشبيه

وفي ختام هذه الوثبة الموفقة تأتي علاقة الإنسان بالأرض، مجسدة في ثمر الكفاح الذي ثقلت أحماله على الأغصان حتى تمايلت (أكثر من مليون شهيد) تمتد أيدي من عاش

من المجاهدين مشتاقة لقطف الثمار!!، ثم . . في أعقاب إشباع هذا المشهد (يبدأ بالحسي المشاهد، وينتهي بالحسي المتخيل) تتحرك مشاعر المتكلم في غير اتجاه، وكأنه يتعقب أصداء هذا الإعلان للاستقلال في سائر احتمالاته المتوقعة.

من الموضوعات ذات الحضور المحدود جدًا في قصيدة الجزائر الإشارة إلى فلسطين ومعاناتها، وقد سبقت الإشارة إلى بعض الدراسات التي طرحت موضوع الموازنة (الكمية) بين قصائد الجزائر وقصائد فلسطين، وميل الموازنة لصالح الأولى كما، لأسباب ذكرناها، وما نعرض له في هذه الفقرة يختلف تمامًا عن السابق، لأننا نعرض لحضور الموضوع الفلسطيني في سياق الموضوع الجزائري، ولا نظن أنه يحتاج إلى فكر متفرد، أو شاعرية متجاوزة، أو إتساع في قراءة الموقف الأوربي من اقطار الوطن العربي، إن هذا يبدو منطقياً متماسكًا سواء كانت نافذة الإطلال على هذا الموضوع الجزائري إسلامية أم كانت قومية عربية، فكلاهما متحققان في نكبة فلسطين وتهويدها المعلن بقوة في سنوات التحرير الجزائرية ، وإذا كانت وعود عبد الناصر، تلك الحقبة، تميل إلى التبشير باسترداد الحق الفلسطيني فإن هذا كان أدعى للعناية بهذا الشق، وليس إلى استبعاده. حقاً، ذكرت فلسطين ولكن على طريقة (وبالمناسبة - وهذا يستدعي - لدينا نموذج آخر لا ننساه) وليس على طريقة تعميق الموقف وشمول الرؤية، والبحث في جذور المآسي التي يتعرض لها الوطن العربي، والإسلامي على السواء. فهل يسوقنا هذا القول إلى بأن عقلنا العربي عقل تجزيئي لا يصل بطبيعة تكوينه التاريخي التراكمي إلى جمع الجزئيات، وممارسة الربط، والتصنيف، والتمييز، واكتشاف القوانين مقدمة لإقرار نظرة (أو نظرية) كلية؟ إننا - على أية حال، لا نحمل هذا على الشعر، ولكننا لا نستطيع استثناء الشعر من تهمة القصور أو التقصير. لقد تعددت إشارات لا توصف بأكثر من أنها إشارات عابرة تكاد تعد نوعًا من الخروج أو الاستطراد في قصيدة الجزائر، لا ترتقي إلى أن تكون خطاً موازيًا ينتج رؤية أو يثير تساؤلاً يستضيء به أصل القضية الواحدة، وهي تهديد هوية الوطن العربي والعمل على اختراقه من القلب وانتقاصه من الأطراف، بحيث يصبح العرب، كما تعلن جهات غربية أمريكية الآن - أقليات في دويلات غير عربية. هذا المستوى من الوعي (القومي) بدا هامشياً جدًا، أما المساحة الكبرى فكانت من حق التنديد بفرنسا،

والتهديد لها، وإظهار الفرح بالانتصار. ولعله من المثير للاهتمام أن الشعراء لم يلتمع الصراع الفلسطيني في ذاكراتهم إلا بعد توقف الصراع الجزائري بإعلان الهدنة مقدمة للاعتراف بالاستقلال، باستثناء واحد للشاعر محمود شوقي الأيوبي، الذي تشير قصيدته «يوم الجزائر» إلى اختطاف فرنسا للزعماء الجزائريين الخمسة (١٩٥٦)، وفي هذه القصيدة حشد لأحداث عربية حادة وتحولات كبرى واكبت ثورة التحرير الجزائرية، وتوشك القصيدة بهذا أن تقارب المستوى الفكري من الوعي الذي أشرنا إليه، فتشير إلى حرب السويس (القناة) وتظاهرات الأردن، وسورية والعراق (حلف بغداد)، والسعودية.

٢٠ - بعد القناةِ فلسطينُ الذبيحةُ قد
ثارتْ لنجدتِها الآحادُ والزُّمَر

٢١ - لسوف تسْحَقُ إسرائيلَ وثبتُنا
وسوف يشدو بيافا النايُ والوتر

لسنا بحاجة إلى ما ينبه أن هذا القول الخطابي المبتسر لا يصدر عن رؤية ولا يعبر عن فكرة ، وأن قصاراه أن يستدعي التصفيق في المحافل من جمهور على هذا المستوى نفسه من الاهتمام بقضايا المصير العربي.

وفي السياق الزمني، والسياسي السابق تأتي عبارة الشاعر عبد الرحمن المعاودة أكثر اقتضابًا، إذ تأتي ختامًا يعقبه البيت/ المقطع/ الحكمة، ربما استجلابًا للتصفيق أيضًا:

١٨ - بني الضّاد من هذا الخليج لطنجةٍ
دعوا اليوم عنكمْ كلَّ هذا التنافر

١٩ - وكونوا جميعًا إنما القوم بيْنوا
لكم في فلسطينٍ شرورَ المخاطر

٢٠ - هو الجسمُ بالأطرافِ يَكْمُلُ خَلْقُه
وينقصُ حتى في ضَياعِ الأظافر

إن إشارة المعاودة أقل فنية وأقل أهمية من إشارة الأيوبي، وربما تقدم الشاعر أحمد السقاف بتكرار المحاولة، وإن تعاصر - زمنيًا - مع المعاودة، إذ قال يوم توقيع صلح إيفيان، مبشرًا بيوم لفلسطين، مثل يوم الجزائر:

٢٠ - وفلسطينُ - ومـا أكْـرَمَـهـا

سَتَلَبتْ مما تلاقِيـهِ كَـرَانا

٢١ - فلَهـا يومٌ كـمـا تبـغي المنَى

ولهـا في يومـهـا كلُّ قُـوانا

أما قصيدته الأخرى «في مهرجان الجزائر» - التي انشأها بعد حرب رمضان (أكتوبر ١٩٧٣) فينعكس فيها أثر النصر في تلك الحرب، ولهذا تمتد الصورة إلى أن تكون مشهدًا متحركًا، ويتطور الأمل إلى أن يكون حثاً و تحريضاً وتهوينًا من قوة الخصم:

١٩ - بُوركتَ يا رمـضـانُ وحْـ

ـدْتَ الصُّـفـوفَ والاعْـتِـزاما

٢٠ - ورفـعـتَ هامًـا حين نكْـ

ـكَسَ عـسكرُ الباغين هاما

٢١ - وخـذلْتَ دايانَ الدعِـيْـ

ـيَ فـغـاب يحـملُ الإنهـزاما

٢٢ - أوَلستَ شـهـرَ الفـاتحـيْـ

ـن وشـهـرَ من صلَّى وصَـامـا

٢٣ - بوركتَ غـدْ لِنحـوزَ فِـيْـ

ـكَ الحقَّ والنصـرَ الـتَّـمـامـا

٢٤ - لنعـيـدَ يافـا والجليْـ

ـلَ وكلُّ من سكنوا الخِـيـامـا

٢٥ - لنعـيـدَ ليـمـونًا وزيْـ

ـتـونًا وأمنًا وابتـسـامـا

٢٦ - لنعـيـدَ بيتَ اللهِ والْـ

ـقِـسِّـيْسَ والشـيخَ الإمـامـا

٢٧ - أمنتْ بالصَّـحـراء نُـنْـ

ـبِتُ وهْيَ قـاحلةٌ عِظـامـا

إن البيت الأخير في هذه الوثبة – وحده دون سائر الأبيات – ينتمي إلى فن الشعر، وهذا مما لا صلة له بقضية فلسطين وإن كان يفتح الباب إلى تصور عظيم لها، غير أن السقاف لم يقتحم هذا الباب، ربما لأنه حريص على أن يلقي أشعاره في المهرجانات.

لن تختلف في شيء «خروجات» الشاعر عبد العزيز الرفاعي، في: كلمة إلى الجزائر – عن الشاعر فؤاد شاكر في فرحة النصر – عن محمد إبراهيم جدع في انتصار الجزائر – عن محمد بن علي السنوسي في جنكيز خان، مع هذا لدينا بعض الفروق (الفكرية) الدقيقة التي تستحق التنبيه إليها، كأن يقوم الرفاعي بتحريض الجزائر، وقد حققت انتصارها ونالت استقلالها – على إعادة التجربة في فلسطين، فقد تعودت تقديم الشهداء ولم تضجر من طول القتال:

١٣ – يا حماةَ العرين كبرى الكبائرْ
ان تحوزَ الكلابُ كهفَ القساورْ
١٤ – في فلسطينَ ما نسينا بقايا
من دماءٍ تئنُّ تحت المقابر
١٥ – قد سخوتم هنا بمليون ثاوٍ
فاجعلوهمْ هناك مليونَ عابر
١٦ – سدّدوا فوهةَ المدافع وامحوا
صدأ الريثِ، وازحفي يا جزائر

أما القطعة الأخرى فإنها نقيض لهذه تمامًا، إذ تسلم بما جرى لفلسطين، وقصارى ما تتحدى بإعلانه أن الجزائر لن تكون «فلسطين» أخرى، إذ هي – كما يرى محمد بن علي السنوسي:

١٩ – وإنها يا بُغاةَ السّين مقبرةٌ
لكلِّ علجٍ وسفّاحٍ ومحتكمِ
٢٠ – ولن تكونَ فلسطينَ التي ذهبتْ
في غفلةٍ حين عاثَ الذئبُ بالغَنَم

ولعله من الواضح الآن، أن هذه الاستدعاءات الجزئية، لا تمثل نسبة مؤثرة، ولا تمثل فيما ذكرنا من قصائد درجة من الحضور الفني في بنية القصيدة، فضلاً عن أن تكون موازيًا، أو محورًا متقاطعًا مع الموضوع الجزائري. إن فلسطين ليست في موقع المفاضلة مع أي قطر عربي آخر، ولكنها، وقد استهدفت - دون غيرها - للتوطين وتزييف الهوية، كان ينبغي أن تكون موضوع إشعاع وتراسل مع الموضوع الجزائري، وإن الجهاد الفلسطيني وما قدم من ثورات وشهداء كان قمينًا بتحقيق النصر، وإن يكن بعد جولات وتجارب ومكابدات، ولكن الأقيانوس الأعظم، الدول العظمى المتحكمة، كانت قد قررت، على ضوء مصالح الأزمنة الآتية، في المنطقة العربية، الإسلامية كلها، كان لابد من ضحية، وكانت فلسطين هذه الضحية المناسبة تمامًا للأهداف.

ولكن: هل يبطل هذا دور الشعر، ويصرف بصيرة الشاعر؟ إن الشعر - في مستواه الرفيع - استحضار لكل البشرية، وكل الأرض، وكل التاريخ، ولا تثريب على شاعر عربي يعيش زماننا أن ينظر إلى فلسطين على أنها كل العرب، وكل الأرض العربية، وكل التاريخ، وبهذه «الكلية» ينبغي أن يشكل مادة أشعاره ويلونها.

الإيقاع أساس في الشعر على إطلاقه، لا شعر بلا موسيقا، لا يستثني من هذا قصيدة النثر . وفي مقابل هذا الالتزام تتاح حرية ضبط نسب الإيقاع وأماكنه من السياق، كما يتاح للمهندس أن يختار أماكن الأعمدة، استجابة لتخطيط المبنى، ولكن: لابد من الأعمدة. الإيقاع في القصيدة العربية (العمودية) متحقق بدرجة عالية في البحر الشعري، وفي حرف القافية. وفي التصريع والتجنيس والطباق، والتقسيم، وغير هذا مما يفصله علم البلاغة، ولا يتسع له هذا المكان . بيد أننا نتعامل مع عدد غير قليل من القصائد التي تنتمي كل منها إلى شاعرها، غير أن واحدًا من أركان الإيقاع أو مسبباته يثير الاهتمام أكثر من غيره، لتعدد صوره، وإمكان تغطيته على جوانب ضعف واضحة في صناعة القصيدة إذا ما أسيء توظيفه. إنه الإيقاع القائم على «التكرار» . وهذا التكرار يمكن أن يكون في أداة بعينها، كحرف النداء أو الاستفهام، أو في لفظ، أو جملة، وقد يكون باستخدام الصيغة نفسها، كما قد يكون باللجوء إلى نقيضها.. وهكذا، إننا لا نملك أن

نصدر للشاعر أمرًا أو توصية بعدم اللجوء إلى التكرار، أو حتى عدم الإسراف فيه، على الأقل لأننا لن نجد اتفاقًا على حدود الاعتدال التي تبدأ عندها حدود الإسراف. وقد نجد مسوغًا يفلسف المسألة برمتها اعتمادًا على ما يدعى طبيعة الفن الإسلامي الذي يقوم على الوحدة الزخرفية المكررة، التي تبلغ قمة التجريد من جانب وتوصل معنى اللانهاية من جانب آخر، كما نلاحظ في نقوش القباب والمساجد، إذ تلتحم التكوينات بحيث لا يهتدى إلى أولها، ومن ثم لا يدرك آخرها. إن المبدأ المتفق عليه أنه لا غنى عن التكرار، وأنه مهم في صنع شكل القصيدة وتنظيم التجاوب النغمي معها، وحتى ضبط النطق ومن ثم تصويب المعنى، ولكن غياب هذه الوظائف وإطلاق العنان للتداعي النغمي يرهل القصيدة ويجعل من التكرار عبئًا عليها يعطل تفاعلها مع المتلقي، والحق أن بعض صور التكرار تشعرنا بأنها بلا هدف، ولا نقصد أنها بلا معنى، فكل كلام له معنى، وإنما نقصد أن ناظم هذا المستوى من القصائد يبدأ دون أن يضع خطة للانتهاء، إنه يستمر ما وجد ألفاظًا تواتيه وتقدم إليه جملاً جاهزة، يحسبها المتشوق شعرًا، كما في هذا المفتتح الجيد للشاعر صالح الأحمد العثيمين (قصيدة: الجزائر):

١ – بلدَ البطولةِ والعـقـيـدة والكفـاحْ

٢ – يا شـعلةً رقـصتْ على كفِّ السـلاحْ

إن المطلع التقريري الضعيف قد غفرته هذه الاستعارة (العجائبية) التي جعلت شعلة ترقص على كف السلاح، ولكن الشاعر ما يكاد يجتاز هذا المأزق بشفاعة الصورة حتى ينطلق في سلسلة نداءات تنتمي إلى ذاك النوع الذي وصفناه بأنه لا وظيفة له تحدده أو تحده، وأنه يمكن أن يستمر بغير نهاية، : يا موطن الأحرار – يا وثبة الأبطال – يا صانع الحق – يا موطن الشعب الكبير – يا فخر أوراس – يا دفقة النور والعز.. فإلام يوصل هذا الحشد وهل هو حقًا في حاجة إلى مخيلة شاعر؟! ومثل هذا يمكن أن يقال عن الترديد المتكرر في (قصيدة موكب النصر) للشاعر إبراهيم الزيد، فكيف نتلقى هذا النظم:

١٠ – اليـــــومُ يـومُ تحـــــرُّرٍ

اليـــوم تبـــتـــهجُ الخـــواطر

فهذه ثلاثة أيام، وحقيقتها يوم واحد، خلاصته: تحررنا فابتهجنا

١١ - الشـــعب حطَّمَ قـــيـــدَهُ
وأبـى يـكـون مـن الأصـــاغـــر
١٢ - الشّـــعبُ داس عـــدوَّهُ
ورمـى الغـشـاء عن البـصـائـر

أراح الشاعر نفسه من البحث عن صيغة أخرى، فما تكاد تستقيم له جملة حتى يأخذ في إعادتها هي بذاتها مع «رش» لون مختلف لا يستر عريها، كما نجد في البادئة «من كل» التي تتكرر ٤ مرات في البيتين (١٧، ١٨): من كل بيت - من كل كوخ - من كل كهف - من كل شبر!!

وكذلك يقف الشاعر عبدالله سنان خمس مرات متتالية، بعد وقفة العنوان: «قف للجزائر» تعقبها حيّ - ثلاث مرات:

١ - قفْ للجـــزائر إجــلالاً وإكْـبَـــارا
واسـتـذرفِ الدمع من عـينيكَ مِـدرارا
٣ - قفْ (لابنِ بلاّ) و(ضيَّاف) و(خيضرَ) واذْ
كُـرْ (آية أحـمـد) و(البـيطاط) تذكـارا
٤ - وقف لفخر النساء الفاضلات وأعنِـ
ـهـا (جـمـيلة)، مَن لم تشكُ أضْـرارا
٦ - قف حي أبناء عم
٧ - حي البطولات
٨ - حي المغاوير

هكذا وقبل أن يغادر الشاعر المطالب بالوقوف لكل معنى على حدة، كان قد أسس للطلب: حيّ، مع أن الوقوف كان بقصد التحية وليس بقصد آخر!! لقد شغله تصيد الحركة (الوقوف) عن العناية بما يترتب عليه، فمع الوقوف الأول تأتي المطالبة بذرف الدموع المدرارة، التي لا نجد لها دافعًا من متابعة المشهد لأن كل ما يصوره في الوقفات التالية يثير الشعور

بالكرامة والكبرياء ولا يستدعي ذرف الدموع! كما شغله هذا الإلحاح نفسه على صنع هذا البيت المفتعل السقيم الذي جمع فيه بين أسماء الزعماء الخمسة الذين اختطفتهم فرنسا مع طائرة تقلهم، محققًا ديمقراطية القيادة المخطوفة بالاجتماع في بيت واحد على قدم المساواة. وقد تكرر هذا النهج في قصيدة أخرى للشاعر سنان بعنوان «فرحة الجزائر» ، التي بدأت بالدعاء بالبركة، لتدخلها في تعليل البركة بأنه أعلن كذا وكذا..

١ – بوركت يا شعب الجزائر بوركت شعبًا غير خائر

٢ – بوركت من شعب أبي

٣ – بوركت من شعب بنوه..

٥ – بوركت إذ أعلنت ...

٦ – أعلنت

٧ – أعلنتها

٨ – أعلنتها

٩ – قامت تدعمها الصدور

١٠ – قامت على المهج العزيزة.. إلخ

ولقد وقفنا من قبل مع قصيدة الدكتور حسن نعمة «أم الفداء» وأثنينا على مفتتحها، بما يمثل من حالة روحية وتأهب تطهري يذكر بتقديم القرابين أو المثول في الحضرة في العصور السالفة، غير أن الشاعر الدكتور ما لبث أن أغرق القصيدة في ياءات لا يقصد بها النداء، وإنما الإشهار (أو للتنبيه – كما رأى ابن هشام في مغني اللبيب – تحقيق عبد اللطيف الخطيب – الكويت ٢٠٠٠ – ج ٤ ص ٤٥١) وقد أرخى العنان لياءاته حتى أغرق منظومته فلم نعد ندرك معالم الصورة أو نقطة الارتكاز في الدلالة:

١٧ – أوراسُ يا ترنيـــمـــةَ الحـــداء

يا ســـاحـــةَ الأبرار والشـــهـــداء

١٨ – يا قلعةَ الأبطال يا حصنَ النضال (!)

يا شـــعـــلةً في ليلةٍ ظلـمـــاء

يا ملعب الثوار – يامنية الأحرار – يا منبرًا – يا أغنيات الحق – يا جسر أرواح ....

وما نكاد ننتهي من ياءات «أم الفداء» حتى ندخل في غنائها: غني طلوع الفجر – غني أناشيد المعارك – غني نشيد الظافرين، ثم تبدأ الإشارة: هذا هو النصر – هذا هو اليوم الذي – هذا هو الشعب الذي – لتتوقف فتخلي مطالع الأبيات لصيغة «فاعلون» ، فهم – ٤٠ الزاحفون – ٤١ – – : الواثبون – ٤٢: الساترون – ٤٣: الباذلون – ٤٤: العاقدون، وهكذا تتكرر: أنجبته (٣ مرات) وتتوالى: غذيته، علمته، قدسته ثم قدسته مرة أخرى. وأخيرًا تختم القصيدة بـ:

٧٥ – لهفي على وطنٍ فهل من نهلة ..

٧٦ – لهفي على وطن فهل من وحدة ..

إن هذا النمط الترديدي الذي يأخذ أشكالاً وصيغًا مختلفة بقدر ما ييسر امتداد القصيدة إذ يصبح العثور على مفردة مشاكلة أو موازية أو مناقضة، تتيح امتداد المعنى – بوجه عام – هدف الجهد الذي يبذله الشاعر في إخراج قصيدته، وهذا يؤدي إلى تراجع التفطن، أو انعدام الاهتمام بجماليات اللغة من وجهات أخرى، أهمها توليد لغة مجازية قادرة على اختراق قشرة المطابقة إلى عمق الرموز، فضلاً عن مراجعة خارطة القصيدة بقصد تخليصها من كل ما يعوق تماسك أبياتها وتجمعها حول محور أساسي يتطور برؤيتها بين مفتتح يحمل «جينات» المراحل المتحققة في سياق القصيدة فينتهي إلى «مقطع» هو «ختم اعتماد التجربة وحامل سر بنائها» ..

في عدد من القصائد نوع من التكرار له وظيفة بنائية، لا تدخل في نمط الترديد، وإن اشتبه به ظاهرياً، فالشاعر علي محمد لقمان، في قصيدته «جميلة بوحيرد» يضع أداة الاستفهام : « أين» في صدر ستة أبيات متتالية (من البيت رقم ٣٧ إلى البيت رقم ٤٢)، ولكن الصياغة لا تسقط في وهن الإيقاع السطحي بتصيد توازنات صوتية لا تغني المعنى، على أن الأبيات الستة تتابعت في موقف التنديد بفرنسا، بتذكيرها بهزائمها، فلهذا الطابع الإحصائي دواعيه النفسية من جانب الشاعر الذي يعدد المخازي: أين من سجفريد هذي القنا السمر – أين نيران نافثات الدواهي؟ – أين باريس كيف ذلت؟ – أين ولي الخميس يلهث خوفًا – أين أغرقت في البحار قلاعًا – أين أمضيت ليلة الفتح!! إن شطرًا من هذه

الأشطر الستة لم يتفق في تقطيعه الصوتي مع شطر آخر، إذا استثنينا موسيقا البحر، وهي خارج نطاق ما نحن بصدده. إن وراء كل «أين» مسؤول عنه يختلف عن سابقه تمامًا، وإن كان يؤلف مثل سابقه وجهًا من أوجه الاتهام بالجبن والاستسلام لألمانيا والهرب من مواجهتها إلى درجة إغراق المدمرات الفرنسية حتى لا تستولي عليها ألمانيا.

مثل هذا يقال عن صدر البيت المتكرر أربع مرات في قصيدة «وشاء الجهاد» للشاعرة ثريا قابل:

١ – ألا إن عميت + وغاض الضياء

٣ – ألا إن عميت + وشح الرجاء

٥ – ألا إن عميت + وقل الهناء

٧ – ألا إن عميت + وخاب الرجاء

٩ – ألا إن عميت + وغاب الضياء

إن هذا البناء اللغوي المتكرر يتضمن درجة من ثبات مع درجة أقل من الاختلاف الذي ينحصر في دلالة الفاعل، وليس فاعليته، ثم يأخذ الشطر الثاني أو البيت الثاني في كل مقطع جواب أداة الشرط «إن» مقدمًا نوعًا من الإعلاء والتعويض عن فقد البصر المتوقع. سنجد سلبيات الاهتمام بنمطية الصيغة في اضطراب النسق الشعوري الذي بنيت عليه خارطة القصيدة، وقد أوضحنا جانبًا من هذا قبلاً، في غياب التصاعد الانفعالي المؤسس لدرامية الصورة، فليس بين: غاض الضياء، وشح الرجاء، وقل الهناء، وغاب الضياء أي رعاية لتصاعد يفترض في حالة المهدد بفقد البصر.

في قصيدة الشاعر ضياء الدين رجب: «أفراح الجزائر» اعتبارات مختلفة جعلت من هذه القصيدة ما يكاد يكون حالة خاصة تحتاج إلى تفصيل، ذلك أنها تجمع بين لمحات من الوعي الفني، والدراية اللغوية، الناجمة عن فكر متفلسف، ثم لا تلبث أن تبالغ في هذا حتى تخرج إلى مستوى اللعب باللغة، بما يؤدي إليه من تغييب الرسالة (التي هي أفراح

الجزائر) . في المفتتح جلالة وجدة تبدو من وراء «الصوت الحكيم» – وحديثه أمر ونهي يصدران عن نظرة عميقة لمجريات الحياة، إنه – في هذا المفتتح – يخاطب الجزائر، أو الجزائري:

١ – لا تاسَ فـــالأحـــداثُ إرهـاصٌ بما خلْفَ الـنجـــوم
٢ – وتـلْـفُ مـن قـــدّامِـــه ووراثه فـتنٌ تحـــوم
٣ – ومـــهـــازلٌ تحـــتلُّ في الأفـــلاك منزلة الـنجـــوم
٤ – وعظائمٌ تغـــفـــو على الجُلّى كـــمـــا غـــفتْ الحلوم
٥ – لا تاسَ فـــالخـــيرُ العـــمـــيمُ بشـــيرُه القرْبُ العـــمـــيم

المعنى متداول: «اشتدي أزمة تنفرجي» أو: (إن بعد العسر يسرا)، ولكنه أدى هذا المعنى القريب المتداول في صور وقياسات منطقية ورؤى فلسفية تستوقف الفكر وتستدعي التأمل، مثل قوله إن في الكون مهازل تحتل في الأفلاك أماكن النجوم، وهنالك أيضًا عظائم، أو مفاسد وجرائم كما يدفع السياق، مسكوت عنها (غفت الحلوم)، ثم تختم الوثبة بما بدأت به، بتكرار النهي (لا تاس) وتأكيد المعنى بعبارة تقريرية، وكانت في البيت الأول تصويرية، برهانية.

ومن جوانب النضج في التشكيل الفني لهذه القصيدة، أنها وازت حركة الزمن بحركة النفس ما بين الحزن والفرح (فرح الجزائر)، تتحقق هذه الموازاة في تحرك الزمن من الليل إلى الصباح والفجر، وهي حركة الجزائر من الاستعمار إلى الحرية:

١٢ – يا قلبُ قل لليل مـــا عـــفنا دجـــاك المســـتـــديم
١٤ – فـــالليل تطرب فـــيـــه أهاتُ الكليـــمـــةِ والكليم

إن صورة الليل هنا تتسق ومفتتح القصيدة والعاطفة الانفعالية المتضددة للشكل العام ، فهذا الليل الداجي المستديم، تتستر فيه أهات الجرحى، وتطيب النجوى، ويفترض أن هذا يحدث في انتظار بزوغ الفجر الآتي لا محالة، مصداقًا لما طلب العنوان والمفتتح من انتظار الأفراح. من ثم يبدو البيت:

١٦ – أمـــا الصـــبـــاح فـــإنه أسطورة العـــهـــد القـــديم

فى اتجاه التشاؤم الذى لا يجري مع تيار القصيدة المتفائلة بأفراح الجزائر . وتزداد لغة القصيدة وإشاراتها مصادمة للبداية وتعقيدًا في النصف الأخير منها الذي يبدأ بالبيت رقم ١٧ وحتى رقم ٢٣ ليعود القول إلى مفتتحه مع إضافة مهمة، وهي أن الشعب هو الحقيقة الخالدة، وهو الجدير بالبذل، وبالفرح، وبانتظار ثمرات طموحة العظيم.

إن أبيات الوثبة المشار إليها آنفًا يستقل كل منها بمعناه، ولكنه شارد عن السياق متنافر مع البداية، فماذا يعني هذان البيتان في مكانهما، وفيما أوصلا إليه سياق القصيدة:

٢٢ - يروي السَّحابُ إلى السَّحابِ صَدى المكارمِ في الكريم
٢٣ - يحنو الكريمُ على الكريم حُنو اللئيمِ على اللئيم

هنا يبدو إغراء الإيقاع، وطرافة البناء للجملة منزلقًا وليس ميزة، بما يؤكد أن القصيدة بعد أن تعيش لحظة الفيضان الطبيعي الانفعالي، تحتاج إلى بصر عقلي صارم من الشاعر، يتخذ فيه موقع الناقد الذي يعيد تفكيك القصيدة، وتأمل ما بدأت به، وما انتهت إليه، والمسارات الممتدة ما بين النقطتين، لا نقول إن القصيدة الغنائية ينبغي أن تتحرك في خط مستقيم لا ينحني ولا يدور، إنها مثل النهر - إن كان لابد من التعبير بالصورة - يمضي متدفقًا صانعًا مجراه الأساسي، يعمقه ويحدده ويدفع فيه بأمواجه الصاخبة والهادئة، ولكنها محددة بضفافه، منساقة بتياره، إلى أن تبلغ معه وبه خط النهاية. لا يتعارض هذا مع ما بدأنا به هذه الفقرة العاشرة - الختامية - في قراءة الديوان المختار (مائة قصيدة وقصيدة) إذ قلنا إنه ليس لأحد أن يصادر على اختيار الشاعر، هذا حق، ومن الواجب أن يصادر الشاعر على نفسه بما يملك من بصيرة المعرفة بصناعة الشعر، وبما يجب أن يعلم من أصول نقد الشعر، وإلا فلا تثريب فيما يوجه إلى قصيدته من نقد.

****

القسم الثالث

مائة قصيدة وقصيدة مختارة عن الجزائر
لشعراء الخليج والجزيرة العربية

١ - إبراهيم الزيد (*)

١ - موكب النصر

١ - النصرُ أقبل يا جزائرْ
الفجرُ شعشع بالبشائرْ

٢ - النورُ أشرق في الدُّنا
فأماط داجيةَ السُّتائر

٣ - وأطلَّ من خلف الغيـ
ـبِ على البوادي والحواضر

٤ - فجرٌ جديدٌ مشرقٌ..
عهدٌ جديدٌ من مفاخر

٥ - أملٌ تقدِّسُه الشُّعو
بُ وتفتديه بكل ثائر

٦ - حلمٌ تطلعت النفو
سُ إليه في ساحِ المخاطر

☼☼☼☼

٧ - اليومُ عرسٌ في الوجو
دِ واليومُ نصُركِ يا جزائرْ

(*) شاعر سعودي
- المصدر : مطبوعات نادي الطائف الأدبي
- قدم إلى قصيدته «إلى الجزائر الظافرة.. وإلى شعبها الحبيب.. إلى الأمة العربية وهي تعيش أفراح النصر.. بانتصار الحرية.. في أرض الأحرار»

٨ - فمواكبُ الأفراح تهـ
ـزج بالنشيد.. وكلّ ظافر
٩ - وترددُ اللحنَ الطرو
بَ.. فخورةً يسبي المشاعر
١٠ - اليومُ يوم تحرُّرٍ..
اليوم تبتهجُ الخواطر
١١ - الشعبُ حطّم قيدَهُ
وأبى يكون من الأصاغر
١٢ - الشعبُ داس عدوَّهُ
ورمى الغشاء عن البَصائر
١٣ - رفعوا المشاعلَ من لظى
موحريهدُ كلّ غادر
١٤ - لهبٌ رهيبٌ حاقدٌ
قدرٌ غضوبٌ من كواسر
١٥ - حفَّت مواكِبَهم تُدمـ
ـدمُ قسوةٌ تطأ المخاطر
١٦ - الأرضُ ترجفُ تحتَهمْ
لمّا تقحَّمتِ العساكر
١٧ - من كلِّ بيتٍ أشعلتْ
من كلّ كوخٍ في «الجزائر»
١٨ - من كلّ كهفٍ مظلمٍ
من كل شبرٍ في المغاور
١٩ - زحفوا جميعًا كالأسو
دِ وكلُّهمْ بطلٌ مغامر
٢٠ - هزوا الدنا بنشيدهمْ
دوّى يدمدمُ من حناجر

٢١ – الموتُ للأعداء، طرّاً
والحياة لكلِّ «ثائر»

٢٢ – ولكلِّ شعبٍ في الوجو
دِ أبى المذلةَ والصغائر

٢٣ – عشقَ الخلودَ مُحرَّرًا
عشقَ البطولةَ والمفاخِر

٢٤ – ورأى اللهيبَ مُسعَّرًا
فمضى إليه.. وهو هادر

٢٥ – بسلاحِه البتارِ يَخْـ
طِرُ بالمدافع كلَّ غادر

٢٦ – بقنابلٍ تهبُ الجحيْـ
ـمَ بلِ الدَّمارَ ولا تُحَاذر

٭٭٭٭

٢٧ – وإذا العتاةُ أمام جيْـ
ـشِ الثائرين بلا بصَائر

٢٨ – شربوا الهزيمةَ مُرَّةً
من كأسِ يَعْرُبَ والحرائر

٢٩ – وأمامَ زحفِ الباسليْـ
ـنَ تقهقروا من كلِّ صاغر

٣٠ – حاروا. فما تدرى العِدا
أين الطريقُ إلى المخافر؟

٣١ – النارُ فوقَ رؤوسِهم
الموتُ حَوْمٌ.. بالكوافر

٣٢ – وطلائعُ التحرير تَخْـ
ـفقُ في اللهيبِ لكلِّ جائر

٣٣ – لم ترهَبِ الأعداءَ يو
مًا أو سلاحَ بني «القواهر»
٣٤ – والأطلسيُّ.. وحلقةٌ
وحشودةٌ.. مِن كلِّ ماكر
٣٥ – السائرين بركبهمْ
الحاقدين على الحرائر
٣٦ – العائشين بوهْمِهمْ
الراجفين مِن الدوائر

٭٭٭٭

٣٧ – «البعثُ» هذا يومُهُ
النورُ يلمعُ في «المنائر»
٣٨ – اليوم «نصرٌ» مكافحٍ
ومناضلٍ قَحَمَ المخاطر
٣٩ – اليومَ تنتصرُ الحياةُ
اليوم مَطْمحُ كلِّ ثائر
٤٠ – أبلى بلاءً طيِّبًا..
روّى ثراه بكلِّ طاهر
٤١ – غَرَسَ البطولةَ بالدِّمَا
وجماجمٌ سقطتْ تُغامر
٤٢ – نهج الحياةِ لديهمْ
من جارٍ غادرٍ أو مكابر
٤٣ – يرجو مذلةَ يَعْربٍ
فالويلُ من ضربِ البَواتر
٤٤ – إنَّ الجزاءَ مُضاعَفٌ
فالصاعُ ألفٌ من جآذر

٤٥ – عَرَفتْ فرنسا صِدقَنا
في كلِّ ساحٍ في «الجزائر»

٤٦ – لو تسألون ضميرَها
إن كان شيءٌ من ضمائر

٤٧ – سبعونَ شهرًا في الكِفا
حِ ونحن نصمدُ أو نُصابر

٤٨ – جبلاً قويًّا راسخًا
بالموت بالأعداء ساخِر

٤٩ – ومواكبُ الشهداء را
حَتْ.. للخلود إلى المقابر

٥٠ – أبتِ الحَياةَ بذلّةٍ
وبموطنٍ.. يحميه غادر

٥١ – وبِذلّ شعبٍ طَيبٍ
رمزِ البطولة.. والمفاخر

☼☼☼☼

٥٢ – هذي شمائلُ يعْربٍ
هذا هتافٌ من حناجر

٥٣ – إمّا الحياةُ بعزّةٍ
وتحرُّرٍ من كل جائر

٥٤ – أو موتِ أحرارٍ أُبا
ةٍ.. للخلود مع الحرائر

٥٥ – من أجلِ موطننا الأبِيْـ
ـيِ وفي سبيلك يا جزائر

****

٢ - أحمد سالم باعطب(*)

٢ - من وحي ثورة الجزائر

١ - سائلوا المجدَ عن كِرامِ بُناتِهْ
عن مصابيحِ أفقِهِ عن حُماتِهْ

٢ - الأباةِ النُّسورِ مَن البسُوا «أو
راس» نورًا على ذرا هضباته

٣ - سَلْ دعاةَ الحُروبِ في مهدِ «وهرا
ن» عنِ النابهاتِ مِن بطلاتِه

٤ - عن فتاةٍ جميلةٍ في إباها
عشِقتْ شعبَها وهامتْ بذاته

٥ - كبَّلُوها الحديدَ كي يرهبُوها
ورَمَوْهَا على لظَى جَمَراته

٦ - فإذا القيدُ في يديها ورجليـ
ـها حُليٌّ تزينُ جسمَ فتاته

٧ - ومشتْ تسحبُ القيودَ وتهتزْ
زُ اهْتزازَ الرئبالِ في خَطراته

(*) شاعر سعودي.
- المصدر : ديوان (الروض الملتهب)
- سجل في مقدمة القصيدة إشارة نصها: «كتبت هذه القصيدة إبان نضال الشعب الجزائري من أجل الاستقلال، وتعتبر من محاولاتي الشعرية الأولى، وقد أثبتها في الديوان لعظمة المناسبة» .
- ذكر عبد الله العطوي في مخطوطته أن القصيدة في ٣٧ بيتًا، فقد حذف الشاعر أربعة أبيات عند إعادة النشر.

٨ – امنت بالجهاد للحقّ بالشَّعْـ
ـب امينًا على حِمى طيِّباته

٩ – قلْ لمن رامَ بالجزائر سوءًا
ثكلتكَ الحياةُ يا ابنَ هناته

١٠ – إنّ عهدَ الأطماع قد دقّه الأحْـ
ـرارُ فابحثْ إن شئتَه في رفاته

١١ – لم يُلنْ عزمَه الحديدُ ولم تثْـ
ـنِ الحروبُ الضروسُ صلبَ قناته

١٢ – أنِفَ الذلّ والهوانَ ومن يرْ
ضَ بهونٍ يعشْ ذليلَ حياته

١٣ – ايها الظالمُ الذي يشنق الشيْـ
ـخَ ويَسْبي الرضيعَ من مُرضِعاته

١٤ – ويزجُّ النساءَ في السجن عُدوا
نًا ويحمي الشبابَ عن خيراته

١٥ – ويهدُّ القصورَ ظلمًا وبغْيًا
ويبيدُ الجنانَ من قاذفاته

١٦ – أصغِ السَّمعَ ايها الوحشُ والْقَهْ
صوتَ شعبٍ يذوبُ في صرخاته

١٧ – كلنا خلفَهُ سياجٌ وحِصنٌ
وسلاحٌ وقوةٌ في ثباته

١٨ – كلنا درعُه الحَصينةُ حتّى
يجتني من كفاحه ثمراته

١٩ – كلُّنا العُربُ اين كنا فإنّا
يَدُ موترٍ على عدوّ حياته

٢٠ – هيئةُ العالمِ الكبيرِ اصمّتْ

أذْنها اليومَ عن سماعِ شكاته

٢١ – هو يزجي لها الضحايا شهودًا

وهْيَ تواقةٌ ليومِ وفاته

٢٢ – وصمْةٌ لطّختْ حضارةَ عصري

يومَ ضاعَ السلامُ بين دعاته

٢٣ – أمِنَ العدلِ أن يُضيَّعَ شعبٌ

طالبٌ حقَّه بأيدي قضاته

٢٤ – إنّ قتْلَ الشعوبِ في شرْعةِ المخْـ

ـتلِّ نهجٌ محقِّقٌ رغباته

٢٥ – إنّ شنْقَ الأحرارِ في ساحةِ الطُّغـ

ـيانِ من عدله ومن مكْرُماته

٢٦ – السلامُ السلامُ في عالمِ اليو

مِ هوانُ الشعوبِ من آياته

٢٧ – من يعشْ خاليَ الوفاضِ من العز

مِ رمته السنونَ في ويلاته

٢٨ – وإذا الشعبُ كان بالمجدِ صبًّا

عشقَ الموتَ سلَّمًا لحياته

٢٩ – وانتضى عزمَه – أبيًّا جسورًا

ساخرًا بالردى – إلى أمنياته

٣٠ – يا فتى العُرْبِ جلجلَ الخطبُ فانصرْ

من رأى فيكَ ملجأً لأساته

٣١ – ضمِّدِ الجرحَ في «الجزائرِ» وارحمْ

بؤسَ شعبٍ يموج في نكباته

٣٢ - كم فتاةٍ تصارعُ الموتَ قهرًا
وفتًى ذائبٌ على أفاته

٣٣ - ويصوتِ الفخارِ مرحى لشعبٍ
ثائرِ العزمِ صامدٍ في ثباته

****

٣ - أحمد السقاف(*)

٣ - اقتلوهم

١ - «اقتلوهم» هكذا قلتنْ من دون حياءْ
٢ - وولغتنْ الدماء
٣ - واثرتنْ جنونَ الجبناء
٤ - فتبارَوْا يقتلونَ الأبرياء
٥ - ويبيدون المئات
٦ - حينما كنتنْ فوقَ الشُرفات
٧ - صائحاتٍ هائجات
٨ - اقتلوهم بالمئات
٩ - اقتلوهم ! اقتلوا كل جريءٍ في الجزائر
١٠ - من مشى غير محاذر
١١ - رافعاً أعلامه فوقَ المنائر
١٢ - يتحدّى في إباء
١٣ - وينادي: هذه أرضي وأرضُ الأقدمين
١٤ - من جدودي الخالدين
١٥ - منذ آلاف السنين
١٦ - اخرجوا يا دخلاء

(*) شاعر كويتي.
- صدرَ الشاعر قصيدته بما يكشفُ عن دافعها المباشر وظروف إبداعها، إذ كتب: ١٩٦١ - زار الجنرال ديجول الجزائر في هذا العام فتظاهر الجزائريون مطالبين بالاستقلال، وفتح الجنود الفرنسيون النار على المتظاهرين. وكانت النساء الفرنسيات يشجعن الجنود ويطلبن قتل المزيد من الأبرياء!!
- المصـدر : ديوانه - شعر أحمد السقاف.

١٧ – اقتلوهم هكذا كنتنْ تأمرْنَ العساكرْ

١٨ – وفقدتنْ الضمائرْ

١٩ – وتجردتنْ من كل المشاعر

٢٠ – وولغتنْ الدماءْ

٢١ – يا ضياعاً كشرتْ أنيابها للمدنيه

٢٢ – يا حُثالاتٍ ولكن أجنبيه

٢٣ – نحن للموت ولسنا للدنيه

٢٤ – يا نساءْ

٢٥ – قسماً ديجولُ بالآلافِ من تلك الضحايا

٢٦ – سوف تلقون المنايا

٢٧ – وتعيشون البلايا والرزايا

٢٨ – فلقد بانَ لنا نورُ الطريق

٢٩ – وتبدى بيننا وابرٌ سَحيق

٣٠ – من دماء الأبرياء

٣١ – وصراخ الحاقداتِ القاتلات

٣٢ – اقتلوهم بالمئات !!

****

٤ - إلى جبل الأوراس(*)

١ - قليلٌ أنْ أزفَّ لكَ التَّحِلَّهْ
وأن أزجي إليك الشُّكرَ كلَّهْ

٢ - فأنت اليومَ هاديَ كلِّ شعبٍ
أضاعوا حقَّهُ فغدوتَ شُغْلَه

٣ - وتفجيرُ النضالِ شفَى بلادًا
رماها الأجنبيُّ بكلِّ عِلَّه

٤ - فثارتْ بعد طول الصَّبرِ حربٌ
لظاها أفقدَتْ «مُوليه» عقله

٥ - فهبّ إلى الخديعةِ لا يُبالي
بمَا تلِدُ الخديعةُ لا أبا لَه

٦ - وكانت غضْبَةٌ دوّى صداها
فمِن «فاسٍ» إلى أرضِ «الأُبُلَّه»

٧ - توحدتِ المشاعرُ في كفاحٍ
فريدٍ لم ترَ الغبراء مِثْلَه

٨ - وما أرضُ «الجزائر» غيرُ أرضي
بقلبٍ تُفْتَدَى منّي ومُقْلَه

٩ - أقبِّلُ مِن ثراها كلَّ شبرٍ
بكلِّ جوارحي مليونَ قُبْلَه!!

١٠ - وقد جهلتْ «فرنسا» أيَّ جَهْلٍ
فليست ثورةُ الأحرارِ سهله

(*) نظم هذه القصيدة عام ١٩٥٦ .

١١ – ومن عجبٍ تُقَاتِلنا «فرنسا»

وكانت من فتى الألمان نَعْله

١٢ – ولا لومٌ إذا غدرتْ «فرنسا»

ومن ذا – لا جهلتَ – يلومُ نذله

١٣ – فإنْ وفَتِ الهلوكُ فذا عجيبٌ

وإن غدَرتْ فذاكَ يُعدُّ خِلّه

١٤ – ولا ذِكْرٌ تُدِلُّ به «فرنسا»

سوى ذكرِ الهزائم والمذلّه

١٥ – ولن تقفَ «الجزائرُ» عن جهادٍ

يحرِّرُ شعبَها ويلمُّ شَمْلَه

١٦ – وكم من ظالمٍ يأبى التقاضي

ويَحْسَبُ أنَّ في الإنصاف قتله

١٧ – ونحن معَ «الجزائر» قد وقفنا

لننقِذَ حقَّنا المسلوبَ كلّه

١٨ – فلا كانت من العمر الثواني

إذا هيَ من عدوِّي مُستَغلّه

١٩ – وساعاتُ الحياةِ بعيشِ عزٍّ

أجلُّ من السنينَ بعيشِ ذلّه

٢٠ – إذا طَوقُ «الجزائرِ» من حديدٍ

فإنَّ يدَ الكَميِّ تُجيدُ فلّه

****

٥ - في مهرجان الجزائر

١ - القلبُ بالأحباب هاما
والعينُ ترفض أنْ تناما
٢ - الشعرُ وحيٌ ليس ألـ
ـفاظاً ثقالاً ولا كلاما
٣ - يهفو إليه النابهو
ن وينتشي منه الندامى
٤ - قال «الجزائرُ» قدْ دغدْ
غكَ فقلتُ بلِّغها السلاما
٥ - ذكرى لياليها القرنـ
ـفُلُ في المجالس والخُزامى
٦ - أنا من تغنّى باسْمِها
ولهانُ مُذْ عشرين عاما
٧ - نبّأتُها النّصرَ المُبيـ
ـنَ وجئتُها شعباً هُمَاما
٨ - شعبٌ بمليونٍ من الشْـ
ـشُهداءِ قدْ سحقَ الطُّغاما
٩ - لم يخشَ حِلْفَ الأطلسيْـ
ـيِ ولا المهالكَ والحِماما
١٠ - «أوراسُ» أنجبها فبزْ
زَ بها أساطينَ القُدامى

١١ – تعِـبـتْ يدُ التـاريخ تَكْـ
ـتُبُـهـا مـلاحِمَ واقْـتِـحَـامـا

١٢ – شـعبُ «الجـزائر» جـنَّدَ الْـ
ـعَـزَمـاتِ واسْتشْـشِقِ الحُـسـامـا

١٣ – رفـضـوا السـلامَ وليس غَـيْـ
ـرُ الحـرب تَحْـتـدِمُ احْـتـدامـا

١٤ – تـأبى الانوفُ السُّـمْـرُ أنْ
تلوي وتفـتـرش الرُّغَـامـا

١٥ – قَـسَـمـاً بـأولى القِـبلتـيْـ
ـنِ لَنَرْحَـفنْ غـداً كِـرامـا

١٦ – فَـجـمُـوعنا عـددُ الرِّمـا
لِ ونـحـن نمتلك الزِّمَـامـا

١٧ – والخُـلفُ من صُنْعِ اللِّئـا
مِ فكيف نقـبل الانقِـسـامـا

١٨ – عـربٌ على رغم الرُّغـا
ئِفِ لـن نُذَلَّ ولـن نُضَـامـا

١٩ – بـوركتَ يا رمـضـانُ وحْـ
ـدَتَ الصـفـوفَ والاعْـتـزامـا

٢٠ – ورفـعـتَ هـامـاً حين نَكْـ
ـكَسَ عـسكرُ البـاغين هـامـا

٢١ – وخـذلتَ «دايان» الدَّعِـيْـ
ـيَ فـغـابَ يحـمل الانهـزامـا

٢٢ – أوَلستَ شـهـرَ الفـاتحِـيْـ
ـنَ وشـهـرَ من صلَّى وصَـامـا

٢٣ – بـوركتَ عُـدْ لنَحـوزَ فِـيْـ
ـكَ الحقَّ والنصـرَ التَّـمـامـا

٢٤ - لنُعيدَ «يافا» و«الجَليـ
ـلَ» وكلُّ من سكنوا الخياما

٢٥ - لنعيدَ ليمونًا وزيـ
ـتُونًا وأمْنًا وابتساما

٢٦ - لنعيدَ بيتَ الله والـ
ـقِسّيسَ والشيخَ الإماما

٢٧ - أمنتُ بالصحراء ثُـ
ـبِتُ وهْيَ قاحلةٌ عِظاما

٢٨ - واستسهلُوا «كسرى» وما
كانت نهايتُه سَراما

٢٩ - مَلِكٌ كما شاء الطُّمو
ح يغيظُ بالكبر الغَماما

٣٠ - لله أمجادٌ تَظلُّ
لُ الدهرَ تزدحمُ ازدحاما

٣١ - من ينسَ القُدسَ الـ
ـتَّاريخَ والبلدَ الحَراما

****

٦ - قُبلة إلى أوراس(*)

١ - طلع الفجرُ على رُغمِ عِدانا
وانجلَى الليلُ وولّى عن حِمانا

٢ - ومسحنا دمعةً قد طفرتْ
من مآقٍ يبستْ منها زمانا

٣ - وهتفنا للبطولاتِ التي
لم تجدْ في غيرِ مَثْوانا مكانا

٤ - نحن صنعناها ولمّا طوّقتْ
فترةً في الأرض لم ترضَ سِوانا

٥ - سائلوا «أوراسَ» عنها حينما
سدّتِ الأفقَ لهيباً ودُخانا

٦ - وتبارى للردى أبطالُها
يدفعون العارَ عنّا والهَوانا

٧ - بأبي «أوراسَ» كمْ مِن شاعرٍ
لم يجدْ مِن هول ما ضحّت بيانا

٨ - أذهلَ الإعجازُ منه وحيَهُ
واللسانُ الطَّلْقُ لم يُبقِ لسانا

٩ - والبطولاتُ إذا ما أعْجِزتْ
قَصُرَ الوصفُ وعانى ثم عانى

(*) ١٩٦٢ - كان الشاعر يتابع باهتمام مسرحية صقر قريش، بطولة المرحوم زكي طليمات بمشاركة عدد من الشبان الكويتيين، فإذا بصديق يهمس في اذنه بانه سمع نبأ توقيع الاتفاق على استقلال الجزائر، فاعرض عن المسرحية واخذ يكتب على كراس في يده هذه القصيدة .

١٠ - لم يرَ التاريخُ في أدوارِهِ

مثلَ هاتيكَ الوغى حربًا عوانا

١١ - ضجَّتِ الدنيا لأسمى مَثَلٍ

في الفداء الحقِّ مُذ كانت وكانا

١٢ - ورمى جيشُ «فرنسا» حقدَهُ

يطلب النصرَ ولو نصراً جبانا

١٣ - فتحدَّتْهُ أسُودُ أقسمَتْ

أن ترى الباغيَ مدحُوراً مُهانا

١٤ - فإذا بالنصر قد لاح لها

وإذا «إيفيان» تعطيه الأوانا

١٥ - وإذا «أوراسُ» في نشْوتِها

فوق ما يرجُون سِلْمًا وأمانا

١٦ - والفتوحاتُ وقد طال السُّرَى

زغردتْ تُعلي بها شأن عُلانا

١٧ - و«صلاحُ الدينِ» من عليائه

قدَّم التاجَ لها والصَّولَجانا

١٨ - يا بني العُرْبِ بلغتُمْ مثلَها

ورفعتُمْ أبدَ الدَّهر لِوَانا

١٩ - لا تظنوا أنها قد خَمَدتْ

فأوارُ الشمس من بعض لَظانا

١٩ - فـفِلسطينُ - وما أكرمَها -

سلبتْ مما تلاقيه كرانا

٢٠ - فلها يومٌ كما تبغي المنى

ولها في يومها كلُّ قوانا

****

٤ - أحمد الغزاوي(*)

٧ - تحية الجزائر المستقلة

١ - قِفَا نُشْدُ باليومِ الأغرِّ المُحجَّلِ
وتزهو بشعبٍ في «الجزائر» يَعْتلي

٢ - ونملأ سمعَ الدهر فخرًا وعِزَّةً
ونهتفُ بالمجدِ الطَّريفِ المُؤثَّلِ

٣ - ونستعرضُ التاريخَ ابلجَ ناصعًا
يدلُّ به (مرُّ الحفاظ) ويأتلي

٤ - وتكبرُ في الصِّيدِ الكُماةِ (مواقفًا)
بها يتهادى كلُّ حرٍّ مُسَرْبَلِ

٥ - ونزجي إلى «الأوراسِ» من بطنِ «مكّةٍ»
تهانيَ (نصرٍ) كالرَّحيقِ المُسلسلِ

٭٭٭٭

٦ - هيَ العَزَمَاتُ الملهماتُ كأنَّها
هَوادِرُ موجِ البحْرِ بالنار تصْطَلي

٧ - تلظَّى بها أشياخُها وشبابُها
وبِيضُ العذارى من ثُكولٍ ورُمّلِ

٭٭٭٭

(*) شاعر سعودي.
- القيت في المهرجان الكبير - الذي اقيم بمدينة الطائف تحية لاستقلال الجزائر.
- المصدر: كتاب مسعد العطوي بعنوان: احمد الغزاوي واثاره الأدبية.

٨ – فما يومُ «ذي قارٍ» و «يومُ حليمةٍ»
بسِرٍّ ولا ذاكَ (الإباءُ) بمعْزِلِ
٩ – تنزَّتْ قلوبٌ داميـاتٌ قريحةٌ
مَدى الدهرِ شهرٍ بالبلاءِ المُنزَّلِ
١٠ – وعضَّتْ على الدين الحنيفِ ولم تزلْ
نواجِذُها رغمَ الهوى المتخلِّلِ
١١ – تعاصَتْ على الكفرِ البواحِ وحافظتْ
على (الآيِ تُتلى) و(الكتابِ المُنزَّلِ)
١٢ – ومـا أن مضَى يومٌ عليها وليلةٌ
بدونِ كفاحٍ في المغيرِ المخذَّلِ

٭٭٭٭

١٣ – كأنَّ الثَّرى من حيث ريقتْ دماؤُها
هوَ الشَّفقُ المُحمرُّ والسيلُ من عَلِ
١٤ – وطافت بها أرواحُ قادتِها الألى
تروحُ وتغدو بالفداءِ المُعَجَّلِ
١٥ – مِنِ «ابْنِ أبي سرحٍ» و«عُقبةَ» والذي
هو «العائذُ» الخوَّاضُ عند التَّوغُّلِ
١٦ – فالقتْ إلى الهيجاءِ وهْي مغيظةٌ
بأفلاذِها من كلِّ أشْوَسَ صَيْقَلِ
١٧ – أروهمْ (نُجومَ الظهرِ) والنقعُ أسودٌ
وهمْ بين مَسْبهورٍ وبين مُجندَلِ
١٨ – يخافون أشباحَ الرؤى في سُباتِهم
وأرواحُهمْ مشدودةٌ بالتَّوهُّلِ
١٩ – ومـا قلَّ منهمْ في الصِّراعِ عُتاتُهمْ
ولكن بغَوْا فاستُهْدِفوا للتَّزلْزلِ

٢٠ - وما راعَهم إلا (المنايا) كأنها

قواصِفُ رعدٍ أو حَواصِدُ مِنْجَل

٢١ - بأيدي كُماةٍ من نزارٍ ويَعْرُبٍ

ومن كلِّ ذي بأسٍ شديدٍ مُزَمَّل

٢٢ - يرونَ الحياةَ الموتَ، والموتُ عندهم

(خلودٌ) ولا يخشَوْن غيرَ التَّبذُّل

٢٣ - تَحدَّوا قوى الطغيانِ وهْيَ رهيبَةٌ

والقَوْا عليها أيَّ درسٍ مُفصَّل

٢٤ - مئاتُ الوفِ عشرةٌ بعد عشرةٍ

تولَّتْ كأرجالِ الجرادِ المُهَجَّل



٢٥ - ولَوْ أنَّهمْ ظلُّوا هنالك لم يَعُدْ

إلى «السِّين» منهمْ غيرُ باكٍ ومُعْوِل

٢٦ - كذلك كانت في (الملاحم) والوغى

«جزائرُنا» في شعبها المُتكتِّل

٢٧ - هي (العَربُ العرباء) أصلاً ومَحْتِدًا

وأرجاؤُها أبناؤها في التَّحمُّل

٢٨ - مواكبُها عبْرَ البحارِ حوافلٌ

بكلِّ عظيمٍ بالفَخارِ مُكلَّل



٢٩ - وما كان يوماً للحضاراتِ قيمةٌ

بغيرِ هُدانا هديِ أكرمِ مُرسَل

٣٠ - ومهمَا تواصينا بِلَمِّ شتاتنا

حَظينا بنصرِ الله غيرِ مُؤجَّل



٣١ – وفي ذمَّةِ الله المهيمنِ من مَضَوْا
وماتوا فعاشوا في (الخلود) المكمَّل
٣٢ – أولئك ضَحَّوْا في سبيل بلادهمْ
بأرواحِهِمْ في كلِّ ماضٍ ومُقْبِلِ
٣٣ – همْ شهداءُ الله والعُصبَةُ التي
بها تُضْرَبُ الأمثالُ في كلِّ مَحْفل
٣٤ – تنادَوْا إلى الحُسنى وما ضلَّ سعيُهم
وإنَّ لهمْ بالفضلِ كلَّ مُخَوَّل
٣٥ – جماجمُهمْ كانت أساساً لِصَرحِهمْ
فلا بدعَ أن يعلو على كلِّ مُعْتَل

☼☼☼☼

٣٦ – على أنهم أوشاجُنا وفجاجُنا
مُوحَّدةٌ رغمَ العدوِّ المُنكِّل
٣٧ – (عقائدنا) إيمانُنا وسيوفُنا
بأيماننا من كلِّ عضبٍ ومُنْصِل
٣٨ – وكالشامِ مصرٌ والعراقُ مودةً
وكل مُعمٌ في (العروبة) مُخْوِلِ
٣٩ – سواءٌ لدينا في الأخوَّة من دنا
ومن حَلَّ (بالداماء) أبْعَدَ منزِلِ
٤٠ – إذا ما تَشكَّوا نشتكي من جراحهمْ
ونفرَحُ ما فازوا بكلِّ مؤمَّل

☼☼☼☼

٤١ – وفي السنوات السبعِ كنا وراءهمْ
نجاهدُ ما استطعنا بغير تَمهُّل
٤٢ – مشينا إليهم بالقلوب خوافقًا
وأكبادُنا حَرَّى على كلِّ مَنهَل

٤٣ – تكابدُنا «البطحاءُ» تجري رياحُها

وتنطلقُ «الدهناء» واغـــرافُ «يَذْبُل»

٤٤ – ويَقْـيمُنا في ذلك (العاهلُ) الذي

به اعتـزَّ دينُ الله أعظم مُـقْـضِل

٤٥ – أفاضَ سخاءً واستجابَ نداءها

ولبّى صـريخَ النار في كلّ مُـعْـضِل

٤٦ – واسعفَها من حيثُ شاءت سياسةً

وحـرياً ووفّـاها بكلّ مُـهَلّل

٤٧ – «سعود» طويل العُمْر لا زال للهُدى

وللدِّين والإسـلام أمنعَ مِـعْـقَل

٤٨ – وحيّاهُ (ربُّ البيت) أيّانَ ما احتمَى

ومكنّهُ من نحْـرِ كلّ مـضلِّل

٤٩ – وحيّا «وليُّ العهد» ذخرَ بلادِهِ

بما هي ترجـو من جنوبٍ وشَـمْـأَل

٥٠ – هو الفيصلُ البتّار قاهرُ خصْمِه

وحسْبُ بني عدنانَ إقدامُ «فيصل»

٥١ – تولاهما الرحمن بالحفظ ما شدَا

على الأيْكِ صـداحٌ وسَـاجعُ بلبل

****

٨ - يأبى لنا الإيثار إلا نجدة(*)

١ - البِرُّ أوجبُ والتعاونُ أفضلُ
والبَذْلُ جَزْلٌ والمثوبةُ أجْزَلُ

٢ - وأحقُّ ما فيه التنافسُ يُبْتَغَى
عونٌ به (الصِّنْوُ الشقيقُ) يموَّلُ

٣ - يا قومُ إنَّ بني أبيكمْ أصبحوا
وجروحهم بقروحِهِمْ تتشلَّلُ

٤ - حتَّى لتنطلقُ القلوبُ حناجراً
حُزناً وتصعَدُ بالشفاء وتنْزِلُ

٥ - تتسابق الكلماتُ في عَبَراتِنا
حرَّى وتُقذَفُ بالعيون وتُهْمَلُ

٦ - بل إنها الحسراتُ وهْي كظيمةٌ
وزوافرُ الأنفاس إذ هي تُشْعَلُ

٧ - إن «الجزائرَ» أمةٌ عربيةٌ
عَصَفتْ بها الأهوالُ وهْيَ تغلغَلُ

٨ - مُنيتْ بكل كريهةٍ فلذاتُها
وسطا عليها الغاصبُ المتغوِّلُ

٩ - وتقلبتْ فوق اللظَى أكبادُها
وجُنوبُها من وقْدِها تتململُ

١٠ - لم تألُ جَهداً في الجهاد ولم تزلْ
من بأسِها أطمُ الطغاة تُزلْزَلُ

(*) قيلت بمناسبة الاحتفال بجمع التبرعات للمجاهدين في الجزائر - ٢٠ مارس ١٩٥٨ .

١١ - ما نبتُها إلا الحفاظُ وإنها
تأبى الخضوعَ وللكرامةِ تعمَل

١٢ - أفاقُها ربدٌ وفي ظلماتِها
تتوهجُ النيرانُ وهْي (تُقنبَل)

١٣ - فلئن بذلنا المالَ في إسعافها
فسخاؤُها (الدمُ) وهْوَ قانٍ يُبذَل

١٤ - (الغانياتُ) وهنّ أمثالُ الدُّمَى
ضَحّينَ والبلوى بهنّ تُغوَّل

١٥ - لايبسْنَ أحشاءَ المنونِ صواعقاً
تنقَضُّ فوق المعتدينَ وتُصْقَل

١٦ - «جان دارك» تفرقُ من وشاح «جميلةٍ»
و«جميلةٌ» كالسيف أو هي جَحْفَل

١٧ - لو أنها أصغتْ إليها ساعةً
لمشتْ إليها في (المسوح) تُذلَّل

١٨ - شتّان بين نضالِ كل منهما
هذا يصولُ وذلكمْ يتسوَّل

١٩ - بل تلك غانيةٌ وهذي حُرّةٌ
(عذراءُ) في (محرابها) تَتَبتَّل

٢٠ - (هيفاء) إلا أنها بقوامها
أملٌ يضيء وصارمٌ يتَهلَّل

٢١ - دوّى الأثيرُ بعزمها وثباتها
وتوقَّفَ (التاريخُ) وهْوَ يُسجِّل

٢٢ - (مَثلٌ) بها (للغيد) يُضرَبُ صاعداً
وكذلك الأخلاقُ وهْيَ تُكلَّل

٢٣ - لَهَفي عليها في (الحُجُول) رهينةً
والأسْدُ تزأر والعَرينُ يُصَلْصِل

٢٤ - وُقِيتِ يا بنتَ الأباةِ من الرَّدَى
ولكِ الثناءُ المستطابُ يُرتَّل

٢٥ - ما أنتِ إلا في الكواعبِ آيةٌ
تُتلَى وبالشَّمَمِ العتيدِ تُفصَّل

٢٦ - بلْ أنتِ (سِرٌّ) للعروبة كامنٌ
اعلنتِهِ فدرَى به من يَجهَل

٢٧ - يا ويلُ للطغيان يومَ حسابِهِ
مِمَّنْ ألحَّ عليه وهْوَ مُكبَّل

٢٨ - رُحماكَ ربي إنَّ وعدَك ناجزٌ
لا مُخلَفٌ أبداً ولا هو يُمطَل

٢٩ - (عينُ اليقين) برغم كل مُكذِّبٍ
(وحيُ الكتاب) وإنه لمُنزَّل

٣٠ - قادراً به كيدَ العدوِّ ومكرِهِ
(نصرٌ) به يتألقُ (المستقبَل)

٣١ - لا كانت الدنيا ولا حظِيَ امرؤٌ
فيها يجود (أخوه) وهْو يُبخِّل

٣٢ - لَوْ أنَّ حبةَ خردلٍ جُدتمْ بها
في الله ضُوعِفَ بالثوابِ (السُّنْبُل)

٣٣ - والحُبُّ ليس مجانةً من هازلٍ
لكنَّما هُوَ (فِديةٌ) وتَحمُّل

٣٤ - ما (نومُنا) ما (قضمُنا) ما (هَضمُنا)
ما (مشربٌ) نلهو به أو (مأكَل)

٣٥ - وبنو «الجزائر» بائسٌ ومشرَّدٌ
ومطرَّدٌ ومُرمَّلٌ ومُثكَّل

٣٦ - إن البقاءَ هو التواصي بالحِمى
والويلُ (للمُثبِّت) وهو يُؤوِّل

٣٧ - مـا المالُ مـهـمـا فـاضَ إلا قطرةٌ

في الدمع يهـدرُ والنفـوسُ تُجندَل

٣٨ - وأرى المروءةَ والشـهـامـةَ والنَّدَى

فـيكمْ ومنكمْ روحُـهـا تَتَـمـثَّل

٣٩ - يأبى لنا الإيثـارُ إلا نجـدةً

وإجـابةً فـيـهـا الكفـاحُ يُسَـرْبَل

٤٠ - مـهـمـا تثـاءبَ أو تثـاقلَ خطوُنا

يومـاً فـإنّا في (المكارم) نُعْـجِل

٤١ - عَنَتِ الوجـوهُ إليك في إخـبـاتِها

يا حيُّ يا قـيـومُ وهْيَ تَوَسَّل

٤٢ - نرجـوك لا نرجـو سِـواك إلهَنا

وإليك نَحْـفِـدُ خـاشـعين ونَسـأَل

٤٣ - تدعـوكَ أفـئـدةٌ عـمـيقٌ بثُّـهـا

ودعـاؤنا لكَ خـالصـاً لا يُخْـذَل

٤٤ - أنْ تحـفظَ الإسـلامَ طراً والهُـدَى

وتعـيـذَهُ من كلِّ مـا هو مُـعْـضِل

٤٥ - وتعـيدَ للعَـربِ الأشـاوسِ مَـجـدَهمْ

غـبْـرَ القـرونِ وإنه لمؤثَّل

٤٦ - ولْتَحـفَظِ (المَلِكَ المفـدى) والذي

لله مـا أعطى ومـا يتـفـضَّل

٤٧ - ولْيَـحْيَ كلُّ مناضلٍ ومناصـرٍ

يزهـو بـه (الـدينُ الحـنيـفُ) ويَرفُل

****

٩ - يوم الجزائر(*)

١ - رقِّقِ الشِّعرَ أزْجِهِ كالجواهرْ

واشْدُ بالوجْد من (زرود) وحاجِرْ

٢ - واستفِزْ (الحُفَّاظ) نوراً وناراً

أعلِنِ الهمسَ من صريخ (الجزائر)

٣ - ولْيَجُدْ بالحُطامِ كلُّ أبيٍّ

وثريٍّ ومُقْتِرٍ ومُكاثر

٤ - وليسابِقْ أخاهُ كلُّ قريبٍ

وبعيدٍ وراشدٍ أو قاصر

٥ - ولْيَهبْ كلُّ كادحٍ رزقَ يومٍ

بلْ وشهرٍ وفي المَلا فلْيُفاخر

٦ - ولْتَهبْ كلُّ غادةٍ وكَعَابٍ

وحَصَانٍ أقراطَهَا والأساور

٧ - ولْتُبَادرْ إلى النداء (البوادي)

ولْتُباكرْ إلى السَّخاء (الحَواضر)

❁❁❁❁

٨ - وليكُنْ قرْضُنَا إلى الله (قُربَى)

وهْوَ يجزيه يومَ تُبْلَى السَّرائر

٩ - أيها القومُ ما الدنانيرُ إلا

مِن بحورِ الدِّماء حَسْوةُ طائر

(*) قالها في يوم خصص للاحتفال بجمع التبرع للمجاهدين الجزائريين - ١٥ شعبان ١٣٧٧هـ.

١٠ – لو رأيتم بني أبيكم (كفاتا)
في كهوفٍ عميقةٍ ومغاورْ

١١ – لو نظرتم إلى العواتقِ حَسْرَى
ثاكلاتٍ مُهتّكاتِ السّتائرْ

١٢ – يتفيّأنَ في العَراءِ رُكاماً
من جليدٍ وصَرصَراً من هَواجرْ

١٣ – تحت طَلٍّ من الجحيمِ وَوبلٍ
وجحيمٍ مُباغتٍ وقنابرْ

١٤ – وجِراحٍ تسيلُ من كلِّ قَلْبٍ
ودموعٍ تنشقُّ عنها المَرائرْ

١٥ – وشتيتِ الأشلاءِ يَنْهَشُ فيها
كلُّ وحشٍ وكلُّ وغْدٍ وغادرْ

١٦ – ما ضَنَنْتُمْ بكلِّ غالٍ مَلكتُمْ
وثمينٍ كدأبِكمْ في (المآثرْ)



١٧ – غَصَّ ريقي وها يَراعي يبكي
ولساني وراء قلبيَ عاقِرْ

١٨ – موقفٌ عنده القوافي وشيجٌ
من رماحٍ وصيحةٍ من بَواترْ

١٩ – ليس للشّعرِ في المعارك صوتٌ
غيرَ خوضِ الوغى وزَجْرِ الغَواترْ

٢٠ – كلُّ بيتٍ منّهُ وكلُّ رويٍّ
كوكبٌ راصدٌ وبطشٌ قاهرْ



٢١ – كم شبابٍ قَضَوا هناك وشيْبٌ
آثروا الموتَ واكتووا بالمخاطرْ

٢٢ – نبَذُوا الدُّورَ للكفاحِ وباتوا
في الصَّحارَى وأصبحوا في المقابر

٢٣ – لم تكن شُقَّتْ (لُحُوداً) ولكنْ
في بطونِ السِّباعِ وهْيَ كواسر

✿✿✿✿

٢٤ – شرَّدَتهمْ فوادحٌ وخُطوبٌ
وكُروبٌ وتاجُهنَّ الفواقر

٢٥ – ورمتهمْ بكلِّ هولٍ وويلٍ
وثُبورٍ ونقمةٍ وجَرائر

٢٦ – واصطَلاهمْ سَعيرُها يتلظَّى
بالأيامَى وفي اليتامى النواضِر

٢٧ – من فُساقٍ ومن علوجٍ جُفاةٍ
وعُتاةٍ تواقحُوا وجَبابر

✿✿✿✿

٢٨ – سَخِروا بالضعيفِ وهْو قويٌّ
إنه (مؤمنٌ) وبالبغيِ كافر

٢٩ – وإلى الله والفراديسِ يعدو
غيرَ هائبٍ ولا هو حائر(*)

٣٠ – وتكادُ الجبالُ وهْيَ الرَّواسي
تتداعَى بزجْرِهِ وهْوَ (ثائر)

٣١ – نلكمْ انه سليلُ (مَعَدٍّ)
و (نزارٍ) ومِن (هلالٍ وعامر)

٣٢ – أورثَتْهُ الآباء «أنْفاً حميّاً»
غيرَ باغٍ وصارماً» غيرَ خائر

✿✿✿✿

(*) هكذا ورد في أصل الكتاب.

٣٣ - أو ماذا أطيقُ أكثرَ ممّا

هو قلبي أريقَهُ غيرَ ذاخر

٣٤ - يحسَبُ الناسُ أنها نفثاتٌ

هذه (القاذفاتُ) عبْرَ الحناجر

٣٥ - كم مَهَاةٍ هي الملائكُ طُهْراً

ذاتِ حسنٍ تغمّدته المآزر

٣٦ - يتحدّى (عفافُها) الخَلقَ طرّاً

ويحاشي جمالَها كلُّ ناظر

٣٧ - برزتْ للقتال تختالُ بأساً

وتجرُّ الذيولَ وهْيَ خناجر

٣٨ - تنقلُ الخطوَ في ثباتٍ وتعدو

بين أترابها خلال المجازر

٣٩ - وفي وقارٍ وعصمةٍ وحياءٍ

ينثني عنه كلُّ أشوسَ صاغر

٭٭٭٭

٤٠ - ما تخيّرنَ أنْ يعشنَ (إماءً)

في هوانٍ وقَيْدٍ ولِدْنَ حرائر

٤١ - فاتّخذْنَ القتامَ في الروع كُحلاً

وانْزعْنَ الحديدَ بعد الحرائر

٭٭٭٭

٤٢ - إيهِ ما أكرمَ النضالَ وأدنى

صفحاتِ الخلودِ من كلِّ شاعر

٤٣ – حين لا يزدهيه في الشّعر إلا

ما هو الصّدقُ والبيانُ السّاحر

٤٤ – وهْيَ في الحقّ دعوةٌ لسلامٍ

وشعورٍ مُترجَمٍ عن (مَشاعر)

☼☼☼☼

٤٥ – أيها الشعبُ من بني الضّاد طرّاً

وحماةَ الحِمى وخيرَ العشائر

٤٦ – ها هو العاهلُ العظيم (سعودٌ)

مَطْلَعُ اليُمْنِ وازدهاء المنابر

٤٧ – و (بَنُوه) وآلُه وذووهُ

والكماةُ الأساةُ من كلّ كابر

٤٨ – أسوةٌ في النّدى وفي كلّ بِرٍّ

وسخارٍ وقدوةٍ في المفاخر

٤٩ – فاقْتفوا أثْرَه فرادَى ومَثْنَى

وابذلوا المستطاعَ (يومَ الجزائر)

☼☼☼☼

٥٠ – واعلموا أنكمْ بذلك حقّاً

تَحْمَدونَ السُّرَى برغم المكابر

٥١ – ولكُمْ أجرُكمْ على ما بذلتمْ

في ظلالِ الهُدى ونورِ البَصائر

٥٢ – إنه النصرُ وهْوَ فتحٌ قريبٌ

وابتهاجٌ وغِبطةٌ في المصائر

٥٣ – فَلْيُكافِحْ عن (الحِمى) كلُّ شادٍ

و (مُفادٍ) وصَامدٍ ومُصَابِرِ

٥٤ – حفظَ الله للإباةِ (سعوداً)

وحَمى فيه دائماً كلَّ شاكرِ

٥٥ – وكفى المسلمين كلَّ بلاءٍ

وعلى من بغى تدور الدَّوائرِ

****

٥ - أحمد محمد الخليفة[*]

١٠ - الأرض الملتهبة[١]

١ - مـا للجـبـالِ مِن اللَّظَى تتـضـرَّمُ
والأفقُ في الظَّلمـاء خـضـبـة الدَّمُ

٢ - هل سالَ قرنُ الشمسِ في غسَقِ الدُّجَى
وانْســابَ من حِـمم الشظايا غَـيْلَم

٣ - مـاذا دهَى هذي الرعـانَ فـإنَّهـا
بـالنـار في هُوجِ الـرِّيـاحِ تُـدمـدِم

٤ - نارٌ تميـدُ الأرضُ من طوفـانِهـا
كُـتَـلاً وتُصـعقُ من لظاها الأنْجُم

٥ - إني أرى الدنيـا تمورُ كـأنمـا
قـذفتْ بأسـبـابِ الفناءِ جـهنَّم

٦ - والناسُ في رهَجِ الزعـازعِ تلتـقي
أشـبـاحُهـا وتفـرُّ ممَّا يُضْـرَم

٧ - بيْنَا أفكرُ بـالمصـيـبـة هزَّني
صـوتٌ تكاد له الذُّرا تتـحطَّم

٨ - قـد أجـفلَ الدنيـا بقـصْفِ دَوِيِّهِ
حـتى تفـزَّعتِ الجـمـوعُ النوَّم

(*) شاعر بحريني.

(١) ألقيت في الحفلة الخطابية الكبرى التي أقامها اتحاد الأندية الوطنية بالبحرين. وقد خصص ريع هذه القصيدة لمشروع أسبوع الجزائر - في يوم ١٩٥٨/٤/٢١
- المصدر: ديوان هجير وسراب.

٩ - هذي «الجزائرُ» يا أُوثيِّةِ أمَّةٍ
فيها تُردُّ الغاصبينَ وتُقْدِمِ

١٠ - تهْتزُّ في وادي اللهيبِ كأنها
قَدَرٌ يُسَيِّرُه القضاءُ المُبْرَمِ

١١ - تجتاحُها نارُ الطُّغاةِ وإنها
بالنار تهزأ والحُتوفُ تُحُوِّمِ

١٢ - اللهُ أكبرُ يومَ هبَّ كَمِيُّها
ليُقاومَ الخطرَ المهُولَ ويهدِمِ

١٣ - من كلِّ مُحتربٍ كأن سلاحَهُ
في الليل برْقٌ باللظى يتبسَّمِ

١٤ - لو شمتهمْ تحت الظلام حسبتَهمْ
جِنًّا بوادي الساقياتِ تُهوِّمِ

١٥ - فالموتُ يحْجِمُ من ضراوةِ بأسهمْ
والأسْدُ من هجماتهمْ تتأجَّمِ

١٦ - وهبوا البلادَ لدى الجهاد حياتهمْ
والنصرُ غايةُ كلِّ حرٍّ يُقْدِمِ

١٧ - فتدفقوا للانقضاض على العِدا
هل شمْتَ ليثَ الغابِ ساعةَ يهجُمِ؟

١٨ - أبدًا فإني عاجزٌ عن وصفهمْ
إنَّ البطولةَ فوق ما نتوهَّمِ

☼☼☼☼

١٩ - إيهِ «فرنسا» إن جيشَكِ لم يفُزْ
إلا بما فازَ الخؤُون المجرِمِ

٢٠ - ومصيرُكِ الآتي دمارٌ ماحقٌ
فالظُّلْمُ مهما عاش دهرًا يُهزَمِ

٢١ - مهما تجبرت الطغاةُ فإنّما

بتجبُّرِ الطاغي النهايةُ تُختَم

٢٢ - ووراء مغتصبِ الحقوق وطيشِه

قدرٌ يفاجئه بما لا يَعْلَم

٢٣ - ومِن البلية أنه لا يرعوي

حتى يطيحَ به البلاءُ فيندم

٢٤ - شعبُ «الجزائر» قد تنزّى ثائرًا

ليَدكَّ ما شادَ البَغيُّ الأبْهَم

٢٥ - ويزيلَ عن صدرِ البلاد أراقمًا

باتتْ بقوتِ حياتِه تتحكّم

٢٦ - شعبٌ يشقُّ إلى الخلود طريقَهُ

ويُعيدُ مجْدَ جدودِه ويتمِّم

٢٧ - أبدًا يُطوِّحُ بالطغاةِ وإنّهُ

لإبادةِ المستعمرين مُصمِّم

٢٨ - مَن مِثْلُ أبطالِ الجزائر إنهم

رمزٌ تعزُّ به البلادُ وتعْظم

٢٩ - ساروا على جثثِ الضحايا في الدُّجى

سيلًا يدكُّ الشامخاتِ ويَحْطِم

٣٠ - فترجّلَ التاريخُ من آفاقه

ليُسجِّلَ المجدَ المؤثّلَ عنهُم

٣١ - ودوى إلى سمع الزمان ملاحمًا

يبدأ بها ذكرُ الفخارِ ويُختَم

٣٢ - مَن غيرُ «ابن بلا» وغيرُ «جميلة» في

الأرض أبرعُ في الخطوب وأقدَم

٣٣ - أسطورةُ المجدِ الذي سجدَ العُلا

لجلالِها وشدَا الزمانُ الأبْكم

٣٤ - لولا البطولةُ وهْيَ وحيُ إرادةٍ
ما فازَ في «حطينَ» ذاك المُلْهَم

٣٥ - خاضَ الرماحَ الراعشاتِ بصدرِهِ
والخيلُ تَشْرَقُ بالسيوفِ وتلْجُم

٣٦ - فَهْيَ التي دفعت «أسامةَ» فانبرى
بالجيشِ يخترقُ السدودَ ويقْحَم

٣٧ - ويُخلِّدُ النصرَ العتيدَ لأمّةٍ
في الحربِ لا تشكو ولا تتبَرَّم

٣٨ - تمشي على حدِّ السيوفِ كتائبًا
والنارُ تحت خيولها تتهَزَّم

٣٩ - يحدو بها الإيمانُ نحو طموحها
ويهزُّها أملُ النفوسِ فتَزْحَم

٤٠ - وإذا استُثِيرَ الحُرُّ عند مُلمَّةٍ
شبَّتْ العظائمَ عنده لا تَعْظُم

٤١ - والمرءُ إنْ شهِدَ الهوانَ بدارِه
فالموتُ من طَعمِ المذلةِ أرْحَم

****

١١ - تحية البحرين إلى الجزائر(*)

١ - أتيتمْ فكُنتمْ في الحشا والنواظرِ
فمرحًى بكم مرحًى برمزِ المفاخرِ

٢ - وما أنتمُ عنّا بعيدونَ إنكمْ
تعيشون بالأرواحِ في كلِّ خاطرِ

٣ - ولمّا رأينا في اللقاء وجوهَكمْ
هنا فكأنّا في رحاب «الجزائر»

٤ - جهادُكمْ رمزُ النضالِ لأمّةٍ
تعالتْ بكم فوقَ النجومِ الزّواهرِ

٥ - تأثرتِ الدنيا بكمْ حيث ردّدتْ
أغاني العُلا والمجدِ ملءَ الحناجرِ

٦ - وما كانتِ الأهوالُ تُرهِبُ شعبَكُمْ
وقد يُستذَلُّ الهولُ من كلِّ ثائرِ

٧ - ومن يملأ الإيمانُ باللهِ قلبَهُ
يَصُولُ ولا يَعْبَا بكلِّ المخاطرِ

٨ - وبِلْتمْ من استقلالكم كلَّ عزّةٍ
تضيء كنورِ الفجرِ فوقَ المنائرِ

٩ - وها أنتمُ في موكبِ العزِّ والعُلا
شعاعٌ من الماضي ينيرُ لحاضرِ

١٠ - ومَنْ يبذرِ الأرضَ الطهورَ يجدْ بها
شَهِيَّ الجَنَى في شامخاتِ الحواضرِ

(*) أنشدها في استقبال وزير الثقافة والسياحة الجزائري في أسبوع إقامة الجزائر في البحرين.

١١ – وهذي من الأعماقِ أهدي تحيَّتي

إليكم نشيداً من عميقِ المشاعر

١٢ – به مِن شذًا «البحرين» نَفْحٌ أتى به

نسيمُ الضُّحى عَبْرَ المروجِ النواظر

١٣ – ولا تعجبوا إنْ الشذّا يتبعُ الشذّا

من الحبِّ و«البحرينُ» أختُ «الجزائر»

****

أسامة عبد الرحمن(*)

١٢ - شعب الجزائر[1]

١ - يا أمةً قد سطَّرَتْ تاريخَها
سِفْرًا على صفحاتِه الإعْظَامُ

٢ - لحِمَاك نحن وفي دمانا قد جرى
حبٌّ ستبديه لكِ الأيام

٣ - سنذودُ عن حوض العروبةِ إننا
يومَ الكريهة كلُّنا ضرغام

٤ - والويلُ للمستعمرين إذا دَجَا
ليلُ الوغى وعلا الرؤوسَ قتام

٥ - فإذا مِدادُ المجد يجري أنْهُرًا
وإذا النِّصالُ كأنها الأقلام

٦ - والبَرُّ من سيل الدماء كأنه
بحرٌ عليه تزاحمُ الأعلام

٧ - قولي «فرنسا» كيف شئت فإنها
أضغاثُ أحلامٍ أو الأوهام

٨ - فالحقُّ سوف يردُّه حدُّ الظُّبَى
يومًا تطيشُ لهوله الأحلام

٩ - يوماً به نغزو العُداة بجحفلٍ
لا السيفُ يرعبه ولا الصمصام

(*) شاعر سعودي.
(١) المصدر ديوان شمعة ظمأى.

١٠ - إنا بنو العُرْبِ الألى سهروا على
كسبِ المحامدِ والأنامُ نيام

١١ - إن كان مرَّ بنا سُباتٌ عابرٌ
حينًا به نال العِدى ما رامُوا

١٢ - فلقد صحونا وانتفى عنا الكرى
أبدًا ولسنا بعدَهُ سننام

١٣ - أو كان جَرَّحَنا الزمانُ بنابهِ
فجُروحنا بدمائكمْ تَلْتَئام

١٤ - ها نحن نبعثها عليكمْ ثورةً
عملاقةً يا أيها الأقزام

١٥ - فبكلِّ شبْرٍ نارُ حربٍ سُعِّرتْ
من هولِها قَعَدَ الكُماةُ وقاموا

١٦ - ثأرًا لأحرار الجزائر أنهم
ظلموا فتاهوا في العذاب وهاموا

١٧ - رامتْ فرنسا النَّيلَ من إيمانهم
كيمَا يُزعزِعَ عزمُهم فيُسَاموا

١٨ - ملأتْ بإخوتِنا الكرام سجونَها
حيثُ الظّما والجوع والآلام

١٩ - أين التمدُّنُ والحضارةُ منهمو
أهُمَا السَّفاهةُ أم هما الإجرام؟

٢٠ - أين العدالةُ والمساواةُ التي
نادى بها وتفوّه الظُّلام؟

☼☼☼☼

٢١ - قد شيَّدُوا - تبًا لهم - مجدًا على
أسسِ الغباوةِ والغرورِ يُقام

٢٢ - تاللهِ ما لانَتْ لهم قنواتُنا
غيبُ علينا أن نَذِلَّ وذام

٢٣ - شعبُ «الجزائر» في رباه نريدُه
حراً فلا قهرٌ ولا استخدام

٢٤ - ولئن أبى الأعداء تحقيقَ المنى
فبالاتحاد تحقُّقُ الأحلام

٢٥ - بالسَّيف إن السَّيفَ أعظمُ عُدَّةٍ
إن أخطأتْ عند اللقاء سهام

٢٦ - والخلدُ حقٌّ في الحياة لأمَّةٍ
لا الجَلدُ يرهبُها ولا الإعدام

٢٧ - فحذارِ منا يا «فرنسا» إنَّ في
أهاتِنا لو تعلمينَ جِسام

٢٨ - وأمامَ جيشكِ هُوَّةٌ تلقي بها
منهمْ وقد سَعُرَتْ لظاها الهَام

٢٩ - يا أيها الجبناء لا تستأسِدوا
في السلم أنتم في الحروب نَعَام

٣٠ - مهلاً فخاتمةُ المطاف لِحُكمِكمْ
سمٌ يَبيدُ الظالمين وَسَام

٣١ - شعبَ «الجزائر» متْ لتَحيَا إنما
يهبُ الحياةَ العزمُ والإقدام

٣٢ - شَتَّتْ بجمعكَ للأعادي شملَهم
في ثورةٍ ما شانَها إحْجَام

٣٣ - وأذِقْ «فرنسا» الموتَ أصنافًا كما
ذاقته قبلُ الفُرْسُ والأرْوَام

٣٤ - فقدِ استَحلَّت قتلكم في أرضِكمْ
وبَدا لها أنَّ الدفاعَ حَرَام

٣٥ - لم تَرْعَ فوقَ رحابِكم حُرُماتِكم
سُبِيَ النساءُ وشُرِّدَ الأيتام

٣٦ - صبرًا بني قومي فنيرانُ العِدا
بردٌ على رُسُلِ الهُدى وسَلام

٣٧ - فالنصرُ. ها هو قد أتاكم طائعًا
يزجيه من جيش العدا استِسْلام

٣٨ - ورأى السعادة شمسها قد أشرقت
وانجابَ عنَّا بالضياء ظلام

☼☼☼☼

٣٩ - لا يبعثُ الأمجادَ من بعدِ البِلَى
إلا يدٌ مفتولةٌ وحُسَام

٤٠ - وقوافلٌ من أمَّةٍ مقهورةٍ
تهوى النِّضالَ وقائدٌ مِقْدام

****

٧ - بهية الجشي(*)

١٣ - إلى جميلة

١ – إلى جميلةْ . . .
٢ – جميلة . . .
٣ – نداءٌ جميلٌ كاسم جميلةْ. .
٤ – جميلة. .
٥ – نداءٌ يضم معاني البطولةْ. .
٦ – وآثار سَلِّ الأظافر من إصبعيكِ. .
٧ – كرمزٍ يشير إلى ما ابتغيتِ. .
٨ – إن متِّ أنت يا جميلةْ. .
٩ – فالروح لا تموتْ. .
١٠ – وأرضنا الخضراء يا جميلةْ. .
١١ – أرض «الجزائر» المجاهدة النبيلةْ..
١٢ – تطفحُ بالدماء . .
١٣ – في الصبح والمساء. .
١٤ – تتلو علينا قصةَ البطولةْ. .
١٥ – اسمك للجزائر المناضلةْ. .
١٦ – وللمجاهد في كفاحه المرير. .

(*) شاعرة بحرينية
– المصدر : مجلة البحرين
– تشير المصادر إلى أنها كتبت قصيدتها ونشرت بمجلة البحرين في ٢ مايو ١٩٥٨ وكانت الشاعرة فتاة في الصف الرابع الثانوي.

١٧ – وللعروبةِ في جهادها الطويلْ . .

١٨ – اسمك يذكي من حماسةِ الجنود. .

١٩ – وموتكِ الشريف. .

٢٠ – يلهبُ ثورةَ الجزائر العظيمةْ. .

٢١ – موتك يا جميلةْ. .

٢٢ – وصمةُ عارٍ لفرنسا الطاغية. .

٢٣ – وتاجُ عزٍّ للجزائر المجاهدة. .

٢٤ – اسمك يا جميلةْ . .

٢٥ – كلُّ فتاةٍ اصبحت تريده. .

٢٦ – موتي. .

٢٧ – فإنَ الموتَ في سبيل الحقْ

٢٨ – مجدٌ وبطولةْ.

****

٨ - تقي البحارنة(*)

١٤ - تحية للجزائر في عيد استقلالها

١ - نَفْحُ «الجزائر» عاطرٌ رَطِبُ
وتُرابُها بالمكرُمات خَصيبُ

٢ - ونجومُها زهرٌ وتحت سمائها
إنْ يهتفِ الأحرارُ، فهْيَ تُجيب

٣ - أرضُ «الجزائر» لم تزلْ عربيةً
ونجيعُها بدمِ الشهيدِ خَضيب

٤ - جئنا نُحيِّيها وفي أعطافنا
شوقٌ.. وفي خَفقِ الفؤادِ وجيب

٥ - وتهامستْ شمُّ الجبال بذكرنا
وسعَتْ إلينا بالوِداد دروب

٦ - وسرَتْ إلينا من رُباها نسْمةٌ
ومن الجِنانِ عطرُها المسكوب

٧ - والشاطئُ الفتّانُ في أحضانه
دفءٌ وفي موجاته ترحيب

٨ - ودّعْتُها والنفسُ بَعْدُ مَشُوقةٌ
والقلبُ يغمُرُه أسًى .. ولَهيب

٩ - والشمسُ من جَزَعِ الفراقِ كأنّها
يغتالها قبلَ المغيب مَغيب

(*) شاعر بحريني
- المصدر : ديوان بنات الشعر

١٠ - مسحتْ مفاتِنُها جراحَ مناضلٍ
وسقَى الشهيدَ الغيثُ فهْوَ سَكُوب
١١ - ابقتْ لنا الأيامُ ذكرى ثورةٍ
من حولِها يزكو الشذا والطِّيب

****

٩ - ثريا قابل(*)

١٥ - لألئُ الدماء

١ - كالقلبِ يخفُقُ في العلاءْ
حلُمٌ تعطّرَ.. بالدماءْ

٢ - وسَما يغرّدُ للحياةِ
لحنُ البطولةِ والإباء

٣ - وعلى الثُّرى.. رسَمَ الأباةُ
لوحاتِ مجدٍ للبقاء

٤ - والثائرُ العملاقُ نصرٌ
هازجٌ «هالعيدُ جاء»(١)

٥ - يا أرضُ بشراكِ الضياء
بشراك في هذا الجزاء»

☼☼☼☼

٦ - حُريتي يا أمُّ يَحْـ
ـمِلُها الربيعُ غِذاء

٧ - لِيسِنِيْ جوعي السبـ
ـعِ لجراحِ أمجادي شفاء(٢)

☼☼☼☼

(*) شاعرة سعودية .
– نشرت في «الحياة» ٥ ابريل ١٩٦٢ .
– قدمت لقصيدتها بإهداء: إلى العَلَم الذي ارتفع خفاقاً في سماء الجزائر المستقلة
– المصدر : ديوان الأوزان الباكية
(١، ٢) هكذا في أصل الكتاب.

٨ - عاد الربيعُ جزائريٌّ

واعتادَ صَدّاحُ الغناء

٩ - يهدهده العلم الذي

خلقَ البطولةَ والفِداء[2]

١٠ - عَلَمٌ أبى التاريخ..

أن يُمْحى السناء[3]

١١ - فسَمَا إلى عالي الذرا

خفاقَ يسطعُ بالبَهاء

☼☼☼☼

١٢ - وطني وما زال الكفاحُ

بسواعِدي يعلي البناء

١٣ - تعليه من فوق السحاب

عربيةٌ دونَ خِباء

١٤ - وطني خصصتكَ بالجهود

والوعدُ ينجِزُه الوفاء

١٥ - ولسوف أدفعُ للخلود

كنزًا لآلئهُ الدِّماء

****

(٢ و٣) هكذا في أصل الكتاب.

١٦ - وشاء الجهاد(*)

١ – الا إنْ عَميتِ وغاضَ الضّياءْ
أنارتْ بلادي شموعُ البَهاءْ
٢ – وعودِ لأرضي.. لنفسي عزاءْ
ومِن عزِّ قومي.. لعيني رضاء

٭٭٭٭

٣ – الا إن عَميتِ وشحَّ الرجاءْ
بضوءِ عيوني فإنْ السّناء
٤ – نسيمُ بلادي نقيُّ الصّفاء
حياةٌ لخُلْدي لقَهرِ الفناء

٭٭٭٭

٥ – الا إنْ عميتِ وقلَّ الهناء
ففخرٌ لقلبي جَلالُ الجَلاء
٦ – ومجدٌ كبيرٌ فريدُ الرُّواء
يسمو بشعبي لعالي السّماء

٭٭٭٭

٧ – الا إنْ عميتِ وخابَ الرجاءْ
وقِيل مُحالٌ ورودُ الشّفاءْ
٨ – لقلتُ: كفاكمْ كفاكمْ هُرَاءْ
فعيني فداء.. وعزِّي وفاءْ

٭٭٭٭

(*) قدمت لقصيدتها بإهداء: إلى المجاهدة الجزائرية جميلة بوحريد على اثر قرار لاطباء القائل إنها مهددة بالعمى.
– نشرت في «الحياة» مايو – ١٩٦٢ .

٩ - الا إنْ غميتِ وغابَ الضّياء

وشاء الجهادُ سيولَ الدماء

١٠ - لأجلِ «الجزائر» يهون الفداء

فداء بلادي.. بلادُ السّخاء

****

١٠ - جنة القريني(*)

١٧ - في ذُرا الأوراس

١ - يعاتبني الصنوبرُ في ذرى الأوراسِ
٢ - ودفء الشمس تجذبه جديلةُ نخلةٌ
عبرت أثيرَ الضوء
٣ - واتحدَّت بغيمةِ نخلةٍ شرقية الخضره
توارت في رؤى الأشواق.

٭٭٭٭

٤ - تعاتبني مروجُ العطر
بين ضبابةِ الآفاق
٥ - كيف أزورها ، والحزن مُحتشِدٌ
٦ - بعينَيّ وحدتي الصمّاءُ
٧ - وكيف يظلُّ بحر الدمع مصطخباً بقلبي، والجنان هنا
٨ - تضمُّ وجودي الظمآن للأنسامِ صافية
٩ - تنفسها مياه النور
١٠ - فوق أصابع الشطآن
١١ - تحرسها جباه شم
١٢ - ترسم قصة التكوين
١٣ - في الغرب القصيِّ لقلبنا المؤار

(*) شاعرة كويتية
- القصيدة بتاريخ ١٩٨٦
- المصدر : ديوان من حدائق اللهب

١٤ – تعاتبني السماءُ هنا
١٥ – على حزني
١٦ – على ألمي
١٧ – على سأمِ اغتراب الروح
١٨ – لا تدري بأني بنتُ حزن الشرق
١٩ – بنتُ الدمع يحرقُ وجنةَ الصحراء
٢٠ – بنتُ الجرح يرجمُ في الخليج نزيفَه الفوار
٢١ – وأني بنت وعدٍ لم يزلْ في الحلمِ
٢٢ – والنيرانُ تحجبُ رؤيةَ الأحلام
٢٣ – وجئتُ هنا لكي أشكو
٢٤ – لشمسٍ ذاقت الظلمه
٢٥ – سنيناً قبل أن تولد
٢٦ – ومن فمها السني
٢٧ – تشعشعُ الأنوار
٢٨ – مددتُ يدي
٢٩ – أصافحُها . . .
٣٠ – فردت في ابتسامٍ أشقر : «بونجور»
٣١ – ورنَّتْ «راؤها» في السمع
٣٢ – «غيناً» غام فيها الكون
٣٣ – واختلط ابتسامُ الشمس بالبحر الصموتْ . .
٣٤ – بغفوة الوديان . .
٣٥ – وعدتُ أخاطبُ الوجدانْ . .
٣٦ – بأيِّ ملامح الأصوات أشكو همِّيَ الهدار؟
٣٧ – أحتمٌ أن أذيب «الضاد»
٣٨ – ألوي «راءنا» الفصحى لكي أشكو؟
٣٩ – ولَفَّ الصمتُ مزمارَ الشجَى الخفاقَ في صوتي
٤٠ – وجنحَ من شحوبِ الريح

٤١ – يدفعني إلى الأعماق
٤٢ – إلى نفقِ الأنينْ
٤٣ – وصخرةِ الأوهام
٤٤ – في صدرِ الأسى الدّفاقْ.

****

حسن السقاف(*)

١٨ - أصداء قضية الجزائر في هيئة الأمم

١ - أفديكِ من حُرَّةٍ أسفةْ
أتيحت لها محنةٌ في السنينْ

٢ - فصبرًا على الليلةِ السّادفة
ففجرك عمّا قريب يبينْ

٣ - لقد هانَ عندك خوض الحقوق

٤ - وما الحربُ إلا صقالُ السيوف

٥ - فسيري إلى يومك المشرق

٦ - عليك من الحقّ درعٌ حصينْ

٧ - ومن رونق الصدق نورٌ يبينْ

٨ - لوقع خطاك يهشُّ الثّرى

٩ - ويمشي لك الباطلُ القهقرى

١٠ - سلامٌ على الجحفلِ الصاعدْ
تهزُّ القلوبَ تراجيعهْ

١١ - كمنحدرِ السيل يطوي السهولْ
وتُفنى عليه فقاقيعهْ

١٢ - عجبتُ لمن يدّعي وصلَها

(*) حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، شاعر يمني.
- وثق قصيدته بأن ذكر بأنها نشرت في مجلة المنهل - عدد ربيع الأول عام ١٣٨٠ هـ.
- المصدر: ديوان عبر وعبرات

١٣ – وقــــد بات يَفْــــرَقُ من ظلّــهــــا

١٤ – ويومَ اطلّ كــــثــــيــــرُ الزحـــام

١٥ – فـــاين مـــراســيــهِ يلقي بهـــا

١٦ – إذا البــــغيُ مـــالَ بركن الصليب

١٧ – وســــار الـهـــلالُ إلى تِمّـــهِ

١٨ – وغـاضت بشـاشـةُ وجـهِ الحـبـيب

١٩ – وقـــــد بات يَحطبُ في حـــبلِه

٢٠ – هناك ســيــشــربُهـــا علقـمَـــا

٢١ – وثمّ ســـيــبكي عليــهـــا دمَـــا

٢٢ – ويا دولَ الغـــربِ كــيف البــقَـــا

وشَــرعُكِ قَــهْــرُ القــويِّ الضــعــيفْ

٢٣ – فطولي ومــاشـئت أن تقـصـري

فـــدنيـــاك مـــيـــزانُهـــا لا يَحِــيفْ

٢٤ – بروحي افــريقــيـــا في النضـــال

٢٥ – تقـــاتلُ كـــاللبـــوة الخـــادره

٢٦ – لقـد اخـصـبتْ ارضُـهـا بالرجـال

٢٧ – فـــقـــامت على امـــرها ســـاهره

٢٨ – ويا ســـاحـــرةً لا تمدّي الحِـبـــال

٢٩ – وإياكِ والآيـةَ السّـــــافِــــرةْ

٣٠ – تســـــاءلتُ هـل انتِ مـن آدم

فـــــقـــــالوا صــــحــــيح ولكنَّهْ

٣١ – فـــــقلتُ ومـن هـو ذاك الخَـليفْ

فـــــقـــــالوا يلجُّ بـه حـلِفــــــهْ

٣٢ – فـقـالوا صـدقتَ فـقـد حـيـرتَ

٣٣ – فكيف يصعدكم وصفة

٣٤ – مذاهب إبليس أفكارُنا

٣٥ – الستَ تراه مع الإنجليز

٣٦ – يَعيثُ فسادًا بكلِّ الدُّنا

****

١٩ - أهلَ الجزائر

١ - أهلَ «الجزائر» لا زالتْ بلادكُمو
تُبدي لنا من ضروبِ المجدِ أمثالا

٢ - أنتمْ شرعتمْ إلى نيل العلا قِدَمًا
فأحدثتْ في بلاد الغربِ زلزالا

٣ - مِن سوء حظِّ «فرنسا» وهْيَ مُدْبِرةٌ
أن تبتغي لكمو قهرًا وإذلالا

٤ - شبّتْ عليكم أتونَ الحرب باغيةً
فلم تجدْ في رحَاب الموت أنكالا

٥ - إني أرى قلمَ التاريخِ يرمقُكُمْ
ليملأ الدهر إكبارًا وإجْلالا

٦ - كالتْ لكمْ وسعَها حِقدًا وغطرسةً
فكِلتُموها بما كالتْ وإفضَالا

٧ - وهُمْ بنو البغْيِ نارُ الحربِ تلفحُهمْ
وأنتمُ الشُّبْرُ تزدادونَ تِصْقالا

٨ - وصارتِ الحرب فيكمْ سلوةً ورضَا
وعندهمْ صار مسُّ الحرب إنكالا

٩ - ما قام في طلب التحرير مثلُكُمْ
في شدّة البأس وجدانًا وأرْسَالا

١٠ - يا فتيةً في إسار الغدر كم فَصَمتْ
نفوسكمْ فيه للطغيان أغلالا

١١ – مـا كـان ظَنُّ «فـرنسـا» يوم غـدرَتِها
بأنهـا سـتـرى في الحـرب أهوالا

١٢ – ولم يَدُرْ بخـفـاف «السِّين» في خَلَدٍ
بأنكمْ تكسـبـون النصـرَ عُـزَّالا

١٣ – عـزائمٌ قـد أقـامت في جـوانحِكمْ
فـأعـقـبتْ في الفـرنسـيين بَلْبَـالا

١٤ – من ذا أرى كـ «ابْن بِلاَّ» في صـلابتـهِ
يكاد لو حـالَ لونُ الشَّـمسِ مـا حـالا

١٥ – في فـتيـةٍ آمنوا بالله واعـتـصـمـوا
فـجَـدَّدوا ذكـرَ أهل الكهف أمـثـالا

١٦ – يا وَيْحَ شعبِ «فرنسا» من سياستها
كم ذا تُجـرِّعُـه ثُكْلاً وإقـلالا

١٧ – ماذا ستجني «فرنسا» من قتالكمو
إلا تحـمُّلَ خـزيِ الدهرِ أثقـالا

١٨ – يهوي بها الحِلْفُ نحو العار منحدرًا
من حُـمـقِـهـا ويُريهـا النجمَ آمـالا

١٩ – مـا تلكَ «الأطلسيُّ» البـحـرُ والدُّهُ
بل أصلُه الذئبُ غـدارًا وغَـسَّـالا

٢٠ – مـا بالُه عـافَ حـربَ «الصين» معلنةً
وآثر الحـربَ خَلْفَ السِّـتـر إيغـالا

٢١ – همْ سـاسـةٌ غـصَّتِ الدنيا ببغْيِهمُ
والبـسـوها من الآلام سِـربالا

٢٢ – ويحَ الشعوبِ إذا ألتْ زعـامـتُـهـا
لمن يظلُّ بداءِ النقصِ مُـخْـتـالا

****

١٢ - حسن عبد الله القرشي(*)

٢٠ - ثورة الأحرار

١ - أسُودُ الشَّرى وليوثُ الأجَمْ
ومَنْ جثموا في الذُّرا و القِمَمْ

٢ - أثرتُمْ بثورتِكُمْ حُرةً
ونجْدتِكُمْ داجياتِ الظُّلَم

٣ - خذوا الحقَّ في مرة الدماء
وَرَوُّوه بالسَّيفِ لا بالقلم

٤ - وردُّوا عن الوطن المُستباح
شراةَ الأذى صُرَّعًا كالغنم

٥ - أرادوا لثورتِكُمْ نكسةً
و ثورتكُمْ من جهادِ وَدَم

٦ - فلا تألوا أن تُطيلوا الكفاحَ
فكَمْ ضَرِيَ الخصمُ ثم انهزم

٧ - و كم خَفِيَ الحقُّ ثمّ استبانَ
و كم ظهرَ الظُّلْمُ ثمّ انهدم

٨ - خذوهمْ على غِرَّةٍ إنّهمْ
سَليلو الهزائمِ منذُ القِدَم

(*) شاعر سعودي.
- المصدر: ديوانه - المجلد الأول - المجلد الثاني.

٩ - اسودٌ علينا وهم في القِراعِ
خَفافيشُ في جُحرِها تعتصِم

١٠ - ينادون بالعدل بئسَ المصيرُ
لِعَدلٍ يُقرِّرُ أنّا خَدَم

١١ - و يأبَوْنَ أن يَهَبُونا الحقوقَ
بدعوَى قصورٍ لنا في الهِمَم

١٢ - و دعوَى تأخُّرِنا عن لحَاقٍ
بِرَكْبِهِمُ بئسَ ركْبُ النَّدم

١٣ - لَعَمري وكم سَورَةٍ في النفوسِ
اتسبقُنا في الحُلوم العَجم ؟

١٤ - ويغدو الأبالسُ مستعمرينَ
ديارَ الكُماةِ مُذلّي الحَرَم ؟



١٥ - افيضوا علينا أساطيلَكُمْ
مِن الطائراتِ و صُبُّوا الحِمَم

١٦ - فلن تجِدوا غيرَ ذي عِزَّةٍ
يدافعُ عن حقِّه المُهتضَم

١٧ - و لن تجدوا غيرَ حُرِّ الطِّماحِ
مَنيعٍ على الهَوْلِ زاكي الشَّمَم



٢١ - ثوار الجزائر

١ - كم رحتُ أهفو نحوهم في حلَكِ الكفاحْ
٢ - لا يألون للضَّنَى ، للهولِ، للجراح
٣ - ويغزلون في الدُّجَى أجنحةَ الصباح
٤ - « ذؤابةُ الأوراسِ» لا يُرهبُهمْ سلاح
٥ - شراعهمْ يَهابه «القرصانُ» والرياح
٦ - ثاروا فيا أرضُ اشرقي بالمجد ، يا بطاح
٧ - وكلِّلي هاماتِهم بالغار يا أقاح !

٭٭٭٭

٨ - ثاروا ، وما عتادهمْ غيرُ لهيب الثأرْ
٩ - وغيرُ وهَجٍ لاقِحٍ في كَبِد الثوار
١٠ - وغيرُ آمالٍ زهتْ حتى غدَتْ كِبار
١١ - فنذروا الدماءَ حتى ينجليَ النهار
١٢ - ويخصبَ الثَّرى الطَّهور بالدم الفوَّار
١٣ - «جزائرٌ» قد ركلتْ بعزمِها الجَزار
١٤ - وخلَّفتْهُ مِثلَ عجلٍ واهنِ الخُوار !

٭٭٭٭

١٥ - سبعُ سنينَ؟ هل تنني عن مطلبٍ أحرار؟!
١٦ - وهل تهابُ أسْدُ غابٍ صرخةَ «استعمار» ؟
١٧ - أو هل تعوقُ سيرَها لمجدها الأخطار؟
١٨ - سبعُ سنينَ، هزَّتِ البغْيَ فلا قرار؟
١٩ - حتى غدا مُرنَّحًا من صفْعةِ الأطهار

٢٠ – مُهادِنًا وهو الجموحُ ، باديْ الأوزار !
٢١ – رداوةُ اليأسُ العقيمُ ، والأسى ، والعار!



٢٢ – قد عاد «طارقٌ» وعاد «السَّمحُ» للفتوح!
٢٣ – ودوَّت الجبالُ بالنشيد والسُّفوح
٢٤ – والبشرياتُ هلَّلتْ ، والأملُ الطموح
٢٥ – ففي «المحيط الأطلسي» فجرُنا يلوح
٢٦ – قد هتف الوادي غدًا تلتئمُ الجُروح
٢٧ – وتضحكُ الأزهار في موطننا الصبوح
٢٨ – موطنُنا صرحٌ يدكُّ هامةَ الصُّروح !



٢٩ – أبطالَ وادي النَّصرِ يا رفاقَنا الأسود
٣٠ – يا زارةً في وطني أيقظتِ الرُّقود
٣١ – فانتفضتْ من الثرى ألويةُ الجدود
٣٢ – يا فتيةً هشَّ لها تاريخنا العتيد
٣٣ – ما عَبِثَتْ في زحفها بالنار والحديد
٣٤ – يا موجةً قد هدرتْ واجتاحتِ الجليد
٣٥ – ففي «فرنسا» من صَداها حزَّةُ الوريد !



٣٦ – «جميلةُ» وأنت يا أنشودةَ الإباء
٣٧ – يا نغمةً تشعُّ بالطهر وبالصَّفاء
٣٨ – شهيدةٌ في وطني تضحكُ للفداء
٣٩ – أذكرْتِني «خولةَ» في موقفها الوضَّاء
٤٠ – لم تثنِها عن عزمها سلاسلُ الحياء
٤١ – وما «غزالةُ» لديك أنتِ و«الخنساء»
٤٢ – قد عددت في الديار من منارات الضياء !



****

٢٢ - سنسحق أعداءنا

١ - رفاقي إلى الملتقى
٢ - فثورتنا الماحقةْ
٣ - يؤججُها في الصدور الإباء
٤ - وتشعلها زمجراتُ الظماء
٥ - ستسحقُ أعداءَنا
٦ - تطهر أرجاءنا
٧ - ووثبتنا الصاعقةْ
٨ - ستجلو ظلاماتِنا
٩ - وتأسو جراحاتنا
١٠ - وتحطِّمُ منا القيود
١١ - قيود الأسى والهوان

☼☼☼☼

١٢ - رفاقي إلى الملتقى
١٣ - هنالك فوق الذرا
١٤ - وفي الشُرُفاتِ العلا
١٥ - تسطر منا الدماء
١٦ - نشيد البطولات والكبرياء
١٧ - ويقرع سمع الزمن
١٨ - صدانا ورغم المحن
١٩ - سنسحق أعداءنا
٢٠ - ندمر أرزاءَنا
٢١ - وترفع راياتِنا
٢٢ - ترفرف خفاقةً في السماء

٢٣ – ملونةً بغبار الفداء!

☼☼☼☼

٢٤ – رفاقي إلى الملتقى
٢٥ – إلى الملتقى يا رفاقْ
٢٦ – ألا فلنحلَّ الوثاقْ
٢٧ – ونطلق صفارةَ الانتقام
٢٨ – لكيما يسود السلامْ
٢٩ – دياراً دهاها اللئام
٣٠ – وأزرى بها الغادرونْ
٣١ – امستعمَرون ومستعبَدون؟
٣٢ – بدار بها يعرُبيُّ الكفاح؟
٣٣ – مُحالٌ مُحالٌ
٣٤ – فنحن رجال
٣٥ – وأشبالُ أسْدٍ نمَاها النضال
٣٦ – وتأبى العروبة أن تستكين

☼☼☼☼

٣٧ – رفاقي أجل يا رفاق
٣٨ – هلمُّوا فهذا المجال
٣٩ – مجالكم للقراع
٤٠ – هلمُّوا فليس الحديد
٤١ – إذا ما أردنا لأوطاننا
٤٢ – حياةَ الكرامةِ والانتصار
٤٣ – سوى القِ هشةِ تنثني
٤٤ – بكفِّ الوليد !
٤٥ – ويمحقها الحقُّ ماضي السلاح

☼☼☼☼

٤٦ – رفاقي إلى الملتقى

٤٧ – وإن خابَ منا الرجاءْ
٤٨ – فهيهاتَ يخبو الضّياء
٤٩ – فإنَّ بأشلائنا
٥٠ – نداءٌ لأولادنا
٥١ – يدوّي وأحفادنا
٥٢ – وأمتنا الكادحةْ
٥٣ – نداءُ الضُّحَى الأسعد
٥٤ – يظلُّ طهورَ اليد
٥٥ – ويمسحُ بالدم أعلامنا
٥٦ – وينشرُ في الكونِ أمجادَنا

✡✡✡✡

٥٧ – رفاقي رفاق العذابْ
٥٨ – ألا إننا أمةٌ لا تهاب
٥٩ – فحتّامَ تحفظ عهدَ الكلاب
٦٠ – وهم ينهشونَ بأعراضِنا
٦١ – وهم يستبيحون أقواتَنا
٦٢ – ويستأثرون بخيراتِنا
٦٣ – وإنْ صاحَ من جورهم مستجير
٦٤ – سقوه كؤوسَ الهوان
٦٥ – وكمُّوا صدى صوته أن يسير
٦٦ – ليسمعَهم لعناتِ الجموعْ
٦٧ – يُسَرْبِلها بؤسُ ذلٍّ وجوعْ
٦٨ – ألا فلْنخُطَّ سطورَ الغد
٦٩ – فإنّا – رفاقي – على موعد
٧٠ – مع النصر في فجر يومٍ قريب !

****

٢٣ - كفاح مقدس(*)

١ - في الذُرا فوق قمّةٍ شمّاءِ!
طرّزتْها النجومُ بالأضواءِ

٢ - هتف المجدُ في عنان السّماءِ
وتجلّى الإخاءُ .. يا للإخاءِ

٣ - في نفوس الأُباةِ والكرماءِ
فصَحا الغربُ من زئير الفداء

٤ - وتعالى النداءُ تِلوَ النداءِ
نحن في ثورةٍ على الأعداء

٥ - من سَقَوْنا بأكؤسِ اللؤماءِ
مَن رأوْنا العبيدَ للدُخَلاء

٦ - يا لهم من حُثالةٍ دهماءِ
يا لهمْ من نفايةٍ رَعْناء

٧ - من بقايا «الجرمان» أسِّ البلاءِ
حشَدُونا في الحرب للإفناء

٨ - حسبونا سوائمًا لأحياءِ
واستعزُّوا بأرضنا الخضراء

٩ - بادلونا بالخير شرَّ جزاءِ
والخياناتِ رغمَ أنفِ الوفاء

١٠ - كمْ طوينا مواجعَ البغضاءِ
في صدورٍ محمومةِ الأرزاء

(*) ألقيت في المهرجان الكبير – الذي أقيم بمدينة الطائف تحية لاستقلال الجزائر.

١١ – ونفوسٍ تفيضُ بالبأساءِ
ثم ثرنا للحقِّ للكبرياء

١٢ – لنساءٍ كرائمٍ في الإباءِ
وشبولٍ نورِ الحمى أبرياء

٭٭٭٭

١٣ – في الدُّجى وانتفاضةِ الأحرارِ
تتهادى وصرخةُ الثوارِ

١٤ – راعَ «باريسَ» صاعقُ التزارِ
ودهاها تدفُّقِ الإعصَار

١٥ – يتعالى كمارجٍ من نارِ
فتنادتْ في نشوةٍ من خِمار

١٦ – تتحدى طلائعَ التَّيار
يا لها من مُبَاءةِ استِهتَار

١٧ – إيهِ «باريس» خفِّفي من سُعَارِ
قد تجلَّى الظلامُ عن إسفار

١٨ – لستِ أهلاً للغُرْبِ في مِضمارِ
رغمَ ما فيكِ من فنون الدَّمار

١٩ – قد كفى الغُربَ منكِ ذلُّ إسارِ
وحصارٍ صنعْتِ أيَّ حصار

٢٠ – فانزعي عنكِ من ثيابِ الوقارِ
واشربي الكأسَ جَمَّةَ الأكْدار

٢١ – واستعدي لصولةٍ وانحسارِ
عن بلادِ الأمجادِ والأخْيَار

٢٢ – فهمو اليومَ كاللَّظَى كالشرارِ
ثم هل تبتغين من أطهار؟

٢٣ – ساءَهمْ منكِ ايُّ خنفرٍ جُوارٍ؟
وشَجتهمْ مصارعُ الأبرار ؟

٢٤ – واساهمْ تكالُبُ استعمارٍ؟
رحمةٌ بالعدو عند الثار؟



٢٥ – إشحذي من مُدَاك، هاتي الخناجرْ
واحْشدي للنضال كلَّ مُكابرْ

٢٦ – وابعثي للقتال غِراً وخاسرْ
انهكتهُ مخادعٌ للفَواجر

٢٧ – او حقودًا في طيشه جِدُّ سادرْ
جمعَ البغيَ في قرارةِ جائر

٢٨ – وَلْوِلي في محافلٍ وسوامرْ
واجمعي الأصدقاءَ حولَ المقابر

٢٩ – إيهِ «باريسَ» واصرعي كلَّ ثائرْ
واسكُبي من دمِ الجِنان الحَرائر

٣٠ – لا تُبالي بأدمعٍ في المحاجرْ
استعيري (السّلاحَ) امْضَى بواتر

٣١ – ليس يحميكِ من مصيرِ المقامرْ
فجبالُ «الأوراسِ» حصنُ البشائر

٣٢ – و «البرانس» العُقَابُ أمنعُ قاهرْ
والشبابُ الشبابُ أشدُّ كَواسر

٣٣ – يمنحون الأوطانَ أغلى الذخائرْ
إسألي «طارقَ» الفتوحِ المُبادر

٣٤ – واسألي «الغافقيَّ» رمزَ المخاطرْ
لا تُبيدُ الشعوبَ وطأةُ غادر

٣٥ – أو يَذِلُّ الأبطالَ حَـــرُّ الجمـــارِزْ

فـحـمـــاةُ الحِـمَى نـثابٌ كـواســر

٣٦ – إمـــلاي الكونَ من عـــويلٍ عـــاثرِ

فلقــد فـــارقـــتْكِ أرضُ «الجـــزائر»

☆☆☆☆

٣٧ – أرضُنا للفـــداءِ والتـــوحـــيـــدِ!

لـكـفـــــــاحٍ لـنَـيـلِ حـقٍّ بـديـدِ

٣٨ – لجـــدودٍ لوالـدٍ لحـــفـــيـــدِ

ليس تُهْـدَى لسـاخـرٍ وحـســود!

٣٩ – من رُبَانا أطلَّ أكـــرمُ عـــيـــدِ

من حِـمـانا سَـمـا (رسـولُ الوجـود)

٤٠ – فـتـهـاوى الظلام فـوق الصـعـيـدِ

وزَهَا الـكونُ بـالضّـيـــاءِ الجـــديد

٤١ – فـاســألوا أرضَنا عن «ابن الوليـدِ»

واســألوهـا عن كلِّ قَـــرْمٍ عنيــد

٤٢ – أرضُنا للعلوم للتـــجـــديدِ

ليس ترضـى بِتُـــرَّهَاتِ الجُـــمُـــود

٤٣ – أرضُنا للفنون أرضُ النشـــيـــدِ

يتـســامى مُـذ كـان عـهـدُ «الرشـيـد»

٤٤ – وفـتـــاةُ «المأمــونِ» فَـذُّ الجـدودِ

أرضُنـا أرضُ شِـــرْعَـــةٍ وخـلـود

٤٥ – وســـلامٍ مـــرفـــرفٍ ممدودِ

أرضنا لـلإخـــاء والتـــشـــيـــيـــد

٤٦ – يتـســاوى في سـيِّـدٍ ومَسُـودِ

أرضُنا للوفـــاءِ لا للجـــحـــود

٤٧ - أرضُنا للأسودِ لا للعبيدِ

هي إشراقةُ السَّنا والجُودِ

٤٨ - هي عنوانُ كلِّ مجدٍ عتيدِ

وهْيَ للبغيِ حَزَّةٌ في الوريدِ!

☼☼☼☼

٤٩ - ثم دارتْ على البُغاةِ الدوائرْ

واستقلَّتْ أرضي بلادُ «الجزائرْ»

٥٠ - رغمَ حقدٍ من العدوِّ المغامرْ

رغم سبعٍ من السنين الثَّوائرِ

٥١ - بعدَ مَا أزهرتْ دماً جِدُّ فائرْ

زهراتٍ من الشبابِ الأكابرِ

٥٢ - ومئاتِ الألوفِ من كلِّ صابرْ

زُمَرٌ للفداءِ ملءُ النواظرِ

٥٣ - كلُّهم صُرِّعُوا ضحيةَ كافرْ

ثَملٍ مِنْ دمِ الملايينِ فاجرِ

٥٤ - حَسِبَ اللهَ غافلاً غيرَ قادرْ

إنه مالكُ الجِمَى لا مكابرِ

٥٥ - استقلت أرضي برغم الخسائرْ

فَسَرَتْ في القلوب أحلى البشائرِ

٥٦ - لا يعيدُ الحظوظَ وهْيَ عواثرْ

غيرُ بشرَى بالنصرِ في كل سامرِ

٥٧ - وجهادٌ تَذلُّ منه الجبابرْ

يابلادي يا مشعلاً للمفاخرِ

٥٨ - ياظلالَ المُنى ويوحَ الخواطرْ

يا تراثًا شَدا به كلُّ شاعرِ

٥٩ – يانشيداً من القرون الزواهرْ

هو سحرُ الأجيال نورُ البصائر

٦٠ – يا حُداة التاريخ خفقَ الضمائرْ

إفسحي للعُلا مكانَ «الجزائر»

☼☼☼☼

٦١ – استريحي جماجمَ الشهداءِ

وتسامي في (جنّة) فيحاءِ

٦٢ – راعدُ الصوتِ قد سَرَى في الفضاءِ

وتعالى الزئيرُ في البيداء

٦٣ – قد أخذنا الحقوقَ دون امتراءِ

وجزينا بأرضنا السمراء

٦٤ – أرض «أفريقيا» مِهادُ الإباءِ

ومنارُ الفتوح نبعُ الضّياء

٦٥ – في ثراها سما أعزُّ لواءِ

وتجلتْ أُخُوّةُ الأقرباء

٦٦ – إيهِ «وهرانُ» ردّدي في الفضاءِ

أغنياتِ العروبةِ الشّماء

٦٧ – ذكرياتٌ تُهدَى لخيرِ مساءِ

وصباحٍ مُعطّرِ الأنداء

٦٨ – واذكري في الجهاد والسّراءِ

في بلاد (العروبة) الزهراء

٦٩ – من «فلسطينَ» موطنِ الأنبياءِ

هي غرقَى في اليأسِ في الظّلماء

٧٠ – وهي ترنو دومًا لـ «غارِ حِراء»

والأباةِ الأماجدِ الأوفياء

٧١ - فلقد رُوِّعتْ بسهم القضاءِ
واستُبيحتْ من أخبثِ الدخلاء

٧٢ - فانصروها يا فتيةَ الصحراءِ
ترفَعُوا للديار أعلى البناء !

****

١٣ - حسن نعمة(*)

٢٤ - أم الفداء

١ - أمُّ الفداءِ وساحةُ الشهداءِ
ومحطُّ آمالي وكلُّ رجائي

٢ - أمَّ الفِدا أزكى السَّلام على الفدا
وعليك يا أنشودةَ الشُّعراء

٣ - محبوبةَ الأحرارِ أنت هززتني
هزَّ الغصونِ بصَرْصَرٍ هوجاء

٤ - فنهَلتُ منكِ وأنت أطيبُ منهلٍ
للثائرينَ قصيدتي وغنائي

٥ - وصنعتُ أشعاري وبرَّحني الهوى
فأتمَّ إيماني وزاد ولائي

٦ - أنا فيكِ هيمانٌ وفيك مُتيَّمٌ
من فَرطِ إحساسي وفَرْطِ وفائي

٧ - أنا في هوى الأحرارِ صرتُ معذَّباً
ومُوَلَّهاً يرنو لخير لقاء

٨ - يا لهفَ نفسي كم أحنُّ إلى الغِنا
فرحاً بعيد عروبتي ولوائي

(*) شاعر قطري.
- تذكر عبارة في صدر القصيدة أنها ألقيت في الحفل الذي أقامته الأندية الوطنية بنادي الخليج العربي ابتهاجاً بعيد استقلال الجزائر، عام ١٩٦٢م.
- المصدر : وميض البرق (مجموعة شعرية لشعراء الفصحى في قطر)

٩ - بك يا «جزائرُ» قد بدأتُ قصيدتي
ولمثلِ شعبِك قد بعثتُ ثنائي
١٠ - وصنعتُ أشعاري وما أنا شاعرٌ
إلاّ بحَرِّ النارِ في أحشائي
١١ - قلبي لقد عشق العلا .. وعلاهُ في
أرض «الجزائر» موطنِ العلياء
١٢ - وغدَا بـ «أوراسِ» الأباةِ مُعلَّقاً
كتعلُّقِ الأبناء والآباء
١٣ - «أوراسُ» أيَّةُ روعةٍ أخَّاذةٍ
عَظُمتْ.. وأيةُ وثبةٍ عصْمَاء؟!
١٤ - بل أيُّ عيدٍ؟ أيُّ نصرٍ حاسمٍ
قدْ هزَّ باسْمك أبعدَ الأنحاء؟!
١٥ - «أوراسُ» أيَّةُ بهجةٍ موفورةٍ
هلَّتْ عليكَ بطلقةٍ غرَّاء؟!
١٦ - بل أيُّ شعبٍ في الشدائد صامدٍ
يهبُ المشاعرَ لفحةَ الرَّمْضَاء؟!
١٧ - «أوراسُ» يا ترنيمَةَ الحدَّاءِ
يا قلعةَ الأبطال يا حصنَ «النضال» (!)
١٨ - يا ساحةَ الأبرار والشهداءِ
يا شُعلةً في ليلةٍ ظَلمَاء
١٩ - يا ملعبَ الثوارِ قهَّارَ الرَّدى
يا مَنيَةَ الأحرارِ والشُّرَفاء
٢٠ - يا منبراً منه نداءاتُ المنى
ومنارةً للهَدْيِ في الغبراء
٢١ - يا أغنياتِ الحقِّ ينشدها الورى
يا جسرَ أرواحٍ وفيضَ دماء

٢٢ - اليوم يومُ النصر لا يومُ الأذى
والبغي والتدمير والإفناء
٢٣ - اليومَ نصرُكِ قد تحقَّقَ فاهنئي
وتمايلي بالزهو والخُيَلاء
٢٤ - وتطلَّعي نحوَ السَّماءِ فقد بدَتْ
مغمورةً بالنشوةِ السَّمحاء
٢٥ - نصرٌ يطلُّ به الفخارُ لأمَّةٍ
عَرَكَتْ صروفَ الدَّهرِ بالبأساء
٢٦ - نصرٌ يطلُّ على الدُّنا ببيارقٍ
خفاقةٍ عربيةِ السِّيماء
٢٧ - خطَّافةٌ في الداجياتِ كأنها
برقٌ بتلك الفيحةِ السوداء
٢٨ - اليومَ نصرُكِ قد تحقق فالبسي
أزهى الثياب وأجملَ الأزياء
٢٩ - تيهي بأمجاد العروبةِ وانعَمي
في ظلِّ خَيْرٍ دائمٍ وهناء
٣٠ - غنِّي طلوعَ الفجر.. غنِّي.. إنما
دنياكِ دنيا عِزَّةٍ وإباء
٣١ - غنِّي نشيدَ الظافرين فقد دَوَى
في الأرض صوتُ كتائبٍ عَزْبَاء
٣٢ - غنِّي أناشيدَ المعاركِ في الوغى
وروائعَ الأبطالِ والعُظَماء
٣٣ - هذا هو النَّصرُ الذي ترنو لَهُ
ساحُ الجهادِ وملعبُ البُسَلاء
٣٤ - هذا هو اليومُ الذي تعلو به
أنشودةُ الحريةِ الحمراء

٣٥ – هذا هو الزهرُ الذي يستافُ من
روض الفدا وحديقةِ الأحياء

٣٦ – هذا هو الشعبُ الذي نال المنى
متحرِّراً من طُغمةٍ حمقاء

٣٧ – متحدراً كالسَّيل لم يخشَ الحَصى
متوشِّحًا بقصيدةٍ عصماء

٣٨ – غابُ الأسودِ ومعقلُ المجد الذي
يسمو بموكبِهِ على الجَوزاء

٣٩ – ورجالُ حزْبٍ لا تلينُ قناتهُمْ
للعَسْفِ للإرهابِ للأنْواء

٤٠ – الزاحفونَ على الجبالِ جحافلاً
رَفَعَتْ بدربِ الخُلد خيرَ لواء

٤١ – الواثبونَ الطافحونَ عزيمةً
للمجدِ وثُبَةَ هِمَّةٍ ومَضاء

٤٢ – السَّائرونَ على الصعابِ أشاوسًا
في الدرب دربِ العزَّةِ القَعْساء

٤٣ – الباذلون النفسَ في ريعَانِها
للحقِّ رمزُ فِدًى ورمزُ إباء

٤٤ – العاقدون العزمَ أن يتبوَّؤا
في المجد مرتبةً وفي العلياء

٤٥ – يمشونَ في الهيجاء مِشْيَةَ واثقٍ
متأكدٍ بالنصر في الهيجاء

٤٦ – وتلوحُ في قبضاتِهم حُمرُ الظُّبا
تملأن بالإعجاب عين الرائي

٤٧ – قد أقسموا في أن يطيحَ لوقعِها
هامُ الطغاةِ مهشَّمَ الأعضاء

٤٨ – يفدُونَ للوطن الحبيبِ وللحِمَى
ما تفتديه الأمُّ للأبناء
٤٩ – غُرُّ الوجوهِ ينيرُ من قسماتهم
قبسٌ يبدّدُ جَهْمَةَ الظّلْماء
٥٠ – قبس يُشعُّ على الدُّنا أنوارَهُ
ويشيع فيها أعطرَ الأنداء
٥١ – ويمدُّ فيها الثائرينَ عزيمةً
ويلوّنُ الآفاقَ بالأضواء
٥٢ – قبَسٌ يضيء له دروباً جمَّةً
للخير مُشرِقةً وللنُّعْماء
٥٣ – لله درُّكِ كلُّ شعبك ثائرٌ
يُردي الدخيلَ بزحفِه المِضّاء
٥٤ – ويزيحُ عن أرض العروبةِ ليلَهَا
وسكونَها الجَاثي على الصحراء
٥٥ – ويضيء في الليل البَهيم مشاعلاً
تهدي السُّراةَ إلى البعيد النائي
٥٦ – ويُحطِّمُ الجهلَ الشيِّدَ صرحُهُ
فوق العقول كغيمةٍ عمياء
٥٧ – ويُبَيِّنُ الحقَّ الصُّراحَ مُبَلَّجاً
ألقَ البيان مُوَضِّحَ الآلاء
٥٨ – أنجبْتِه في المعمَعَاتِ مناضلاً
أعيا الطغاة بنهجِه البنَّاء
٥٩ – انجبْتِه فتلألأتْ أنوارُه
وضَّاءةً بك أيما لألاء
٦٠ – انجبْتِه وخلقْتِه متفائلاً
بالنصر يومَ الرَّوعِ والأهْوَاء

٦١ - ومــثــابراً يحظى الكرامــة بالنُّهى
والسَّــعيُ ســعيُ رجــولةٍ ووفـــاء
٦٢ - ومـجـاهداً يعطي الرسـالة حـقَّـها
ويُتِـــمُّـــهَـــا بـالحقِّ والإيداء
٦٣ - غـذّيتـهِ حُبُّ الذيادِ عن الحِـمى
والمجـدِ والحـريةِ الحـمـراء
٦٤ - عَلَّمْتِـه يفْـتـرُ مـبـتـسـماً إذا
قَـســتْ الظروفُ عليـه بالإيذاء
٦٥ - قـدَّسـتِـه لم يخش مُـعـتَـرك الردَى
حـيث الرصـاص مُلعلِعُ الأصْـدَاء
٦٦ - قـدَّسـتِـه في الصـولجـان مـبـارزاً
من دون مـا كلَلٍ ولا إعِـيـاء
٦٧ - يمضي إلى الحَلَبَـات يعـمُـرُ قلبـه
عـزمٌ يثـيـر الرعبَ في الأعـداء
٦٨ - لله درُّك كلُّ يومك حـاشـدٌ
بالمعـجـزاتِ وأروع الأنبـاء
٦٩ - آياتُك الغـراءِ باقـيـةٌ لنا
كـالدهر رمـزُ عـروبةٍ وعـلاء
٧٠ - تجـتـاحني الذكرى بشـعبكِ كلَّما
خَلَدي تصـفَّحَ دفـتـرَ الإطراء
٧١ - اتذكَّـرُ الماضي الوقـورَ فـازدهي
جَـذلان مـن الـفـربـه أو يـاء
٧٢ - وافـيقُ من حلمي وقـد ذهبتْ سُـدَى
مـا خلَّفَ الماضـون من أشـيـاء
٧٣ - أواه نحن الأكـرمـون من الورَى
انعـيشُ في ذلٍّ وفي اسـتـجـداء

٧٤ – أنظلُّ أشتاتاً يمزقُنا العِدا
متخلفينَ مبعثري الأشلاء

٧٥ – لَهفي على وطني فهل من نهلَةٍ
تُطفي الأوارَ بأعذَبِ الإرواء

٧٦ – لهفي على وطني فهل من وحدَةٍ
تمحو رسومَ الحقدِ والبغْضاء

٧٧ – وتعيدُ للتاريخ سُؤْددَ أمّةٍ
سبّاقةٍ برجالها الأكْفاء

٧٨ – مضّاءةٍ في السيرِ ليس يروعُها
هَولُ الخطوبِ وشدّةُ الأرزاء؟

****

١٤ - حمد الحجي(*)

٢٥ - صدى يوم الجزائر

١ - أمسيتُ ارتقبُ الصباحَ طويلا
وزايتُ ليلي في المسيرِ ثقيلا

٢ - حتى بدا الفجرُ الضحوكُ فابصَرتْ
عيناي صُبْحًا باسمًا و جميلا

٣ - « يومُ الجزائر » قدْ أطلَّ كأنه
عيدٌ يصافِحُه الورى تقبيلا

٤ - يومٌ به أهل المكارم و النُّهَى
يتلوا النفيسَ : مع الدقيقِ جليلا

٥ - يومٌ لِهَيْبَتِه رأيتُ عجائبًا
كيسُ البخيلِ به غدا مَحلُولا

٦ - المسلمون ترقَّبوه فكبَّروا
لما رأوْهُ و هلَّلُوا تهليلا

☼☼☼☼

٧ - يا مُنفقينَ بغيرِ مَنٍّ منكمو
قد كان هذا منكمُ المَأمُولا

٨ - جُدتُمْ بخير المال من أيديكمو
ورأيتُمُ البذلَ الكثيرَ قليلا

(*) شاعر سعودي .

- المصدر: شعراء نجد المعاصرون .

٩ - هذي عطاياكمْ جزالاً قد بَدَتْ

للمُجتلي والمَنُّ ليس جزيلا

١٠ - لا خيرَ في المال الوفيرِ ينالُهُ

من لا تَراهُ باذلاً و مُنيلا

☼☼☼☼

١١ - عجبًا « فرنسا » قد تَدَجَّى ليلُها

فمضتْ تكبّلُ غيرَها تكبيلا

١٢ - كم من بريءٍ في «الجزائر» هادئٍ

أخذوه في أصفادِهمْ مغلُولا

١٣ - كم شيخِ قومٍ طاعنٍ في سِنِّه

طعنُوه حتى جندلُوه قتيلا

١٤ - كم من فتاةٍ قد أباحوا عِرضَها

ما منهمْ أحدٌ بذاك حَفيلا

١٥ - كم أخرجوا من راتعٍ في نِعْمةٍ

فراهمو شراً عليه وبيلا

١٦ - كم من مكانٍ آهلٍ مُستوطَنٍ

جاءوا فأخلوا ربعَهُ المأهُولا

☼☼☼☼

١٧ - مذ حلَّ جيشُ الظلمِ في أوطانهم

ما استنشَقُوا فيها صَبًا و قبولا

١٨ - إلا صَبا الحريةِ الحمرا فقدْ

هبّتْ عليهم بكرةً وأصيلا

☼☼☼☼

١٩ - إن كنت ليلاً يا «فرنساء» حالكًا

فبنو «الجزائر» أشعَلُوا القِنْديلا

٢٠ - او كنتِ ذئباً ضارياً فـاراهمـو
اسْداً حمَتْ اجامَها والغيلا
٢١ - الثورةُ الحمراءُ من ابنائها
شبَّت فكنْتِ وقودها المَاكولا
٢٢ - إنَّ «الجزائرَ» من مواطن يَعْرُبٍ
ولو استمرَّ نضالُه موصولا
٢٣ - ما للفرنسيينَ في جنباتِه
سَكنٌ وإن طلبوا لديه مَقيلا

☼☼☼☼

٢٤ - يابنَ «الجزائر» قفْ بأرضك واحْمِها
حتى تُطهِّرَ عَرضَها و الطولا
٢٥ - سِرْ في أمانِ الله واحثُثْ الخُطَا
وادفع امام الغاصبينَ الغُولا
٢٦ - لاتسأمنَّ من الجهادِ وطولهِ
أوَليس سعيُك للجليل جَليلا ؟
٢٧ - إنَّ البلادَ بأهلها ؛ فبعزمِهمْ
يَبنى لها المجدُ الرفيعُ اثيلا
٢٨ - وإذا همو جبنوا وشاع خلافُهمْ
حلَّ البلاءُ على البلاد نَزيلا

****

١٥ - حميد بن عبدالله سرور(*)

٢٦ - مليون النصر

١ - المجدُ يزهو ويزكو روضُةُ النضِرُ
حيث القنابلُ لا تُبقي ولا تَذرُ

٢ - حيثُ العزائمُ ادهى من قنابلها
حيث المماتُ وحيثُ الوِردُ والصَّدَر

٣ - حيث السياسةُ شورى بين قادتِها
إمامُهمْ نورُ ما جاءتْ به السُّور

٤ - لله قومٌ على حرب العِدا وُلِدُوا
فعانقوها لباسًا وهْيَ تستعِر

٥ - مليونُ شهمٍ من الابطال قد قُتِلوا
في نَيْل حريّةٍ يا حبّذا الوطَر

٦ - خَالوا «الجزائر» عطشى للدما شَرفاً
فامطروها دمًا فاخْضَرّتِ الجُزُر

٧ - سَقَوا عدوَّهمُ من سيفِهم سَقَرًا
حربًا ضروساً وما ادراكَ ما سَقَر

٨ - وصارعوا طائرات الخصم حاضنةً
شرَّ القنابلِ يرميهم بها البَطَر

(*) شاعر عماني.
- قال قصيدته يوم أعلن الراديو في عام (١٩٦٢) استقلال الجزائر، وكان الشاعر فوق نخلة في أحد بساتينه، يقول: إن السرور كاد أن يحلق به من فوق النخلة، وانه كتب قصيدته على ذراعه وعلى يده واصابعه، حين اعجزه - في موقعه - وجود الورق!! .
- المصدر : ديوان أبي سرور.

٩ - فعانقوها وما هانوا وما ضعفوا
وما استكانوا وكانوا الصبرَ فانتصروا

١٠ - ومَن يمتْ في سبيل الله حقٌّ له
برٌّ وعزٌّ به العلياءُ تفتخر

١١ - يا غاشيًا أرضنا حربًا ومغتصبًا
ظلمًا ألم تغنِك الآياتُ والنُّذر

١٢ - أما قرأتَ عن الماضي صحائفنا
بأنها الموتُ لا بَرْدٌ ولا خَوَر

١٣ - نحن الأُلى دوَّخوا الدنيا كما هَويتْ
رماحُنا لا كما شاءتْ لنا غُصُر

١٤ - ألذُّ شيءٍ على الأحرار موتُهمُ
في عزِّهمْ نطقَ الصاروخُ لا الوتر

١٥ - فيا «فرنسا» أجيبي ما أقول به
وما جوابُ قتيلٍ مَا له أثر

١٦ - لم يُخْلَقِ الذلُّ للأحرار في زمنٍ
لكنْ لمن ظَلَمُوا الأحرارَ أو بَطِرُوا

١٧ - فمَن يَشَا فارقَ الدنيا بمدفعِنا
ومَن يشَا العيشَ لم يطمعْ به البطَر

١٨ - تحيا «الجزائر» في عزٍّ وفي شرفٍ
سعيدةً وعدوُّ الله منتحر

١٩ - يا ليتني معكمْ والحربُ كاشرةٌ
عن نابِها ويكفِّي الصارمُ الذَّكر

****

١٦ - خالد عبد اللطيف الشايجي(*)

٢٧ - الجزائر

١ - أنا الشرقُ حيثُ الشمسُ تُشرقُ موطني
وحيث تغيبُ الشمسُ في الغرب مَغربي

٢ - بلادي بلادُ الله والنورِ والهُدَى
يجولُ بها وحيُ الإلهِ ويجتبي

٣ - وحريتي لا يقدرُ القيدُ قهرَها
وأنّى يكنْ للنور مدعاةُ تذهب

٤ - لنا في حضاراتِ الزمان وركْبِه
أيادٍ وفرسانٌ على كلِّ ملعب

٥ - ففي أمّتي كلُّ الرسالاتِ أُنزِلتْ
وفي أمّتي هَديُ النُّبوّاتِ والنبي

٦ - وفي أمتي في كلِّ جيلٍ كرامةٌ
تضيء إذا الخطبُ ادلَهمّ كَغيهَب

٧ - وكان لكُمْ في العالمين مهابةٌ
وكان عَنانُ السّبقِ في الجَدِّ والأب

٨ - فكيف تنادي الناسَ للنور والهُدَى
ويذهب فينا الجهلُ في كلِّ مَذهب

(*) شاعر كويتي
- المصدر : ديوان حديث العروبة

٩ – فما بالُنا شطَّتْ مقاصدُ دربِنا

وصِرنا عبيداً في نخاسةِ اجنبي

١٠ – إلامَ نُعاني من ظلامةِ نفسِنا

وتفريق هذا الجمعِ في كلِّ مثلب

١١ – فكم أنَّ هذا الشرقَ من ويلِ أمَّةٍ

تعاهدتِ التفريطَ في أيِّ مَطْلبِ

١٢ – كَفانا من الاعداء وهْنًا وفُرْقةً

وقد ركبوا في قهرِنا كلَّ مَركَبِ

١٣ – وما الكثرةُ الجُلّى تحققُ مطلباً

بلا قوةٍ عظمَى ووَحْدةِ مَأربِ

١٤ – وإنَّا وإنْ سارتْ خطوبٌ بِبينِنا

فأنتمْ فروعٌ من أرومةٍ يعْرُبِ

١٥ – فإنْ سالَ جرحٌ في «الجزائر» خاضِبٌ

تَسيلُ منه في الشرقِ القلوبُ وتُخْضَبُ

١٦ – وإن باعدتْ أقدارُنا ببلادِنا

فما زلتَ في قلبي وقربُكَ مطلَبي

١٧ – من الشرق جِئنا للجزائر مغرِباً

لتأكيدِ قُربي في البلادِ ومَنْسَبي

١٨ – نهنّي وندعو للجزائر أمرَها

سلامًا وأمنًا رغمَ كلِّ مُكذِّب

١٩ – فأنتمْ مِثالٌ للكفاح وللفدا

وأقوى على جمع الشَّتاتِ المغرَّبِ

٢٠ – وقربانُكمْ مليونُ مُستشهدٍ أتوْا

بموكبِ حُرّيّاتِنا المُتَلجِّبِ

٢١ – وأحفادُ أبطالِ الفتوحِ ومَدِّها

أتوْا بالمنى من بينِ نابٍ ومِخْلَبِ

٢٣ - بنيتمْ لنا في مغرب الارض مجْدَنا

يشعُ فيخفي نورُه كلَّ كوكبِ

٢٤ - هنيئا لكم هذا القِيادُ وليس مَنْ

يقودُ إلى الإصلاحِ مِثْلَ مُخرِّبِ

٢٥ - ويرفعُ مِن قدر النفوسِ سموُّها

إلى المثَلِ الاعلى وامْرِ مُحَبَّبْ

٢٦ - فلا عَدِمتْ اوطانُنا من سَراتِها

يهونُ عليهمْ اجلهَا كلُّ مَطْلبِ

****

١٧ - زاهر بن عواض الألمعي(*)

٢٨ - ثورة الجزائر

١ - موكبُ المجد غارةٌ وفِداءُ
أجَّجَتْ نارَ عزمِه النُّجَباءُ

٢ - وتسامَى إلى النضال رجالٌ
واعتلَى فوق صَرحِه العظماء

٣ - يا أسُوداً من «الجزائر» صُولي
كي تَحوزي المنَى ويعلو الفداء

٤ - إنَّ كلَّ الحياةِ دارُ جِهادِ
يتولَّى قيادَه الزعماء

٥ - فاستْميتي على النضال ودكّي
كلَّ حصنٍ يُقيمُه الأعداء

٦ - لم يعدْ مِعْقلُ البطولةِ وكْراً
يحتويه البغاةُ والدُّخَلاء

٧ - إنها الثورةُ المهيبَةُ خاضتْ
بحْرَ هَولٍ وما لها إرستاء

٨ - إنه الشعبُ صاخبٌ تتسامَى
من ذُراهُ الإغارةُ الشَّعْواء

(*) شاعر سعودي
- ألقيت هذه القصيدة في الحفل الكبير الذي أقيم بمعهد شقراء العلمي في ١٠/٧/١٣٨٠هـ.
- المصدر : ديوان الألمعيات

٩ – إنه الثأرُ قاذفٌ بِلَظاهُ
ولظَاهُ مُجازرٌ ودماء

١٠ – إيهِ يا أمّةً تسامتْ جهاداً
رددتْ لحنَ عزمِها الهيجاء

١١ – أوقدي حربَها ولا تستكيني
فعُداةُ الهُدَى هُمُ الجُبناء

١٢ – شرِّديهمْ ودمّري ثُكناتٍ
كان يأوي بظلِّها اللُؤَماء

١٣ – طهّري منهمُ البلادَ بعزمٍ
فهُمُ الداءُ والأذى والوَباء

١٤ – يستبيحونَ قتلَهمْ للضحايا
لا وَربي لن يسكُتَ الكُرماء

١٥ – يهتِكونَ الستارَ عن كلِّ خِدْرٍ
حصَّنَتْهُ العقِيلةُ العَذراء

١٦ – يسفكونَ الدماءَ جرماً وغَدْراً
ويُذيعونَ أنهم بُرَآء

١٧ – يسلبونَ الخيراتِ من كلِّ قطْرٍ
ويقولون إنهم أمُنَاء

١٨ – يا حُماةَ الديارِ يا جحفلَ المجْـ
ـدِ ويا أمّةً لها العَلياء

١٩ – شَمِّروا عن سواعدِ الجِدِّ وامضُوا
فالمعالي صُروحُها شمّاء

٢٠ – يا سُراةَ الكفاحِ عزماً وحزماً
أنتمُ اليومَ قادةٌ نُجَباء

٢١ – قد بنيتمْ صروحَ مجدٍ عظيمٍ
فرعُه الفرقَدانِ والجَوزاء

٢٢ - هاجمتكم عصابةُ الشرِّ غدْراً
فاكفهرّتْ لجُرْمِها الأجواء
٢٣ - واستثارَ النفيرُ شعباً أبيّاً
خاضَ بحْرَ الوغى فطابَ الفِداء
٢٤ - إنّ للغدر حيلةً دبروها
ردّدتْها الأصداءُ والأنباء
٢٥ - لن يُقرَّ السلامُ في الشرق ما لم
يَقُدِ الشرقَ صيدُهُ الزعماء
٢٦ - فهُمُ الردءُ والحليفُ إذا ما
صدقَ العهدُ وارعوى الحلفاء
٢٧ - أو ستُرخي الزِّمامَ للجيش زحفاً
تتلظّى من حشْدِهِ البيداء
٢٨ - غارةٌ تكفهرُّ منها خطوبٌ
كبّلَت من جموعِها الآراء
٢٩ - فالكفاحَ الكفاحَ يا قادةَ المجْـ
ـدِ فأنتمْ أشاوسٌ أكْفاء
٣٠ - حرّروها من كل غزوٍ دخيلٍ
أوقدوها لتنجلي الظلْماء
٣١ - لا يعيدُ الحقوقَ إلا كفاحٌ
تصطلي من أوارِهِ الأعداء

****

١٨ - سعد البواردي(*)

٢٩ - جميلة

١ - «جميلة» ..
٢ - كم أنتِ في خاطر الشرقْ
٣ - دنيا جميلة ..
٤ - «جميلة» ..
٥ - كم أنت في خاطر السجنِ
٦ - دنيا البطولةْ
٧ - دماؤكِ وردٌ
٨ - دموعكِ عطرٌ
٩ - وهيكلُك المكدودُ نِعْمَ الخميلةْ ..
١٠ - «جميلة» ..
١١ - والسنةُ النار تذرعُ جسمكِ
١٢ - في خطواتٍ ثقيلةْ ...
١٣ - وصوتُك كالرعد ..
١٤ - ينقضُّ في وجههم:
١٥ - «لن يذلَّ مع الخطب صوتُ جميلةْ»
١٦ - وقيدُ الحديدِ
١٧ - كقيد الحرير
١٨ - وأنت على القيد أسرى غليله

(*) شاعر سعودي.
- المصدر : ديوان أغنية العودة - ديوان ذرات في الأفق.

١٩ – تنادينَ في همهماتِ الظلام
٢٠ – فيطوي الظلامُ – ذليلاً – ذيولَهْ
٢١ – «جميلة» ..
٢٢ – يا أمَّنا في النضال
٢٣ – وأسطورةَ الحافلات الجليلة ..
٢٤ – «جميلة» ..
٢٥ – أقوى من الخطبِ أنت
٢٦ – من الثائبات ..
٢٧ – وأنتِ العليله ..
٢٨ – أتيتُك في السجنِ
٢٩ – أنشودةٌ للكفاحِ
٣٠ – تغني بها كلَّ يومٍ .. وليله..
٣١ – وطيفك وهو يهزُّ الظلام
٣٢ – بأعماق سجنك شمسٌ أصيلة
٣٣ – وأسوارُ سجنك ...
٣٤ – وهي الطوال
٣٥ – تطاطئ هاماً
٣٦ – أمامَ طموحك مذ مدَّ طولَه
٣٧ – «جميلةُ» ..
٣٨ – يا أمَّنا في النضال
٣٩ – لك الكونُ غنَّى
٤٠ – ورتَّل في مسمعِ الدهرِ
٤١ – قصةَ مجدٍ طويلة
٤٢ – بك الشرقُ يختال فخراً

٤٣ – بأنّ «فتاة»

٤٤ – هي الطّلع من حقلة

٤٥ – تسمى «جميلة»

٤٦ – «فتاة» تهزُّ «فرنسا»

٤٧ – وتهزأ منها ..

٤٨ – ومن كل أيدٍ دخيلة

٤٥ – «فتاة» هي الفجرُ

٤٦ – أمّا «فرنسا»

٤٧ – فغمة ليلٍ ستمحىَ – ذليله .

****

٣٠ - سلاح الكفاح

١ – بدمي . .
٢ – بالدمعة الحَرَّى . .
٣ – بأمي . .
٤ – بقيودي . . !
٥ – بأنين الطفلِ . . والثكلَى . .
٦ – بأيمان وجودي . . !
٧ – بالأسى . .
٨ – بالجوعِ . .
٩ – بالحرمانِ . .
١٠ – بالحقد العنيد . . !
١١ – بركام الليلِ . .
١٢ – بالأشباحِ
١٣ – بالسُّهدِ . . .
١٤ – وبالجرح الجديد . . !
١٥ – بلهيب السَّوطِ . .
١٦ – بالتنكيلِ . . !
١٧ – بالآتي . .
١٨ – وبالماضي البعيد . . !
١٩ – بالذي ألقى سلاحًا . .
٢٠ – في يدي يصنع «عيدي»
٢١ – من هنا يدوي صياحي
٢٢ – من هنا يأتي صباحي

٢٣ – من هنا القى سلاحي
٢٤ – من هنا تحكي جراحي

✡✡✡✡

٢٥ – كسرةٌ من خبزة سوداء
٢٦ – ما اعطيتُها . .
٢٧ – ايام جوعي . . !
٢٨ – قطعةٌ من (خرقة) رثاءْ . .
٢٩ – ما ابصرتُها
٣٠ – توري ضلوعي . !
٣١ – مسحةٌ من لمسةٍ سمحاء . .
٣٢ – ما احسستها . .
٣٣ – ترقى دموعي . . !
٣٤ – شمعة في الليلة الليلاء . .
٣٥ – ما القيتها . .
٣٦ – تهدي جموعي . . !
٣٧ – كيف لا يدفعني الثار . .
٣٨ – وما شحّتْ ربوعي
٣٩ – من هنا يدوي صياحي
٤٠ – من هنا ياتي صباحي
٤١ – من هنا القى سلاحي
٤٢ – من هنا تحكي جراحي

****

٣١ - صرخة الأوراس

١ - اليومَ يدفعُني حنيني
لأنيبَ في جَسَدي أنيني

٢ - وأقضَّ بالثأر العنيـ
ـدِ صروحَ مَن قد كبّلوني

٣ - اليومَ تنهرني حروقي
اليومَ يزجرني يقيني!

٤ - اليومَ تعوي في ضلو
عي غضبةُ الألمِ الدّفين

٥ - اليومَ تضْطرمُ الدما
ءُ على سَعيرٍ من أتوني

٦ - اليومَ في عمقي تضجْ
ـجُ كرامتي . . . وإبا سنيني

٧ - اليومَ لن أحني - ذليـ
ـلاً هامتي . . . وأهينُ ديني

٨ - اليومَ تزأر للكفا
ح الأسْدُ من مَثوى عريني

٩ - اليومَ تنقضُّ الضَحَايا
ءُ لِتقبُرَ الماضي المشين

١٠ - والغاصبون لحق شعـ
ـبي سوف يصرَعُهمْ جنوني !!

١١ – لا «ذلّ» لا «ديجول» لا
عصبتكم به عيوني

١٢ – لا دمعةٌ خرْسى تجو
د بها على خدي جفوني

١٣ – لا رعشةٌ صفراء تجْ
تازُ بالهوان . وبالديون !

١٤ – لا ضحكةٌ نكراء يُطْ
لقُها سماويُّ العيون!

١٥ – اليومَ . . لا أمسي ستُنْ
سجُ بُرْدَ أحقادي يميني!

****

٣٢ - صور(*)

١ - نفسٌ تعافُ غذائها لا تسْمَنْ
وإرادةٌ تخشى الردى لا تُسمِنْ

٢ - والناسُ بين مدافعٍ عن حقِّهِ
أودى بلقمتِهِ ظلومٌ أرعَن

٣ - وذليلُ قومٍ ذابَ في ضوضائه
من حول مزمار الهوانِ يُدنْدِن

٤ - ومغامرٌ غِرٌّ يعبُّ من الدّما . . .
من حول أقداح الجريمةِ مُدمن

٥ - لا العيشُ أن نبكي فيحرِقُنا البُكاَ
أو نستجيبَ إلى النعاسِ ونُذعِن

٦ - العيشُ أن تبني الخُطا أمجادَنا
وترفٌ بسمةُ عزِّنا وتُهَيمِن

٧ - العيش آمالٌ يثبِّتُ غرسَها
كفٌّ عنيدٌ لا يهابُ فيَجبُن

٨ - والحيُّ في عُرفِ الحقيقةِ فارسٌ
يبني . . ويوقظُ نوّمًا قد كُفِّنُوا

٩ - والموتُ في ساحِ الكفاحِ فضيلةٌ
كالمجد، حين تسودُ أو هو أثمن

١٠ - وقُوَى الحياة سَواعِدٌ بنّاءةٌ
كالريحِ تجتثُّ البغاثَ . وتدفِن

****

(*) كتب في توطئة قصيدته: «مهداة إلى كفاح جميلة أبو باشا الجزائرية ..إنها صور من واقعها مع الاستعمار الرهيب».

٣٣ - من للجزائر ؟!

١ - اليوم يومُكِ يا جزائرْ
اليومُ يزارُ كلُّ ثائرْ

٢ - اليوم يُسمِعنا لأجـ
ـلِكِ ثائرٌ - يحكي - وشاعر

٣ - اليوم ينتظمُ الجزيـ
ـرةَ ثأرُها .. وبه تُظاهر

٤ - هذي جموعُ الشَّعبِ في
ميدانِ نُصرتِها زواخر

٥ - تسعى إليكِ سَخيَّةَ الْـ
ـكفَّينِ .. مُلْهَبةَ الحناجر

٦ - يا شعبُ، يا طوفانَ ثا
رِفي سبيل الحقِّ سائر

٧ - اليومَ تدعوكَ «الجَزا
ئرُ» كُن لها نعْمَ المناصر

٨ - من أجلها جُدْ بالعطا
وارحمْ دموعاً في المحاجر

٩ - اليومَ يصرعُ في الجزا
ئرِ كلُّ وجدانٍ وخاطر

١٠ - واليومَ يَصرعُ إخوتي الدْ
دُخلاءُ .. يُخفُونَ المجازر

١١ - عصفوا بخاطرة الطُّفو
لَةِ كلُّ طفلٍ بات حائر

١٢ - وقضوا على وهْنِ الكهو
لةِ، ويحْهمْ من سُخْطِ قادر

١٣ - وتوغّلوا يبنون بالـ
أجسادِ أسوارَ المقابر ..!

١٤ - خَلُدَ الذين يُصابرو
نَ بحقّنا هيّا نُصابر !

١٥ - ظَفِرَ الذين يغامرو
نَ بكلّ غالٍ فلْنُغامر

١٦ - إنْ نحن في شَرْعِ الحيا
ةِ أذلّنا باغٍ .. وفاجر

١٧ - أو نحن في صمْتِ المذلـ
ـةِ لفّنا سِتْرُ الدياجر

١٨ - أو فاتنا أن نركب الـ
أهوالَ، أو نرقى المخاطر

١٩ - أو باعدتْ - بين النفو
سِ وبين ما تهوى - العناصر

٢٠ - أو رانَ في أعماقِنا ..
ليلٌ بها أرخى الستائر

٢١ - فحياتُنا .. موتُ الحيا
ةِ وليس بعدَ الموتِ آخر

٢٢ - إني لأسمعُ صرخةً
غضْبى أقضّتْ كلّ سادر

٢٣ - صوتُ الجراحِ وقد أتتْ
للشرقِ مثلَ الموجِ هادر

٢٤ - تدعو .. تناشِدُ أمّةً
كسْرَ القيودِ .. أمامَ كاسر

٢٥ - لكأنني بين الضبا
ب أرى الجنى .. والحرب دائر

٢٦ - هذا يسائلُ: أين أمـ
مي؟: أينها عنّي ..؟! وآخر

٢٧ - يجثو يقبّلُ جثّةً
غرقتْ دماً برصاص فاجر

٢٨ - وجهيشُ أمٌّ لوّعتْ
في طفلها .. ودعاء صابر

٢٩ - وركامُ أنقاض هوتْ
وجثثْ.. فلا أهلٌ وزائر

٣٠ - وأنينُ مجروحٍ، وحشْ
رجةٌ والآفٌ تهاجر ..!

٣١ - وضمادُ جرحٍ من ترا
بٍ خِلْتُه للجرح حاجرا

٣٢ - وعِصابةٌ حمراءُ ضرْ
رجها دمٌ في الجرح فائر..

٣٣ - وكأنني أرنو إلى الـ
أوراس.. المجُهها المهاجر

٣٤ - هذي قذيفةُ ثائرٍ
مرقتْ، أطاحتْ رأسَ كافر

٣٥ - ومدافعٌ.. الموت وا
كبَها فحيثُ تسيرُ سائر

٣٦ - والمتخماتُ من الرِّما
ح دمُ الأعادي.. والحناجر

٣٧ - والثائراتُ من النِّسا
ء وهنّ حُرّاتٌ.. حرائر

٣٨ – يزحفْنَ كالقدرِ المريـ
ـرِ وليس يغدرهنَّ غادر

٣٩ – لكنَّني بين الدخا
نِ أرى.. وقد أتت الدوائر

٤٠ – فإذا الذي ظَلَمَا أتا
هَا القمةُ لفمِ الكواسِر

٤١ – وإذا الذي بغَيْا أتا
هَا ذلةٌ يُولِي الدوابر

٤٢ – وإذا «الجزائر» حرَّةٌ..
ولوُّها تدعو المنابر!

٤٣ – هذي رؤًى لنضالِ شَعْـ
ـبٍ خالها منظارُ شاعر

٤٤ – ما بين دمعةٍ مُقْلةٍ..
ندبتْ ضحاياها.. وظافر

٤٥ – خطُّ الكِفاحِ هو الذي
تسعَى له شمُّ الضمائر

٤٦ – ومدى النجاحِ هو الذي
يمليه جُوداً كلُّ تاجر

٤٧ – والخطُّ في لوحِ البطولةِ
أثبتَتْه يدُ الشاعر

٤٨ – من للجزائر يا أخي..
إن أنت لم تحْمِ «الجزائر»؟!

****

٣٤ - نشيد الجزائر

١ - أخي في الفجيعةِ هيَّا معي
سأحرقُها غضبةً أضلُعي

٢ - ومِن صرختي .. وهديرِ خُطايَ
سأرسمُ حولَ السَّما مَرْتعي

٣ - أخي في العذاب إلام البقاءُ
وقدْ حدَّدَ الظلمُ لي مَصْرعي

٤ - وأنت على حافةٍ من طريقي
ستلقى النهايةَ مِثْلي .. فَعِي

٥ - أخي في الطريق الطويلِ التقينا
وحَطَّ بكَ الخَطبُ في مَضْجَعي

٦ - واغفلْتَ أنَّ الضَّواري الذئابَ
تَضُجُّ وتزحفُ في أربُعي

٧ - أخي في الحياة تدارَكْ طريقـ
ـكَ واملأ هديركَ في مِسْمعي

٨ - فما كَشَفتْ عن همومي شَكَاتي
ولا قَلَّ من ظمَأي مَدمَعي

٩ - أخي في ارتعاشِ الدما والجماجـ
ـمِ يومَ الصراعِ تعالَ معي

١٠ - فمَن هادنَ الموتَ في حقِّهِ
تبخْترَ في حُفرةٍ وَنُعِي

١١ - أخي إنّ ظلّي وظلّك باكي
تندّتْ جراحاً له أدمُعي

١٢ - ومَن بعثرَ الظلّ نامَ العراة
يَقضُّ حشاه عُوا الأسْبُع

١٣ - أخي لا تذرني وحيدَ الطريقِ ..
أقلّبُ في حُرقةِ أذرعي

١٤ - فإنّي .. وأنتَ رباطٌ قويٌّ
يزيد عُراه الإخا .. والوعي

١٥ - أخي كَمْ تحدّثْ يوم الفداءِ
وعزّ على ذكره المعِي

١٦ - فلِمْ لا نمدُّ خُطانا الطِوالَ
ونزحفُ كالموجِ جنّ السّعي

١٧ - تذكّرْ مقامَك بين السّباعِ
وطالعْ مصيرَك كيف رُعي !!

١٨ - وحدّثْ حياتَك ماذا تريدُ !؟
وحسبكَ منها شُعورٌ دُعي !!

١٩ - تعالَ .. تعالَ نشدُّ السلاحَ
وننقُضْنه بالحشا الموجِع

٢٠ - ونُملي على الكونِ ذكرى كفاحِ
أهزُّ عصاها .. وأنت معي ..

٢١ - أخي عاجِلِ الخصمَ عند الخِصامِ
وهاتِ شراعكَ ذي أشْرُعي .

٢٢ - فما أمْهلَ الموتُ قوماً نياماً
وكم لخُطى الموت من مَصرع

٢٣ - تعالَ وعانقْ دعاةَ الصباحِ
وجنّحْ على موجِه الأروَع

٢٤ - وأثبتْ خطاكَ معي في كفاحٍ
يموجُ ويصرخُ في أضلُعي

٢٥ – تعـــالَ أخي إنهـــا الغـــاوياتُ
يكاد يلامِـــسُـــهـــا إصـــبـــعي
٢٦ – فـهـيّـا سـريعـاً .. وبُثّ قُـواكَ
لِتُردي الدخـــيلَ بـبـــأسٍ وعِي

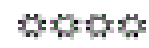
****

٣٥ - يوم الجزائر(*)

١ - ليـــوم «الجـــزائر» جُــدْ يا أخي بما في يديكْ
٢ - وادعَمْ بمالِكَ آمالَ شـــعب يضجُّ لديك .
٣ - وبادرْ بعــونك . فــالعـونُ كــالعـهـد دَينٌ عليك
٤ - لـيـــوم «الجـــزائر» جُــدْ يا أخي .



٥ - ليـــوم «الجـــزائر» وجُــدْ خطاكَ . ومــدَّ الســلاحْ
٦ - وَقِ المعـــوزيـنَ بأرضِ «الجـــزائر» زمْجـــرَ الرياح
٧ - والمِمْ بجُـــودِك أعـــوادَ شـــعبٍ غـــزتْهُ الجـــراح
٨ - لـيـــوم «الجـــزائر» جـــد يا أخي .



٩ - ليـــوم «الجـــزائر» يوم العـــروبةِ في المغْـــربِ
١٠ - اعِـــدْ يا صـــديقي بما قـــد تجـــودُ حِـــمى تغلبِ
١١ - وادعَمْ بعـــونِك طودَ الكـفـــاح لكلِّ أبي
١٢ - لـيـــوم «الجـــزائر» جُــدْ يا أخي .



١٣ - لـيـــوم «الجـــزائر» جُــدْ بعطاكَ لرفعِ القناعْ
١٤ - فــمـــا أنتَ إلا لشـــعبِ «الجـــزائر» روحُ الصِّــراع
١٥ - فـــفـــيكَ قُـــواهُ .. ومنك غِـــذاهُ إذا الشـــعب جـــاع
١٦ - لـيـــوم «الجـــزائر» جُــدْ يا أخي .



(*) أعدت هذه القصيدة بمناسبة يوم الجزائر الذي خصص لجمع التبرعات من الشعب السعودي عام ١٣٧٧ هـ .

١٧ – ليوم «الجزائر» لا تنسَ أنكَ تصنعُ جيلا
١٨ – وتبني لقومِكَ .. للعُربِ حولَك مجدًا أثيلا
١٩ – وتقهرُ إذ جُدتَ طوفانَ ظلمٍ غَزانا ثقيلا .
٢٠ – ليوم «الجزائر» جد يا أخي .

☼☼☼☼

٢١ – ليوم «الجزائر» يومِ التآخي . ويوم الفدا
٢٢ – أرِ الكونَ أنك إذ ما انتصرتَ رفيعَ المدى
٢٣ – تواسي جراحًا ، وتبني جناحًا ، وتبلَى العدى
٢٤ – ليوم «الجزائر» جُدْ يا أخي .

☼☼☼☼

٢٥ – ليوم «الجزائر» هاتِ سلاحكَ ، هات نقودكْ
٢٦ – فأنت بهذا تُنمي وتغرسُ في الأرض عُودَك
٢٧ – وتثبتُ أنك حامي لما قد بناه جُدودك
٢٨ – ليوم «الجزائر» جد يا أخي .

☼☼☼☼

٢٩ – ليوم «الجزائر» كنْ للجزائر نِعمَ الرَّجا
٣٠ – وخَلِّ نداها يعود مليء الصَّدى ، حيث جا
٣١ – فأنت لوحدِكَ حين دعتْكَ الحِمى والحِجَى
٣٢ – ليوم «الجزائر» جد يا أخي .

☼☼☼☼

٣٣ – ليوم «الجزائر» ، للهائماتِ بساح المجازرْ . .
٣٤ – ليوم «الجزائر» ، للنادباتِ ألوفَ المقابر ،
٣٥ – ليوم «الجزائر» ، لا تنسَ أنك تبني «الجزائر»
٣٦ – ليوم «الجزائر» جد يا أخي .

☼☼☼☼

٣٧ – تذكرْ صغاراً ، أخي ، لَفحتْهمْ رياح الشتاء .

٣٨ - وشيبًا جياعًا يهيمون دون غطا أو وطاء ،
٣٩ - وأحرارَ شعبٍ بأدغالِ «أوراس» لبُّوا الفداء
٤٠ - ليوم «الجزائر» جُدْ يا أخي .

☼☼☼☼

٤١ - تذكّر بأنك فيما ستُعطي تذودُ وتدفعْ .
٤٢ - وتبني بمالكَ في وجه أعداك حصنًا ومدفع
٤٣ - وتفتح للصمِّ ممن تهاووا من الجوع مَسْمع
٤٤ - ليوم «الجزائر» جُد يا أخي .

☼☼☼☼

٤٥ - أخي . في «الجزائر» عاثتْ فرنسيسُ في عُقْر دارِكْ
٤٦ - وهوْمَ صبْحكَ في كل فجٍّ بزجر المعارك
٤٧ - تقدم بمالك للصامدين دفاعًا .. وبارك ..
٤٨ - ليوم «الجزائر» جُد يا أخي .

☼☼☼☼

٤٩ - أخي كن مجيبًا إذا ما دعاكَ الوفا والضمير
٥٠ - وأثلجْ بصوتكَ - صوتَ الإبا - لاهباتِ الصُّدور
٥١ - وصِحْ في الحياة بأنك شعبٌ قويٌّ كبير
٥٢ - ليوم «الجزائر» جُد يا أخي .

☼☼☼☼

٥٣ - أخي كن قويًّا إذا ما دعتْكَ السما للحياه
٥٤ - أخي كن سخيًّا إذا ما دعاكَ الحِمى لحماه
٥٥ - وها هو يدعو فهيًّا تلبي ، أخي ، لدعاه .
٥٦ - ليوم «الجزائر» جُد يا أخي .

☼☼☼☼

٥٧ - أخي .. في الحياة إذا ما استجبنا متى نستجيب؟
٥٨ - وكيف نعزُّ وأرضُ «الجزائر» مرتعُ ذيب ؟

٥٩ – تحدَّث .. فصوتك في مسمع الزاحفين رهيب

٦٠ – ليومِ «الجزائر» جُدْ يا اخي

۞۞۞۞

٦١ – اخي ، في «الجزائر» هبَّت نفوسٌ لتحمي حِماها

٦٢ – وثارت جراحٌ ، وضجَّتْ رياحٌ تغطي سماها

٦٣ – فأينكَ منها ؟ .. وجزَّارها قد اباحَ دماها

٦٤ – ليوم «الجزائر» جد يا اخي

۞۞۞۞

٦٥ – اخي . كلُّ يومٍ بناب (الفرنسيس) تهوي الضحايا

٦٦ – اخي . كلُّ يومٍ لإرهابهم قد ملأنا الزوايا

٦٧ – أنا حينَ ادعو .. فعنهمْ ومنهمْ يضجُّ دعاي

٦٨ – ليوم «الجزائر» جُدْ يا اخي

۞۞۞۞

٦٩ – اخي في «الرياض»، اخي في «الحجاز»، اخي في الخُبَرْ

٧٠ – اخي في «القصيم»، اخي في «عسير»، اخي في «هجر »

٧١ – اخي في «سدير»، أخي في «ربى الوشم»، او في «الحُفر»

٧٢ – ليوم «الجزائر» جد يا اخي

۞۞۞۞

٧٣ – أخي في الجزيرةِ .. يا من دعتكَ جراحُ الأخوّةْ

٧٤ – بملء يديكَ .. بملء جنانك، صِحْ في فتوّهْ

٧٥ – (ستبني جماكِ ربوعُ «الجزائر» في كل قوّهْ)

٧٦ – ليوم «الجزائر» جُدْ يا اخي

****

١٩ - سليمان بن خلف الخروصي(*)

٣٦ - تهنئة إلى شعب الجزائر المجاهد

١ - هو المجدُ حيثُ الجِدُّ حيثُ العزائمُ
وحيثُ المذاكِي والقَنا والصَّوارمُ

٢ - هو المجدُ حيثُ الطائراتُ أمامَها
قنابلُ فيها الموتُ أسودُ قاتمُ

٣ - هو المجد حيث المدفعُ الضخمُ إن رمى
أزالَ الرَّواسيْ فهْوَ للشُّمِّ هادِمُ

٤ - هو المجد حيث السَّيفُ يلمعُ ضاحكاً
تسيلُ دمًا منه الرُّبا والمعَالمُ

٥ - هو المجد حيث الحربُ يحمي عَرينَها
لُيوثٌ مقاديمُ كُماةٌ ضراغمُ

٦ - كشعبٍ أبيٍّ في «الجزائر» قد غَدا
يناضلُ حقّاً والشهودُ العوالِمُ

٧ - ثمانِ سنينَ خاضَها ظلَّ صامداً
فللهِ من شعبٍ هُمَامٍ يُصَادِمُ

٨ - فكم وقفةٍ قد جَدَّدتْ «قادسيةً»
و«يرموكَهمْ» وهْوَ الشجاعُ المقاوِمُ

(*) شاعر عماني
- المصدر : رسالة خطية

٩ - فلله من شعبٍ عظيمٍ غضنفرٍ
يجاهدُ لاستقلاله ويصارم
١٠ - فنالوا الأمانيَّ بالمواضي وبالقنا
وفي دولة السَّيفِ الصَّقيلِ المغانم
١١ - وأشرقتِ الأرجاءُ شرقاً ومغرباً
وثغرُ بني الغرْباء بالنصرِ باسم
١٢ - فلله يا أهلَ «الجزائر» أنتمُ
أسودٌ صناديدٌ حماةٌ قشاعم
١٣ - رقوتمْ على هامِ السِّماكِ بجدِّكمْ
فجاءتكمُ هذي العلا والمكارم
١٤ - وقد نلتُمُ كلَّ المرامِ بعزمِكمْ
على قدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائم
١٥ - أهنيكَ يا شعبَ البطولة والعُلا
فقد نلتَ ما أملْتَ والعِرضُ سالم
١٦ - بذلتَ لدى الأوطان مالاً وأنفُسا
وضحَّيتَ بالأبطال والجوُّ قاتم
١٧ - بفضلِ جهادٍ نلت مجداً وسؤدداً
وحريةً قد عزَّزتْها الصوارم
١٨ - إليكمْ بني الغرْباء منِّي تحيةٌ
وتهنئةٌ جادت بما الحبُّ كاتم
١٩ - لعلي أؤدي بعض واجبِ حقِّكمْ
وخيرُ فعالِ المخلصين الخواتم

****

٢٠ - صالح الأحمد العثيمين(*)

٣٧ - الجزائر..

١ - بلدُ البطولةِ (والعقيدة) و (الكفاحْ)
٢ - يا شعلةً رقصتْ على كفِّ السلاحْ
٣ - يا موطنَ الأحرار والنورِ المضمَّخ بالعَبير
٤ - يا وثبةَ الأبطال والفجر النضير
٥ - فجر الكفاح . . .
٦ - يا صانعَ الحقِّ الصُّراحْ
٧ - يا موطنَ الشعبِ الكبير
٨ - شعبِ الأشاوسِ والنسور
٩ - ومعاقل الأحرار يا سرَّ الخلود
١٠ - يا فخرَ «أوراس» ويا فجرَ الوجود
١١ - يا دفقةَ النور المبين
١٢ - والعزَّ والمجد المكين
١٣ - انت اللهيبُ ومن يسير على اللهيب
١٤ - رغم العدا ستثور احقاداً تُدمدمُ بالخطوب
١٥ - تأتي على (ابن السين) جامحةً تُوهوِهُ بالكُروب
١٦ - لتطهرَ الوطن الخضيب

(*) شاعر سعودي.
- المصدر : ديوان شعاع الأمل - كتاب شعراء نجد المعاصرون.

١٧ – ولتنعشَ المرعى الخصيبْ

١٨ – ولتقذفَ الباغي العنيد

١٩ – وتذيبَ أحلامَ العبيد

٢٠ – الجاثمين على البلاد

٢١ – والعابثين بها فسادْ

☼☼☼☼

٢٢ – يا حُرُّ «أوراسٍ» العظيمْ

٢٣ – إغرسْ حرابك في الصميم

٢٤ – واقذفْ بها الدخلاءَ أبناء الكلاب

٢٥ – من دنَّسوا أرضي وأرضك بالفجور

٢٦ – من ألبسوا أجواءها ظلمَ العصور

٢٧ – وأذى الشرور . . .

٢٨ – واستنزفوا منها العبير . . .

٢٩ – وجنى الحُبور

☼☼☼☼

٣٠ – فمواطنُ الأمس القريبْ

٣١ – لم يبق من إشعاعها غيرُ الأسى

٣٢ – طيفٌ رهيبْ

٣٣ – يهفو على الرَّبعِ الجَديب

☼☼☼☼

٣٤ – لكن ستعلو منه صيحاتُ النفير

****

٣٨ - الجزائر المجاهدة

١ - أرضَ الجهادِ وساحَ المجد والشَّرفِ
ومنبعَ النور والأيامُ تشتعلُ

٢ - أراكِ كالقمّةِ السمراء شاهقةً
تَعْيا وتقصُرُ عن إدراكِها المُقل

٣ - في مَسبحِ النجم فلكٌ أنتِ رونقُهُ
سامي الذرا رفَّ فيه الويلُ والأجل

٤ - قد قمتِ في مسرح الحَدثانِ حاملةً
روحَ الجهاد فما أودى بك المَلَل

٥ - حَامتْ عليكِ المنايا وهي عابسةٌ
ودارَ فوقَ رُبَاك الظُّلمُ والدَّجل

٦ - فَصُغْتِ من شعلةِ الإيمان أمثلةً
من الكفاح وليلُ الشكِّ ينسَدِل

٧ - ثاروا بنوك وفي أرواحهمْ حَنَقٌ
على الدخيل وصاغوا المجدَ ما اتَّكلوا

٨ - ساروا على لفَحَات النار صاعقةً
بها هزيمُ البِلَى يسري وينتَقِل

٩ - أرضَ الجهاد أرى الأعداءَ مائلةً
فمَن يرومُ العلا بالنار يَنتَعِل

١٠ - إنا حملنا نفوسًا كلُّها ألمٌ
لكِ الفداءُ إذا ما أعيَتِ الحِيَل

١١ – فـــاشـــعلي ثورةً حــــمــــراءَ لاهبـــةً

تذرو الأعــادي ومــا شـَـادوا ومــا عــملوا

١٢ – سنلتــقي في الغـد الموعــود يحــملُنا

عــــــزمٌ بناه لنا امـــــجــــــادُنا الأوَّل

****

٣٨ - شعاع الأمل(*)

١ - هو فجرُ أمتِنا سيشرقُ بالحياةْ
٢ - حلو الرؤى . . .
٣ - بادي الشعاعْ . . .
٤ - سيطلُّ من تلك الحقولِ
٥ - الزاهياتِ . . .
٦ - ومن دماء الكادحينَ
٧ - ومن دموعِ . . .
٨ - المرهقينَ . . .
٩ - المتعبينْ . . .
١٠ - سيظلُّ يحتضنُ الحياةَ الداجيةْ . . .
١١ - ورؤى الأماني الكابية . .

☼☼☼☼

١٢ - سيدمدمُ اللهبُ السجين على الرُّبَا
١٣ - وعلى التلالِ . . .
١٤ - الظامئاتِ الموقدةْ
١٥ - وتفوح أنفاسُ المراعي بالعبيرِ
١٦ - وبالأريج المستباحِ
١٧ - وتضج في رَجْع الغنا
١٨ - من الرعاة الظامئين إلى الحَيَا

☼☼☼☼

(*) مهد لتلقي قصيدته بعبارة «قيلت على لسان جزائري مجاهد.. بمناسبة تولي دكتاتور فرنسا الجنرال ديجول.. مقاليد الحكم.. وما عرف عن ميله إلى العنف والشدة».

١٩ – سيحطّمُ الأغلالَ أبناءُ الشعوب
٢٠ – فالليلُ ذوّبهُ الصباحُ
٢١ – إلى المغيب . . .
٢٢ – يا أيها العاتي العنيد
٢٣ – يا بؤرةَ المسخِ العهيد

☼☼☼☼

٢٤ – الوعي قد دوّى توشوشُه الحتوفْ
٢٥ – في كل أرضٍ عربيةْ
٢٦ – وانتفاضات زكيّة
٢٧ – لهبٌ يطوفْ
٢٨ – يقضي على الشبح المخيفْ

☼☼☼☼

٢٩ – يا أمتي طلع الصباحْ
٣٠ – يهفو على أعماق تلك الأودية
٣١ – فيه المحبةُ والسلامْ
٣٢ – سرُّ الحياةْ . . .
٣٣ – فالكونُ سكران الخُطَى
٣٤ – ثملاً بأحلامِ الربيع
٣٥ – وباختلاجاتِ الشروقْ
٣٦ – مترنّحُ الأعطافِ يحلم بالأماني
٣٧ – الباسمةْ . . .
٣٨ – للأمة العطشى إلى ومضِ الحياةِ
٣٩ – الناعمةْ . . .

☼☼☼☼

٤٠ – لن يبقَ (فرعون) جديدْ
٤١ – في أرضنا وبلادنا
٤٢ – لن يبقَ (هولاكو) العتيدْ

٤٣ – يستنزفُ الدَّمَ والحياةْ
٤٤ – من أمتي . . .
٤٥ – من شعبنا العربيِّ مُبعْثِرِ كل نورْ
٤٦ – سنعيش أحراراً على مرِّ العصُورِ
٤٧ – الآتية . . .
٤٨ – تفنى . . .
٤٩ – على يدنا الذئاب الطامعة
٥٠ – وتموت أشداقُ الجياع
٥١ – وتذوبُ أحلام الرُّعَاعِ
٥٢ – الراشفين نميرَنا ودماءنا
٥٣ – والمفسدينَ العابثين بأرضنا ومصيرِنا .

****

٤٠ - موطني(*)

١ - موطني باليأسِ بالنارِ اختتمْ
راعشًا ثوريه نيرانُ الرّجَمْ

٢ - لَعِبتْ كفُّ الشياطينِ بهِ
وأتتْ امالَهُ سودُ النُّقَم

٣ - سَلَبتْ خيراتَهُ شَرْذمةٌ
صَبَّتْ النارَ عليه والحِمَم

٤ - رازحًا فالنّيرُ قد طوّقهُ
بسياجٍ من خيالٍ و حُلُم

٥ - خيّمَ الذلُّ على اكتافِه
فهوى بين دياجيرِ العَدَم

٦ - يتسلّى بخيالٍ شَاردٍ
علّهُ ينهض من طيفِ ألَم

☼☼☼☼

٧ - اقذفِ الوهمَ وسِرْ يا موطني
حُرِمَ المجدُ على الشعب الأصَم

٨ - فالتّعاويذُ التي تلهو بها
سوفَ ترديكَ على ساحِ السُّقم

٩ - فنيابُ الغدرِ فيك انغرستْ
وسمومُ الغربِ تصليكَ الحُدَم

(*) أهدى قصيدته إلى المجاهدين فى عُمان و عدن و الجزائر و فلسطين . (دفاعًا عن وطننا العربي).

١٠ – اكسرِ القيدَ وحطِّم عقدَهُ

فالضعيفُ الغِرُّ نهبٌ للألم

١١ – أفترضى عيشةً قد ألهبَتْ

بجحيم الظُّلمِ فى معنى العَدم

١٢ – كم سكبتَ الدمعَ سحًا ساجمًا

ناسِجًا حولَ مراثيكَ الضَّرَم

١٣ – كلُّ هذا لم يحرِّكْ بالجوى

وثبةً منكَ على تلك الظُّلَم

☼☼☼☼

١٤ – ان ان تنهضَ روحًا مشرقًا

تترامَى فى مجاليهِ النِّعَم

١٥ – ان ان تنهضَ جيلاً ماردًا

يتحدَّى بالقوى شُمَّ القِمَم

١٦ – يتلظَّى جاحمًا مُرتعشًا

يستحقُّ الذلَّ يلوي بالسَّأم

١٧ – آنَ أنْ تصمدَ طودًا عاتيًا

تتهاوى تحتَهُ شتَّى الأمم

١٨ – يصفعُ الباغي ويبني مَجدَهُ

فوقَ أشلاءِ ضحايا ورِمَم

****

٤١ - الموكب الظامئ(*)

١ - ظَمِئنا إلى النور نورِ الحياة
ونورِ الكفاح القويِّ العتيدْ

٢ - ظمئنا إلى الحقّ يا موطني
و انتَ تعيشُ بِذلّ القُيود

٣ - تطلّعْ إلى الجيل من امّةٍ
ابتْ ان تذلّ لعسْفِ الوجود

٤ - ستنهضُ رغْمَ ظلامِ الخطوبِ
و رغْمَ القويِّ العتيِّ المَرِيد

٥ - وتَبني الحياةَ وتحيي الهَناء
لتَخْفقَ ارجاؤها بالسُّعود

٦ - ظمئنا و لكنْ ظلامَ العصُورِ
سياتي عليه الصّباحُ الجديد

٧ - و يسحقُ من رامَ في افقنا
مرابعَ كانت منارَ الخُلود

٭٭٭٭

٨ - تقدّمْ إلى البعث يا موطني
فإنّ الحياةَ صراعٌ مُبيد

(*) صدّر قصيدته بعبارة تدل على انه قالها على لسان فصيلة من مجاهدي الجزائر ، تسير بين الجبال تحمل بين ايديها ناراً و في قلبها نوراً ، و على لسانها نشيد.

٩ - فقدْ انْ تستعيدَ الجهادَ
وتفتحَ للنورِ هذا الصَّعيد

١٠ - وتلوي بهيكلِ تلك المآسي
وتقذفَ بالظُّلمِ انّى تُريد

****

٤٢ - نداء جزائري

١ - سيروا على رغم الطُّغاةِ ومزِّقوا حُجُبَ الظَّلامْ

٢ - وتمردوا لهباً يموجُ على أسنَّتِه السَّقام

٣ - وتسابقوا زمراً محلقةً على كفِّ الغمام

٤ - زمراً بها الموت الزؤامُ وهيكلُ الألم الجسام

٥ - دوسُوا على صدرِ الدعيِّ وطهروا أرضَ الكرام

٦ - وتفجَّروا حِمماً مُسعَّرةً على هام اللئام

٧ - فالثأرُ يا للثأر يدعوكم إلى لُجَجِ الضِّرَام

٨ - خوضوا المعاركَ وهْيَ داميةٌ إلى تلك الطَّغام



٩ - فالزحفُ يصرخُ للحياة يضجُّ بالألم المرير

١٠ - ويموجُ باللهب المجرِّحِ ناشداً أين المصير؟

١١ - متعطشًا للحق للغارات تلفحُ بالسعير

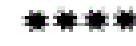
١٢ - تأتي على أمم البغاةِ من الجليلِ أو الصغير

١٣ - أرضُ الجدود تئنُّ تحت سياطِ جلادِ العصور

١٤ - فامضوا كما يمضي القضاء إذا تجاوبَ بالهدير

١٥ - فالمجدُ للشعب الأبي و ليس للشعب الحقير.

١٦ - فتجشَّمُوا نارَ الكفاح وطهِّروا الوطنَ الكبير.



٢١ - صقر بن سلطان القاسمي(*)

٤٣ - أمنية والد

١ - بُنياتي إذا ما صار في يومٍ من العُمْرِ
وقامت ثورةٌ بالدَّمْ تغسلُ ناصعَ الشَّبْرِ

٢ - من الوطن الذي استعلى ولم يصبرْ على ضيْرِ
فلا تسألْنني رأيي . ولا تسألْنني أمْري

٣ - وكنَّ شظيَّةَ البارود في صدْرٍ وفي نَحرِ
وكنَّ نشيدَ لحنِ الحربِ في قيثارةِ البدر

٤ - وكنَّ «جميلة» التاريخ في كرٍّ وفي صبرِ
وحقِّقْنَ ولو في القبرِ لي .. أمنيةَ العُمْر

☼☼☼☼

٥ - ويا إبنيْ ما إلاكُمَا ما فيه أتَّسِمُ
شظايا ثورةٍ من نورها قد بَزَّ لي القَسَمُ

٦ - أرى بكُمَا جهادي وهْوَ بالطوفانِ يصطَدِمُ
أرى بكما حياتي وهْيَ بالأمواجِ ترتطمُ

٧ - نذرتكما ليوم الهَولِ وخطَّ علاكُمْ القلمُ
فلا تستبعِدا الآتي فإنَّ المُهرَ فيه دمُ

(*) شاعر إماراتي (إمارة الشارقة)
- المصدر: الأعمال الكاملة للشاعر

٨ - لنا يومٌ برغْمِ الغـاصبِ الجبَّـارِ يبـتسمُ

هنالكَ إنْ دعـا «الأوراسُ» لبَّى في الخليج فمُ



٩ - ليومِ ثورةُ الأحرار يَقتِفُ موجُها الحِمَمَا

ورأيُ الشعبِ فوق الحكمِ فوقَ مطامعِ الزُّعَما

١٠- ليـومٍ مـا بهِ نفْسٌ تبـاعُ لتـهـدمَ الذِّمَمـا

لواء (برشلونة) في حِمـاه وها هنا العُلَمـا

****

٤٤ - الجزائر في نضالها المجيد

١ - قلْ للمناضلِ عن حمى أوطانهِ
انهضْ وردَّ الخصمَ عن عُدوانهِ

٢ - و احملْ على يدكَ الحياةَ لموطنٍ
يحيا إذا ضحَّيْتَ في ميدانه

٣ - و اختمْ «بيستيلِ» الطغاةِ حياتَهمْ
واهدِمْ بهِمْ ما اشتدَّ من أركانه !!

٤ - لا الموتُ يسلبُكَ الهناءَ، و لا يَهُدْ
دَ السِّجنُ عمرَكَ في دُجَى جدرانه

٥ - وطني . . ولولا أنَّ في عنقي لما
تدعو له حقّاً سما ببيانه

٦ - عاهدتُ نفسي أن أموتَ «لبعثه»
و أصُولَ دونَ طِلابهِ بجنانه

٧ - ما كنتُ أرجو أن أعيشَ.. وأن أرى
كرَّ الزمانِ الجَهْم في سُكّانه

٨ - أو كلَّما برقتْ لنا أمنيَّةٌ
نَهَدَ الدخيلُ فعلَّقوا بجرانه

٩ - تتجاوب الصيحاتُ في أرجائه
للثار من «أوراسه» «لغُمَانه»

١٠ - فبكلِّ صقعٍ من ربوعِك مأتمٌ
ومعَذَّبٌ يطوي على أشجانه

- ذيل قصيدته بما يحدد مناسبتها ، وزمانها ، حينما اعتدى الفرنسيون و خطفوا أحمد بن بلا و رفاقه (جرى حادث الاختطاف يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٥٦).

١١ – كم في «الجـزائر» من أخٍ لا يُنتَسى

بذلَ الحـياةَ فِـدًا على أوطانه

١٢ – فسل « الفرنسيس» الأسافلَ هل رأوا

أمضى من العـربيِّ في إيمانه؟

١٣ – لم يهنأوا منذُ «الأمـيـر» بنومةٍ

إلا على الصيحاتِ من شجعانه

١٤ – بذرَ الأبوةَ في النفوسِ فأينعَتْ

ثمـرًا يطيبُ جنًى على أغصانه

١٥ – فبكلِّ شبرٍ في « الجزائر» مكْمَنٌ

تبدو سهامُ الموتِ من فُرسانه

١٦ – و بكلِّ بيتٍ في «فرنسة» ثاكِلٌ

فقدتْ أعزَّ الناس في ريعانه

١٧ – إن قيل «بن بلا» هَوَتْ من ذُعرِها

مهجٌ.. ولاح الموتُ من كيوانه !

١٨ – فكأنما هُوَ « خالدٌ» في جيشه

ومَلائكُ الرحمن من أعوانه

١٩ – عَهْدُ البطولةِ من ضياءِ «محمدٍ»

و مفاخرُ الأمجادِ من بُنيانه

٢٠ – بعثْتَهُ في أرض «الجزائر» فتيةً

كانوا دعاةَ الحقِّ من رحْمَانه

٢١ – إنْ تَبلُهمْ تُبْلَ الشجاعةُ و النُّهى

و المجدُ إن تنزلْ ففي رُكْبَانه

٢٢ – كم من شُبولِكَ يابن بلا ضيغَمٌ

يحمي عرينَ المجدِ من قُرصَانه

٢٣ – إن يأسِروا بالغدرِ شخصك فالذي

شيَّدْتَ حارَ الخصمُ في بنيانه

٢٤ - لانتْ به الأبطالُ تحمي شامخًا
منه وتُثْني البُطْلَ عن إتيانه

٢٥ - فاهنأ وقرّ فما جهادُك ضائعٌ
والفارسُ العربيُّ في ميدانه

****

٢٢ - صقر الشبيب(*)

٤٥ - يا أشقائي العرب

١ - دعوا «الجزائر» تلقى الويلَ والحَرَبَا
ثمّ ادّعُوا أنكمْ ما زلتمْ عَرَبا

٢ - لو لم نزلْ عَرَبًا لم تلقَ إخْوتُنا
من دوننا كلّ ما قد آد أو كَرَبا

٣ - ولم تجدْ بينهمْ مِن عنْ مَعونتِهمْ
بالنفس والمال لا بالقولِ قد هَرَبا

٤ - وأصبح الكلُّ منا جهدَ طاقتِه
مُخفِّفًا عنهم الأشجانَ والتَّعَبا

٥ - مشاركًا لهمُ في كلّ نازلةٍ
تستبذلُ الجهدَ منه صالَ أو وَهَبا

٦ - أمّا و«يَعْرب» لو ظلنا بنيهِ راحْ
منّا «فرنسا» شَجًا في حلقِها نشَبا

٧ - وما أحسّتْ وقد جاءت بفعلتِها
فينا فتًى ضِدّها لم يشتحلْ لهَبا

٨ - أيعربيونَ من أفعالِهمْ بعُدتْ
عن فعلِ «يعرُبَ» فيما جلّ أو حَزَبا

(*) شاعر كويتي.
- المصدر: ديوان صقر الشبيب.

٩ - ظننتُ ظناً شَجاني أنّ رابطنا
بيعرُب المعتلي قدراً قد انقضبا

١٠ - أو أنّ موصُولَةَ المحضَ الرفيعَ دنا
منه الوضيعُ من الأنساب فانتسبا

١١ - لو لم يكن ذاك ظِلنا مشبهينَ لهُ
مهما تقلبتِ الدنيا بنا - حَسَبا

١٢ - ظنٌ شَجاني وأبكاني على نسبٍ
زهتْ برفعتِه أجدادُنا حُقُبا

١٣ - لا صدَّقَ اللهُ مشْجي ظنَّتي لأرى
ما أوجعَ القلبَ منها باطلاً ذهبا

١٤ - فإنّ تكذيبَها أشهى الأمورَ إلى
قلبٍ عليه بها مُدمِي الأسَى جَلَبا

١٥ - لِمْ لا تراني هذا الوقت منطوياً
على شجونٍ يُبِدْنَ الصبرَ مُكتئِبا

١٦ - والآنَ تسمعُ ما عن نقْع مَعْشرها
يُلهي ويُشغِلُ، فاسمعْ تحزنِ الصّخَبا

١٧ - ما للإذاعات بين العُرْبِ دائبةً
تبثُّ ملءَ الشروق اللَّهْوَ والطَّربا

١٨ - كأنها حَسِبتْ أهلَ «الجزائر» في
ما يقتضي طولُ بثِّ اللهوِ والدّأبا

١٩ - إن لم يكُ الكلُّ منا وقتَ مِحنتِهِمْ
لطيبِ لَذَّاتِهِ جمعاء مُحتسبا

٢٠ - موجِّهًا من قواه الكلُّ ينجدُهمْ
حتى يرى كلُّ صَدعٍ عندهمْ رئبا

٢١ - فأيُّ وقتٍ نواسي منهمُ أسراً
تكابدُ الآنَ ضنْكَ العيشِ والشَّجَبا

٢٢ – أكانَ «يَعْرُبُ» يرضى اللَّهوَ وهْوَ يرى

من قومه أحداً قد سيء أو نُكِبا

٢٣ – عن «الجزائر» يُشجي القلبَ منبؤهُ

حتى يغادرهُ أشوانَ مضطَرِبا

٢٤ – فما الذي أيها اللاهونَ أطربَكمْ

أعندكمْ غيرُ ما يشجي القلوبَ نَبَا

٢٥ – حتى متى لا يكون اللهوُ مطَّرِحًا

ما بين كُلِّكمْ لا البعضُ مُجتَنِبا

٢٦ – وفي «الجزائر» من يرجو بنجدتِكُمْ

ردَّ الذي ضاقَ من مكرٍ وقد رحُبَا

٢٧ – خلُّوا إلى الجد هذا الهزلِ واذكروا

دمَ الكرامِ الذي ما انفكَّ مُنسكِبا

٢٨ – حيالَ دمعِ اليتامى والأراملِ من

قومٍ همُ أنتمُ إنْ تذكروا النَّسَبا

٢٩ – شنُّوا مغارَكُمْ من كل ناحيةٍ

على «دوبكيل» حتى يرعوي رَهَبا

٣٠ – لا تحسبوا القُضُبَ للموتورِ أسلحةً

فحسْبُ، إنْ جَدَّ في أوتارهِ طَلَبا

٣١ – بلِ السلاحُ كثيرٌ غيرهُنَّ وكَمْ

ببعضِهِ فلَّ موتورُ الورَى القُضُبا

٣٢ – فاعملوا كل ما فيهِ أذيَّةُ

فكلُّ مُوذٍ سلاحٌ للذي غَضِبا

٣٣ – كيما يُصدِّقُ منا كل مُفتخِرٍ

إذا عزا نفسَهُ يوماً إلى «ابْن سَبا»

٣٤ – أخلاقُ «يعْرُبَ» ما كانت بفائتةٍ

يوماً درايتَها الأفرادُ والعُصَبا

٣٥ – لَوْ فاتَهُ العِزُّ لم يقبلْ به بدلاً
له وللقومِ طرّاً ما عدا العطَبا

٣٦ – فإنْ تكن مثلَهُ في طبعِهِ صَدقَتْ
منّا ادعاءاتُنا إذ ندّعيه أبا

٣٧ – إذا انتمَى لأبٍ نَجْلٌ فشيمتُهُ
تُقرِّرُ الأمرَ إنْ صِدْقاً وإنْ كَذِبا

٣٨ – يا من جدودهُمْ كانوا الشموسَ – إذا
دَجَتْ حوادثُ هذا الدهرِ – والشُّهُبا

٣٩ – والنبعُ من جُرأةٍ تثنى صلابتُهُ
أمامهم في الوغى أبطالها قُصَبا

٤٠ – شيَّتْ مطامعُ «ديكول» جهنمها
وقد أراد لها من بعضنا حطَبا

٤١ – فجاهدوه – وإن شقّ الجهادُ – إلى
يومٍ يُريه بها أعوانه حصَبا

٤٢ – أراحةُ تطَّبيكم و«الجزائرُ» لم
تَبرَحْ تكابدُ من جَوْرِ العِدا نَصَبا

٤٣ – وتستطيبونَ خِصبَ العيشِ في زمنٍ
يلقى الأشقاءُ فيه الموتَ والسَّغَبا

٤٤ – قد أمِلَ الكلُّ منهمْ صِدقَ نصركمْ
إياهمْ في جهادِ المعتدي كلَبا

٤٥ – ولو نهضتمْ كما رجوا لما حَبسَتْ
عنهمْ ذئابُ «فرنسا» النصرَ والغَلَبا

٤٦ – لو أنسوا صِدقَ فعل العُرْبِ ضدَّهمْ
لم تلقَ منهم لحقِّ العُرْبِ مغتصِبا

٤٧ – ما كان بالصقر «ديكولٍ» تجاهكمْ
بل كان – لولا تراخي بعضكمْ – خَرِبا

٤٨ – فطهّروا كلَّ أرضٍ من دياركمُ
من كل مَن لم يكنْ ضدَّ العِدَا صلبا

٤٩ – تروا (دويكيلَ) عن ظلمٍ يواصلُه
إلى العدالة مضطَراً قد انقلَبا

٥٠ – وينثني الكلُّ من قصادِ ظلمِكُمُ
برغْمِه منصفاً عن قصْدِه رَغِبَا

٥١ – لم يتخذْ دربَه في بحرِ نعمتكمْ
حُوتُ المطامعِ – لو لم يوجدوا – سَرَبا

٥٢ – من لي بيعرُبَ أشكو المنتمينَ له
وكلُّ طبعٍ لهم عن طبعه غَرُبا

٥٣ – كيما يَعْلَمُ منهمْ كلُّ مُنتَحلٍ
إذ ينتمي نسَباً قد فاتَهُ الأدَبا

٥٤ – سلوا بيعرُبَ من عُشّاقِ سيرتِه
رواتُها الصادقينَ القولَ والكُتُبا

٥٥ – هل جاء «يعربُ» إنْ مكروهةٌ صعبتْ
بما سِوى الجِدِّ في تسهيلِ ما صَعُبا

٥٦ – حتى يردُّ إلى سهلٍ صُعوبتُها
لكلِّ من قد أتاه يشتكي النُّوَبا

٥٧ – يستوعبُ الجِدُّ منه الجهدَ عن كرمٍ
في الذبِّ عمَّن عليه ظالمٌ وثَبا

٥٨ – وفي إغاثةِ من رجا إغاثتَهُ
ممَّن مُحيَّا الحَيا عنهم قد احْتجبا

٥٩ – ما جاء في أحد الأمرين من عملٍ
إلا وجهدُ القوي فيه قد انتصبا

٦٠ – والجِدُّ إنْ لم يمثِّلْ جهدَ صاحبِه
فيما عليه من الإنجاز قد وجَبا

٦١ – فما هو الجِدُّ إذ توليه تسمية
فسمِّه أينما أبصرتَه لعِبَا

٦٢ – خيرُ النفوسِ التي تهتمُّ مُصلِحةً
لقومها كلُّ شيءٍ عندهم حزَبا

٦٣ – فيبصرُ الخِصبَ بعدَ الجدْبِ قاصدُها
كما اشتهى عندها، والأمنَ من رغِبَا

٦٤ – تأبى مروءتُها إلا تقدمها
بالجهدِ مهما لها داعي العلا نَدَبا

٦٥ – تظلُّ من باهراتِ المجدِ فاعلةً
ما غيرها منه مبهورُ الحجَى عجَبا

٦٦ – سَددتُ أذني فلا الأشعارُ أسمعُها
تعني «الجزائرَ» مُذْ حينٍ ولا الخُطَبا

٦٧ – فإنَّ ما قيل في إخلاصِ قائله
قد كاد يبعثُ فيَّ الشكَّ والرِّيَبَا

٦٨ – فصادقُ القولِ ما يدنو به أملٌ
نائٍ ويُدني من الآلام ما اقتربا

٦٩ – ونحن لم نرَ حتى الآن ضجَّتنا
كانت لتحقيقها آمالُنا سَبَبا

٧٠ – ما خُلَّبُ البرقِ مرجوٌّ كصادقِه
مهما استثار من الإعجابِ أو خَلَبا

٧١ – والسُّحْبُ ممطرةٌ – ليس الجهامُ – به
لنا الثرى يخرجُ الأشجارَ والعُشُبا

٧٢ – مجردُ القولِ أو شِبْهُ المجردِ لا
تلقى «الجزائرُ» فيه القصْدَ والأرَبا

٧٣ – فأسعفوها بأفعالٍ يُعِدْنَ لها
ما من معينِ رخاءِ العيشِ قدْ نَضَبا

****

٢٣ - ضياء الدين رجب(*)

٤٦ - أفراح الجزائر

١ - لا تأسَ فالأحداثُ إرهاصٌ بما خلْفَ الغيومْ

٢ - وتألقٌ من قدامِهِ ووراءه فِتَنٌ تحُوم

٣ - ومهازلٌ تحتلُّ في الأفلاك منْزلةَ النجوم

٤ - وعظائمٌ تغفو على الجُلّى كما غمتِ الحلُوم

٥ - لا تأسَ فالخيرُ العميمُ بشيرُهُ الكَرْبُ العميم

٦ - هذي الرزايا السودُ تعبثُ بالقلوب وبالجُسوم

٧ - وتُغِيرُ أونةً على الأرواح تفتِكُ بالسموم

٨ - وعلى المعاني الضّاحياتِ تشعُ في ألَقِ الفهوم

٩ - فتُغلّف الآمالَ والأفراحَ غاشيَةُ الهموم

١٠ - والباطلُ المشؤومُ يمرح بين أعطافِ الظُّلُوم



١١ - يلقَى الرعايةَ في حِماه وظلَّه الحاني الرَّؤوم

١٢ - يا قلبُ قل لليلِ ما عفْنا نُجَاك المستَديم

١٣ - أبداً ولا صَمْتَ الحياةِ كصَمتِ سكانِ الرَّجوم



١٤ - فالليل تطربُ فيه آهاتُ الكليمةِ والكليم

١٥ - وتطيبُ بين سكونه نجوى النديم إلى النديم

(*) شاعر سعودي

- المصدر : ديوان ضياء الدين رجب

١٦ - أمّا الصّـبــاح فــإنه أسطورةُ العــهــدِ القــديمْ



١٧ - أيامَ كــان الفــجــرُ يقطر بالشــذى لا يستــهــيم

١٨ - كــانت تهــيم به الســعــادة حــيث كــان بهــا يهــيم

١٩ - والحبُّ ينضَحُ في القلوب من الخَــمــيم إلى الحــمــيم

٢٠ - كــانت مــعــانيــه الحــســان كــخــوْبِهِ مــا إن تريم

٢١ - المجــدُ يعــدو في الرحــاب البــيضِ غــدْوًا كــالظليم

٢٢ - يروي السّحــابُ إلى السّحــابِ صــدى المكارمِ في الكريم

٢٣ - يحنو الكريمُ على الكريم حُنُوَّ اللئــيمِ على اللئــيم



٢٤ - الحسنُ ينطقُ في الصّبــاحــةِ كــالدّمَــامــة في النّمــيم

٢٥ - يا قلبُ فــيك الصــولجــانُ برغم شنشَنة الرغــيم

٢٦ - انظر لأفــراحِ «الجــزائر» في الثُّــغــور وفي التُّــخُــوم

٢٧ - في الكون في عليــا المنازل في القِــبــاب وفي السّــديم

٢٨ - في العــــالَم العلويِ تاهَ اليـــومَ في الملا العظيم

٢٩ - في المسلمين وأنه المجــــدُ المرفّلُ في الصّـــمــيم



٣٠ - مَنحُــوه أرواحَ الشــهــادةِ في الصّــراط المســتــقــيم

٣١ - هذا هو المجـــدُ الزعـــيمُ يضجُّ في روح الزعـــيم

٣٢ - عــاش الدّمُ الصــافي ولا عــاش المخــدّرُ والنّؤوم



٣٣ - ألَقُ الجـــحـــيمِ على المعــاركِ قــد تلألأ في النّعــيم

٣٤ - والقُنَّعُ الأحــيــاءُ كــالموتى لهمْ خلدُ الجــحــيم



٢٤ - طاهر زمخشري(*)

٤٧ - انتصار الفداء

١ - بالينابيع مِنْ سَخِيِّ الدماءِ
من رجالٍ، وصِبيةٍ، ونساءِ

٢ - وبأرواحِهِمْ بكفِّ العَفاءِ
أحرزوا النصرَ بعد طولِ البَلاء

٣ - أخْرَسُوا لا فمَ المدافعِ لكنْ
زمْجَراتِ الطُّغاةِ والأدعياء

٤ - شُرِّدوا، قُتِّلوا وذاقوا صنوفاً
من رزايا تُمِدُّهم بالإباء

٥ - يوقِدُ الحقدُ في الحنايا لهيباً
يترامى طوفانُه في الدِّماء

٦ - فإذا ثورة تمرُّ بها الأعوامُ
مسعُورةَ المدى بالعِداء

٧ - وهْيَ في نشْوةٍ تميسُ وتختالُ
وتشدو بنصرِها الوضّاء

٨ - فالنفوسُ التي تهاوتْ فراشاً
في جحيمٍ يضجُّ بالأشلاء

٩ - ملأتْ أربُعَ «الجزائر» إنشاداً،
وإنَّ الصَّدَى انتصارُ الفداء

****

(*) شاعر سعودي
- المصدر: ديوان ألحان مغترب - ديوان أغاريد الصحراء

٤٨ - بسمة الظفر

١ - طابَ للسِّلْمِ في حِمـاها المقـامُ
مُـذْ تغنّى بنصـرها الإسـلامُ

٢ - وعلى مسـرح البطولةِ والأمـجادِ
حـيَّـا كـفـاحَـهـا الإقـدام

٣ - كـاد يلهـو بهـا شـواظٌ من القُـرْ
قـة طارئٌ لهـوله الأحـلام

٤ - فـانبـرى الشـعبُ للتـآلفِ يدعـو
مَن بأفـعـالهمْ تهـادى السّـلام

٥ - من أقـامـوا على الحـيـاة صُـروحًـا
للأمـانـي على رواهـا ازدحَـام

٦ - قـدْ أبَوْا أنْ يُقـوِّضَ الخُلْفُ مـا شـا
دوا، ويجـتـاح مـا جنوه الخِصَـام

٧ - فـإذا بسـمَـةُ الظفَـرِ اةُ
واغـاريدُ جندِهِ أعـلام

٨ - وإذا مـوكبُ البشـاشـةِ يخْـتـا
لُ على أرضـهـا ويشـدو الوئام

٩ - وابتـهـاجُ النفـوسِ فـيـه نداءٌ
للتـآخي ورَجْـعُـه أنغَـام

١٠ - وسـيـبـقَى الصّدى يصـفقُ في «الأو
رَاسِ» عـذبًا تعـيـدُه الأيام

****

٤٩ - جميلة(*)

١ - القرونُ الطوالُ من أي عهدٍ
لم تخلِّدْ بطولةً كـ «جميلة»

٢ - خَطرَتْ غضَّةً تميسُ إلى السَّجْ
ـنِ، خلاخيلُها القيودُ الثقيله

٣ - وعلى زندها سُوارُ حديدٍ
رقَّ كالخزِّ فوق كفٍّ نحيله

٤ - حَسِبوا أنها تحسُّ وِثاقًا
فإذا بالوِثاقِ خيرُ وسيله

٥ - للفداء المحبوبِ، للخلدِ، للإيـ
ـثارِ قد مَهَّدَ العذارى سبيله

٦ - بالفتاة التي بها هتفَ الكو
نُ، وقد قوَّمتْ معاني الرجوله

٧ - خُيِّرتْ بين موتِها أو يموتُ الثُّـ
ـوَّارُ فاختارتِ الردى في بطوله

٨ - ومشتْ في الحديد، في نشوةِ الظَّا
فِرِ قد جرَّ في فخارٍ ذيولَه

٩ - وعلى خطوِها يزمجرُ شعبٌ
ثارَ من أجلِها ودقَّ طبولَه

(*) قدم القصيدته بعبارة تقول «نعم إنها «جميلة بوحريد» المجاهدة الجزائرية التي كانت أروع مثل للوطنية الصادقة، والعروبة الحقة، والفداء في سبيل التحرر من نير الاستعمار الغاشم» . وقد نظمت هذه القصيدة بمناسبة يوم الجزائر لجمع التبرعات.. بالمملكة العربية السعودية للمجاهدين الأحرار بالجزائر.

١٠ - ودعا للحفاظ والأخذ بالثأ
ر أباةٌ أسيافُهم مصقوله
١١ - والتراب الذي تدوسُ ينادي
عطِّري الأفقَ بالشذا يا خميله
١٢ - أنتِ من مَربع البطولاتِ غرسٌ
طيِّبُ النبتِ من جذورٍ أصيله
١٣ - تتعالى إلى السماء سُموقاً
وتعود الأحداثُ عنها كليله
١٤ - لإباءٍ ما زال ينشرُ في الأجـ
ـيال آثارهُ، وكنتِ دليله
١٥ - أنتِ يا من لَثَمْتِ كفُّ المنايا
وتذودينَ عن حياض الفضيله
١٦ - عن حياضٍ تردُّ كيد الرزايا
طائشاتٍ؛ ممزقاتٍ؛ ذليله
١٧ - البطولاتُ في حِماها كنوزٌ
ومفاتيحُها النفوسُ النبيله
١٨ - النفوسُ التي تسيل على الأرْ
ضِ دماءً تسقي الحِمى وسُهوله
١٩ - من دماءِ الأحرارِ يجري بها البطْـ
ـشُ؛ ليُذكي في كلِّ شبرٍ فتيله
٢٠ - لترى الدرب أنفُسًا تتهاوى
في مجالٍ وليس ترضى بديله
٢١ - في مجالٍ يحلو الفداء ويحلو
فيه بذلُ الأرواحِ وهْيَ جليله
٢٢ - ولئن أُثخِنتْ جراحاً ولاقتْ
من صنوف العذابِ شرَّ حَصيله

٢٣ – فـــالمروءاتُ هـاتفـــاتٌ أعـــينوا

بـالنفـــيسِ الثَّـــمينِ أرضَ البطولَه

٢٤ – فـالضَّـحـايا التي تهـاوتْ فـراشًـا

في جـــحـــيمٍ، كُـــهـــولةً وطفُـــولَه

٢٥ – فـاعـيـدوا الصَّـدى نميـراً من الآ

لاءِ مـــهـــمَـــا همَتْ أراها ضَـــنـــيله

٢٦ – هل تُسَـــاوي جُـــرحًـــا بكفّ أبيٍّ

أو تســـــاوي بالله بَذْلَ «جـــمـــيله»

****

٥٠ - كأس النصر

١ - قد شربتمْ أبطالَ «أوراسَ» كأسًا

وعلى نخبكمْ تغنَّى السلامُ

٢ - وهْيَ في كفكمْ تفيضُ بشاشًا

تروانُ الآمالَ ساقٍ وجَام

٭٭٭٭

٣ - ما اختلفتمْ والموتُ يحصدُ شعباً

في ضروسٍ على لظاها زِحَام

٤ - تتهاوى الأرواحُ فيها فداءً

ويباري الفطيمُ فيها الغلام

٥ - كلَّما أشعلَ الطغاةُ لظاها

كُبْكِبوا في أتونِها وترامَوا

٦ - فانجلَى غيهبٌ ولاح انتصارٌ

تتهادى بنشرهِ الأنغام

٭٭٭٭

٧ - وهْيَ تشدو بعُصْبةٍ وحَّدوا

الصفَّ ونادوا لا فُرقةَ لا خِصام

٨ - والصَّدَى لا يزال يهتفُ في

الدنيا بما أحرَزوا وسادَ الوئام

٭٭٭٭

٩ - وعلى فَــرْحَــةِ انتــصــــارِ البطولا

تِ انتشَـــشيـــينا وانتمُ الأعــــلام

١٠ - لم تزلْ في الكفـــاحِ تزحف بالأبْـ

ـطَال، والنصـــــرُ في المدى بسّـــــام

****

٢٥ - عبد الرحمن بن زيد السويداء(*)

٥١ - أم لمليون (١)

١ - على الخـــدينِ تـاســـيلُ
وفـــوقَ الثُّـــغـــرِ تـهـليلُ
٢ - مَـحتْ أدرانَ مـــاضـيــهـــا
أمَـــاطتـــهـــا المناديل
٣ - تلالا وجـــهُـــهـــا بَضّـــاً
تُحـــاكـــيـــهِ القناديل
٤ - بَدتْ عـــــربيَّـــــةً قُحًّ
لـهــــا فـي الأصـلِ تَـنويل
٥ - تبَــاهتْ وسْطَ جــيـــرانٍ
تُتَــوِّجُــهـــا الأكـــاليل

كأنها يوم عيد

٦ - أنـا عـــــــذراء «أوراسٍ »
لـيَـــــعْـلـمَ بـاقـي الـنـاسِ
٧ - بـأنَّ المجـــدَ مـن صنـعِي
ومن وحـــيي وإحـــسَـــاسي

(*) شاعر سعودي
- قدم الشاعر لقصيدته - في ديوانه - بقوله: «في يوم الإثنين المبارك ١٤/١٠/١٣٨١هـ الوافق ١٩/٣/١٩٦٢م وقعت فرنسا والجزائر اتفاقية وقف إطلاق النار بعد كفاح استمر سنوات طويلة ترجتها سبع سنوات متواصلة من القتال المرير، انتزع الإخوة الجزائريون النصر من الأعداء بقوة الإيمان والسلاح، وبهذه المناسبة قلت هذه الأبيات وعمري آنذاك ١٨ سنة» .
- نظمت القصيدة في الروضة - حائل ١٩ مارس ١٩٦٢ .
- المصدر : ديوان رؤى مسافر - ديوان لواعج
(١) كتب قصيدته في الجزائر وذلك بتاريخ ٢٦/٣/١٩٨٠ ، وكان يرى الجزائر للمرة الأولى.

٨ - ترعرعَ بين أحضاني
شديدُ العَزمِ والبأس
٩ - على بحْرٍ من القاني
طردتُ المجرمَ القاسي
١٠ - نزعتُ النصرَ من خَصْمي
بإزنادي وأضْراسي

وكل عزم أكيد

١١ - يلوح بأنفِيَ الشَّمَمُ
نمَاني المجدُ والكرَم
١٢ - إلى «عدنانَ» مُنْتَسَبي
وفيه العزُّ يحْتَدِم
١٣ - و«قحطانٌ» ولِيُّ جَدٌّ
زناتيٌّ له عَلَم
١٤ - يرفرفُ فوق أرجاءٍ
ويخفقُ حيثُ يقْتَحِم
١٥ - فسَادوا حينما كانوا
وعمَّ الأرضَ عدْلُهُم

وذاك مجد تليد

١٦ - ومنهمْ جاءني «نافعٌ»
وأثبت نوريَ الساطعْ
١٧ - هو الإسلامُ لي دينٌ
يتوج صيتيَ الذائع
١٨ - فألبسني به ثوبًا
جديداً دائماً رائع
١٩ - كفاحي كان مبنيّاً
على أسلوبه الناجع

٢٠ - صلابتُه وقوتُه
هما في أفقِه الواسع

لكل فن جديد

٢١ - وفي إغفاءةِ الزمنِ
أتى الباغي إلى حُضني
٢٢ - وأثقلَ ظلُّه صدري
وأرواني من المحَن
٢٣ - وكبلني بأغلالِ
ومصَّ دمي بلا ثمن
٢٤ - إلى أن خارَ لي عزمٌ
وكِدتُ أصيرُ في الكفن
٢٥ - كسرتُ القيدَ في صلَفٍ
أحطِّمُ قاسيَ الزمَنِ

مهما يكن من حديد

٣٦ - بجسمِ الثورةِ الكبرى
وأبطالٌ بها تترى
٢٧ - دماؤهمو لنا نارٌ
تذيبُ بحرِّها الصخرا
٢٨ - وأرواحٌ لنا نورٌ
يضيء مسالكَ الصحرا
٢٩ - وأجسادٌ لنا دربٌ
تدكُّ المسلكَ الوعرا
٣٠ - إلى أن سلَّمَ الأعدا
لتلكَ الثورةِ الكُبرى

أم المليون شهيد

٣١ - وفي أحزاري الخمسه
يواري المعتدي رمْسَهْ

٣٢ – فهمْ رمزٌ لأبطالٍ
وهم للعالَم الهمسَه
٣٣ – بأن الحقَّ وضّاحٌ
إذا ما حاولوا طَمْسَه
٣٤ – وإن الظُّلمَ مُنزاحٌ
بنور الحقِّ في شمسه
٣٥ – بعون الله أصباغٌ
على الأزنادِ في لمسه

فهي للحق تعيد

٣٦ – وبعد الثورةِ الكبرى
بدأت الثورة الخَضْرا
٣٧ – لألبس ثوبَ «حيَّاكه»
يضمُّ الخيرَ والبُشرى
٣٨ – وأبني الريِّفَ والأورا
سَ، والأنجادَ والثُّغرا
٣٩ – وأصنعُ كلَّ حاجاتي
بجيلِ النهضةِ الكُبرى
٤٠ – لذا يدعونِيَ الداعي
النَّبي صوتَهُ فَخْرا

لكل شيء يريد

٤١ – أنا في مِشْيةِ العَجَلِ
أخُبُّ بلَذَّةِ العملِ
٤٢ – وغرسي كلَّ إصباحٍ
تباشيرًا من الأمل
٤٣ – بحقلٍ ينبت الأثما
رَ في الصحراء والسَّهل

٤٥ – وابني البـيتَ في الأمْـصَـا

رِ والأريـافِ والجَـــــــــــبَـل

٤٦ – فـمـعــذرةٌ أخـي في العُـرْ

بِ والإســــــــلامِ عـن زَلَـلِـي

إلى لقاء جديد

****

٥٢ - الجزائر

١ - وبجانب المذياعِ أرقبُ لحظةً
القلبُ يخفقُ والعيونُ تُحدِّقُ
٢ - صَديانُ لا يطفي الغليلَ حشاشتي
إلا إذا قَيْدُ «الجزائرِ» يُطلَقُ
٣ - هَدرَ الأثيرُ وقد علَتْ موجاتُه
أنباءُ عمَّتْ غَربَنا يا مَشْرقُ
٤ - حملتْ «فرنسا» عارَها واستسلَمتْ
وبدَتْ سريعاً للقرار تُصدِّقُ
٥ - ثمرُ الكفاحِ تمايلتْ أغصانُها
ويدٌ مضرَّجةٌ لجني تُعْشَقُ
٦ - بضعُ السنين تعاقبتْ بأوارِها
حرباً يشيبُ لهولِهنَّ المَفْرِقُ
٧ - هُنيتَ يا شعبَ «الجزائرِ» ظافراً
والرايةُ الخضراءُ فوقك تخفُقُ
٨ - شأنُ العروبةِ قد علا بكفاحِكم
والمعتدونَ ستارُهم يتمزَّقُ
٩ - مَن كـ «ابنِ بلا» أو «جميلةَ» والألى؟!
وصلوا ذُرا المجدِ الأشمِّ وحلَّقوا
١٠ - بلدُ العروبة كلُّها في نشوةٍ
الشِّيبُ ترقصُ والكهولُ تصفِّقُ

١١ - سَجع الحَمامُ وقد علا بهديلِهِ

والغصنُ يندى مُزهراً يتَورّق

١٢ - صُمُّ الصخورِ تجاوبتْ لحديثِه

بَدتِ الصِّبا من تحته تترقرَق

١٣ - لولا الجريحةُ والجنوبُ لتمَّ للـ

ـعُربِ الصَّفا والعزُّ فيهم يَخْفُق

****

٢٦ - عبد الرحمن المعاودة(*)

٥٣ - جهاد الجزائر

١ - تضيقُ القوافي عن جهاد الجزائرِ
وإطراءِ ما قاموا به من مَآثرِ

٢ - هُمُ قومٌ ما هانوا لدى الخَطبِ أو ونُوا
وما نكَصُوا يوماً أمام العساكر

٣ - تحدُّوا «فرنسا» بالعِصيِّ فأذهلوا
جميعَ بني الدنيا بعَزمِ الجَبابر

٤ - يسيرونَ نحو الموتِ والبشرُ طافحٌ
على أوجهٍ مثل البدورِ الزَّواهِر

٥ - ومن رامَ عزّاً في الحياةِ ترفّعتْ
به النفسُ عن كلِّ الأمورِ الصَّغائر

٦ - هو الموتُ أكسيرُ الحياةِ فَحَيَّهَلاً
به إنْ دعا الداعي لكسبِ المفاخِر

٧ - أولئك أبطالُ «الجزائر» حقَّقُوا
أمانيَ ما مرَّتْ ببالٍ وخاطِر

٨ - مشوا للجهادِ لم يرَ الكونُ مثلَهُ
وما قصَّروا من فتيةٍ أو حَرائِر

(*) شاعر قطري.
- ألقى هذه القصيدة في الحفلة الكبرى التي أقيمت بالمدرسة الثانوية بالدوحة، تحت رعاية معالي وزير المعارف، وذلك بمناسبة وقف إطلاق النار بالجزائر.

٩ – تطولُ رقابُ العُربِ طراً لذكرهمْ
وتلتَفتُ الدنيا لهمْ بالمشاعرِ
١٠ – إذا كلّتِ الأقلامُ أن تكشفَ الأذى
فدَعْها وقمْ نحوَ السيوفِ البَواترِ
١١ – فإنّ ثغاءَ الضّأنِ ليس بمانعٍ
عن الضأنِ أنيابَ الذئابِ الكواسرِ
١٢ – وما نالَ حقّاً ضائعًا غيرُ سيِّدٍ
إذا ما مشى للمجدِ ليس بعاثرِ
١٣ – فقفْ أيها التاريخُ واشهدْ بما ترى
وخَلِّدْ بطولاتِ الكُماةِ الأكابرِ
١٤ – رفاق «ابن بلا» و«ابن بلا» وشعبهِ
هُمُ أعجزوا في الناسِ كلَّ مكابرِ
١٥ – هُمُ ذكّروا الدنيا بمجدِ جدودِنا
وأمجادِنا من كابرٍ بعدَ كابرِ
١٦ – هنيئًا بني الفصحى فقد طابَ فألُكمْ
وإنّ لكم في اللهِ أعظمَ ناصرِ
١٧ – هنيئاً فإنّ الفجرَ أشرقَ نورُه
بصحرائنا الكبرى وفوق الحواضرِ
١٨ – بني الضّادِ من هذا الخليج لطنجةٍ
دعوا اليومَ عنكمْ كلَّ هذا التنافرِ
١٩ – وكونوا جميعاً إنما القومُ بيّتوا
لكمْ في «فلسطينَ» شرورَ المخاطرِ
٢٠ – هو الجسمُ بالأطرافِ يكملُ خَلْقُهُ
وينقصُ حتى في ضياعِ الأظافرِ

****

٢٧ - عبدالعزيز الرفاعي(*)

٥٤ - كلمة . . إلى الجزائر

١ - قبلَ أنْ تصدُقَ المنى بالبشائرْ
حمَّلتْني إليكَ حلوَ الخواطرْ

٢ - خطرتْ بي.. إلى ثَراكَ فما أرْ
وَعَ ما جنَّحَ الخيالُ المسافِر

٣ - مَثُلتْ لي، من قمةِ المجدِ أعلى
ما تناهتْ إليه أحلامُ شاعر

٤ - فإذا فوق ذروةِ المجدِ أخرى
وعلى قمةِ السِّماكِ «الجزائر»

٥ - ذكَّرتْني.. ولم أكن غيرَ ذاكرْ
إنها في الجهاد كبرى الثوائر

٦ - سَكَبتْ في النضال بحرَ دماءٍ
زَنْبقيَّة.. فكان أطيبُ هادر

٧ - فإذا ثورةُ الدماء نعيمٌ
يتصبَّى، حتى الملاح الحرائر

٨ - «الجميلاتُ» والكُماةُ سواءٌ
صنعَ الكلُّ بالفداءِ «الجزائر»

(*) شاعر سعودي .
- ألقى قصيدته في مؤتمر الأدباء بالجزائر عام ١٩٧٥ .
- المصدر : ديوان ظلال ولا أغصان .

٩ – اضلعي .. ملؤها الشّحايا العواطرْ
من بلادٍ تكنُّ خُبزَ «الشاعر»
١٠ – حملوني الهوَى (خِلْتُ) ضميري
حامِلاً كلَّ ما حَوتْهُ الضمائر
١١ – ولئن جلَّلَ الأسى كلماتي
فالمصابُ العظيمُ ملءُ السّرائر
١٢ – وعزائي بأنَّ «فيصلَ» قد كنّا
دَ يلاقي قبلَ الرحيلِ «الجزائر»
١٣ – يا حُماة العرينِ كبرى الكبائرْ
أنْ تحوزَ الكلابُ كهْفَ القساور
١٤ – في «فلسطينَ»، ما نسينا بقايا
من رِمامٍ تئنُّ تحت المقابر
١٥ – قد سخوتمْ هنا بمليون ثاوٍ
فاجعلوهمْ هناك مليونَ عابر
١٦ – سدُّوا فوهةَ المدافعِ وامحوا
صدأ الريْثِ.. وازحفي يا «جزائر»
١٧ – تعبَ اليأسُ واستراح المُحَاورْ
خدعَةٌ ادمنَتْ عليها المحاور
١٨ – وهَبَتْ للعدوِّ بحبوحةَ العُمْـ
ـرِ وجادتْ لنا بأسخَى الخسائر
١٩ – عِظَةٌ لو تمرُّ بالحجرِ الصَلْـ
ـدِ مراراً لفجَّرَ الأرضَ ثائر
٢٠ – لمَ لا نضربُ الترددَ بالحَزْ
مِ ونمضي على طريق «الجزائر»؟

****

٢٨ - عبدالعزيز الرويس(*)

٥٥ - في ربا وهران

١ - في رُبا «وهرانَ» سِحْرٌ فاتِنٌ
وعلى الشّاطئ يختالُ الجَمالْ

٢ - ودنا للنفسِ ما تطلبُهُ
وغَدَا سهْلاً بها ما لا ينالْ

٣ - حرّرَ الشعبُ بها موطنَهُ
فأتينا نحْتسي النّخبَ احْتفالْ

٤ - نحن في «نجدٍ» وفي أرضِ الحِمَى
من رُبَا «مكةَ» واكْتَبْنا النضالْ

٥ - أيها الطلابُ في معهدِنا
حَقِّقوا البحثَ وتوقُوا للكمالْ

٦ - واطلبوا العلمَ وسيروا للعُلا
إرفعُوا النورَ إلى أعلى الجبالْ

٧ - فَرُبا «أوراسَ» تدعوكمْ إلى
نهضةٍ عُليَا وأيامٍ جِلالْ

٨ - أنترِ يا أرضَ الأُلى مَن فتحوا
واستعادوا المجدَ في دنيا النزالْ

(*) عبدالعزيز بن عبد الله الرويس، شاعر سعودي
- يذكر في هامش القصيدة أنه ألقاها في احتفال معهد المعلمين بوهران بالجزائر عام ١٣٨٦ هـ عندما كان مدرسًا بتلك المعهد.
- المصدر : ديوان حصيد الزمن

٩ – أَلْزَمُوا المحتلَ يحني راسَه
وَمَشَوا للمجدِ في عزمِ الرجالْ

١٠ – اعلنوها حربَ جهلٍ شَمَلَتْ
كل شبرٍ من سهولٍ وتلالْ

١١ – حصنوها بسياجٍ سَنَدُهُ
خُلُقُ الإسلامِ حتى لا يُنالْ

١٢ – جنِّبوها الخُلفَ تبقى حرّةً
وحِّدوا الصفَّ بفعلٍ ومقالْ

١٣ – لا تُطالوا وحدةَ الشعبِ بما
يُذْهِبُ الريحَ ويُؤذي للكمالْ

١٤ – واذكُروا مَن حرَّروا واسْتُشْهِدوا
بسهولٍ وتلالٍ وجبالْ

****

٢٩ - عبد اللطيف إبراهيم النصف(*)

٥٦ - في معركة الجزائر

١ - لمن الشعبُ فوقَ أرضِ الجزائرْ
ملأتِ الأرضَ تحتَهُ وهْوَ صابرْ

٢ - لمن الثورةُ التي لم يرَ التا
ريخُ يومًا مثلاً لها أو نظائرْ

٣ - ملأت معجزاتها مسمع الدنْـ
ـيا وهزّت من الأنامِ المشاعر

٤ - فانظروا هل قتيبةٌ والمثنى
بُعِثا في صفوفها وابنُ عامر

٥ - أم على الخيل خالدٌ قاهرُ الأبْـ
ـطالِ يوم الوغى تجاه البَواتر

٦ - أم هو الليثُ طارقٌ يعبرُ البَحْـ
ـرَ وينقضُّ كانقضاض الكواسر

٧ - ما رأى الناسُ لا ولم يسمع النا
سُ كهذا ولم يمرَّ بخاطر

(*) شاعر كويتي.

- قدمت مجلة «الهدف» لهذه القصيدة حين نشرتها بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩٦٢ بقولها: «الجزائر ترقب الاستقلال والشعوب العربية تنتظر هذا الحلم بفارغ الصبر، ولقد نالت الجزائر العربية استقلالها بعد أن دوخت المستعمر الفرنسي وبعد أن ضربت أمثلة في البطولة والإقدام يعجز البيان عن وصفها، لكن ريشة شاعرنا الكبير أبت إلا أن تسجل هذه البطولات بهذه الأبيات».
- المصدر: منارة الشاعر عبد اللطيف النصف

٨ – ضاقتِ الأرضُ بالضَّحايا على رَحْـ
ـبٍ وكادت تغصُّ فيها المقابر
٩ – قد تتالت حتى تجاوزت المِلْـ
ـيونَ عدّاً ما بين بادٍ وحاضر
١٠ – وردوا بالنفوسِ حوضَ المنايا
لم يبالوا إذ لم يكنْ ثمَّ صادر
١١ – اقسموا غيرَ حانثينَ بالا
يستباحَ الحِمى وفي الحيِّ ثائر
١٢ – فسلِ الخصمَ عنهمُ كيفَ لاقا
همْ وماذا راه؟ إن لم يكابر
١٣ – لم تفدْهُ بوارجٌ غطَّتِ البَحْـ
ـرَ وسدَّتْ دروبَهُ والمعابر
١٤ – وجيوشٌ تزج إثرَ جيوشٍ
ما لها قطُّ أولٌ أو آخر
١٥ – وسحابٌ من طائراتٍ تَصُدُّ الشَّـ
ـمْسَ في الخافقين عن كلِّ ناظر
١٦ – ممطر بالحديد والنار تجتا
حُ جميع القرى وتمحو الدساكر
١٧ – لم يدعْ في الفلاة مأوًى لوحشٍ
لا ولا في السَّماءِ منجى لطائر
١٨ – إيهِ يا شعبُ انت يا مفخرَ الأجـ
ـيالِ لم تُبْقِ فخْرًا لمفاخر
١٩ – إيهِ يا شعبُ انت يا صانعَ الأبـ
ـطالِ انتَ في الصُّنع يا شعب ماهر

٢٠ - حشدَ القومُ كلَّ أسلحةِ المو

تِ لكي يظفروا - فكنتَ الظافر

٢١ - فتداعى العدوُّ يأساً وقدْ حَطْ

طَمْتَ أنيابَهُ له والأظافر

٢٢ - وغدا يَنْشُدُ السلامَ وقد مُرْ

رِغَ في التُّرْبِ أنفُه وهْوَ صاغر

٢٣ - عجزَ الوصفُ عن مَداك فعُذرًا

إنْ كَبَتْ دونَه قريحةُ شاعر

****

٣٠ - عبد الله بن إدريس(*)

٥٧ - صوت الجزائر(١)

١ - لا لن نحيدَ عن الكفاحْ
٢ - ولن نحار .. ولن نهون
٣ - أو يستبدَّ بنا السكون
٤ - رغم المقاصلِ و السجونْ
٥ - حتى نمرِّغَ طاغيًا
٦ - طاغٍ و قاح
٧ - في بؤرة الخزي الفظيع
٨ - و نذيقُه البأسَ المريعْ
٩ - فشعارنا
١٠ - لنضالنا :
١١ - ألاَّ نحيدَ عن الكفاح
١٢ - أبداً . ولن نضع السِّلاحْ
١٣ - حتى نطوِّحَ بالغزاة
١٤ - بالفاتحينْ
١٥ - الغاصبين
١٦ - بحثالةِ المستعمرين



(*) شاعر سعودي .
(١) صدر قصيدته بعبارة تقول : إلى كل مجاهد في سبيل الحق و الحرية و السلام، إلى ابطال الجزائرالمغاوير . إلى جميلة بو حيرد و جميلة بو باشا و اخواتها في النضال .
- المصدر: كتابه : شعراء نجد المعاصرون

١٧ – أبدًا سنزحفُ للفداء
١٨ – للثأر .. للحق السليبْ
١٩ – لنُطهرَ الوطنَ الحبيبْ
٢٠ – عمّا قريبْ
٢١ – من لعنةِ الزُّرْقِ العيونْ
٢٢ – شعب الدعارةِ والمجونْ
٢٣ – فاحْمل سلاحَك يا أخي
٢٤ – و تدرّعِ الصبْرَ الجميل
٢٥ – لنحطم القيدَ العتيد
٢٦ – قيدَ الطغاة

☼☼☼☼

٢٧ – يا بن الجزائر .. ياشريكي
٢٨ – في الشدائدِ و الرخاء
٢٩ – ومُضمّخًا جرحًا تنزّى بالدماء:
٣٠ – قم نسحقُ الباغي ونثأر في إباء
٣١ – لدم الشيخِ الكبيرْ
٣٢ – و دمِ الطفلِ الصغيرْ
٣٣ – و دموعِ أيتامٍ تشرّد في العراء
٣٤ – في الحيرة الصماءْ
٣٥ – في سجن الشقاءْ .. !
٣٦ – و البؤسُ ينذرُ بالفَناء
٣٧ – وعيونهمْ صوبَ السماء
٣٨ – تستنجدُ الربَّ الكريمْ
٣٩ – عونًا على تلك الوحوشِ
٤٠ – الضارياتْ
٤١ – ليعيدَ أفراحَ الحياةْ

٤٢ - والسلمَ والأمنَ الوديعْ
٤٣ - فوقَ الربوعْ

☼☼☼☼

٤٤ - والمرأةُ الثُّكلَى تئنُّ
٤٥ - وتستجيرْ
٤٦ - لكنها والبؤس
٤٧ - والجوع الضريرْ
٤٨ - والحزن يفتِكُ بالضميرْ: -
٤٩ - ابدًا تجلد للعداء
٥٠ - وكأنها لم تجرع الكأس المريرْ
٥١ - بل سعَّرَ الحقدُ الدفين أوارَها
٥٢ - والحزنُ زاد بها المضاء
٥٣ - أبدًا تراها
٥٤ - قبسةَ النورِ المشعشعِ في الفضاءْ
٥٥ - و الغادةِ الهيفاءْ
٥٦ - في دربِ التحرر و الإباءْ
٥٧ - جبارة تحكى الخشونةَ
٥٨ - في معانيها الوضاء
٥٩ - جبارة نسخت
٦٠ - بطولاتِ الحرائرِ
٦١ - و الإماءْ

☼☼☼☼

٦٢ - «جان دارك» إن تكُ في المفاخرْ
٦٣ - لك يا « فرنسا» في الغوابرْ
٦٤ - فلدى العروبة في الجزائر: -
٦٥ - جان دارك . . كُثْرٌ كاثرْ

٦٦ – يحنو لها التاريخُ هامًا صاغرْ

٦٧ – لكِ أنت يحنو

٦٨ – «يا جميلة»

٦٩ – ولِدَاتكِ اللاتي صنعنَ البطوله

٧٠ – ما كنتِ يومًا ترهبينَ المقصلة

٧١ – بِلَّهْ السجونِ المظلمة

٧٢ – فالحرُّ لا يرضى حياةَ الذلِ الفَ عامْ

٧٣ – والموت في إعلاء الحقِّ يمحو كل ذامْ

☼☼☼☼

٧٤ – أختاهُ عزَّ بك الفداءْ

٧٥ – أختاه طابَ لك الرجاءْ

٧٦ – فالنصرُ لاحَ مع الصَّباح

٧٧ – وعلى الأسنَّةِ والرماحْ

٧٨ – لم يبقَ في كأسِ

٧٩ – العداءْ

٨٠ – إلا دماءْ

****

٥٨ - المجاهد الجزائري(*)

عُكازتي «بُندقيي» في ساحل الرُّهَبِ
ومِقْولي «مِدفعي» في موطِنِ الغَضَبِ
ومسكني «زيبة» في رأسِ شاهقةٍ
لكنَّ ساكنَها ليثٌ . . . من العَرَبِ
من مثلها نرسل الطلقاتِ صارخةً
كالرعدِ يرزمُ في جونٍ من السُّحُبِ
على «بني السين» من طاشُوا ومن نزقوا
وانكروا حقَّنا من سالفِ الحُقُبِ
ديسَ العرينُ فما أحرَى بأمتِنا
انْ تستميتَ لأخذِ الثارِ و الغَلَبِ

☼☼☼☼

مهلاً «فرنسا» ألمْ يندرْكِ ما كسَبتْ
ايدي غزاتِكِ من عارٍ ومن تَبَبِ
امامَ «هتلرَ» إذْ احنيتِ صاغرةً
وعاد جيشُكِ من راسٍ إلى ذَنَبِ
ثمْ «الفيتنامُ» إذْ دكّتْ قواعدَكُمْ
حتى اطاحتْ بها في نمةِ القُضُبِ

(*) صدر قصيدته بعبارة : نظمت على لسان احد المجاهدين الجزائريين الاحرار و اذيعت من راديو القاهرة في شهر يناير عام ١٩٥٦م.

إنّ «الجزائرَ» لن تبقى مكبّلةً
فريسةَ الجهلِ والأمراضِ والسّغَبِ
بل سوف تكتبُ – في صبرٍ وفي جَلَدٍ
«ثالوثَ» خزيكِ .. يا حمالةَ الحَطَبِ
☼☼☼☼
لا درّ درُّكُمو يا قومُ إنْ تَهِنُوا
عن الكفاحِ ، و عن تمزيقِ مُغتصِبِ
ضحُّوا بكلّ نفيسٍ في كرامتكمْ
بالنفسِ بالمالِ لا الأعراقِ و الحَسَبِ
صوتُ «المدافعِ» أحلى في مسامعِنا
ممّا يقدّمُ من شكوى و من طَلَبِ
و السيفُ أبلغُ قولاً زانهُ عملٌ
في موقفٍ حرجٍ – من منطقِ الخُطَبِ
عصرُ الكلامِ مضى والآن أعقبَهُ
عصرُ «الأساطيلِ» بين الجوّ والعَبَبِ
كفى هوانًا بني قومي فقدْ مُنِيتْ
أرضُ «الجزائرِ» بالأرزاءِ والنُّوَبِ
داسَ العرينَ وحوشٌ جِدُّ ضاريةٍ
فانشَبتْ ظفرَها و النابَ في العربِ
هيّا إلى الموتِ أو مجدٍ نُجدّدُهُ
هيّا نخضْ غمراتِ الحربِ عن كَثَبِ
هيّا نردُّ جيوشَ «السينِ» صاغرةً
بقوةِ العزمِ والإقدامِ والدأَبِ
☼☼☼☼

يا بنَ الجزائرِ لا يخدعْكَ ما وعَدوا

من «المساواةِ» في الأموالِ و الرُّتبِ

صنْ - غيرَ منخدعٍ - في كلِّ معركةٍ

حِمى بلادك من غازٍ ومُستلِبِ

وانهضْ شجاعًا إلى الميدان مُمتشِقًا

سيفًا من الرأيِ أو عضْبًا من القضبِ

****

٣١ - عبدالله ستان(*)

٥٩ - الجزائر

١ - «رمتِ الجزائرَ» أعينُ الحسادِ
فتقطَّعتْ إربًا من الأحقادِ

٢ - ماذا جرى في أرض اسادِ الشَّرى
في تلبُّكُمْ الأوغادِ والأنجادِ

٣ - من ذا بـ(وهران) تعيثُ ذئابُه
فينالُ من زعمائها الأسيادِ

٤ - اللهُ أكبرُ هل غدتْ الغُوبةُ
حتى يعيثَ بها ذوو الإفسادِ

٥ - وهْيَ التي وقفتْ بوجهِ عدوِّها
سبعًا من الأعوامِ بالمرصادِ

٦ - يجتاحُها الإعصارُ وهْيَ صَمُودةٌ
لا يستخفُّ بغصنِها الميَّادِ

٧ - قرنٌ ونصفُ القرنِ ذاقتْ وحدَها السُّـ
ـمَّ الزعافَ وذلَّ الاستعبادِ

٨ - إن الفرنسيسَ اللئامَ تكالبوا
واستأثروا فيها بالاستبدادِ

(*) شاعر كويتي.
- كتب في صدر قصيدته: بعد أن تراكمت عليها (الجزائر) السحب الدكناء التي منيت بها يوم استقلالها في ١٩٦٢/٧/١
- المصدر: ديوان نفحات الخليج.

٩ – أتظنُّ أنَّ المجرمَ السفّاكَ قدْ

هانَ الجلاءُ عليه بالأجْنادِ

١٠ – من غير ما يهوي بضربتِه التي

قدْ تفْصِلُ الأحشَا من الأكبادِ

١١ – لا لن يهونَ على العدوِّ رحيلُه

عنها ويتركَ موطنَ الأمْجادِ

١٢ – حتَّى يسوطَ الماءُ أو يرمي به

حجَرًا يعكِّرُ صفوَهُ للصّادي

١٣ – قامت بها الحربُ العَوانُ فأصبحتْ

نيرانُها تقتاتُ بالأجسادِ

١٤ – أبلَى الرجالُ بها بلاءً طيِّبًا

حَسنًا وهبُّوا هبَّةَ الآسَادِ

١٥ – فتقدَّمُوا مُتكاتِفِينَ إلى العِدا

واستأثرَ الشهدا بالاسْتشهَادِ

١٦ – ورِثوا البطولةَ والشجاعةَ في الوغَى

عن أكرمِ الآباءِ والأجدادِ

١٧ – حتى إذا ما الحربُ ألقتْ وبخَتْها

أوزارَها في هضْبِها والوادي

١٨ – وبدا السلامُ يطلُّ من شُرُفاتِ «أوْ

راسٍ» على «وهران» بالإسْعَادِ

١٩ – وافتَرَّ ثغرُ النصرِ بسَّامًا بها

وأقيمتْ الأفراحُ للأعيادِ

٢٠ – ما إن بدا نور السلام مُبشِّرًا

حتى فَرتْها مُديَةُ الجلادِ

٢١ – وغدَتْ تُخبِّطُ في الظلام كأنها

عشواءُ تاهتْ عن طريقِ الحادي

٢٢ – شقّ الخلافُ صفوفَ من شادوا لها
صرحًا يضاهي النّجمَ بالإسعاد

٢٣ – لا يا «ابْنَ خدّة» فالعدوُّ وراءكمْ
مُتَربصٌ كتَربُّصِ الصيّاد

٢٤ – لا يا «ابنَ يوسفَ» لا تحيدَ عن الهُدى
واجعلْ طريقكَ منهجَ القُصّاد

٢٥ – لا تتركوا الفَجَواتِ بين صفوفِكمْ
إنّ الفجَاءَ عسيرةُ الإيصاد

٢٦ – ضعْ كفَّكَ اليمنى بغيرِ تردُّدٍ
في كفّ «أحمدَ» مَنْهلُ الورّاد

٢٧ – من راحَ يرفعُ للجزائرِ عاليًا
علَمًا ينيفُ على ذُرا الأطْواد

٢٨ – متآزرٌ والشعبُ في محْنَاتِه
لا يستكينُ لطُغمَةِ الأوغاد

٢٩ – دخل السجونَ ولم تزلْ زنزانةُ الرّ
رئبالِ كالنبراسِ للإرشاد

٣٠ – «أوراسٌ» واثقةٌ به ويهَديهِ
عالِي السَّنا كالمشْعَلِ الوقّاد

٣١ – فهْوَ المجاهد والذي من صِدْقِه
قطَعَ اللسانَ الملتوي بالضّاد

٣٢ – حصنُ «الجزائرِ» «أحمدٌ» ورفاقُهُ
والشعبُ لهُدمُها على الأضْدَاد

٣٣ – لا تَرجعُوا للأسْرِ بعد فكاكُمْ
فالذلُّ بالأغلالِ والأصْفَاد

٣٤ – فلأنتمُ للشعبِ حصنٌ مانعٌ
ولأنتمْ للأرضِ كالأوتَاد

٣٥ – إنَّ العروبةَ تشرئبُّ إليكمْ
أعناقُها شوقًا إلى الميعاد
٣٦ – فتُشاركُ «الأوراسَ» في أفراحِها
وتفيكمْ بالصدقِ في الأوعاد
٣٧ – أنتمْ ليوثُ المشرقيْنِ وأنتمْ
للنائباتِ على العدوِّ العادي
٣٨ – ما إنْ زأرتمْ بالعلوجِ وأقبلتْ
زمرُ الفِدا وطلائعُ الذُّواد
٣٩ – حتى غدتْ «باريسُهمْ» في مأزقٍ
من شدةِ الإبراقِ والإرْعاد
٤٠ – وغدَتْ تبثُّ الرعبَ في أوساطِهمْ
في كلِّ مجتمعٍ بها أو نادِ
٤١ – تتطايرُ النيرانُ في حاناتهمْ
فتُحيلُها كومًا من الأبلاد
٤٢ – لم يجدْ في الحربِ الضَّروسِ أشدَّ من
رمي القذائفِ في ذَوي الإلحَاد
٤٣ – فعليكمُ ألفُ السَّلامِ وألفُ ألـ
ـف تحيةٍ تترى مَدى الآباد

****

٦٠ - جميلة بوحيرد

١ – ادفعْ بهمّتكَ الجليلة
شبحَ المنيّةِ عن «جميلة»
٢ – شبحَ المشانقِ والمقا
صلِ والشقاءِ بكلّ جيله
٣ – واجعلْ ذراعكَ بين رِقْـ
بَتِها وبينَ ذوي الرذيله
٤ – وارفعْ إلى الوسَطاءِ صَوْ
تكَ حول صاحبةِ البطوله
٥ – هي من بنات الصيد أصْـ
حابِ العزائمِ والرُّجوله
٦ – هِمَمُ العروبةِ في دِمَا
ءِ عروقِهمْ تجري نبيلَه
٧ – أُسْدٌ فطَاحِلُ قاومتْ
وحشيَّةَ الأممِ الدَّخيله
٨ – وتقدّمتْ فتياتُها
تَحْمي أرومَتَها الأثيلَه
٩ – وتذودُ عن أحواضِها
فئرانَ «أوروبا» الذَّليله
١٠ – يحمي الشَّبابُ كُهولَةً
وتُساهمُ الرَّجلَ العقيله
١١ – لم لا نقومُ بدورِنا
لجميلةٍ بيَدٍ طويله

١٢ - إنْ لم يكُنْ بسلاحِنا
وسُيوفِنا البِيضِ الصَّقِيله

١٣ - فَلْنُرْغِم الوسطاءَ إذ
أيامُها أمستْ قليله

١٤ - أنْ لا تُمَدُّ يَدُ النَّذا
لَةِ نحوَ باسلةٍ أصيلَه

١٥ - إني لآسِفُ أنْ تُعَذْ
ذَبَ وهْيَ عنوانُ الفَضِيله

١٦ - استَفِي عليها وهي في الزْ
زِنْزانِ ضاويةٌ نَحِيله

١٧ - حَكَمُوا بإعدامِ البرِئْ
ئَةِ فوق مِقصَلَةٍ مَهُوله

١٨ - واليومَ تحت الضربِ والتَّعْ
ذيبِ تأبى أن تحيله

١٩ - وهْيَ الرَّشيقةُ غَضَّةُ الْ
أعطافِ والعينِ الكَحِيله

٢٠ - قطَعتْ على جيشِ العِدَا
بالجُراةِ المُثْلَى سَبِيله

٢١ - بجزائريات «الجَزا
ئِرِ» كلُّ فاتنةٍ خَجُوله

٢٢ - من أبرَزَتْهنَّ الحُرو
بُ غداةَ اشتعلت الفَتِيله

٢٣ - بدَمِ الشَّهِيد على ثرَى
أرضِ الشَّبِيبَةِ والطفوله

٢٤ - وبكلُّ مُلْتَهِبٍ حَنَا
نًا في العَشِيرةِ والقَبِيله

٢٥ – لِتَدُكَّ ابراجَ الطُّغَا

ةِ بكل مُهْلِكَةٍ ثقيله

٢٦ – خَسِئتْ «فرنسا» إنها

امست مُحطَّمَةً كليلَه

٢٧ – مجنونةٌ قد شاركتْ

مستوحِشَ الاحراشِ غِيلَه

٢٨ – وتجَاوزتْ حدَّ الشَّرا

ئِعِ والقوانينَ الجَليلَه

٢٩ – فعلَى يدِ السَّفاحِ «جَا

يارَ» وَشِلَّتِهِ الهَزِيله

٣٠ – ستزولُ والايامُ لم

تبرحْ بحطَّتِها كفيله

****

٦٢ - فرحة شاعر(*)

١ – بوركتَ يا شعبَ «الجزائرْ»
بوركتَ شعبًا غيرَ خائرْ

٢ – بوركتَ من شعبٍ أبيْـ
ـيٍ لا يخون ولا يقامِر

٣ – بوركتَ مِن شعبٍ بنو
هُ هُمُ الضراغِمةُ الكواسِر

٤ – بوركتَ إذ حَقَّقْتَ ما
تَصْبُو إليه وما تُبادر

٥ – بوركتَ إذ أعلنتَ جُمْـ
ـهُوريةً والغربُ صاغِر

٦ – أعلنْتَ بينَ يدِ الملا
ما تطمَئنُّ له الضمائر

٧ – أعلنْتَها حمراءَ تلْـ
ـهِبُ كل طاغيةٍ وفاجر

٨ – أعلنْتَها ولَكَ البشا
رةُ والعدوُّ له الخسائر

٩ – قامتْ تدعمها الصُّدو
رُ ويفْتديها كلُّ ثائر

١٠ – قامتْ على المهجِ العزيـ
ـزةِ إذ تقدَّمُها البَشائر

(*) صدر قصيدته بعبارة : بمناسبة إعلان الجمهورية الجزائرية المؤقتة ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ – برياسة فرحات عباس – بالقاهرة

١١ – حقّقْتَ يا رمزَ الفدا
نصرًا وألهبْتَ المشاعر
١٢ – ووقفْتَ في وجهِ الطُّغا
مِ فأدبروا عُمْيَ البصائر
١٣ – أرعبْتَ «باريسًا» فطَفْ
فَرْتَ الدُّموعَ مِن المحاجر
١٤ – وتركتَ «ديجولاء» وفي
أحشائهِ قطعُ البواتر
١٥ – يمسي ويصبحُ وهو كالْـ
ـمَلْدُوغ مضطربًا وحائر
١٦ – تحميه أسرابُ الجنو
دِ ولم يزلْ أبدًا يُخَاتر
١٧ – أقسمْتَ إذ أعلنتَ في
كلِّ المحافلِ والمحاضر
١٨ – أنْ لا هوادةَ قبْلَ أنْ
تحظَى ببغْيتِهَا «الجزائر»
١٩ – أنْ لا مُهَادنةً ولا
سِلْمًا ولا أمنًا لِغادر
٢٠ – أو يرجَع الحقُّ المسْلو
بُ ويرجع المخذولُ خاسر
٢١ – لم يحْظَ من أوطاننا
حتّى ولا قلمُ الأظافر
٢٢ – نجتاحُهُ كالسيل يَجْـ
ـتاحُ الخشاشَ إلى الحفائر
٢٣ – قلْ للفرنسيسِ اللِّئا
مِ ترقَّبُوا يومَ الخسائر

٢٤ - يومَ يشيبُ الطفلُ فيـ

ـه وفيه تنكشفُ السَّرائر

٢٥ - وتوقَّعُوه فإنَّهُ

لا بدَّ نحو الغرب صَائر

٢٦ - وعليكم ستدُورُ في

« باريسكمْ» أمُّ الدوائر

٢٧ - ويلٌ لكمْ مِن هَولِها الْـ

ـمُضني ومِن سوءِ المصَائر

٢٨ - كمْ عِثْتُمْ ببلادنا

وسَلبْتُمْ منا المتاجر

٢٩ - وقتلْتمْ منا الشُّيو

خَ العَاجزين وكلَّ قاصر

٣٠ - وذبحْتُمْ أطفالَنا

وَسَننْتُمْ بيعَ الحَرائر

٣١ - ماذا تبقَّى في القلو

بِ لكم سوى قتِّ المَرائر

٣٢ - ستنْسُوفُكم مِثْلَ الخِرَا

فِ فلا مُعانِدَ أو مُكابر

٣٣ - ويهمَّةِ الأحرارِ سَوْ

فَ نُبيدُكمْ وبعَزمِ «ناصر»

٣٤ - ونطهِّرُ الأرضَ الزكيَّةَ

كلَّها من كلِّ جَائر

٣٥ - ونُعيدُ ما تصبو لَهُ

«وهرانُ» من أغلَى المفاخر

٣٦ - ونُشيدُ أفراحَ العُرو

بَةِ في البوادي والحَواضر

٣٨ - لم تُلْقِ ايدينا السّلا
حَ وبينَنا امُ الكبائر
٣٩ - حتّى نحطّمَ راسَها
ونُعيدَهمْ مِثْلَ الغواهر

****

٦٢ - قف للجزائر

١ - قف للجزائر إجلالاً وإكْبَارا
واسْتذرفِ الدمعَ من عينيكَ مِدرارا

٢ - قفْ «لابن بلاء» وأبطالِ تُسَاتِنْه
واهْدِ السَّلامَ إلى «الأوراس» مِعْطارا

٣ - قفْ «لابنِ بلاء» و«ضيَّافَ» و«خَيْضرَ» واذْ
كُرْ «آيةَ احمد» و«البيطاط» تذكارا

٤ - وقف لفخرِ النساء الفاضلاتِ واعْ
نِها «جميلةَ» من لم تشكُ إضرارا

٥ - قد استخفتْ بتعذيبِ السِّياط فلم
تعبأْ به أو أذاعتْ قطُّ أسرارا

٦ - قف حيِّ أبناءَ عمٍّ لا تُنَهْنِهُهُمْ..
قساوةُ العِلجِ أو يخشَوْنَ إنذارا

٧ - حيِّ البطولاتِ حيِّ المنتمينَ لها
أهلُ المروءاتِ صانوا العهدَ والجارا

٨ - حيِّ المغاويرَ آسادَ العَرينِ أبتْ
أنْ لا تُهادِنَ حتى تأخذَ الثأرا

٩ - مِنْ كلِّ أروعَ لم تُخذلْ عزيمتُهُ
يستقبلُ الموتَ في الهيجاء مختارا

١٠ - إذا التقى بالعِدا ثارتْ حفيظتُهُ
فتستحيلُ براكينًا وإعْصَارا

١١ – لا تحسَبنَّ سجونَ الظلم تُرهبُهمْ

وقد أعدُّوا لكفِّ البَغْي بتَّارا

١٢ – لم يُرهِبِ المدفعُ الرشّاشُ جمعَهمْ

ولم يهابوا زنَازِينًا وأسْوارا

١٣ – صاموا احتجاجًا فصام العربُ قاطبةً

سُخطًا على مومِسٍ تستعذِبُ العارا

١٤ – على الغشوم التي «ديجول» أوردَها

من بَعْدِ «موليه» أوحالاً وأوعارا

١٥ – لقد أصرُّ على أنْ لا يهادنَهمْ

وأنْ يجازيَهمْ بالصُّنع إنكارا

١٦ – فما استكانوا لتهديدِ اللئيم لهم

وقدْ أصَرُّوا لردِّ الضَّيمِ إصْرَارا

١٧ – هُمُ الأشاوسُ ما هانوا وما وهنوا

يومًا ولم يُعْدَموا في الحرب أنصارا

١٨ – لم يعْرفِ الدهرُ أقسى من قلوبهمُ

يومَ الكريهةِ أو في السِّلْم إبْرَارا

١٩ – أمضى من الصَّارم الهندي بأسُهمُ

عاشوا كمَا خُلقوا في الدهر أحرارا

٢٠ – قل للفرنسيس مَنْ لو قيسَ أشرسُ ما

في الكائناتِ لنالوا السَّبقَ تِكْرارا

٢١ – الناكثينَ عهودًا لا يخيسُ بها

إلا الذي أنكَرَ الأخلاقَ إنكارا

٢٢ – إن «الجزائرَ» لم تهدأ فسَاوِرُها

حتى تُذيقَ مريرَ الفتكِ غدّارا

٢٣ – لم يستحلْ رُبا «وهرانَ» غائلُها

أو يستغِلُّ من الصحراء أشْبَارا

٢٤ - ودونَها الأُسْدُ لم يَرْوُوا الدخيلَ بها

ولم يُنِيلُوه ممّا رامَ مُفْتَشَارا

٢٥ - سنجعلُ الأرضَ أخدودًا ونوقِدُها

من بَعْدِ رَمْيِهِمُ في قَعْرِها نارا

****

٣٢ - عبد الله بن عبد الوهاب (*)

٦٣ - أنا . . والمنى . . (من أهازيج الجزائر)

١ – أنا والليلُ وانتَ،
٢ – ثم لحني،
٣ – وطبولي ،
٤ – والمنى ترقصُ حولي، وارتشفنا:
٥ – وارتشفنا
٦ – حبَّنا حتى ثمِلْنا
٧ – غيرَ انا
٨ – لم نزل نرنو كانَّا
٩ – من جديد
١٠ – لم نحاولْ بعد تحطيم القيود كي نغني
١١ – كي نغني
١٢ – اغنيات الحُبِّ في ارض الظلام
١٣ – والقتام
١٤ – يا منايا
١٥ – وتعالَي!
١٦ – مرةً اخرى تعالَي
١٧ – حبنا راضٍ علينا
١٨ – وسنرقى

(*) شاعر سعودي.
– المصدر: ديوان النار والزيتون في الجزائر.

١٩ – سلْمًا حتى السلام
٢٠ – في بلادي .. وبلادك
٢١ – ثم ناتي
٢٢ – أنا والضوءُ وأنتَ
٢٣ – ثم لحني وطبولي.

****

٦٤ - شحرور وشجر

(من القرية التي قصفتها النار في الجزائر)

١ – البردُ وهدات قريتنا،
٢ – واكداسُ الظلام
٣ – وصدى الرياح الراحلات
٤ – إلى الشمال:
٥ – لن تنفع الذكرى!
٦ – وشحرور يصيح :
٧ – ثوري لأجلي!
٨ – أنت يا أشجار،
٩ – من عمقي الجريح
١٠ – ثوري!
١١ – وأذرعك الطويلة للفضاء
١٢ – منصوبة.. صلداء
١٣ – تهتف في جنون
١٤ – قد كان لي .. عشٌ وطين
١٥ – قد كان .. بالأمس الأمين
١٦ – والأمس ولّى
١٧ – ليس يرضينا
١٨ – وأضواء السماء
١٩ – ملقى الصقور الحمر .. والأحلام
٢٠ – تقسو

٢١ – على من لا وفاء .. له

٢٢ – وانفاس الحياه

٢٣ – كانت هنا

٢٤ – كانت على وهدات قريتنا

٢٥ – تؤججها النجوم

****

٦٥ - الصباح في الجزائر

١ – في الصباح:
عند ما تبزغ شمس الكون من خلف الدهور
٢ – كي تباح:
أنة المسكين يبصرها الضرير
٣ – لا مزاح:
هذه أشلاؤنا عند الصخور
٤ – في نواح:
والندى خلفه الليل كدمعٍ من ضمير
٥ – من جراح:
يلثم الوردة والتالي زهور
٦ – في فتور:
سار لم يترك سوى الدمعة والهمِّ المتاح
٧ – من دهور:
سار يبغي عالمًا آخر يشدوه الكفاح
٨ – لا يخور:
والليالي عادةً تسعى لأصحاب النجاح والثبور
****

٦٦ - النار والزيتون (نشيد الجزائر)(*)

١ - لا عاشتِ الأحزانْ

لا ماتت الفرحةْ

٢ - لا أخمدت نيرانْ

تسعى إلى فرحةْ

٣ - يا طائرَ الزيتون

غَرِّجْ على داري

٤ - وانشدْ نشيدَ الكون

واعزف بأوتاري

٥ - فالمدفعُ الرشاشْ

من ضمن ما يقتنون

٦ - في مِعْزَفِ الأيام

في جوقةِ النار

٧ - النارُ لا يستّرين

تُهدَى إلى الأنذال

٨ - في كلِّ ومْضَةِ عين

طول المدى ساري

٩ - «وهرانُ» يا وهران

يا معبدَ الثوار

(*) شاعر سعودي.

- المصدر: ديوان النار والزيتون في الجزائر.

١٠ – يا مكمنَ الأحرار..

يا نارُ تطفئ نار

١١ – إنّا على الدرب

هذي أيادينا

١٢ – نارٌ تشد النار

تلهبُ أعادينا

١٣ – فلْنسْعِرِ الأطفال

في طول وادينا

١٤ – غنّي لنا يا طير

غنّي لنا الصبح

١٥ – واصدحْ بلا تقصير

في مكمن القبح

١٦ – إنّا نودُّ النور

في كل أحيانا

١٧ – في طول خطِّ الزور

من جَورِ أعدانا

١٨ – لا عاشتِ الأحزان

لا ماتتِ الفرحة

١٩ – لا أُخْمِدتْ نيران

تسعى إلى فرحة

****

٣٣ - عبد الله بن علي الخليلي(*)

٦٧ - إلى إخواننا في الجزائر

١ - يا طاويَ البيدِ على رجلهِ
ما أنتَ من بدرٍ ولا أهلِهِ

٢ - يا لهجةَ الشاعرِ في كوخهِ
لستَ من النَّيرِ في فضْلِه

٣ - رأيتُهُ يخطرُ في أُفْقِهِ
وأنت في البيدِ على ظِلِّه

٤ - فقلتُ ما بالُ أخي عَقَّني
أهكذا الخِلُّ على خِلِّه

٥ - اربعْ على ضلعِكَ يا بنَ الظَّبا
فالفرعُ منسوبٌ إلى أصلِه

٦ - أغرَّكَ الإطراءُ من شاعرٍ
أقم في البدو على رَحْلِه

٧ - لم يرَ إلاك فناجى الهوى
وأنت كالهمزة في وصْلِه

٨ - فأرسلِ النظرةَ مسعورةً
والقلبُ كالملسوعِ من صِلِّه

(*) شاعر عماني
- قال القصيدة عام ١٩٦٢ - أعقاب نجاح ثورة الشعب الجزائري على الاستعمار الفرنسي .
- المصدر : ديوان وحي العبقرية

٩ – يا حاديَ العيسِ هَنِئْتَ السُّرَى

فاحمدْ صباحَ العزِّ واسْتَجْلِه

١٠ – أصبحْ بأفياءِ بني عَمِّنا

حيثُ حسامُ الموت في نَصْلِه

١١ – حيث يدُ النجدة تجري دمًا

من مقتل الغاصب في تلِّه

١٢ – حيثُ حسامُ الشهمِ من قلبِهِ

أجرى ولو كان على قتلِه

١٣ – حيث الثوى أعذب من سلسلٍ

ما قطع الريقة من ذله

١٤ – «جزائرُ» الحرةِ لا تجزعي

من مُطْبِق الباب على قُفْلِه

١٥ – فإن يكن أوصدَهُ برهةً

عليكِ حتى صرتِ في غُلِّه

١٦ – يسومك الخسفَ ولا دافعٌ

في ذمة الله وفي إلِّه

١٧ – جَثا على صدرك في ظلمِهِ

وامتصَّ شريانَكِ في دُغْلِه

١٨ – فإنك الماردُ شقَّ الدجَى

مُنطلقًا كالبرق في وبْلِه

١٩ – صاعقةٌ أرسلها بالقضا

على العدا «جبريلُ» في رَسْلِه

٢٠ – «جزائرُ» النجدةِ هذي العُلا

جاءتك كالأشقر في شكله

٢١ – جاءتك والأيام في غَيظِها

كمُوقِدِ النار على جَزْله

٢٢ – تنسابُ في استعمارها حيَّةً
تدمدمُ الشعبَ على أهله

٢٣ – لكنه شعبٌ أبيٌّ أبى
أن يقْرُدَ الحوضُ لمحتلِه

٢٤ – كالليث في غابته خادرٌ
أن يَصِلَ الضرُّ إلى شِبله

٢٥ – يفتَرُّ للغاضب عن مُزْهِفٍ
يقذفُ بالحقِّ على بُطله

٢٦ – لله منه حججًا خاضها
ثمانيًا لم يففُ عن نِخْله

٢٧ – يخوضها هولاً وحينًا لظى
يُسْعِرُها الأشقرُ من أجله

٢٨ – يا لأوربا كم رصَدتِ الهُدى
فينا وكم أمْعَنتِ في خَتْلِه

٢٩ – نحَرتِ فينا الملكَ لما قضى
فيك على الطاغوت مِن جَدلِه

٣٠ – وكنت في أسلافنا سابقاً
أهونَ للباحث عن جِسْله

٣١ – ذاك لأن القومَ لم ينظروا
إلا إلى الرحمن في بَسْله

٣٢ – فآثروا الموتَ فعاشوا به
أعزةً كالشّهم في جِدله

٣٣ – من يعشقِ الموتَ يعشْ سالمًا
من سطوةِ الخصْم ومن فِعْله

٣٤ – فجاء في أعقابهمْ منهمُ
خَلْفٌ أضاعوا الدين من أصْلِه

٣٥ – وآثروا الدنيا فهانوا بها
ما سُرَّ بالأيامِ كالأبْلَه

٣٦ – وأصبحوا أذنابَ مستعمرٍ
كمُدْخِل الخائن في أهله

٣٧ – فَعَظُمَ الشِّرْكُ وهانَ الهُدى
وساءتِ البيئةُ في نَذْله

٣٨ – فاختلط الحابل من ذا وذا
بنابلٍ كالأرْيِ في نحْله

٣٩ – فكان أهلُ الأمرِ في أمرِهمْ
كزارعِ الحنظلِ في حقله

٤٠ – «جزائر» النجدة خوضي الردى
إلى دمِ الخصم إلى هبله

٤١ – وأرسلي الصَّرخةَ يدوي القَضا
منها ويُودي الغرب عن بسله

٤٢ – وابتهجي في شعبك الحرِّ لا
يمسُكِ الضَّيمُ على أثْلِه

٤٣ – ولْتَسعدي فيه به إنه
شعبٌ يبينُ الجِدُّ عن هَزْله

٤٤ – ولتهنئي السَّعدَ وتاريخَه
يعبثُ ختمُ المسكِ في سهله

****

٦٨ - من وحي الجزائر

١ - تحية مأسورِ الفؤادِ سليبهِ
تخبطه مسًّا فراقُ حبيبهِ

٢ - تحية من يبكي إذا الليل جنّهُ
ويضحك والأشواق ملءُ قُلوبه

٣ - تحية ملسوعِ الغرام سليمه
تحية مأخوذ الفؤاد سليبه

٤ - رمته عَروبُ الحُسْنِ من جانب الحمى
فخرَّ صريعاً بين عطفي عروبه

٥ - أحبايَ ما لي والنوى تقتضي يدي
كأني وراءَ النجم طوعُ دؤوبه

٦ - سلامٌ عليكمْ من مشوقٍ تُذيبُهُ
ليالي المنى في ذكرياتِ مُذيبِه

٧ - يصافحُ في ريف الجزائر أيديًا
غَذاها جلالُ الفخرِ فضلُ حليبه

٨ - مدينةُ ألف الألف من شهدائها
بأزكى دمٍ هامَ الجلالُ بطيبه

٩ - تشرّفتِ الفصحى بهم وأراشها
نداهمْ فهامتْ في فنون ضروبه

١٠ - كرامٌ لهم في دوحة العز مضربٌ
كأنهمُ دون البَرايا حَظُوا به

١١ – رَقَوا سُلَّمًا لا الدهرُ يبلغُ شأوَهُ
ولا الفَلَكُ الدوّارُ خَلْفَ خُطُوبِه

١٢ – فجاءوا إلى العلياء من فوق هامِها
على شرفٍ لم يسبقوا بضريبه

٭٭٭٭

١٣ – هو الفخرُ والتاريخ يَكتبُ بالدِّمَا
صحائفَ تلقِي العزَّ خلْفَ حروبِه

١٤ – يُرَقِّمُها بالنور من مَنْبعِ الضِّيا
ويقرؤها والجِدُ صوتُ خَطِيبِه

١٥ – ويرسُمها بالحمدِ في صُحفِ النُّهَى
ففي كل عقلٍ نسخةٌ تنجلي به

٭٭٭٭

١٦ – بني يعربٍ فيها ومن لي كيعربٍ
إذا الدهر ضمَّ السوءَ طيَّ جيوبه

١٧ – ورثتمْ إراقاتِ الدِّمَا عن أبوّةٍ
لها دانَ صرفُ الدهرِ تحت نُدوبِه

١٨ – تزعَّمَها المختارُ والكفرُ بازلٌ
فذلَّ لسيف الله رغمَ شُطوبِه

١٩ – وقاومها الصِّدِّيقُ والناس رِدّةٌ
فعادَ جلالُ الحقِّ بين شعوبِه

٢٠ – وقارعها الفاروقُ شرقاً ومغربًا
فحطَّم سيفَ الشِّركِ تحت صليبِه

٢١ – إليها إليها أنتمُ أهلُ صَرحِها
وبانوه في خِصبِ الزمانِ وطِيبِه

٭٭٭٭

٢٢ – سلامٌ عليكمْ من مدينٍ بحبكُم
يهيمُ به في فخْرِهِ ونَسيبِه
٢٣ – دعاهُ إليكم باعثٌ ملء قلبه
يُمثِّلُ فيه شعبه في أريبه
٢٤ – له دعوةٌ بالعلم طالتْ صُروحُها
على الكون في مألوفه وغريبه
٢٥ – تجلّى بها إيمانُ شعبٍ مقدسٍ
شقيقٍ لكم في شرقه وجنوبه

٭٭٭٭

٢٦ – عُمانُ الذي ما ذلَّ للدهر لحظةً
وكم جاءه من بأسه في عَصيبه
٢٧ – تحدى الليالي وهْي سودٌ كوالحٌ
فهَدَّ قواها والقضا في دروبه
٢٨ – تحمِّلني ازكى التحيات والثُّنا
لَكمْ ليَفي من حقِّكم بوجُوبه
٢٩ – رأى مجدكمْ سطراً على جبهة العُلا
فجاء إليكمْ في لسانِ أديبه
٣٠ – ليكتب معنى الحمد شعراً على الوفا
ويختمه بالمسك في نفحِ طيبه

****

٣٤ - عبد الله بن يحيى العلوي(*)

٦٩ - الجزائر في: تقرير سياسي منظوم(*)

١ - وأوفَدتْ مندوبَها الجزائر
«أحمدَ فرنسيس» الوزيرَ الثائر

٢ - وصِنْوه عبدَ الحميد مهري
ليكشِفا للكون دون ستر

٣ - عن هَولِ ما تفعله فرنسا
فادميا والله منه النفسا

☼☼☼☼

٤ - كما رأوا شجبَ فرنسا الفاجرة
بكلِّ ما أوتوه حتى آخره

٥ - لعلها توقف بالكلية
إجراءها التجاربَ الذريّة

☼☼☼☼

٦ - وأيدوا «عُمان» و «الجزائر»
بما لديهم باطناً وظاهر

٧ - وقرروا وليس فيهم حائر
سَداد «ميزانيةِ الجزائر»

****

(*) شاعر يمني.

- التعليق المنظوم يشير إلى حدث جرى في مجلس جامعة الدول العربية المنعقد بمدينة الدار البيضاء في سبتمبر ١٩٥٩ - نظم الشاعر العلوي اليمني خلاصة ما تحدث عنه مندوب الجزائر وأهم ما اتخذ مجلس الجامعة من قرارات تمس القضية الجزائرية.
- المصدر: من كتاب تقرير سياسي منظوم.

٣٥ - عبدالولي الشميري(*)

٧٠ - قالت غيور

١ - بروقُ الشوقِ أم وهجُ المشاعرْ
يلوح على جبينك بالبشائرْ
٢ - تقولُ وقد بكتْ جزعاً غيورٌ
وأدمعها مُجَرَّدةٌ خناجر
٣ - أراك مولهًا جذلاً معنًّى
ودمعُ العين في الخدين ظاهر
٤ - أتعشق؟ من سواي سبتك حبًّا؟
فإني لست أقبل بالضرائر
٥ - فحُطَّ الرحلَ! لا سفراً قريباً
وأقسمُ لا أراكَ لها مُسَافر
٦ - عرفتُ الحبَّ في عينيك يلهو
لأنكَ شاعرٌ والحبُّ شاعر
٧ - وإلا قلتَ من هي؟ واعترف لي
فإن القلب للمحبوب غافر
٨ - أجبت نعم أحب وذا اعترافي
وفاتنتي لها فتكاتُ ساحر

(*) شاعر يمني.
- المصدر: القصيدة الأولى من ديوان أوتار - الثانية ألقاها في مسرح دار الأوبرا بالقاهرة ٢٠٠٣/١١/١ (عيد استقلال الجزائر).

٩ – تفانى العاشقون على هواها

وساقوا مهرها مليون ثائر

١٠ – وأهلوها الأشاوس كرموها

لتغدو اليوم سيدة الحرائر

١١ – فقالت (ها) عرفت هواك حقاً

فأنت إذاً حبيبتك الجزائر

١٢ – نعم أهوى الجزائر مثل حبي

لأرض الجنتين وللمعافر

١٣ – دعيني ألثم الأوراس فيها

وأرشف من مراشفها المساكر

١٤ – دعيني اليوم أسجدُ في ثراها

ترابٌ مثلُ ماء السُّحْبِ طاهر

١٥ – تُقَبِّلُه الكرامةُ كلَّ يومٍ

ومن جسر الضياء له مَنائر

١٦ – رأيتُ الشمسَ تشرقُ في يديه

وتخْبو في القبائلِ والعشائر

١٧ – وجئت اليومَ من سبأ يقينًا

بأنباءِ الأوائل والأواخر

١٨ – بلادُ أرومةٍ وسماءُ مجدٍ

وموئلُ فاتحٍ وعرينُ ظافر

١٩ – وماذا عن حنينك للغواني

وللغاداتِ ربَّاتِ الضفائر؟

٢٠ – فقلت لها زمانُ اللهو ولَّى

وذا زمن الرجوع إلى الدفاتر

٢١ – كَبِرنا لم يَعُد في القلب إلا

جراحاتٌ وتأنيبُ الضمائر

٢٢ - وأحزان العروبة جاثماتٌ
على بسماتنا فمتى تغادر؟

٢٣ - متى تتعانقُ الأقطارُ لُقيًا؟
متى يمحى الفراقُ متى يهاجِر؟

٢٤ - تمزِّقُنا مطامعُ حَاكمينا
ويَحكُمهمْ (دبليو) الحقد فاجر

****

٧١ - لذكرى انتصار ثورة الجزائر

١ - يا قلبُ أينَكَ؟ أين ولّى خـــاطري؟
وبـأي حـــرفٍ قـــد أخطُّ دفـــاتري

٢ - لما رحلتَ إلى الجِـنــان وكنتَ في
أوجِ المعـــالي والشـــبــاب النّاضِـــر

٣ - وهجـرتَ أحــلامي وأقــلامَ الهـوى
وذهبتَ عند خُـوارِ عِـجْلِ السّـامـري

٤ - وأبيتَ أن تبـــقى مـــعي وكـــأننا
خـصْـمـانِ يقـتـتـلان دونَ عـســاكـر

٥ - يا قلبُ أينكَ؟ والحــيــاةُ قــصــيــرةٌ
والوصلُ أقـــصـــرُ من خـــيـــالٍ عــابر

٦ - مـــا لي إذا جـــحـــدَ المودةَ خـــائنٌ؟!!
مـــا لي إذا جـــرح الأحـــبـــةُ خـــاطري؟

٧ - مـــا لي أراك تغـــيب؟ أين تقـــاطرتْ؟
بك غـــاديات الحب في ذا البـــاكـــر

٨ - أإلى بلاد الشـــام حـــيث توجـــهتْ؟!
ودمـــوعُ عـــينك كـــالغـــزيرِ الماطر

٩ - أم نحـو صنعــاءَ التي لخـِتـَـامــهــا
أهــفـــو وللأرج الـعَـليل العـــاطر؟

١٠ - يا قلبُ قل لي أين أنت؟ ومـــا ترى
أتحبُّ؟ أم تهـــوى جـــراح مـــشـــاعـــر؟

١١ - ويجيبُ من خلْفِ الضُلوعِ كأنه
في الأسْرِ يبكي من قيودِ الآسر

١٢ - ويقول قلبك لم يعدْ في وسعِه
صبراً هنا يبقى لقيدِ آخر

١٣ - أنا لم أعدْ في مصرَ إلا شاعرًا
لا شيء إلا الشعرُ كلُّ مفاخري

١٤ - أنا في الحقيقة شاعرٌ ومحاربٌ
وهواي في حب الجهاد جزائري

١٥ - إنَّ الجزائرَ والكفاحَ ملاحمي
تُروَى إذا كَبَتَ اللسانُ سَرائري

١٦ - إن الجزائرَ والكفاحَ تعاشَقَا
وعشقتُ نين العاشقيْنِ فحَاذر

١٧ - وركبتُ من هول الجحيم خنادقًا
وغدوتُ من أتباعِ عبدِ القادر

١٨ - وطن عليه من الفداء غِلالةٌ
ومن الشُموخِ معاطفي ومَآزري

١٩ - ولثورة الأوراسِ أكمل عبرةٍ
فبأي شرع أنحني للجائر؟

٢٠ - وبأي ميزان العقول سينثني
ثوارون إلا بالدخان الزاخر

٢١ - إن التَّحررَ للبلاد أمانةٌ
لله في عنق الحُسَامِ البَاتر

٢٢ - ما عدتُ أعشقُ والبلاد أسيرةٌ
مستعمرًا يلهو بعرضٍ طاهر

٢٣ - ما عدت أعرف عاشقًا ومتيَّمًا
إن الصبايا قد كرِهْنَ جَواهري

٢٤ – ما عدت أعرف للرجولةِ حقَّها

مُذْ حامَ حولَ حِمى المذلة طائري

٢٥ – عفوًا إذا جاوزتُ بحرًا كاملاً

وغرقْتُ من بحرِ الغَرام الوافر

٢٦ – للشاعر المنطيقِ أجنحةُ العلا

في قومِه وسِواه ليس بشاعر

٢٧ – إني صبرتُ وفي التَّصبُّر ذِلةٌ

ما عدتُ أطمعُ في ثواب الصابر

٢٨ – وكرهتُ زجرَ القاعدينَ عن العلا

حتى كفرتُ اليومَ زجرَ الزاجر

٢٩ – وكفرتُ بالفيتو اللعينِ وأهلِه

إني غدوتُ مع الكفاح جزائري

****

٣٦ - عدنان علي رضا النحوي(*)

٧٢ - دم الجزائر فوار بساحتها !

١ - اصمتْ ! فما عادَ يُجدي عنده الكَلِمُ
ولستُ ادري: عمًى أعياهُ امْ صَمَمُ

٢ - أو غضبةٌ نزعتْ من صدره أمَلاً
فَجُنَّ والتاعَ منه السماحُ والقِيَمُ

٣ - أو حَسرةٌ زرعتْ غيظاً يمور به
هَولٌ تفجَّر منه السهل والأجَم

٤ - أو حيرةٌ في فيافي الأرض تاه بها
رشدٌ وضلت على أوهامها القدم

٥ - او ثورةٌ من اسى باتت تمزِّقُه
فقطعتْ بين أنيابِ الأسَى الرحم

٦ - أو فرقةٌ أوهتِ الآمال فانفرطتْ
كلُّ العُرَا وحبالُ الودِّ والذمم

٧ - فاصبحوا شيعاً شقت ثغورهمُ
للمجرمين على ابوابها ازدحموا

٨ - تبلَّد الحسُّ! لا حزنٌ ولا فرحٌ
يهزُّه، او اسى او نكبةٌ عمم

٩ - ولا الأعاصيرُ مهما ثار ثائرُها
ولا البراكينُ جنَّتْ عندها الحِمَم

(*) شاعر سعودي.
- نظمها الشاعر في اكتوبر ١٩٩٧.
- المصدر: ديوان عبر وعبرات.

١٠ – ولا الزلازلُ يطوي جوفها قللاً
ويختفي عندها الإعمار والنسم

١١ – مَن ذاك؟! ويحي! أرى من حاله عَجَباً
يخفيه عني ظلامُ الليل والبَهَم

١٢ – دمُ الجزائر فوارٌ بساحتها
تُهيِّجُه أممٌ من بعدها أمم

١٣ – يا للجزائر ! أهوالٌ مروعةٌ
وفتنةٌ في رباها اليومَ تضطرم

١٤ – دمٌ تدفق في ساحاتها وجرى
كأنه الموجُ في الساحات يلتطم

١٥ – دمُ الجزائر، ويحي، كان نور هدى
وكان يشرق منه السهل والعلم

١٦ – وراية الحقِّ في ساحاتها خفقتْ
لله، لا لسواه، الحربُ والسلم

١٧ – أرضُ الشهادة! مازالت منائرها
نوراً توهّج من عليائه الشُّمم

١٨ – ألقتْ على الساح من أكبادها فلذاً
تدافعوا زمراً تمضي وتقتحم

١٩ – لله دركِ!كم أطلقت من بطلٍ
فأشرقت منهمُ الأفلاك والنجم

٢٠ – ولم تزل قممُ الأجيال من دمهمْ
وهّاجةً وذرا أوراسَ تضطرم

٢١ – أوراسُ ذكرى وهل تنسى معاقِلُه
وكان يهدر منها سيلُه العَرِم

٢٢ – من كان يأوي إليه من مطاردةٍ
بالله،لا بسواه، كان يعتصم

٢٣ - أرضَ الجزائر! ماذا قدْ دهاكِ وما
تكاد منك جِراحُ الأمسِ تلتئم

٢٤ - قد كنت نوراً على الآفاق منتشراً
وطلعةً برؤى الآمال تبتسم

٢٥ - بالأمس كنت دماً بالنور مؤتلقاً
واليومَ من دمك الظلماءُ تكتتم

٢٦ - ماذا دهاك؟! فأضحى الليلُ منعقداً
على رباك وماجَ الشرُّ والغَمم

٢٧ - هذي الجريمةُ من يوري مواقدَها
ومن يؤججها؟ الأشباح والظلم

٢٨ - ماذا أرى في سواد الليل؟! واعجباً
كأنه شبحٌ يدنو وينهزم

٢٩ - يكاد يطلعُ أحياناً فأُنكِرُه
يحوطُه في ذهولي الشكُّ والتُّهَم

٣٠ - طفلٌ تمزّقَ بالسكين أضلُعُه
ونسوةٌ بجنون الفأس تصطلم

٣١ - النائمون على أحلامهم صُعِقوا
وما أفاقوا! وغاب العمرُ والحُلُم

٣٢ - والعائدونَ بزادٍ من مجاهدةٍ
يغذون من أنفس في الدار تزدحم

٣٣ - عادوا فما وجدوا إلا بقيتهم:
أشلاؤهم مِزَقٌ من حولهم ودم

٣٤ - لله درُّ أبٍ كم كان يدفعه
لزوجِه وبنيه الشوقُ والجَشَم

٣٥ - على يديه هدايا كي يفاجئهم
ففاجؤوه: سكونُ الموتِ والعَدم

٣٦ – تنهار أضلاعه! يهوي على فزعٍ
يكاد يصرعه مما رأى اللمم

٣٧ – ما بين ساقٍ هنا أو بين جمجمةٍ
هناك، تلقى سباقَ الموت يَحْتَدِم

٣٨ – وذاك وجهٌ على عينيه حملقةٌ
من الفجاءة! من أهوالها الألم

٣٩ – كأنه كان يرجو! فانطوى أسفاً
لما رأى لهفةَ الآمالِ تنهزم

٤٠ – على المُحيَّا بقايا الشَّوقِ تقرؤها
وخيبةُ الأمل المرجوِّ ترتسيم

٤١ – دقَّتْ رؤوسٌ! وشُقَّ البطنُ وانتزعتْ
ضلوعُهم! والأسى باقٍ بها يَصِم

٤٢ – ولو رأيت وروداً في ملاعبهم
تفتحت عنهم الساحاتُ والأكم

٤٣ – في روضةٍ من رياض العلم يحضنهمْ
شوقٌ ويغذوهم التَّحْنان والرحم

٤٤ – كأنما فرحة الدنيا بفرحتهم
وطلعةُ الشوق بالآمال تبتسم

٤٥ – ولهفةٌ من ذوات الخِدْرِ تصحبُهم
ندَى الحنان وعطرِ العِلْم والنَّسم

٤٦ – مرَّتْ عليهم يدُ السفاح داميةً
على شِفار الردى حزَّتْ رؤوسَهُم

٤٧ – وباقةٌ من صبايا الحيِّ قطَّعها
فأسٌ! إلى الله نشكوهمْ ونَحْتكم

٤٨ – ما للمدارسِ تغزوها جرائمهمْ
ما للمنازل والساحاتِ تُقْتحم

٤٩ – اين الحنانُ؟ واين الأهلُ؟واعَجَباً
كـأنما فتحتْ للمجرم الأطم

٥٠ – قُصِّي بُليدةَ ما عانيتِ من فزعٍ
ورجِّعي عن رُبَا وهرانَ ما عَلِموا

٥١ – وفي رُبا المُدية الحمراء مجزرةٌ
قد افلتت من يدي صناعها اللجم

٥٢ – هذي المجازر في الملاحة انفجرتْ
فسلْ تنبئك عن أهوالها التخم

٥٣ – في كل ناحيةٍ ذبحٌ ومهلكةٌ
وكل وادٍ وريْعٍ باتَ يلثمهم

٥٤ – كانت ميادينُها نفحَ الحياةِ بها
فعاد يُطلَقُ منها الموتُ والرِّمم

٥٥ – كأنما تركوا لحماً على وضمٍ
واخليتْ منهم الساحاتُ والأكم

٥٦ – دوّى على مسمع الدنيا تداؤهم
كأنما الناس قد اقناهم الصمم

٥٧ – أين الذين ادعوا في الأرض مرحمةً؟!
كأنهم من نواحي الأرض قد عدموا

٥٨ – كلا! فإنهم أصلُ البلاء بِنَا
هُمُ النظامُ الذي تُلْهَى به الامم

٥٩ – اين الحبالُ التي كانت موثقةً
بالله؟! أين عُرا الإسلام والرَّحِم

٦٠ – طاش الصوابُ! فما أصغتْ لنائحةٍ
أذنٌ ولا وَعَتِ البَلوى قلوبُهُم

٦١ – من أضرمَ النار؟!من غذى اللهيبَ بها
فعمَّ من وقدها الإجرامُ والضَّرم

٦٢ – ومن رمى الفتنةَ السوداءَ فانطلقتْ

منها الفواجعُ والشحناءُ والأضَم

٦٣ – كلُّ الشياطين في ساحاتِها دلفتْ

يشدُّها الطمعُ القتّالُ والنَّهم

٦٤ – تَحوكُ من عتمة الظلماء فتنتَها

مكرٌ يدارُ وكيدٌ ظلَّ يجترم

٦٥ – تسللوا وبلاد الله مشرعةٌ

للمفسدين! قلوبٌ فتحتْ لهم

٦٦ – ولم يكن غيرُ بابٍ يلجؤون له

بابِ الهوى وهوانِ النفس دونَهُم

٦٧ – ليس الملومُ عدوّاً في مخاصمةٍ

هو العدو فلا يرجى به سلم

٦٨ – نحن الملومون! عهدُ الله نحمِلُه

وليس يحمِلُه من دوننا الأمم

٦٩ – يد التَّقيِّ براءٌ من جرائمهمْ

وقلبه بهُدَى الإيمانِ يعتصم

٧٠ – والمسلمون نقاءٌ في مُجَاهدةٍ

فخشية الله في ميدانهم عِصَم

٧١ – لهمْ من الحق نورٌ يستضاء به

ومن هداه سبيلُ الله يلتزم

٧٢ – وإنهم لوفاءٌ في معاهدةٍ

لله يصدق فيها الشرع والقيم

٧٣ – وإنهم لجلاءٌ في مخاصمةٍ

لله إن ثارَ في ميدانهمْ خَصِم

٧٤ – صدقٌ إذا شهدوا، عزمٌ إذا نهضوا

عونٌ إذا فزعوا، عدلٌ إذا حكموا

٧٥ – من كان يسجد للرحمن خاشعةً
احناؤه كيف ينحو نهجَ من ظلموا

٧٦ – للظالمين دروبٌ ليس يحصرها
عددٌ، وللحق دربٌ واحدٌ حَكَم

٧٧ – جُنَّتْ روابيك! هل أبقيت من أملٍ
يرجى ومن فسحةٍ للحقِّ يَحْتكِم

٧٨ – بالامس كنت مع الإسلام صافيةً
صفًا توحِّدُه الآمالُ والهِمَم

٧٩ – ما بالُكِ انقسمتْ دنياك وانفرطَتْ
عُقُودُها وتولَّى أمرَكِ اللَّسِم

٨٠ – المسلمون! وكانوا أمةً فغدوا
مع الهوى شيعاً تنأى وتصطدم

٨١ – يا ابن الجزائر! إن الدين كان لكمْ
عزّاً تقوم به الانسابُ واللُّحَم

٨٢ – كانت عُراه حبالاً لا يقطِّعُها
إلا فسادُ هوًى يطغَى ويضطرِم

٨٣ – بدَّلْتمْ بعُراه بعد ذاك عُرًا
وبالحبال خيوطاً سوف تنفصِم

٨٤ – وإنَّ أوهنَ بيتٍ أنت تسكنُه
بيت العناكِبِ مهما قيلَ أو زعموا

٨٥ – ضلُّوا وقد ركنوا للظالمين وما
درَوْا بأنَّ قضاءَ اللهِ منتَقِم

٨٦ – كيف الركونُ وآيُ الله بينةٌ
وسُنَّةُ الله تجلُوها لنا الحِكَم

٨٧ – مَن يتَّبعْ غيرَ درب المؤمنين هوًى
يعضُّه من هواه الذلُّ والندم

٨٨ - الجاهليةُ مدَّتْ من مخالبها
فمزّقتهم وجالتْ بينهم أمم
٨٩ - نادوا بقومية نهجًا فضلَّ بها
قومٌ عن الحقِّ وارتدوا بها وعَمُوا
٩٠ - ثم انثنوا ووحول الأرض عروتهمْ
فضاعتِ الأرضُ والأحلامُ والحَرَمُ
٩١ - وغاب عنهمْ رضاء الله وانقلبتْ
أيامُهمْ نِقَمًا تأتي بها نِقَمُ
٩٢ - من كان يرجو وليًّا غيرَ خالقِه
تاهتْ خُطاه وغشّى دربَه الظُّلَمُ
٩٣ - عجبتُ للمسلم الداعي يمدُّ يداً
للمجرمين! يبثُّ الودَّ بينهم
٩٤ - يخصهمْ بولاءٍ من عزائمِه
وخشيةً ملكتْهُ إنْ هُمُوا نقموا
٩٥ - ويفرغ الحبُّ في ميدانهم أملاً
بأن ينالَ رضاً أو بعضَ ما قسَموا
٩٦ - يرضى القليلُ وإن عزت اكفهمُ
وليس يرضيه من إخوانه الكرم
٩٧ - منُّوا عليه! فيحني رأسه جَذِلاً
ويعظم الكِبْرُ بين الأهل والشَّمَم
٩٨ - يمضي على نهجهم! حتى وإن نفروا
من دينه وجروا في فتنةٍ وعموا
٩٩ - نهجَانِ قد فرّقَ الرّحمنُ بينهما
نهجُ الهُدى وسواه الظنُّ والرجم
١٠٠ - عجبت للمسلم الداعي يميل هوى
للظالمين وأعداء الإله همو

١٠١ - يميل عن إخوة في الله ثم يلي
مع الهوى شيعاً تلهو وتهتضم

١٠٢ - يظن أن ودادَ المجرمينَ رضاً
لهم وأن طريق الفوز عندهم

١٠٣ - وأنه سوف يلقى من غنائمهمْ
وأنه سوف يجري العدل والقسم

١٠٤ - أو أنهم سيكفُّون الأذى! عجباً
هل يوقِفُ الظالمون الظُّلمَ؟ ويلهم

١٠٥ - أو أنها حكمةٌ يرجو خداعهمُ
بها! لقد ضلَّ عنه الرشدُ والحكم

١٠٦ - وكيف يحسن نهجاً من يضلُّ ولم
يشدُّه لسبيلِ الله معتصم

١٠٧ - كيف النجاةُ إذا ضلَّ الطريقَ فتًى
يَدبُّ في سبلٍ شتى ويختصم

١٠٨ - وغاب عنه من الرحمن نورُ هدى
وسَدَّ عنه نواحي أفقِه القَسَم

١٠٩ - يزيِّنُونَ له أبوابَهم شَركاً
يهوي به فإذا آماله حُلُم

١١٠ - حتى يرى بعد حين أنهم كذبوا
وأنه ذهبت من كفِّه النِّعَم

١١١ - وأنه خسر الدنيا وزخرفها
وليس يدري أيجدي التُّوبُ والندم

١١٢ - عجبت للمسلمين اليومَ كيف نَحَوا
للجاهلية مَنْحى ليس ينسجم

١١٣ - مدُّوا بأخلافِهِمْ للشِّرْكِ عونَ يدٍ
فما ترى حصدوا شيئاً ولا غنِموا

١١٤ – وكلُّ يومٍ تراهمْ بدَّلُوا لُـخَمَـــا
وكلَّمـــا بدَّلوا من لُـخْـمَـــةٍ غـــرمـــوا

١١٥ – ولم يعد لِغُـرا الإسلام لُـخْـمَتُـهـا
ضَـجَّ الشـــعـــارُ ومـــاتتْ عنده الهِـمَم

١١٦ – عـــودوا إلى الله! لا منجًى لنا أبداً
إلا إليـــه! وشَـــرْعَ اللهِ فـــالْتَـــزِمـــوا

١١٧ – عـــودوا إلى الله صَـفّـاً لا يمزِّقُـه
حِـــقـــدٌ على جـــمـــرةِ الأهواء يرتكِم

١١٨ – وأطلقـوا النور في الظلمـاء نورَ هدى
ليَـــجـــمـــعَ الناسَ أمنُ الحقّ والسَّلَم

****

٣٧ - علي زين العابدين(*)

٧٣ - نكبة الجزائر

١ - دمُ الضحايا سعيرٌ بات يلتهبُ
دمٌ تفجر منه الثار والغضبُ

٢ - دمُ العروبةِ بركانٌ قذائفه
عزمٌ وهولٌ وإرعادٌ له شُهُب

٣ - دم العروبة جبارٌ إذا انطلقتْ
به الحفيظةُ يومَ الرَّوعِ - تصْطَخِب!

٤ - دمٌ تدفق من أعراق إخوتنا
من الجزائر فاهتاجتْ له الحُقُب

٥ - دمٌ مراقٌ وأجسادٌ يمزقها
رميُ الرصاصِ وجيشٌ زاحفٌ لُجُب

٦ - وا حرَّ قلباه ماذا كان ذنبهمو
الدارُ دارهمو والأهلُ والصُّحُب

٧ - الأرض أرضهمُ والزرع زرعهمُ
والحقل والنبع والأشجار والعشب!

٨ - جَنَى الغريبُ عليها ظالمًا بطرًا
كأنه من وحوش الغاب منقلب

(*) شاعر سعودي.
- نظمها عام ١٣٧٦هـ.
- المصدر: ديوان صليل.

٩ - يجني ويفتك بالأعراض لا ورعٌ
ولا ضميرٌ ولا قلبٌ ولا أدب

١٠ - واستفحل الشر حتى ثار ثائره
أبى المهانة قومٌ أصلهم عرب

١١ - أبوا قساوة ظلام يمزقهمْ
بطشًا ويحكم فيهم وهو مغتصب

١٢ - أبوا خضوعًا أبوا ذلاً أبوا ضعةً
أبوا رضوخًا لعاتٍ حكمه كرب

١٣ - نفيٌ وصلبٌ، وتعذيبٌ وسخريةٌ
حكمٌ تجمع فيه الذلُّ والعطب!

١٤ - جنت فرنسا عليهم وهي باغيةٌ
بغيًا تميد له الآطام والهضب

١٥ - الطائرات توالي شن غارتها
على الحرائر والأطفال تلتهب!

١٦ - وللقذائف إرعادٌ وجلجلةٌ
وللرصاص أزيزٌ مرعبٌ صبب

١٧ - وكل بيتٍ غدا عفرًا ومقبرةً
يحفُّه الموت والأرزاء والنوب!

١٨ - بغت فرنسا ولم تظفر بطائلةٍ
لم يرهب العسف قومًا عزمهم لهب!

١٩ - هبت عزائم أحرارٍ لها ضرمٌ
تكاد من وقده الأجيال تضطرب!

٢٠ - بنو العروبة ما هانت عزائمهمْ
ولا استكانوا ولا ذلوا ولا غلبوا!

٢١ - أبلوا بلاءً صناديدٍ غطارفةٍ
جحافلٍ بكتاب الله تعتصب!

٢٢ - ابلوا بلاءً وما كلت عزائمهمْ
تالله ما يقهرُ الأحرارَ مغتصب!

٢٢ - إنا بنو العرب إخوانٌ يجمعنا
رحمٌ ويربطنا الإسلام والنسب!

٢٤ - وشيمة العرب قد غنى الزمان بها
لحنًا وخلدها التاريخ والكتب

٢٥ - سلوا فرنسا التي ذاقت معاركنا
كم قد بلونا ولم يفتر لنا عصب!

٢٦ - كنا غطارفة الدنيا وسادتها
أعزةً فوق هام الكون ننتصب

٢٧ - واليوم هل يبطش الكفار بطشهمو
بالمسلمين فلا والله ما غلبوا

٢٨ - إنا سنبعثها حربًا مدمرةً
جبارةً تتهاوى دونها الشهب

٢٩ - حربًا تحرر أرض العرب أجمعها
من الدخيل فلا عسفٌ ولا كذب

٣٠ - سنستبيح فرنسا رغم منعتها
وسوف نقضي عليها إننا عرب!

٣١ - مهلاً فرنسا فنار العرب موقدةٌ
وإنّ أيامك السوداء تقترب

٣٢ - إن الجزائر نور في نواظرنا
وإن تحريرها الأوفى هو الأرب

٣٣ - بني العروبة إن الله يأمركمْ
أن تنصروا الله أن تسخوا وأن تهبوا

٣٤ - إن الجزائر تبكي وهْي داميةٌ
لا تتركوها بغدر الكفر تحتضب

٣٥ – جنت عليها جيوش الكفر تحصدها
ويستبيح حماها الكفر والعطب!
٣٦ – بات النساء بلا مأوى مدامعهمْ
حيرى تجمّع فيها البؤس والكرب!
٣٧ – وبات أطفالنا الأيتام في فزعٍ
يبكون يتمًا وقد أفناهمو السغب!
٣٨ – يا ويح طفلٍ رضيعٍ بات لا لبنٍ
يقيه شر الطوى للموت ينجذب!
٣٩ – لا أمٌ لا أبٌ لا أختٌ بجانبه
قضى الجميع فلا عطفٌ ولا حدب!
٤٠ – من يرحم الطفل من يرعى طفولته
ومن سيحنو عليه حين ينتحب
٤١ – هذا جنته فرنسا في تجبرها
يا ويحها دولةً للعار تنتسب
٤٢ – أين الشهامة يا أبناء معركةٍ
أين الكرامة إذ تزهو بها العرب؟
٤٣ – أين المروءة والإحسان أينهما؟
أين السخاء وأين البذل والنشب؟
٤٤ – مدوا لها العون يا أبناء عمهمو
إن القرابة تدعوكم بأن تهبوا
٤٥ – سعودٌ قد ضرب الأمثال فانتهجوا
خطى المليك ببذلٍ دونه السحب
٤٦ – جودوا بما لكمو ضحوا بكسبكمو
ضحوا بأنفسكم فالله محتسب

****

٣٨ - علي محمد لقمان(*)

٧٤ - جميلة بوحيرد

١ - قمرٌ في الجزائر الخضراء
في سماء العلا عزيز السماء

٢ - موكبٌ في جلاله يحشد التا
ريخ أسمى روائع الأضواء

٣ - نجتلي فيه غابراً من جهادٍ
عبقريٍّ وهمّةٍ قعساء

٤ - ونضالاً في حاضرٍ مستميتٍ
بطلٍ في فواجع الأرزاء

٥ - جردت فيه سيفها ذاتُ حسنٍ
من سنى في رحى الوغى وسناء

٦ - أومضتْ حولها البروق ودوتْ
دون جدوى مدافع الأعداء

٧ - وإذا الهم «الجميلة» حبٌّ
من عفافٍ وعزةٍ وإباء

٨ - صانت الارض من عدوٍّ مقيمٍ
وحمتها من طغمة الغرباء

(*) شاعر يمني.
– وصلتنا صورة القصيدة برسالة خاصة من ابن أخت الشاعر، بعث بها من دبي – ١٩ مارس ٢٠٠٧ – ذكر فيها أن القصيدة في ديوان «هدير القافلة» للشاعر، وضمنها الدكتور شهاب غانم كتابه من خاله.
– المصدر : كتاب: نزيل عصيفرة

٩ - أين «أروى» ترى الجميلة في الد
نيا وقد أظلمت مثال الفداء
١٠ - وترى الأرض عندها تتمنى
أن يكون الرجال مثل النساء
١١ - أبصر الخلق في هواها فلذوا
وطناً غالياً حبيب الرواء
١٢ - باركتها يد العناية فيما
صنعته بالحية الرقطاء
١٣ - جهزت سمها الزعاف فلم تظ
فر بغير الأبية الصماء
١٤ - كسرت نابها وفضت أذاها
وأبادت مكامن الرقشاء
١٥ - شردت جحفلاً وأودت بسربٍ
طائر في الفضاء كالأنواء
١٦ - صفقت «جاندارك» في القبر نشوى
بفداء الزميلة الحسناء
١٧ - خجلت في الحياة من فعل قومٍ
نكثوا عهدهم بغير حياء
١٨ - أحرقوها تزلفاً ونفاقاً
ليس بدعاً تزلف الجبناء
١٩ - ورعت عهدها فلم يمهلوها
عن حماها وعارضت كل داء
٢٠ - بعثت من ضريحها كلَّ غارٍ
كم يضيق الجبان بالبسلاء
٢١ - وأشادت بتضحيات جسامٍ
لؤلؤ من تحيةٍ وثناء

٢٢ – حفظت ذمة البلاد وذادت
من فتاة لبوءة شماء

٢٣ – وقفت والجيوش شرٌّ قتامٌ
تتحدى جحافل الظلماء

٢٤ – لا تبالي وقاذفات المنايا
في هزيمٍ والخيل في خيلاء

٢٥ – والسكارى من الجنود «بباريس»
سكارى من لطمة الفيداء

٢٦ – يقذفون الحمام في حالة السك
رِ ككأسٍ في مجلس الصهباء

٢٧ – زعموا أنهم دعاة إخاء
الف أفٍّ على دعاة الإخاء

٢٨ – وادعوا أنهم على الظلم حربٌ
يا لها من وقاحةٍ صفراء

٢٩ – حكمهم كله ظلامٌ وظلمٌ
بحقوق البواسل الأبرياء

٣٠ – يا فرنسا وسوف تلقى فرنسا
حتفها في «الجزائر» الحمراء

٣١ – يستحي «النسر» من مخازيك في الحك
م ومن قصف قريةٍ عزلاء

٣٢ – لم يكن ينفث الردى في «السواقي»
لا ولم يستبد بالضعفاء

٣٣ – يخضع «الألب» حين يصرخ في الخيـ
ـل ويجري في «الغابة السوداء»

٣٤ – سن للحرب شرعةً وبنى للسـ
ـلم نهجاً يسير مسرى الضياء

٣٥ – يأسر الوحش لا الحسان العذارى

ويراعي عواطف العذراء

٣٦ – غضبت في الثرى بقاياه حزناً

وبكى من جريمة شنعاء

٣٧ – أين من «سجفريد» هذي القنا السمـ

ـر «وسيدان» تحته في عناء

٣٨ – أين نيرانٌ نافثات الدواهي

من «اتيلا» وزحفه المضاء

٣٩ – أين «باريسُ» كيف ذلت؟ و«برليـ

ـن» تزجّي اللواء خلف اللواء

٤٠ – أين ولى الخميس يلهث خوفاً

أين ادلى «ادولف» بالانباء

٤١ – أين أغرقت في البحار قلاعاً

هرباً من قلاعه العصماء

٤٢ – أين أمضيت ليلة الفتح والغا

زي خطيب المحافل الافياء

٤٣ – يا فرنسا القديم نوحي على أر

ض فرنسا الحديثة الشمطاء

٤٥ – أرهبتْ خيلها العراب فتاةٌ

أقسمت أن تموت في الهيجاء

٤٦ – وهبت روحها لدار وأهل

عرب في صراعهم غرباء

٤٧ – وعلت فوق صهوة من ثبات

في المعالي قليلة النظراء

٤٨ – تطلق السهم في فؤاد خبيث

لا يبالي بأمة في فناء

٤٩ – وترد القنابل النار حتى

خالها الناس من بنات السماء

٥٠ – ذكّرتني في المغرب العربيِّ الـ

ـحر فرسان كل برٍّ وماء

٥١ – الغزاة الأباة في كل مصر

والحماة البناة في الأنحاء

٥٢ – إن شعباً نساؤه «بوحريد»

لجديرٌ رجاله بالبقاء

٥٣ – جملتْ باسمها بلادي وقومي

في البرايا «جميلة الأسماء»

٥٤ – وبنتْ أمةً فهبتْ شعوبٌ

من سبات على رفيع البناء

٥٥ – وأقامت من الفداء لواءً

جمع العرب في ظلال اللواء

٥٦ – شرفٌ باذخٌ وعزٌّ أثيلٌ

وحنين البنين للآباء

٥٧ – قيدتها وما فرنسا ملومٌ

أي عهد لها وأي وفاء

٥٨ – فزعت من طعانها فتردتْ

في مهاوي الخبال والإغماء

٥٩ – راعها العضب مصلتاً في يمين

غيرها للخضاب في اللألاء

٦٠ – «بنت عشرين» في الميادين تحمي

أمماً من تعسفٍ وشقاء

٦١ – تعشق الخيل أن تكون لها سر

جاً وما سرجها سوى الجوزاء

٦٢ - يشتهي الرمح كفها حين تلقي
بالعوالي في مهجة الحرباء
٦٣ - يدعي الغاشمون أن حاكموها
خيب الله عدلهم من قضاء
٦٤ - أعدموها يا ظالمون فإنا
سوف نكسو سبيلكم بالدماء
٦٥ - ونغطي بهام جندكم الأر
ضَ ولن نكتفي بغير الغطاء
٦٦ - ونبيع النفوس لله بخساً
فنلاقي لديه خير الجزاء
٦٧ - أعدموها لتعبدوها كما الـ
ـهُنْتُمو «جاندرك» في القدماء
٦٨ - أعدموها فلن يقر حسامٌ
في قراب العروبة السمحاء
٦٩ - لا ولن يستقر راسٌ على جسـ
ـمٍ إذا لم يطح براس بلاء
٧٠ - سوف تجري الدماء في كل أرضٍ
وتسيل الدماء في الداماء
٧١ - سوف تغلي الرياض من نقمةٍ
عظمى وتغلي مراجل الصحراء
٧٢ - سوف يغدو آثامكم مضرب الأمـ
ـثال في العالمين للأبناء
٧٣ - لا تخالوا بأننا سوف نبكيـ
ـها فمنّا أكابرُ الشهداء

٧٨ – عرفتنا الحياة حرباً وسلماً

عرباً من مروءة وسخاء

٧٩ – وبلوناكم فلم نلق إلا

لا ولا ذمة من اللؤماء

****

٣٩ - فؤاد شاكر(*)

٧٥ - استقلال الجزائر(*)

١ - ذهبتْ مع التاريخ سبعٌ عجافِ
سنواتُ بطشٍ فاتكٍ، وجفافِ!

٢ - ذهبت مع التاريخ إلا ذكره
لبطولة، ومجادة، وكفاف!

٣ - ذهبت مع التاريخ أيام غدت
لمحافل التاريخ، نبع قوافي

٤ - سيَرٌ تطلُّ مدى القرون وعبرةٌ
تحتل كل جوانحٍ وشغاف!

٥ - قرت بها الأجيال فهي جواهرٌ
كمنت لآلئها لدى الأصداف!

٦ - يزهى الزمان وأهله بطليعةٍ
دوّت هناك، بصوتِ «عبدِ مناف»

٧ - فكأنما قلبُ الجزيرة، قلبُها
وكأنما الأعطافُ بالأعطاف

٨ - العرب كلهمو الجزائر لا يرى
متخلفٌ أو مذعنٌ لخلاف!

(*) شاعر سعودي.
- هذه القصيدة ألقيت في احتفال شعبي كبير، أقيم برئاسة حضرة صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة، ابتهاجًا باستقلال الجزائر، وظفرها بالنصر المبين - مكة المكرمة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
- المصدر: ديوان وحي الفؤاد.

٩ - وقــفــوا وأول رائد لنضـالهم
بطل السلام، ومقري الأضياف

١٠ - هيهات ما احتضن القضية قبله
بطلٌ سواه، بمجلس الأحلاف!

١١ - أهل الجزائر، والجزائر أمَّةٌ
جلَّتْ بطولتها عن الأوصاف

١٢ - جادوا، وأقصى الجود ما تسخو به
نفس الكريم، وهمَّة المتلاف

١٣ - والجود بالنفس الزكية خير ما
تسمو إليه مكارم الأهداف

١٤ - جادوا بأرواح الضحايا ثرَّةً
عدد الألوف، وعدة الآلاف

١٥ - مليون، من شهدائهم نصلوا كما
نصل الدجى، وضح النهار الصافي

١٦ - ذهبوا وظل أريجهم في خلده
متضوعًا، كالروضة المئناف

١٧ - دلفوا لساحات الجهاد وإنما
شرف الجهاد مطامح الأشراف

١٨ - فكأنما بدرٌ ويوم نضالهم
سمةٌ، لهول نضالها الرجاف

١٩ - شهداؤهم شهداء بدرٍ وفيتهم
في الجنتين مظلة الآلاف

٢٠ - هيهات أن ننسى العصور طويلةً
ما أسلفته من نقيع زعاف!

٢١ - تلك المعارك والبطولة عندها
تنثال بين قوادمٍ وخوافي

٢٢ – ذراتها المتفجرات تدفقت

من خلف خدرٍ، أو وراء سجاف

٢٣ – من كل باسلةٍ، وكل شهيدةٍ

بين المعارك، بالدم النزاف

٢٤ – خضن المعاركَ في الدياجر عنوةً

وكأنها عرسٍ، وليل زفاف!

٢٥ – سال الدم العربي فيها أنهرًا

تنهَلُ عنبرًا رَيًا وعبر فيافي

٢٦ – تلك البطولة والفداء شعارها

هزّت وقارَ العالم المتجافي!

٢٧ – بعثتْهُ من عمق السُبَات مجلجلاً

عبْرَ الفضاء مدوّيًا بهتاف

٢٨ – حتى توارى الظلم في أكنافه

خلف الظلام، يلوذ بالأكناف

٢٩ – وجلت لنا فلق الصباح مؤزرًا

بالنصر عند طلائع الأنصاف!

٣٠ – يومٌ من الفتح المبين أظله

من نصرة الرحمن، ظلٌّ ضاف

****

٧٦ - فرحة النصر

١ - بين قـــصف من الرعـــود وهمسِ
جلجل الصــوت صــارخًـا: يا لعبسِ!!

٢ - فـــتنادت إليـــه من كل صـــوبٍ
عـــبـــوات الزئيـــر، من كل نفسِ!!

٣ - المنايا، مُـــشـــرّعين دراكًـــا
يحـــســـبـــون الوغى، هنا، ليل عـــرسِ؟

٤ - أي صـــوتٍ دعـــاهمـــو فـــتنادوا
اي عـــزمٍ لبـــاهمـــو، اي بأسِ؟!

٥ - إنـه صـــوت «طـارق» عـــربيٌ
لا يالهـــمـــوا، بســـعـــد، ونحسِ!!

٦ - إنـه صـــوت» طـارق بـن زيـادٍ»
هب في قـــومـــه، بســـيفٍ وترسِ!!

٧ - عـــدة الحـــرب، والجـــلاد، تحـــدت
كل انفٍ، واخـــرست كل جـــرسِ!!

٨ - صـــاولتـهـا الأجـيـال بالفـخـر حتى
شـــمخ المجـــد، بين يومٍ وأمس

٩ - فـــأحـــالت هوى الأعـــادي ظلامًـــا
وأحـــالت امـــجـــادنا صـــبح شـــمس

١٠ - ذاك شـــانٌ، وأصـــبح اليـــوم شـــأن
المنايا، بحـــتـــفـــهـــا، طوع لمس

١١ – إنهــا الدرة التي فــتنتــهــا

عـصـبـةٌ في الضـلال، تضـحي، وتمسي

١٢ – تحـسب الكون، من ضــلالٍ، وجــهلٍ

ملء، كفٍّ، من راحـتـيـهـا، وخـمس!!

١٣ – ذاك مــالم يكن صنيــعــة جنٍّ

ذات يومٍ، ولا صـنيــعــة انس

✲✲✲✲

١٤ – يا لقـومي: فـيـمـا أرى من جـحـودٍ

قــد خــلا من تأمــلاتٍ، وحس

١٥ – يا لقـومي، حـتى الأمـاني امـست

ترشف الهم من ثمـــالة كـــأس

١٦ – الرحـيق الذي حـســوناه عـذبًا

بات في الحلق، غـصـةً بعـد يأس!!

١٧ – فُـرْقَـةٌ إثر فـرقـةٍ، وشـتـاتٌ

شَـمَلتنا، من كل لونٍ، وجنس

١٨ – وأحــاطت بنا نيــوب الأعــادي

كــاشــرات، على مــوائد، طلس

١٩ – تبـتـغـينا، وسـوء مـا تبـتـغـينا

بزهيــد من الشــراء، وبخس

٢٠ – أين منا الأباة، والشـــر طاغٍ

حين جل الأسى، وعــز التــأسي

٢١ – فـرحـة النصـر بالجـزائر، جـاءت

تتـهــادى، فــالهــبت كل حس

٢٢ – تلك أختٌ لهـــا، فلسطينُ حَــيْــرَى

تـتـنـزى، علـى الجـــــــــراح، وتـرسـى!!

٢٣ – مـــا فلسطين غـــيـــر داري وذاكم

أي مـــوئل «القـــدس» في جـــلالٍ وقـــدس!!

****

٤٠- فاضل خلف(*)

٧٧ - أرض البطولة

١ - حيِّ البطولة فى الجزائر حيِّها
بنشيدك الحر الجميل المبدعِ

٢ - و اكتب بنور القلب أروع قصةٍ
وقف الزمان حيالها بتخشع

٣ - هي قصةٌ قد سطرت صفحاتها
سِيَراً لأمجاد النضال الأروع

٤ - هى ثورة الشعب العظيم لعزمةٍ
سلبت على مر الزمان المفجع

٥ - و كفاح أجيالٍ عليه تعاقبت
بشقائها و دمائها و الأدمع

٦ - عجباً لصبر الثائرين لحقهم
عجباً لعزمهم القوى الأبدع

٧ - بذلوا الدماء الغاليات و قدموا
أرواحهم للموطن المتزعزع

٨ - فى كل عامٍ ثورةٌ دمويةٌ
ببلادهم لكنها لم تنفع

(*) شاعر كويتي.
- المصدر: ديوان نهر مجرية - ديوان كاظمة.. واخواتها.

٩ - حتى تصرمت السنون وأشرقت
شمس الشموس من المحل الأرفع
١٠ - قد اججتها للحقيقة ثورةً
بلغت حماستها مشارف ينبع
١١ - هي ثورةٌ وطنيةٌ قد اصبحت
للحق منتجعاً و اعذب منبع
١٢ - قد صار احرار البلاد جميعهم
من معجبٍ فيها ومن متشيع
١٣ - هي ثورة بخل الزمان بمثلها
حقباً فجاءت كالقضاء المسرع
١٤ - لكن أرض المكرمات تضاعفت
عزماتها لم تستكن لم تجزع
١٥ - و مضت تسجل للبطولة قصةً
في كل ركنٍ في البلاد و موضع
١٦ - و تحملت سود المتاعب في الوغى
و مريرها رغم السنين الأربع
١٧ - هي قوةٌ خلاقةٌ و بطولةٌ
نالت ثناء العالم المتتبع
١٨ - وغدت بها دنيا العروبة تزدهي
و تصافحُ الشعبَ العظيمَ الألمعي
١٩ - و تشد أزر الثائرين لجدهم
بصراحةٍ مثلى و عزمة مولع
٢٠ - فمن الكويت إلى الرباط تفجرت
عزمات شعبٍ للعلا متطلع

☼☼☼☼

٢١ – يهوى الفكاك من القيود و حرها

يهوى الخروج إلى الفضاء الأوسع

٢٢ – حيث السنا و الحب فى إشراقه

حيث الجمال بعطره المتضوع

٢٣ – حيث الحياة صفت وأصبح فيضها

يروي النفوس من المعين المترع

٢٤ – وهناك حيث الإنطلاق و رحبه

تحيا الشعوب ببهجة وتمتع

✲✲✲✲

٢٥ – أرض البطولة هللي و استبشري

إن الغمائم اذنت بتقشع

٢٦ – قدماء أبطال النضال وثيقة

للنصر والفتح القريب الأنجع

٢٧ – صارت معيناً للبيان و منبعاً

ثراً ووحياً للخطيب المصقع

٢٨ – كم الهمت حسن البيان لشاعرٍ

فأتى بألوان القريض الممتع

٢٩ – كم أسعفت بذرا البلاغة كاتباً

أضحى ليوم المجد أحسن مرجع

٣٠ – و مدامع الثكلى لظى و لربما

دُكَّتْ عروشٌ بالدموع الهُمَّع

٣١ – فهي التي تذكي الحماس بنارها

وتبث سطوتها بصف الهُجَّع

٣٢ – و زئير أبطال الحمى بسجونهم

يدعو الحشود إلى الجهاد الأنصع

٣٣ - فالسجن للأحرار أروع معهد
و السجن للأبطال أعظم مصنع

٣٤ - فمن السجون الحالكات تفجرت
حرية الدنيا بعزمٍ أروع

٣٥ - و تأوه الجرحى نشيدٌ خالدٌ
يسري بأفق العالم المتفزع

٣٦ - يستنهض الأحرار ضد مجازرٍ
دمويةٍ وسط الحمى المتمنع

☆☆☆☆

٣٧ - أرض البطولة ألف ألف تحيةٍ
من شاعرٍ دامي الفؤاد مروع

٣٨ - قد روعته حوادثٌ دمويةٌ
وجدت صداها في حنايا الأضلع

٣٩ - فنظمت أشعاري بنار مشاعري
و غرفت فني من فؤادي الموجع

٤٠ - وأتيت يا بنت العروبة مخلصاً
وصوادح الأشعار قد جاءت معي

٤١ - فتقبلي مني النشيد و سامحي
إن فات في ساح الجهاد تطوعي

****

٧٨ - مفدي زكريا(*)

١ - سلام الله يا مفدي
على إبداعك الفرد

٢ - سلام الله والأحبا
ب يا صناجة الخلد

٣ - عشقت نشيدك الصدا
ح يا مفدي على البعد

٤ - فجئت لروضك الفوا
ح مسحورًا بما تبدي

٥ - أسائل كل من يهوى
غناك وهو كالشهد

٦ - إلى أن عانقت روحي
جَناتك فازدهى سعدي

٧ - فصيتك في ديار العر
ب قد أوفى على القصد

٨ - وعطرك في ذرى الآفا
ق أبهى من شذا الورد

٩ - وفي (اللهب المقدس) كم
وفيت بصادق الوعد

(*) صدر القصيدة بذكر المناسبة. تقول: في حفل عيد الكويت الوطني الثاني الذي اقامته سفارة الكويت في تونس يوم ١٩٦٣/٢/٢٥ **التقيت** - لأول مرة - بشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا الذي جاء مهنئاً ومباركاً بالعيد فجادت القريحة بالأبيات التالية.

١٠ - وقـــدت الثـــورة الكبـــرى
بـإبـداع إلـى المجـــــــــد
١١ - إلى أن أشـــرق الصـــبح
علـى الســـاحـــات والجند
١٢ - وأصـــبـــحت الجــزائر من
نـداهـا - لـلدنـا - تـهـــــدي
١٣ - وصـــار نشـيـدها (قـســمـا)
يـردد دونمـا حـــــــــد
١٤ - فـــجــئـتك بالـتـحـيـة من
كـــويت المجـــد يا مـــفـــدي

****

٤١ - فوزية أبو خالد[*]

٧٩ - في المؤتمرات التنكرية

أأخونك ...؟؟؟
يصهل المهر في صدري
يسحبونني من حلمتي ((جميلة))
في عز الظهيرة
والديوك تصيح
والأطفال يلعبون في دهاليز البيوت
وعلى الأسطحة
أأخونك ..؟؟
يسحبونني من حلمتي ((جميلة))
والثيران تحرث الأرض
والآباء يمارسون الحب مع الجواري
أأخونك..؟؟
أأذهب معهم والضحى ((سيكار)) ينطفئ
في نهدي ((جميلة))..
وتتشمس فيه بنت السلطان الشركسية؟
أأخونك ..؟؟
المهر يصهل في صدري

(*) شاعرة سعودية
- المصدر : أدب المرأة في الجزيرة والخليج العربي (رواية عن ديوانها: إلى متى يختطفونك ليلة العرس)
- طبع الديوان في بيروت ١٩٧٣

وجلاد السلطان يروضه للمسابقة القادمة
و..امرأة تعاشر الرجال بلا زواج ترافع عني
وطفل غير شرعي يرافع عني.
أأخونك..؟؟
تبعثرني خلاخل حجل صبية تقاد إلى سوق النخاسة.
أأخونك..؟؟
ترافع عني ((سيمون دو بوفوار))
والمشنقة بعيدة
والصبيان لا يزالون في طول السيف
أأخونك..؟؟
اغفر لي
إذا عانقت الجلاد، فقد كانت أمه جارية، ودمي يجري في عروقه،
يسفح زرقة ((الجنزير)) الذي لون دمه
باللون المسموم،
باللون الأزرق،
بالدم الأزرق.
أأخونك..؟؟
اغفر لي
إذا قطعت لسان السمسار بين شفتي،
فقد كان ابوه شيخاً ضريراً في حارتنا
يبيع البراقع، ولم يدر ان التي عشقها كانت ابنة السلطان.
أأخونك..؟؟
طفلك في أحشائي
والطاولة المستديرة التي أخذوني لنجتمع إليها
لا تسعني وطفلك.
أأخونك..؟؟

الوجع والطلق في ظهري
لا يمكنني أن أوقع اسمي على البيانات التي
أخذت للتوقيع عليها.
أأخونك..؟؟
كان عز الظهيرة
كان الأطفال يلعبون بالكبريت
كان الآباء ينامون القيلولة مع الجواري
وأنا أغتصب في صحن الدار
ولا من منجد إلا حريق الأطفال.

****

٤٢ - فيصل البريهي(*)

٨٠ - صنعاء في الجزائر

١ - شـــذى صنعـــاء يعـــبق في الجـــزائرْ

عـــبـــيـــراً في القلوب وفي الخـــواطرْ

٢ - وانســـامـــاً منرجـــســـةً تجلتْ

صـــفـــاء في الوجـــوه وفي الســـرائر

٣ - هنا شـــعب التـــوحـــد والتـــآخي

يعـــانق مـــوطن المليـــون ثائر

٤ - أيا شـــعب الجـــزائر إن صنعـــا

بما تحـــويه من صـــدق المشـــاعـــر

٥ - أتت تســـعى مـــجنحـــة الأمـــاني

إلـى ربط الأخـــوة والأواصـــــــر

٦ - ومـــا صـنعـــاء إلا نبض قلبٍ

حـــوى حب الأوائل والأواخـــــر

٧ - نما بذر الثـــقـــافـــة في حـــشـــاها

فـــأعـــشب في النفـــوس وفي الضـــمـــائر

(*) شاعر يمني.

- المصدر: ألقاها في مدينة الجزائر.

٨ – ومن صنعاء جئت إليك أشدو

بمهجة عاشقٍ وبقلب شاعر

٩ – كأنا والجمال يفيض سحراً

بها... ما بين مسحورٍ وساحر

١٠ – أراني اليوم صرت جزائرياً

إذا صح المجاز ولست زائر

****

٤٣- مانع سعيد العتيبة(*)

٨١ - الجزائر

١ - افديك من شعبٍ عظيمٍ ثائرٍ
اشرقت مثل الصبح فوق جزائري

٢ - أهدى السلام لمن عليها استشهدوا
ليحرروها من عدوٍّ غادر

٣ - و لابن بلا و الرفاق تحيةٌ
من قلب كل مؤيدٍ و مناصر

٤ - يا جبهة التحرير أنت رجاؤنا
ردي الظلام بنور نصرٍ غامر

٥ - جيش الجزائر دمت خير مدافعٍ
عن ثورةٍ لا تنحني لجبابر

٦ - تأبى الشهامة فيك أن ترضى بما
يهوى الطغاة و كلُّ حكمٍ جائر

٧ - مليون من شهدائنا قد سطروا
بدم البطولة مجد شعبٍ قادر

٨ - بذلوا النفوس رخيصةً فبلادهم
اغلى من العيش الذليل الخاسر

٩ - شعبٌ أبيٌّ لا يذل لغاصبٍ
حمل السلاح بوجه كلِّ تآمر

(*) شاعر إماراتي
- المصدر : ديوان خواطر و ذكريات - تاريخ القصيدة نوفمبر ١٩٦٦ .

١٠ – يا مضربَ الأمثال في يوم الوغى

خضت المعارك مثل جيشٍ ظافر

١١ – أخذ الفرنسيون درساً قاسياً

من ثورة الأحرار في نوفمبر

١٢ – يا ثورةً ذكراك عيدٌ خالدٌ

فجرت كل عواطفي و مشاعري

١٣ – النصر حتماً قادمٌ إني أرى

أطيافه هلت هنا كبشائر

١٤ – يا منبتَ الأبطال أرضك مدفنٌ

للمعتدين و للدخيل الماكر

١٥ – يا قاصداً أرض الجزائر زائرًا

هذا التراب مُرحّبٌ بالزائر

١٦ – إصعد إلى أوراس قبّلْ قمةً

شعت بنورٍ من فداء باهر

☼☼☼☼

١٧ – واحمل سلاماً للذين تسابقوا

للموت ذوداً عن ترابٍ طاهر

١٨ – من أمةٍ عربيّةٍ فخرت بهم

من ذا المحيط إلى الخليج الهادر

١٩ – إحمل سلاحك يا أخي في عزّةٍ

فالله للأحرار خيرُ مناصر

٢٠ – طلع الصباح و أشرقت أنواره

وتبددت ظلمات ليلٍ عابر

٢١ – طيفُ الجزائر مرّ بي في غفلةٍ

فأهاجني و أثار كلّ خواطري

****

٤٤ - محمد إبراهيم جدع(*)

٨٢ - انتصار الجزائر

١ - حيُّوا معي أهلَ الجزائر في المعارك والنضالْ
٢ - لا يخضعون لمعتدٍ وهُمُ الأشاوسُ في الرجال
٣ - وهُمُ الجنودُ المؤمنون بحقِّهمْ عند القتال
٤ - قد كافحوا سبعًا شدادًا بالعزيمة في النزال
٥ - فتحدثُ التاريخ عنهمْ بالمهابة والجلال
٦ - تلكمْ بني قومي معاركُ أمَّةٍ تبغي الكمال
٧ - تبغي اعتزازَ النفس تسمو بالكرامة في المنال
٨ - لا تستجيبُ لذلةٍ وهْيَ العزيزةُ في المنال
٩ - حيُّوا الجزائرَ أعلنوا الأفراحَ في هذا المجال
١٠ - ظَفِرَتْ بحقٍّ بلادها وتبوأت أعلى منال
١١ - واليومَ نصرٌ للعروبة أحرزته قوى الرجال
١٢ - وغدًا نراها قوة تبني المفاخر والفِعَال
١٣ - وتمدُّ أرجاء العروبة بالعزائم والصيال



١٤ - فإلى فلسطينَ العزيزةِ نطلبُ اليومَ النضال
١٥ - ليعود أهلوها ويعظم شأنها في خير حال
١٦ - فالعزمُ يفعل ما نريد وليس ينفعها المقال
١٧ - فلقد مضَتْ أعوامها ثكلى يضجُّ بها السؤال

(*) شاعر سعودي.
- المصدر: المجموعة الشعرية الكاملة.

١٨ – فأتوا الجواب من العزائم كالجزائر في القتال

١٩ – حتى تنال حقوقها ونعيد أياماً خوال

٢٠ – في عزةٌ للعُرْب تربطهمْ جنوبًا للشمال

٢١ – نسمو عن الخلف المفرق ما تسوء به الخصال

٢٢ – وعدونا يبغي وينعم بالقطيعة في الوصال

٢٣ – ويريدنا نشقى ونهلك بالخصومة والجدال

٢٤ – والله بالمرصاد للأعداء فامضوا للمعارك والنزال

٢٥ – ودليلُنا الإسلام يهدينا إلى سُبلِ الكمال

٢٦ – فلقد هدى الأجدادَ أيام التآزر في الفعال

٢٧ – دكُّوا ممالكَ رومةً وتبوأوا دار الجلال

٢٨ – فالجِدُّ أن لاتركنوا للهون في هذا المجال

****

٨٣ - جهاد الجزائر

١ - ما للجزائر لا تكف بها المآسي والمجازر

٢ - حشدت لها الويلات من جانٍ وغادر

٣ - فجعلوا الأبوة في الوليد ويتموا الطفل المحاذر

٤ - وتعمدوا قتل النساء وما يجر إلى المخاطر

٥ - أ (فرنسا) إن الظلم مرتعه وخيمٌ بالخسائر

٦ - وستهلكين بما اقترفت من الجرائم والكبائر

٧ - وعلام تنكيل الشباب الحر حتى بالحرائر

٨ - وعلام إزهاق النفوس ولا حياء من الجرائر



٩ - أثقافة الإنسان عادت للفناء وللمقابر

١٠ - قد شوهوا (السوربون) بالآثام من عاتٍ وجائر

١١ - ورسالة (السوربون) ضاعت يوم جرت على الجزائر

١٢ - العرب لم يجنوا عليك وقد شهدت من المفاخر

١٣ - (هارون) عاش بعزه يهدي المحامد والمآثر

١٤ - أهدى إليكم من نتاج العرب في فضلٍ يفاخر

١٥ - أهداكمو مثل السلام وما يعز من الذخائر

١٦ - ولأنتم الإفرنج فيكم من صنوف الغدر ظاهر

١٧ - قد دستموا قيم الوجود ودستموا حق الجزائر

١٨ - ورأيتموا حكم السلاح أجل في حرٍّ يجاهر

١٩ – وتركتموا (الإنجيل) والتحذير فيه من الغوادر

٢٠ – قد قال من بالسيف يقتل في النفوس ولا يحاذر

٢١ – يلق العقاب من الإله ولا يفوت من المخاطر

☼☼☼☼

٢٢ – عشتم بلا قيمٍ ولا دينٍ وبؤتم بالخسائر

٢٣ – وستخسرون حياتكم ويعيش أبطال الجزائر

٢٤ – في عزةٍ وكرامةٍ هي في الجدود لها نظائر

☼☼☼☼

٢٥ – وتقبلي أرض الجزائر ما يفيض من الخواطر

٢٦ – نجوى يقدمها المقدر للجهاد من المشاعر

٢٧ – أعظم بموقفك العظيم وما لقيت من المخاطر

٢٨ – والنصر بعد الكرب حقٌ للمجاهد والمصابر

****

٨٤ - يوم العروبة

١ - تهبُّ على العروبة كلَّ حينٍ
اعاصيرٌ تُعَدُّ لها انْتِقاما

٢ - ونحن لها وإن طالَ التجني
نُحطِّم شرَّها ابدًا حُطاما

٣ - ونحن لهَولها ابدًا سلاحٌ
نمزِّقُ شملَها مهما ترامى

٤ - سواء بالجزائر ما فعلنا
وبالأردن ازهقنا اللئاما

٥ - وفي ارض القنال وكلُّ شبرٍ
من الوطن العزيز ولن تناما

٦ - لنبذل جهدنا نفسًا ومالاً
ولا نرضى لوثْبَتِنا كلاما

٧ - وتدفع حشدنا برًا وبحرًا
وجوًّا لا نهاب له الزؤاما

٨ - ونُعلنها حروبًا لا نبالي
إذا ما الغدرُ اشعلها ضراما

٩ - ولا نرضى بغير المجد حقًّا
ولو كان الطريق لنا حُسَاما

١٠ - وما دمنا نجاهدُ في اتحادٍ
وننشدُ حقَّنا حقًّا مُقاما

١١ - فنصـــر الله مـــعـــقـــودٌ علينا
وكنا في مطالبنا كـــــرامــــا
١٢ - فـــإنا أمّـــةُ التـــوحـــيـــد دينًا
ودنيـــا نبـــتـــغي أبدًا ســـلامـــا
١٣ - ونأبى أن تضـــيعَ لنا حـــقـــوقٌ
ونبـــذل في صـــيـــانتـــهـــا المرامـــا
١٤ - لنفـــدي أرضَنا ونذودَ عنهـــا
وننشـــر في جـــوانبـــهـــا الوئامـــا
١٥ - فلسطينُ العـــزيزةُ أرضُ قـــومي
فكيف تهـــون مـــا أقـــسى الطغـــامـــا
١٦ - ومـــا اغـــتـــصـــبتْ ليـــعْـــرُبَ من بلادٍ
نحـــرِّرُها ولا نخـــشى احـــتـــدامـــا
١٧ - يهـــود الذل مكتـــوب عليـــهـــا
ومن يركن إليـــهـــا لن يقـــامـــا
١٨ - فـــولوا عن مـــواطننا ســـراعًـــا
فـــمـــا نرضى لموطننا اجـــتـــرامـــا
١٩ - وجندُ اللـه يـغلبُ كل شـــــرٍّ
ومَن نَصَـــرَ الإلهُ فلن يُضَـــامـــا
٢٠ - سنأخـذ ثأرنا حـــتـــمًـــا ونســـمـــو
ومن بالثـــار يطلب لن ينامـــا
٢١ - وكـــيف يطيبُ مـــضـــجـــعُنا وفـــينا
جـــروحٌ لم تجـد فـــيـــهـــا التـــئامـــا
٢٢ - ســـوى ســـحقِ العـــدوِّ ونَيلِ مـــجـــدٍ
ونبـــقـــى قـــوةً ترعى الســـلامـــا

****

٤٥ - محمد بن أحمد العقيلي(*)

٨٥ - تحية استقلال الجزائر

١ - هزك النصرُ فاستحثّ النشيدا
نغمًا نيّرًا، وشعرًا جديدا

٢ - كوميض البروق ضوءًا، وكالرع
د، دويًا وكالزمان وجودا

٣ - كالشموس الوضاء، كالبدر، كالنج
م، شعاعًا، وروعةً ووقودا

٤ - فاستمدّ السماء لحنًا من النو
ر ونضّدْ به النجومَ قصيدا

٥ - وتقدّمْ به إلى موكبِ النصـ
ـر، واعلنه للأعارب عيدا

٦ - اشرقتْ (دولة الجزائر).. يا للـ
ـفخْرِ قد أثمرَ الجهادُ الخلودا

☼☼☼☼

٧ - قم وحيِّ الأبطال فيها جميعًا
حيِّ شعبًا حرًا وجيشًا عتيدا

٨ - بذل النفس والنفيس وفيضًا
من دم يغمر البطاحَ خضيدا

☼☼☼☼

(*) شاعر سعودي
- المصدر: المجموعة الشعرية الكاملة

٩ - نبـــــأ قـــــــد رنّا لمولدِهِ الكَوْ
نُ فـــأضـــحى بـه الزمـــان مُـشـيـــدا
١٠ - وتهـــامت هواتف اليُــمْنِ والبِــشـ
ـرِ تـعمّ الوجــــودَ بحــــرًا وبيـــــدا
١١ - وتهـــادت عـــواصم العـــرب نشـــوى
تتـــبـــارى مـــشـــاعـــلاً وبنودا

☼☼☼☼

١٢ - حي شـعـبًا ضـحى بأنفس مـا يمْـ
ـلِكْ مـــالاً وأنفـــسًـــا وجــهـــودا
١٣ - أخـذ النصــر عنوة من (فـرنســا)
واقـــتـــضى حـــقَّـــه وأفنى الجنودا

☼☼☼☼

١٤ - يا ابن (عـبد العـزيز) يا موئل العُرْ
بِ، ومـن أنجبَ الأباةَ الأسُـــــــــودا
١٥ - يا ابن عـبد العـزيز يا روعة النصْـ
ـرِ لقـــــومي أبوّةً وجُـــــــدودا
١٦ - أنت من آزر (الجـــزائر) حـــقًّـــاً
وحـــبـــاها مـــالاً ورأيًا ســـديدا
١٧ - فلتـدم للفـخـار والدين رمـزاً
خـــالداً، يدمغ الزمــــان خلودا

****

٤٦ - محمد أحمد المشاري(*)

٨٦ - في الجزائر

١ – وانهمر الرصاص .
٢ – هناك حول الجبل الأخضر، والحماس.
٣ – يعصف بالأنفاس.
٤ – فياله من مشهد عجيب.
٥ – السالب الدنيء.
٦ – والثائر السليب.
٧ – هذا بطغيان أتى وانقض بالأطماع.
٨ – وجاء من خلف البحار.
٩ – ليقتل النساء والأطفال.
١٠ – ويشنق الأحرار.
١١ – وذلك بالعزة والطماح.
١٢ – أذن للدفاع .
١٣ – وقام للكفاح.
١٤ – والتصقت يداه بالسلاح.
١٥ – ولعب الإصبع بالزناد.
١٦ – كأنه يصرخ في عناد.
١٧ – بنارنا نطهر البلاد!

(*) شاعر كويتي .
– المصدر : جريدة الشعب (الكويتية) ١٩٥٨/٩/١٨
– له ديوان «أصداء» ١٩٩٦، ولم يتضمن هذه القصيدة

١٨ – وياله من مشهد رهيب.
١٩ – الحق والباطل في صراع .
٢٠ – وياله من مشهد حبيب.
٢١ – هناك، فالأحرار.
٢٢ – الشامخون، الواضحون كالنهار.
٢٣ – الثابتون كالتماثيل، وإن ضحوا حياه.
٢٤ – يؤكدون للورى بأننا الأباه..
٢٥ – وأننا كامة تعج بالأحرار.
٢٦ – لن نحني الجباه .
٢٧ – كلا: ولن ننهار!

****

٤٧ - محمد حسن عواد(*)

٨٧ - كفاح الجزائر المقدس

١ - روعة الوثبة في همس الحراب
٢ - في بنيك الصيد
٣ - يا اساد غاب
٤ - أو على البيض الرقيقات الحرائر
٥ - فعلى اسم الله سيرى يا جزائر

٭٭٭٭

٦ - عرب تصرخ في قلب البلاد
٧ - بالأماني
٨ - فتنادي وتنادي، وتجاهر
٩ - ثم تصغي للنداءات الضمائر
١٠ - فعلى اسم الله سيري يا جزائر

٭٭٭٭

١١ - عرب ثارت إلى هذا الكفاح
١٢ - تطلب الغاية من معنى النجاح
١٣ - بسلاح من حديد

(*) شاعر سعودي
- المصدر : ديوان العواد (الجزء الثاني)
- نظم قصيدته في شهر رمضان ١٣٧٧ هـ الموافق شهر مارس ١٩٥٨ م.

١٤ – وسلاح من دروع الصبر
١٥ – والعقبى لصابر

☼☼☼☼

١٦ – فالتحيات إليها
١٧ – والتهاني
١٨ – ويد الله عليها
١٩ – بالأماني
٢٠ – والهدى في كل سيف وسنان
٢١ – في يد الأمة والجيش المثابر
٢٢ – فعلى اسم الله سيري يا جزائر

☼☼☼☼

٢٣ – هذه الأمة
٢٤ – من أين أتاها
٢٥ – ذلك الإيمان، في كل خطاها؟
٢٦ – شيخها يكرع منه، وفتاها
٢٧ – فمشى – في منتهاها، مبتداها
٢٨ – إنه دين كفاح وحمية
٢٩ – وتباشير حياة عربية
٣٠ – فعلى اسم الله سيري يا جزائر

☼☼☼☼

٣١ – إنه دين إلهي، يقول:
٣٢ – «قاتلوا . . .»
٣٣ – «لا تهنوا . . .»
٣٤ – «لا تعتدوا . . .»
٣٥ – «إن قوماً جاهدوا قد أفلحوا . . .»
٣٦ – «ويرى التعذيب قوم مردوا . . .»

٣٧ – «لكم العز . . .»
٣٨ – «لكم قصد السبيل . . .»
٣٩ – «اجنحوا للسلم إن هم جنحوا . . .»
٤٠ – «لا تخافوهم وخافوني . . .»
٤١ – «ولا يحرج المرضى إذا ما نصحوا . . .»
٤٢ – كلمات الله في قرآنه
٤٣ – لبني الدنيا
٤٤ – وليست للعرب
٤٥ – ترجموها بلغات اجنبية
٤٦ – وانشروها
٤٧ – إنها لب الأدب
٤٨ – اجعلوها
٤٩ – للفرنسيس . . . لكل الشاربين
٥٠ – من دماء البشرية
٥١ – احملوا منها سلاحًا عملياً
٥٢ – ينسف الجوعى إلى الأرض الحصان «المغربيه»
٥٣ – من ملايين الطغاة التتريه
٥٤ – أدعياء المدنيه
٥٥ – السلاحيف التي تزحف ضد الآدميه
٥٦ – سارقي الحرية الكبرى من الجنس السخي
٥٧ – عن تراث العربي
٥٨ – غلغلوها ثورة بورك منكم صانعوها
٥٩ – إنها ثورتنا العظمى . وأنتم ملهبوها
٦٠ – إنها دين كفاح وحمية
٦١ – وتباشير حياة عربية
٦٢ – فعلى اسم الله سيري يا جزائر.

****

٤٨ - محمد سعيد جرادة(*)

٨٨ - النسر السجين «أحمد بن بلا»

١ - أيمسي النسرُ مقصوصَ الجناح
أيغمدُ سيفُ ملحمةِ الكفاح؟؟

٢ - أيسكتُ صوتُ تاريخٍ تغنّتْ
نشيدَ علاه ألسنةُ السلاح؟؟

٣ - أيحتضنُ الجزائرَ جنحُ ليلٍ
وقد لاحتْ تباشيرُ الصباح

٤ - أتخدُثُ بابن بلاً وهْوَ ليثٌ
ثعالبُ لا تكفُّ عن الضباح؟؟

٥ - تبعدُه وتعلن في غموضٍ
بأن الجرمَ جَلَّ عن السماح؟؟

٦ - وتحسب أن قولاً في بيانٍ
سيحجب كل خزيٍ وافتضاح

٧ - ولو قد كان ذلك من عدوٌ
لجاء العذر من كل النواحي

٨ - ولكن من رفاقٍ في المبادي
مشوا بالشعب في طرق الفلاح

٩ - ومن شركاءَ في ماضي جهادٍ
بنوه بالدموع وبالجراح

(*) شاعر يمني
- المصدر: ديوان قصائد لم تنشر

١٠ - أقول لشعبِ (أوراسَ) المرجى
ليومٍ فيه تجريدُ الصّفاح

١١ - ليومٍ للعروبة فيه نصرٌ
على أعداء نهضتها الوقاح

١٢ - أراك صدمت في البطل المفدى
وفي العَلم المقام على الرماح

١٣ - وفي المَثَلِ المجَسّدِ للأماني
وفي رمز الفتوة والطماح

١٤ - أ في لحظات تاريخ عصيبٍ
تطالعه النواظرُ في ارتياح؟؟

١٥ - تهيأت الشعوب به لتحمي
حِمىً حقُّ الشعوب المستباح

١٦ - وأوقفت الوفود على انتظارٍ
ليومٍ مشرقٍ اللمحات ضاح

١٧ - تَرينَ على الفضاء الصحو سُحْبٌ
كلبد الليث ضافية الوشاح

١٨ - وتنطلق الشرارة في هشيمٍ
ونار الخلف رعناء الجماح

١٩ - من المتآمرون على ابن بلا
ومن قذفوه بالتهم القباح؟؟

٢٠ - ذوو علمٍ به أم أهل جهلٍ
ذوو قربٍ إليه أم انتزاح؟؟

٢١ - هواةُ الحكمِ أم حسادُ فضلٍ
كلا الصفين أكذب من «سجاح»

٢٢ - وهل وجدوا لدى الشعب احتفاءً
وهل سمعوا له نغمَ ارتياح؟؟

٢٣ - أ يوصم بالخـيـانة من تولّى

قـيـادةَ قـومِـه يوم التّـلاح؟؟

٢٤ - ومن دفع العـداة بيـوم نحسٍ

إلى درك الحُـتـوفِ بلا براح

٢٥ - ومن قـاد السـفـينةَ في عُـبـابٍ

عـتيٍّ الموجِ صـخّـاب الرياح

٢٦ - أقـول لشـعب «أوراس» المرجّى

تيـقظْ في غُـدوك والرواح

٢٧ - وحـاذر أن ترى كل انتـفـاضٍ

طريقًـا للوصـول إلى النجـاح

٢٨ - فـثـورات الشـعـوب لها حـدودٌ

وليس الجـدُّ فـيـهـا كـالمزاح

٢٩ - وبعض الانقـلابات انتكاسٌ

إذا فـجـأتْ بلا سـبقِ اقـتـراح

٣٠ - ألا لا تبـخـسـوا الأبطال قـدرًا

فـهمْ روّادُ قـافلةِ الصّـلاح

٣١ - وهمْ سُـرُجُ الهـداية حين تخـفى

وتنبـهـةُ المسـالك والمناحي

٣٢ - لقد جـهلت «أمية» قدر «موسى»

وصـيت الفـتح يدوي في البطاح

٣٣ - أقـامـتـه على حـمـراء قـيظٍ

ولم يشـفع له شـرفُ الكفـاح

٣٤ - خـذوا من سـالف التاريخ درسـاً

فكم ضِـحْكٍ بفـيـه وكم نواح

****

٤٩ - محمد عبدالقادر فقيه(*)

٨٩ - إنما الحق لذي البأس

١ - يا لنقعٍ بـ(أورا
س) على - السّفحِ مثارا

٢ - يا لأحرارٍ قضوا العُمْـ
ـرَ كفاحاً وانتظارا

٣ - ناجزوا البغْيَ وقدْ را
مَ عُتُوّاً واقْتِدارا

٤ - وسقوه الذلَّ أكـوا
باً دهاقاً ومرارا

٥ - وانطوى العام على العا
م وما ملُّوا المغارا

٦ - وشكى الصخر من الأيـ
ـن ولم يشكوا الأوارا

٧ - غضبوا للضيم والذلْـ
ـلِ سِعاراً وجَهارا

٨ - غضَباتٌ تترك الليْـ
ـلَ من الضَّرب نهارا

(*) شاعر سعودي
- المصدر : الأعمال الشعرية الكاملة
- قيلت هذه القصيدة وحرب التحرير في الجزائر على أشدها.

٩ - والرمـــالَ البـــيضَ كـــالجَـــمْـ
ـرَةِ والصَّـــخـــر نثـــارا

☼☼☼☼

١٠ - اشـــعلوها أيهـــا العُـــزْ
بُ علـى الـقَـــاصبِ نـارا

١١ - إنَّمـــا الحقُّ لذي البـــأ
سِ فـــلا تُمْـسُـــوا حـــيـــارى

١٢ - وضُحَ الـفـــجـــرُ على الدَّرْ
بِ فَـسِـــيـــروا حـــيثُ سـارا

****

٥٠ - محمد بن علي السنوسي[*]

٩٠ - انتصار الحرية

١ - مرحبًا (بالجزائر) العربيّة
(دولةٌ) حرةُ الكيان فتيّه

٢ - وسلامًا لها شبابًا وشيبًا
ولأبنائها فتًى وصبيه

٣ - وتحايا من (الجزيرة) من أرض
القداسات والطيوب الزكيه

٤ - من حمى العاهل العظيم المفدى
بطل الشرق نخوةً وحميه

٥ - يتهادى بها الأثير قصيدًا
مفعمًا بالمشاعر الأخويه

٭٭٭٭

٦ - مرحبًا بالجزائريين (شعبًا)
عربيًا بين الشعوب القويه

٧ - الأباة الكماة الغرر الصيد
المغاوير فيلقًا وسريّه

٨ - الألى شمروا السواعد حتى إن
تصر (الحق) نصرةً عاليه

(*) شاعر سعودي.
- المصدر: الأعمال الشعرية الكاملة.

٩ - غضبوا غضبة الرجال وقاموا
(ثورةً) في نضالها عبقريه
١٠ - كل شبرٍ من ارضهم كل فترٍ
من تراهم معسكرٌ او خليه
١١ - في رؤوس الجبال تحت ربى الأش
جار فوق الذرى خلال الثنيه
١٢ - كالأعاصير كالسيول اندفاعًا
في سبيل المطالب الوطنيه
١٣ - ألهبوها على (المغيرين) نارًا
تتلظى واشعلوها حميه
١٤ - فإذا بابن (بلة) وهو مخطوفٌ
على خاطفيه ابلى بليه
١٥ - كان إيمانهم قويًا فكانوا
أقوياء رغم القوى الأطلسيه
١٦ - الصراع الرهيب والسجن والتعذ
يب والانتقام والبربريه
١٧ - والعراك المرير والقصف والنس
ف وتلك الملاحم الدمويه
١٨ - والصواريخ والقنابل والألغام
والطائرات والمدفعيه
١٩ - كلها لم تحل عن الهدف السا
مي ولم ترهب النفوس الأبيه
٢٠ - يا لها امةً اعادت إلينا
ذكريات اليرموك والقادسيه
٢١ - فرضت نفسها على الظلم فرضًا
واطاحت بكل دعوى دعيه

٢٢ - أخذت حقها السليب غلابًا

واغتصابًا ولم تنله عطيه

٢٣ - عزةً (غافقية) وإباءً

(مضري) ونخوة (طارقيه)

٢٤ - فسلامٌ لهم وطوبى لأرضٍ

انجبتهم سهولها السندسيه

٢٥ - وسلامٌ (الدولة) يفخر الضا

د، ويزهو بها ويشدو تحيه

****

٩١ - بطولة الجزائر

١ - أهابت فـــــفـــــداها دمٌ وإهابُ

ونادت قلبـــاها شــبـــاً وشـــبـــابُ

٢ - وهمت فـــهــزَّ الأرضَ زحفٌ تزاحـمتْ

قلنســــوةٌ في حـــشـــده ونقـــاب

٣ - وهبَّ الحـــمى اشـــبـــاله وليـــوثه

غـــضـــاباً وثارت لبـــوةٌ وعـــقـــاب

٤ - تفــجــر واديهــا وفــاضت جـبــالهــا

ودمـــــدم بالموت الزؤام ســــحــــاب

٥ - وصاغت من (النير) الفرنسي صارماً

عنت منه (للمـســتـعـمـرين) رقــاب

٦ - ودارت على أرض الجـــزائر (ثورة)

يشـــيب عليــهـــا الدهر وهي كــعـــاب

٧ - كـتـائب فـيـهـا (خـالد) و (اسـامـة)

و (ســعــد) وفــيــهـا (خـولة) و (رباب)

٨ - إرادة شـعـبٍ كـبل القـيـدُ سـاقـه

فـصـــمم لا يثني قـــواه عـــقـــاب

٩ - وكـانت إرادات الشــعـــوب ولم تزل

أحـــد وأمـــضــى، والحــيـــاة غـــلاب

١٠ - أيســتـعـمـر الشـرقي والشـرق كله

(عـــرين) يدوي بالأســـود و (غـــاب)

١١ - لقد مات عصر الذل والخوف وانقضى
وهيل على ذاك الزمـــان تراب

١٢ - هنا (جبهة التحرير) والحق والهدى
تخـــر النواصي عندها وتصـــاب

١٣ - هنا العصبة الأحرار أما سماؤهم
فـرعـدٌ وأمـا بحـرهم فـعـبـاب

١٤ - هنا الأرض زلزالٌ، هنا الجو عاصفٌ
هنا الجـبل الراسي وغى وضـراب

١٥ - هنا النار زادٌ للجـيـاع وها هنا
حـمـيم لأكـبـاد الظمـاء شـراب

١٦ - محى الوعي أشباح الأضاليل وانطوى
دجـاها وذابت غـيـمـةٌ وضـبـاب

١٧ - وشب عن الأطواق (عمرو) وأومضت
بعـينيـه من عـزم الرجـال رغـاب

١٨ - تشبث بالحق الصـريح وأطبقت
يداه وشـدته عـرى وعـراب

١٩ - وأثبت أن الروح في (العرب) جمرةٌ
وأن سناها جـوهـرٌ ولبـاب

٢٠ - يصارع جباراً سقى البغي قلبه
وسـال على شـدقـيـه منه لعـاب

٢١ - عـراك كلعـلاع البـراكين جاحمٌ
وحـصـدٌ كـمـعـمـاع الحـريق يلاب

٢٢ - ونسفٌ يدك المدن شمـاء والقرى
فـفي كل بيت أنةٌ ومـصـاب

٢٣ - تعرت فرنسا خسةً وتجردت
عن العـار أخـلاقٌ لهـا وثيـاب

٢٤ - سعارٌ وإرهابٌ وغدرٌ وخسةٌ

ووحشيةٌ غابيةٌ وسباب

٢٥ - مثالب تأباها الذئاب ترفعاً

وتخجل من أمثالهن كلاب

٢٦ - لك الويل إن الحرب قد دار قطبها

فمهلاً يصفى للديون حساب

٢٧ - أغرك حلف الأطلسي وأهله

لقد خاب حلف الأطلسي وخابوا

٢٨ - ألم تعلمي أن (العروبة) نورها

على كل أفقٍ كوكبٌ وشهاب

٢٩ - تصدعت الأسوار واندك حاجزٌ

ومزق من ذاك الستار حجاب

٣٠ - مشينا على الألغام والشوك واللظى

وقدماً سرينا والسيوف ركاب

٣١ - وهبت على أرواحنا ونفوسنا

نسائم من فجر الخلاص رطاب

٣٢ - وبشت لنا الدنيا هوى وتهللت

وضاقت بأقدام اللصوص رحاب

٣٣ - أهاب بأبناء الجزيرة صقرها

(سعود) فلبوه فدى وأجابوا

٣٤ - وكان لنا يوم على الدهر خالدٌ

من الجود عنوانٌ له وكتاب

٣٥ - تألق في الدنيا سناه وجلجلت

بأصدائه في الخافقين هضاب

٣٦ - بذلنا به الأموال وهي حقيرةٌ

لمن بذلوا أرواحهم وآذابوا

٣٧ - عـزيزٌ على نفـسي ونفـسك (امّـةٌ)
تجــــــــردها مـنـي ومـنـك ذئـاب
٣٨ - اخي إنهـا أرضي وارضك اشـرقت
بـآبـائـنـا طـوبـى لـهـم ومـــــــآب
٣٩ - فكل (ريالٍ) من يديك رصــاصــةٌ
لـكل (فـــــرنسي) طغـى وعــــذاب
٤٠ - اتسلخ من جـسـمي وجـسـمك عنوةً
(بلاد) عليـــهـا للدمــاء خـضــاب
٤١ - متى كـانت (الأوراس) للسين منبعـاً
وأنّى التــقى للضـفــتين حـبـاب
٤٢ - وهل كـان (جي مـوليه) من نسل طارقٍ
او ابن (نصـــيـــرٍ) يا لذاك عـجـاب
٤٣ - اجل إنهـا ارضي وارضك يا اخي
فـكيف يطيب الـنوم وهي خــــراب
٤٤ - انتـركـهـا نهـبـاً وللضـاد ذمّـةٌ
وللدين حق (والجـــهـــاد) نصــاب
٤٥ - كـفى بك جـرحٌ من فلسطين واحـدٌ
عـلـى الجـــــسم مـنـه دمّلٌ ونبـاب
٤٦ - لقـد رن في الآفـاق صـوتٌ مـقـدسٌ
له في الضــمــيــر العـالمي عـتـاب
٤٧ - وجلجل في الدنيا صدى رجع جـرسه
على الغــرب خــســرانٌ له وتبــاب
٤٨ - إذا كـان تقـريرُ المصـيـر جنايةً
فـــإن مـــواثيق الســـلام كـــذاب
٤٩ - وإن كـان إرجـاع الحـقـوق جـريمةً
فـــأيان يرجى للعـــقـــول صـــواب

٥٠ – وإن لم يكن إلا (عُتُوٌّ) وغلظةٌ
فليس لنا إلا الرصاص جواب

٥١ – تحطم راس الكبرياء وذيله
وايقن ان (الثائرين) صلاب

٥٢ – وشق على الباغي عنادٌ تكسرت
على صخره القاسي قنا وحراب

٥٣ – فاوشك أن يلقي السلاح مجندلاً
على الأرض يعلوه قذى وهباب

٥٤ – فإياك ان تلقي السلاح (ابن بلة)
وإن لان منه جانبٌ وخطاب

٥٥ – فإن وراء اللين غدراً مبيتاً
وتحت الكلام المخملي خلاب

٥٦ – بني وطني هذا مقام مشرفٌ
يطيب به (للعاملين) ثواب

٥٧ – فكونوا كما شاء المليك (حميّةً)
وما المال إلا خدعةٌ وسراب

****

٩٢ - جنكيز خان

١ - تكاد تستعر النيران ملء دمي
ويصرخ القلب ملسوعاً من الألم

٢ - إذا أصخت إلى المذياع وانطلقت
أمواجه تلفظ الأنباء كالحمم

٣ - (جنكيز خان) وهولاكو ولفهما
وكل ما سجل التاريخ من نقم

٤ - عادوا وعادت مخازيهم بمثلها
(ديجول) في قحة نكرًا وفي نهم

٥ - الكفر يزحف والطغيان محتدمٌ
والشر يسخر بالأخلاق والقيم

٦ - والبغي بغي (فرنسا) يقشعر له
جلد البرية حتى أوحش الأمم

٧ - هناك فوق ذرى (الأوراس) معركةٌ
وقودها عزة الإسلام والشمم

٨ - والنار تلتهم الأرواح كاسحةً
والأرض تقذف بالأشلاء والرمم

٩ - والمسلمون الغيارى يبذلون دماً
حراً يحررهم من ربقة الغشم

١٠ - شبابهم وصباياهم وصبيتهم
في الريف والسيف والآكام والقمم

١١ - يستقبلون المنايا في مثابرةٍ

ذوداً عن الدين والأعراض والحرم

١٢ - والثكل واليتم والبأساء قائمةٌ

في كل بيت على السكان منهدم

١٣ - عارين إلا من الإيمان يشعلهم

حميّةً في صراع الظلم والظلم

١٤ - وسوف ينتصر الإيمان ما فتئت

جذاه وهاجة الإشعاع والضرم

١٥ - لله صوتٌ من (الأوراس) منطلقٌ

أجابه من (سعود) خير معتصم

١٦ - دعى فلباه شعب في مشاعره

نورٌ من النخوة العرباء والهمم

١٧ - يوم الجزائر يوم العرب قاطبةً

في النجد والسهل من فاسٍ إلى أضم

١٨ - وما الجزائر إلا قطعةٌ ودمٌ

من العروبة من رأس إلى قدم

١٩ - وإنها يا بغاة (السين) مقبرةٌ

لكل علجٍ وسفاحٍ ومحتكم

٢٠ - ولن تكون (فلسطين) التي ذهبت

في غفلةٍ حين عاث الذئب بالغنم

٢١ - ولن تنال (فرنسا) وهي باغيةٌ

على العدالة إلا خيبة الندم

٢٢ - اليوم يوم الندى والبذل منهمراً

والأريحية والإيثار والكرم

٢٣ - إن العروبة إحساسٌ وتضحيةٌ

ووحدةٌ وشعورٌ في دمٍ وفم

٢٤ – والمال اهون شيء في الحـــيـــاة إذا
تعـــــرض الشـــــرف المرمـــــوق للرغم
٢٥ – (قـــد افلح المؤمنون) المؤثرون على
نفـوســـهم واســـتـحـقـوا النصــر من أمم

****

٥١ - محمد قراطاس المهري(*)

٩٣ - إلى قبر جدي

١ - قبل النبي
٢ - وبعد النبي
٣ - ومازال جدي
٤ - وجد لجدي هناك

٥ - ومازال من قصة للغيم عن قصة البعد
٦ - ألف انبثاق وألف انعتاق
٧ - ومازال في الشعب صوت العشائر
٨ - صوت النحيب وصوت الحداة
٩ - على الريح والعيس سائر

١٠ - سنمضي إلى قبر جدي هنالك
١١ - حيث التراب يخبئ نبض السحاب
١٢ - ويولد ثائر
١٣ - هنالك حيث الجزائر

١٤ - أحب الجزائر

(*) شاعر عماني
- ألقيت في العاصمة الجزائرية بتاريخ ٣٠ ابريل ٢٠٠٧ .
- المصدر: مخطوطة مرسلة من الشاعر

١٥ – تضيء الحروف لذكر الجزائر
١٦ – وتبسم الف قصيدة إذا مر ذكر الجزائر
١٧ – وصادف ان القريحة مالت تجاه الجزائر

١٨ – أحب الجزائر
١٩ – وقصة جدي
٢٠ – تخالط الصحاري
٢١ – وتشربها باسقات النخيل
٢٢ – وتلمسها طفلة في المساء
٢٣ – إذا مشطتها الظفائر

٢٤ – وقصة وجدي تسافر مثل الرياح
٢٥ – لتحمل ذكر الرجال
٢٦ – صمود الرجال
٢٧ – وتحنو إذا لامست في الصباح ضريح الشهيد
٢٨ – هنالك فوق الرياض
٢٩ – لتأخذ إذن السلام لتملأه في صدور الشباب
٣٠ – عزيزًا فدا كبرياء الجزائر

٣١ – أحب الجزائر
٣٢ – وبالأمس قابلت ليلى الجزائر
٣٣ – وأم لمن فاته اخضرار التلال بتلك العيون
٣٤ – وأم لمن لم يصافح بعينيه تلك الخدود
٣٥ – وحمرة تلك الخدود

٣٦ – وأم إذا أشرت بالسلام عليكم ليلى الجزائر

٣٧ – كان السلام إذا أرسلته يلون كل القلوب بلون البياض
٣٨ – وتورق للصدق زيتونةً بأكف الحمام
٣٩ – ويصبح كل الكلام جناح حمام

٤٠ – أحب الجزائر
٤١ – وأقسم أني أحب الجزائر
٤٢ – وأني سأمضي هنالك حيث التراب
٤٣ – يخبئ نبض السحاب
٤٤ – ويولد ثائر
٤٥ – هنالك حيث الجزائر

****

٩٤ - كلي إليك(*)

١ - وافيت بالامس نبضنا طرقُه نغمُ
والآن نبضي طواه الحزنُ والالمُ
٢ - ماذا اقول وقد افنيت أخيلتي
واستحكم الفقد في جنبي والعدم
٣ - كلي إليك .... فما يشتد بي قلمٌ
في أحرف الشعر لا عربٌ ولا عجم
٤ - اغرمت فيك إلى أن صرت أشبهك
فما يصدق في نكرانك القسم
٥ - يا جنة الله في أرض تقاسمها
عزٌ وفخرٌ تسامى فيهما الكرم
٦ - جزائر الخير لو للمجد حنجرةٌ
ضجت بإسمك منها السنٌ وفم
٧ - أنا المسافر فيك اليوم قافيةٌ
ابكيك شعرًا ويبكي القلب والقلم
٨ - جزائر الخير هل تكفيك منزلة
في القلب أن هواك أعينٌ ودم
٩ - لو لم يكن وطناً نشتاق تربته
والله ما ارتفعت عن أرضك القدم
١٠ - جزائر الخير قد أحكمت قافيتي
فلم يعد في سواك يعذب الكلم

****

(*) القى قصيدته في الجزائر العاصمة بتاريخ ٥ مايو ٢٠٠٧ .

٥٢ - محمد قطبة(*)

٩٥ - إلى الجزائر الحبيبة

١ - شعبَ الجزائر عفواً إننا عربٌ
قاموسنا ليس فيه الشعب ينتخبُ

٢ - معالم الأمر قبل البدء واضحةٌ
ووزعت قبلها الألقابُ والرتب

٣ - تسعٌ وتسعون أمست منهجاً وبه
يأتي إلى الحكم طاغوتٌ ومغتصب

٤ - ويدعي أن حب الشعب مطلبُهُ
وأنه في سبيل الله يحتسب

٥ - يقيم ما شاء أن يبقى وإن بليت
منه المفاصل والأعضاء والركب

٦ - وغاية الأمر أن تأتي مبايعةٌ
مدى الحياة على الكرسي ينتصب

٧ - والشعب يا للأسى فالشعب في وسنٍ
إن ثار ثورته الكبرى سينتحب

٨ - ويرسل الخطب العصماء ساخطةً
شجباً ونكراً وبعد الشجب ينسحب

٩ - خذوا الحقوق بحد السيف ليس لها
إلا جهادٌ به الأوزان تنقلب

****

(*) شاعر من قطر.
- المصدر: ديوان مشاعل ومشاعر.

٥٣ - محمد هاشم رشيد(*)

٩٦ - تحية الجزائر المنتصرة

١ - (جـزائر) المجـد يا أعـجـوبةَ الحـقبِ
عـاش النضـال! وعـاشت أمـةُ العـربِ

٢ - هذا جنى الصبر والإيمان، قد نضجت
قطوفـه، بعـد طول الصـبـر والدأبِ

٣ - رويتـموا بالدم المهـراق، تربتـه
حـتى تألق في أثوابه القـشـبِ

٤ - ولاحت الزهرات الناضـرات به
حـمـر الشـفـاه.. بلون الأحـمـر السـربِ

٥ - أعـجـوبةٌ من بطولات، نسـخت بهـا
مـا قـد رواه لنا التـاريخ من عـجبِ

٦ - ومـوقفٌ صـامـدٌ، تزهو السنون به
على العـصـور ، وتستـعلي على الحـقبِ

٧ - قـالوا لنا: أذعن الثـوارُ، قلت لهم:
حـاشـاك أن تذعني يومًـا لمغـتـصبِ

٨ - هل نِمتِ قـبْلُ على ضَـيمٍ؟ وهل سَنَحتْ
يومًـا لك الوثبـة الكبـرى.. ولم تثـبي؟

(*) شاعر سعودي
- المصدر : ديوان بقايا عبير ورماد

٩ - وهل تركت «فرنسا» في مباذلها

سكرى بغير كؤوس الهم والنصب؟

١٠ - تلك السنون مضت، لا الفجر مؤتلقٌ

ولا الدجى يزدهي في سامر الشهب

١١ - ولا الجحافل تحيا، في مرابضها

قريرةً، تحت أفياء القنا الأشب

١٢ - ولا الأساطيل تغفو.. وهي مثقلةٌ

بكل نائبةٍ، أعتى من النُّوَب

١٣ - تلك السنون مضت.. لم تخفضي أبدًا

هامًا، ولم تخدعي بالزور والكذب

١٤ - ولم تصيخي لأهواء.. يلفقها

شراذمٌ.. عبدوا عجلاً من الذهب

١٥ - ناموا على الخز والديباج.. واتشحوا

لديك بالصوف، في سيماء منجذب

١٦ - وسرت وحدك في الدرب الطويل، بلا

صوتٍ يجلجل في الدنيا ولا صخب

١٧ - حتى التقينا.. فأمسى الهمس عاصفةً

هوجاء تزأر في حقدٍ وفي غضب

١٨ - واستيقظ الغاصب المغرور.. وانتفخت

أوداجه.. ودعا بالجحفل اللجب

١٩ - وثرت ثورتك الكبرى.. فما وهنت

قواك يومًا لدى حربٍ ولا حَرَب

٢٠ - حتى انجلى الفجر عن أزهى مطارفه

ولاح صبح المنى.. بالفوز والغلب

☼☼☼☼

٢١ – يا أيها الفتية الأحرار.. في زمنٍ

حرية الرأي فيه.. بهرج الخطب

٢٢ – عذرًا إذا حشرجت في الصدر أغنيةٌ

قطعتها.. وأنا في نشوة الطرب

٢٣ – فلم تزل في مهجتي.. غصصٌ

حرّى.. تفجر دمعًا غير منسكب

٢٤ – ولم يزل ملء سمعي.. صوت إخوتنا

عبر الصحارى.. وفوق البيد والهضب

٢٥ – ساروا على الصخر والأشواك وانطلقوا

وللردى حولهم إيماء مرتقب

٢٦ – في كل خطوة طفلٍ.. صوت باكيةٍ

ثكلى. وطفل ينادي: أين أين أبي؟

٢٧ – وكل آهةِ شيخٍ راح يتبعها

صراخُ مستنجدٍ.. أو صوت منتحب

٢٨ – ومأتمٌ في فجاج الأرض منتشرٌ

قد راح يزحف.. أو يجثو على الركب

٢٩ – على أساريره الدكناء.. قد برزت

مشاعر اليتم، والتشريد، والسغب

٣٠ – وفي مآقيه أحلامٌ.. ممزقةٌ

وأمنيات تهاوت.. غضة الأهب

٣١ – ورفرفات غد.. ضاعت معالمه

كما يضيع السنى في حلكة السحب

٣٢ – تلك الوقاح فرنسا. لست أذكرها

إلا وأشعر بالآلام تعصف بي

٣٣ – وارتمي بين نيـران مـؤججـة
احس في وقـدها إحسـاس ملتـهب



٣٤ – يا للأسى كم قرى دكت وكم نسفت
مـدائنٌ.. قـد رفـعناها على الشـهب

٣٥ – وكم تهاوت صـروحٌ.. شـيدت بيـدٍ
غـراء.. تومض مـثل الصـارم الضـرب

٣٦ – كـانت مـعاقل للإسـلام.. تحرسـه
عـبـر الفـجـاج.. من الأوثان والصلب

٣٧ – وكـان في سـوحـهـا للحق.. الويةٌ
خـفـاقـةٌ.. تتـحـدى كل مـغـتـصب

٣٨ – وتحـمل الدعـوة الكبـرى.. مـجلجلةً
لكل افق.. وراء الأفق مـحـتـجب

٣٩ – وكم تهـاوى بوديان الردى.. وثوى
بين الكهـوف.. وفـوق المائج الصـخب

٤٠ – أشـاوسٌ لم تهن في الروع عزمـتـهم
(ولا استـعـاضـوا عن المسلوب بالسلب)

٤١ – وفـتـيـةٌ اقـسـمـوا الا ينام لهم
جـفنٌ، فنامـوا على رشـاش محـتـرب

٤٢ – يا أيها الفـتـيـة الأحـرار.. تهنئـةً
بالفـوز والنصـر بعـد الكد والتـعب

٤٣ – ضـربتـمـوا المثل الأعلى بثـورتكم
وكنتـمـوا قـدوةً في الموقف الحـزب

٤٤ – سـبعٌ شـدادٌ.. رمـتكم كل ثانيـةٍ
منهـا بهـولٍ.. وسـاقـتكم إلى عطب

٤٥ – عشتم بها فوق بركانٍ.. فما ارتعشت

قلوبكم في اللظى العاتي.. ولم تَجِب

٤٦ – ولم يقف دونكم أو دون غايتكم

طوفان أسلحةٍ.. ينصبُّ باللهب

٤٧ – ولا عصابة «أحلاف» مقنعةٍ

تسترت خلف شفاف من الحجب

٤٨ – خالوا التستر يجديهم وقد جهلوا

ما لاح من دمنا في كفٍّ مختضب

٤٩ – سبعٌ شِدادٌ حصدتم تحت كلكلها

حصدًا.. إلى أن بلغتم غاية الأرب

٥٠ – لم تستنيموا عن الحق السليب.. ولم

تستسلموا.. ورفعتم رأس كل أبي

٥١ – تحيةٌ أيها الأحرار.. من بلدٍ

حرٍّ.. كتائبه سارت مع الكتب

٥٢ – صحائف الوحي فيه.. بالصفائح قد

شدت عراها.. فلم تفشل ولم تخب

٥٣ – فليس أبناؤك الصيد الأولى انطلقوا

يخططون الغد الموعود بالقضب

٥٤ – إلا بقية أسلافٍ أعيد.. بهم

مجد العروبة.. بعد الويل والحرب

٥٥ – اليوم أمنت أنا لا تزال بنا

شمائل الصيد من أجدادنا النجب!!

****

٥٤ - محمود شوقي الأيوبي (*)

٩٧ - الموت للاستعمار

١ - يا طغمةَ الشرِّ مالُ الشرِّ يرتجفُ
عليكمُ ماحقًا في طيه الكسفُ

٢ - زعزعتم الأمن لا دينٌ يصدكمُ
ولا ضميرٌ ولا خلقٌ ولا شرف

✿✿✿✿

٣ - هذي هي (إنكلترا) شلت مرافقها
وذي (فرنسا) إليها اقبل التلف

٤ - الدولتان اللتان انجاب بغيهما
عن وجهه كالحًا بالخبث يلتحف

٥ - أما (فرنسا) ملاذ الفسق دوخها
بنو (الجزائر) من بالحق قد شرفوا

٦ - هم القساورة الأحرار ما ضعفت
إرادة المجد فيهم إذ سما الهدف

٧ - أهدافهم في ليالي الهول مشرقةٌ
تضيء درباً به الغايات تقتطف

(*) شاعر كويتي.
- المصدر: ديوان ألحان الثورة.

٨ - يسرون للموت تشوى بين أضلعهم

شوق الحياة، فلا خوفٌ ولا أسف

٩ - وهم أذاقوا (فرنسا) الحتف منتفضاً

ينقض كالشهب ما هانوا وما اختلفوا

****

٩٨ - يوم الجزائر

١ - تزلزلي يا فـــــرنســـــا هذه النذرُ
تتـــرى عليك وقـــد حـــاقت بك الغِـــيَـــرُ

٢ - افـــحـــمـت كل زنيمٍ في مـــرابعنا
وغـــــرك الإثم والـطـغـــيـــــان والـبَطَر

٣ - خسئت يا (بؤرة القرصان) دونك ما
اجــمـــعـت، حـــســبك منا الموت ينحـــدر

٤ - صـــوت الـعـــروبة دوّى لا مـــثـــيلَ له
صـــوتٌ تصـــيـح له الآبادُ والعُـــصُـــر

٥ - صـــوتٌ من الأمل الجـــبـــار هبَّ له
في كل ربعٍ يغني شـــعـــره القـــدر

٦ - من ســـاحل (الأطلسي) الحـــر زوبعـــةٌ
إلى (العـــراق) جـــرت أضـــواؤها الحـــمـــر

٧ - تشع في كل قلبٍ ثائرٍ شـــــعلٌ
وضـــــاءةٌ أبدًا تســـــمـــــو وتـزدهـر

٨ - خذي (فرنسا) صواريخ الوثوب فقد
تصـــدعت لمنى اســـتـــعـــمـــارك الجـــدر

٩ - (بينو) و (لاكوست) عتريفان ثالثهم
(مـــوليـــه) تذل عليـــهم خـــيَّم الكدر

١٠ - هم أوغروا أكبد الأحرار فانتفضت
شـــــرارة المقت، لا تبـــــقي ولا تذر

- تاريخ القصيدة ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦ .

١١ - وقــاحــةً لم تزدنا غــيــرَ تجــربةٍ
تجــري ســراعًــا بنا، في كــفنا الظفــر
١٢ - هبت على (النيل) أســادٌ مــزمــجــرةٌ
يمشي (جــمـــال) بهــا والليل مـــعــتكر
١٣ - فانجاب ليل الردى عن صبح معجزةٍ
(يوم القناة) إذ الأمــــجــــاد والعــبــر
١٤ - إن الحــيــاة لمجــد العــرب ناشــرةٌ
شـــعـــورهـا، بالجـــمـــال الحلو تأتزر
١٥ - (ســبــعــون عــامــاً) جـهــادٌ كله مـثلٌ
عليـــا به فــرق الأحــــرار تفــتـــخـــر
١٦ - هذا هو (الأردن) الزخــار منبــثقٌ
من كل قلبٍ به الثــارات تشـــتـــجـــر
١٧ - أهوى بقبضــتــه فـانهـار منحطمًا
صــــرح العـــدو جــذاذاً وهو ينـدحــر
١٨ - غنى له (بردى) و (النيل) وازدخــرت
(بدجلة) للوغى أمـــواجـــه الســـمـــر
١٩ - و (للفــرات) بيــوم الروع دمــدمــةٌ
تخـــيف كل (خـــؤونٍ) هدّه الذمـــر
٢٠ - بعد (القناة)!. (فلسطين) الذبيحة قد
ثارت لنجــدتهـــا الآحـــاد والزمـــر
٢١ - لســوف تسـحق (إسـرائيل) وثبتنا
وســـوف يشــدو (بيــافــا) الناي والوتر
٢٢ - وفي (السعودية) الشماء معجزة ال
عــصــر الجــديد لهــا الأبطال قــد نذروا

٢٣ - تحت الضياء جباه العرب مشرقةٌ
بين القفار عليها النور ينتشر
٢٤ - كأننا في الهوى والحب بوتقةٌ
فيها النضار مصفى ما به قتر
٢٥ - ونحن للوحدة القعساء مشرقها
لها (الجزائر) تهفو وهي تنتظر
٢٦ - هي (الجزائر) إلا أنها حفرٌ
للظالمين وقد ضاقت بها الحفر
٢٧ - هي (الجزائر) إلا أنها كتبت
بالدمع والدم من أبطالها الزبر
٢٨ - يا أيها الدهر صور كلَّ مكرمةٍ
(معارك الحق) إذ تسمو بك الصور
٢٩ - لأنت يا حق للربع الفسيح هدى
تمشي (العروبة) فيه وهي تعتذر
٣٠ - نامت على الضيم أجيالاً وفي دمها
من وطأة الذل في أوصالها خدر
٣١ - واليوم دوّى بأوطانٍ ممزعةٍ
صور الوثوب فهبت ما بها حذر
٣٢ - فكان للوحدة المثلى حقيقتها
تكشفت عن سنا أمجادها الستر
٣٣ - إيه (فرنسا) الطمي خديك يائسةً
لقد أصابك من جولاتنا الضرر
٣٤ - (عجائز السين) حيرى في رذائلها
للمومسات بها من حمقها هذر
٣٥ - يقودها للمخازي داعرٌ وقحٌ
(موليه) ذاك الذي أودى به العهر

٣٦ - شتان بين أمانينا وعفتها

وبين آمالِ قومٍ كلها وضر

٣٧ - وطالب الحق مهما عز مطلبه

لسوف يظفر مهما سعرت سقر

٣٨ - في قلب كل فتى تشدو عروبتنا

نشوى (الجزائر) فيه النار تستعر

٣٩ - يا للجزائر!.. يا للخمسة اعتقلوا

يا للحمية!.. ويلٌ للألى غدروا

٤٠ - يا للبطولة غشتنا غلائلها

وكلنا عبقريٌّ في الوغي نمر

٤١ - إن (الكويت) لربعٌ ثائرٌ أبداً

(وللجزائر) يحنو حبه النضر

٤٢ - إنا أردنا، وقد أصغت لوحدتنا

كل الشعوب، وأصغى الحق والقدر

****

٥٥- محمود عارف(*)

٩٩ - إلى بطلة الجزائر

١ - خلدوا في القلوب ذكرى «جميلة»
فهي بنت العلا ورمز البطوله

٢ - جاهدت عن بلادها في ثبات
كجهاد الرواد تبغي الفضيله

٣ - ومشت - والإباء في ناظريها -
تحمل العبء شأن عزم الرجوله

٤ - وسقت بالدماء أرض ذويها
فانتشى الشرق من دماء الطفوله

٥ - شع في صدرها الحفاظ كفجر
شع نورًا على سواد الخميله

٦ - فالربيع المعطار في وجنتيها
نفحةٌ تنتمي لغير الرذيله

٧ - والهجير السوار في أصغريها
لهبٌ فاض ثورةً وفحوله

٨ - خلدوا للفداء عزم فتاةٍ
رفعت في الأنام رأس القبيله

(*) شاعر سعودي
- حدد بطلة الجزائر المعنية بأنها جميلة بوحيرد، وعبارة الشاعر جديرة بالتسجيل تقول: «هذه النفثات الحرة الصادرة من أعماق العروبة، ومن مشاعر القومية العربية، هي تحية للصفحات المشرقة من تاريخ بطلة الجزائر (جميلة بوحريد)
- المصدر : ديوان ترانيم الليل (المجلد الأول)

٩ - وابعثوا للجزائر اليوم عطرًا

من تحايا الشعوب وهي قليله

١٠ - كلنا في الحفاظ شيء لمعنى

مستطيل، وما جهلنا الوسيله

١١ - خلقت للدماء هذي السموا

ت وللدم أرضنا المفضوله

١٢ - السموات مرتقى كل حرٍّ

ذي مضاء، والأرض مثوى الفسوله

١٣ - والفراديس في الصدور مهادٌ

للضحايا حيث المعاني الجليله

١٤ - من وراء الصحراء بيض الأماني

تتلاقى مع الدواعي الطويله

١٥ - والسوافي على الطغاة العواتي

قذفتهم إلى المهاوي الذليله

١٦ - والشواهين في الجبال توالى

زحفها لاقتناص صرعى الفيوله

١٧ - وفاة الشهيد قد ناوحتها

من هتاف الأحياء روح بليله

١٨ - هو روح الفداء حيث التسامي

للعلا، في شهادة مأموله

١٩ - يا صعيد الصحراء ما العرب إلا

وحداتٌ من طينة مجبوله

٢٠ - الدم الحر في الجزائر للعر

ب أصيلٌ، والسيف يحمي أصيله

٢١ - فليكن بيننا الكفاح دليلاً

للتآخي وما أجل دليله

٢٢ - وليكن عندنا الممـات سـبيـلاً
لخلود، ومـا أحبَّ سـبيـله!
٢٣ - فاقرئي يا سماء سفر التسامي
فجهاد الأحرار يروي فصوله
٢٤ - واشهدي يا نجوم.. أن الأماني
من صعاب الحياة دون السهوله
٢٥ - غير أن العزوم تعتاق مجرا
ه عقابيل تشبه الأحبوله
٢٦ - وأخيرًا يفوز بالمطلب الأيد
ويلقى مع العلا مأموله!
٢٧ - من يلوم الفتاة وهي تؤدي
واجب الشعب في معانٍ حفيله؟!
٢٨ - قلدتها الأيام مفخرة الذو
د وسامًا على المساعي الجليلة؟
٢٩ - سوف تدرين يا فرنسا المساعي
من وراء السيوف وهي صقيله
٣٠ - حينما تعتلي الجزائر بالعم
ق، وتلقين في بنيك الضحوله
٣١ - حسبينا فيك من ضحولة ماضٍ
عارمٍ بالوغى، فكنت الهزيله
٣٢ - ما نسينا «جان دارك» وهي تعاني
منك وكسًا، فأين منها «جميله» ؟
٣٣ - يوم ذكرى «جميلة» هتف الشر
ق مشيدًا: حييت بنت الفضيله!
٣٤ - في سجل التاريخ ما كان للمجد
وللخلد ما بنته البطوله!

٣٥ - هذه لوحـــــة الكرامـــــة تجلـو

ها فـــتـــــاةٌ فكانت الأمـــثـــولـه!!

****

١٠٠ - يوم الجزائر

١ - أمَّةَ العُرْبِ يا أباةَ الضمائرْ
أنتمُ اليومَ عدةٌ للجزائرْ

٢ - أسهموا، وابعثوا بكل نفيسٍ
وعزيزٍ من المبرات وافر

٣ - واجعلوا فدية الضحايا عطاءً
عن سخاءٍ لوقف هذي المجازر

٤ - وخذوا البذل رمز عيدٍ مجيدٍ
خالدٍ في كتاب شعبٍ مغامر

٥ - هو شعب الجزائر الحر يمشي
في غمار الكفاح مشيَ القساور

٦ - حطم القيد وهو أحرى بعزمٍ
في مجال الدفاع يحمي الدساكر

٧ - إنما القيد في طبيعة شعبٍ
سُبَّةٌ تجتوى بيقظة حاذر

٨ - يا حماة الذمار قد حان وقتٌ
لبلوغ الآمال والدم فائر

٩ - في دم الحر ثورةٌ ذات فتكٍ
عرفتها «باريس» بنت الدواعر

– مهد لقصيدته بعبارة تقول: «هذا هو صوت الشعب السعودي في يوم الجزائر، يرفعه مدويًا ومشيدًا بكفاح الجزائر المناضلة، استجابة لنداء جلالة العاهل الملك سعود الذي جاشت أريحيته العربية فساهم بالتبرع الكريم لهذا الشعب المجاهد. كما اقتدى به شعبه بما عرفه من الأريحية والشهامة لتدعيم فكرة التعاون ولتمكين مبادئ القومية بين الشعوب العربية».

١٠ - ثورةٌ جددت شباب المعالي
حين شقت للمستعمرين المقابر

١١ - وبنت عزة العروبة طودًا
مستقر الدعام، جم المآثر

١٢ - وهنا الشرق قد أعاد الأماني
بينما الغرب مستفيض المحاجر

١٣ - بالكفاح النبيل ينساب ثارًا
في دم الصيد، في صليل البواتر

١٤ - بالجهاد العظيم للوطن الح
ر، لإجلاء كل أهوج غادر!

١٥ - بالفداء المجيد يبذله الشع
ب حفيًا بما يحيط المصائر!

١٦ - العلا مبتغاه وهو يؤدي
واجب العون لاقتداء الجزائر

١٧ - يا فرنسا، وأنت عنوان ويلٍ
حسبك اليوم موبقات المخاطر

١٨ - كم سقيت الزعاف شيبًا وغيدًا
وقذفت الأطفال طيَّ الحفائر

١٩ - قال عنك الأحلاس إنك رمزٌ
للحضارات في الزمان المعاصر

٢٠ - واستفاضوا إفكًا بأنك مهدٌ
للثقافات في العصور الغوابر

٢١ - إن دار «السربون» مصنع هولٍ
يدفع الغاشمين عبر الجزائر

٢٢ - اترى كانت الحضارة تعني
هذه الموبقات - بله الجزائر؟

٢٣ - اترى كانت الثقافة تعني
فادحَ الفتك بالضعيف المجاور؟
٢٤ - نطق الحق بالصواب جليّاً
رغم أنف الغشوم، والحق ظاهر
٢٥ - منتهى النصر للجزائر صدقًا،
وكذا الحق مبتغى كل قادر
٢٦ - هي هذي وديعة الظفر الخا
لد للشرق في جلال الذخائر
٢٧ - قد جلاها النضال اية نصرٍ
وشداها الأبطال نغمة ظافر
٢٨ - ووعتها المروج انفاس عطرٍ
نشرتها الأنسام بين الأزاهر
٢٩ - هي «أنشودة الفداء» ومرحى
بفدار قد رددته الحناجر
٣٠ - راحة الموت متعةٌ يشتهيها
فيلقٌ إثر فيلقٍ في الجزائر
٣١ - ليس للأعزل الضعيف فخارٌ
إنما المجد عدةٌ وتكاثر!
٣٢ - والبقاء الأبدي للبطل الفا
دي، يلقاه في الجنان النواضر
٣٣ - في حداء الولدان أهزوجة النص
ر، وفي الخلد همسةٌ في القياثر
٣٤ - بارك الله في نوالٍ كريمٍ
نقتدي فيه بالمليك المؤازر
٣٥ - ورعى الموطن السعودي يعطي
عن سخاء على أساس التضافر

٣٦ - وعلى وحدة المشاعر يعلي

مبدأ العون والإخاء المناصر

٣٧ - لا تقولوا هذا العطاء قليلٌ

ربَّ سيلٍ قد جمعته المواطر

٣٨ - هكذا الدين نخوةٌ، وعطاءٌ،

واتصالٌ عند الخطوب المواقر

٣٩ - وكيانٌ موحدٌ، والتقاءٌ

بين شعبين في الهوى والمشاعر

٤٠ - إن ذكرى يوم الجزائر عيدٌ

نلتقي فيه بالليوث الكواسر

٤١ - عربي السمات تمتد ذكراه

على الدهر في صميم السرائر

٤٢ - رحم الله قبر كل شهيد

وعلى الظالمين عقبى الدوائر

****

٥٦ - هلال السيابي(*)

١٠١ - وداع الجزائر

١ - بيني وبينك عشقٌ عابقٌ وندي
فلست عنك - وإن أرحل - بمبتعدِ
٢ - ولي بواديك أصداءٌ مؤرجةٌ
تنساب كالعطر بين القلب والكبدِ
٣ - ترف فيها غوالي الذكريات فما
إلا الروائع تحكي روعة البلدِ
٤ - تكاد تلك السهول الخضر تعرفني
لحنًا يمس عذارى الحيِّ بالغيدِ
٥ - أهفو إلى ظلها الممدود منشرحاً
فيرجع القلب مزهواً من المددِ
٦ - فها هنا وهنا كانت مجالسنا
مع الخمائل بين الزهر والبردِ
٧ - وها هنا وقفة كانت لمركبنا
يشدها المجد مزهواً يداً بيدِ

☆☆☆☆

٨ - أرحل أنا؟ لا والله لا رحلت
روحي وإن جاب في الآفاق بي جسدي

(*) شاعر عماني
- المصدر : مختارات من الشعر العربي الحديث في الخليج والجزيرة العربية

٩ - أرض العروبة أرضي أينما ذهبت
ركائبي فهي لي كالأم والولد

١٠ - فما أغادر من أرضي ولا وطني
إلا إلى وطني والله أو بلدي

☼☼☼☼

١١ - جزائر المجد، إن أرحل فما رحلت
روحي ولا ملهمات الشعر من كبدي

١٢ - هذي الفنون الغوالي فيك تسكنني
فمن لنفسي بالترحال من خلدي؟!

١٣ - سحر الطبيعة يغريني بصبوته
فكيف بالمجد فواراً من الأبد؟!

١٤ - عشقت فيك الرماح السمر مشرعةً
تردي عن الوطن الميمون كل ردي

١٥ - عشقت فيك السيوف الزهر لامعةً
والموت يقطر بين الدرع والزرد

١٦ - أستغفر الله ما كانوا سوى نفرٍ
بيض الأسرة والأعراف والصيد

١٧ - أضواء عقبة ما زالت بأوجههم
شهباً تضيء وخلقاً وارف الرشد

☼☼☼☼

١٨ - قالوا خطفت وما أدراك من نصبٍ
فقلت بالله خلوني من العقد

١٩ - فما خطفت ولكن طائر غردٍ
أما علمتم بحال الطائر الغرد؟!

٢٠ - هي الذرا فسلوا عنها الصقور هوى
ومن يرد لمزيد القول فليرد

****

المحتوى

القسم الثالث : مائة قصيدة وقصيدة

مختارة عن الجزائر لشعراء الخليج والجزيرة العربية

الشاعر	رقم القصيدة	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	البحر	الصفحة
١ – إبراهيم الزيد	١	موكب النصر	٥٥	مخلع البسيط	٢٣١
٢ – أحمد سالم باعطب	٢	من وحي ثورة الجزائر	٣٢	الخفيف	٢٣٦
٣ – أحمد السقاف	٣	اقتلوهم	٣٢	تفعيلة الخفيف	٢٤٠
	٤	إلى جبل الأوراس	٢٠	الوافر	٢٤٢
	٥	في مهرجان الجزائر	٢١	مجزوء الكامل	٢٤٤
	٦	قبلة إلى أوراس	٢٠	الرمل	٢٤٧
٤ – أحمد الغزاوي	٧	تحية الجزائر المستقلة	٥١	الطويل	٢٤٩
	٨	يأبى لنا الإيثار إلا نجدة	٤٧	الكامل	٢٥٤
	٩	يوم الجزائر	٥٥	الخفيف	٢٥٨
٥ – أحمد محمد الخليفة	١٠	الأرض الملتهبة	٤١	الكامل	٢٦٤
	١١	تحية البحرين إلى الجزائر	١٣	الطويل	٢٦٨
٦ – اسامة عبد الرحمن	١٢	شعب الجزائر	٤٠	المتقارب	٢٧٠
٧ – بهية الجشي	١٣	إلى جميلة	٢٧	تفعيلة المتقارب	٢٧٤
٨ – تقي البحارنة	١٤	تحية للجزائر في عيد استقلالها	١١	الكامل	٢٧٦
٩ – ثريا قابل	١٥	لآلئ الدماء	١٥	مخلع البسيط	٢٧٨
	١٦	وشاء الجهاد	٢٠	مجزوء البسيط	٢٨٠

****